✝

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس

بالمطرية

التربية الكنسية



الجزء السابع

موسوعة الخادم القبطى

مادة : التاريخ الكنسى

تصلح كمنهج للخدام

وإعداد الخدام

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بالمطرية

التربية الكنسية

الجزء السابع

موسوعة الخادم القبطى



Peter
Printing
Establishment
Tel. (02) 4901065



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

اسـم الكتاب : موسوعة الخادم القبطى (التاريخ الكنسى)

أعـداد : أغسطس إبراهيم نجيب

الناشـر : كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بالمطرية

الطبعة : الأولى ١٩٩٩

الطبعة : الثانية نوفمبر ٢٠٠٢

رقم الإيداع : ١٣٥٩٠ / ١٩٩٨

جمع بالكمبيوتر : كمبيو سنتر ت: ٢٥٥٧١٥١

المطبعة : مؤسسة بيتر للطباعة ت: ٤٩٠١٠٦٥

إهـــداء

إلى قدس إبونا المحبوب جورجيوس بطرس



بمناسبة اليوبيل الفضى لرسامتكم (١) كأول كاهن على مذبح كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بالمطرية

❖ إليك نهدى سلسلة موسوعة الخادم القبطى ذات العشرة أجزاء لأنها من محاضراتك وتشجيعك لنا وبفضل توجيهاتك وإرشادك

❖ منك تعلمنا كيف نعظ ونعلم عن اللاهوتيات

❖ لقد وهبك الله صوتا ملائكى شجى اسعدنا واسعد شعبك طوال ربع قرن

❖ بهذا نحييك تحية للفضيله فى شخصك تقديرا لتاريخك طوال ربع قرن

ابنائك

خدام التربية الكنسية

---

١ تاريخ الرسامة ١٩٧٥/٩/١٢

مقدمة

+ هذا الكتاب هو ثمرة من ثمرات تعاليم وأرشادات وتوجيهات **قداسة البابا شنوده الثالث** .. البابا المعلم الذى ملأ الكرازة والعالم بتعاليمه اللاهوتية والطقسية والروحية .. ونحن كلنا كجيل تتلمذ على أيدى قداسته منذ الاكليريكية وحتى يومنا هذا ...

+ هذه الموسوعة مكونة من عشرة أجزاء هى عبارة عن محاولة لإعطاء فرصة للخدام واعداد الخدام للحصول على أكبر قدر ممكن من الاستنارة الروحية .. فهى خلاصة ما قدمته الكلية الاكليريكية ومعهد الدراسات العليا ومعهد الرعاية ... هى احتياج ماس فى كنيستنا القبطية الارثوذكسية جاءت إشباعاً لإبناء الكنيسة وإثراء للمكتبة القبطية الارثوذكسية ..

+ نشكر نيافة الحبر الجليل **الأنبا موسى اسقف الشباب** الذى شجعنا كثيراً على إصدار هذه الموسوعة وكذلك نيافة الحبر الجليل **الأنبا بافانيل الاسقف العام**

كذلك نقدم الشكر لتلاميذ قداسة البابا وأولاده الذين قاموا بمراجعة وتشجيع هذا العمل **القس / جورجيوس بطرس - القس / بيشوى بولس - كاهنا كنيسة مارجرجس بالمطرية**

كذلك ابينا المحبوب القس / **ميخائيل سدراك كاهن** كنيسة الملاك والرومانى بعزبة الريس بالمطرية

كما نشكر القمص / **متياس نصر** وكيل مطرانية شبين القناطر وتوابعها على مجهوداته وتصميم الغلاف

+ شكراً للأستاذ الدكتور / **انسى نجيب سوريال** أمين عام خدمة التربية الكنسية والاستاذ / جورج نجيب نائب امين الخدمة - ونطلب من الرب أن يعوض الاخ الخادم الاستاذ / ابراهيم نجيب الذى حمل على عاتقه مسئولية البحث والجمع

وشكر للأستاذ / روميل يوسف صاحب مطبعة بيتر لمجهوداتهة الجبارة لابراز العمل .

التربية الكنسية

٢٠ بابه سنة ١٧١٥ ٩ نوفمبر ١٩٩٨

تذكار نياحة القديس ابراهيم المتوحد

مقدمات فى تاريخ الكنيسة (١)

١ - لماذا ندرس التاريخ الكنسى ؟

يعتبر تاريخ الكنيسة عامة والقبطية خاصة ، بكل مكوناته من أحداث وحقائق وسير الأباء القديسين ، وحركة التغيير من جيل الى جيل وفق المواقف التاريخية العامة هو اساس لمعرفة قصة الكنيسة منذ أن أسسها رب المجد يسوع المسيح ، والهدف من وجودها وعند هذه المعرفة ندرك مدى أهمية ومعنى انتمائنا لها ، وأننا استمرار لتاريخها أو حلقة من حلقاتها المقدسة وهذا بالتالى يحرك فى نفوسنا شعوراً بالارتباط الشخصى بهذا التاريخ الكنسى المقدس إذ فيه نجد أنفسنا ، وعنده نجد دربنا نحو المراعى الحقيقية لوجودنا على الأرض ألا وهو ملكوت الله .

ومن ناحية أخرى نجد أن هذا التاريخ الذى يصنعه الإنسان ويشكل أحداثه وفلسفاته ودروسه ، وإنما هو ذات التاريخ الذى يصنعه أيضاً الله بالاشتراك مع الإنسان ، لأن فيه شهادة واضحة المعالم للدور الإلهى فى حياة الإنسان وحياة الكنيسة بل وحياة العالم كله .

ومن ثم فدراسة تاريخ الكنيسة لها أهمية وضرورة فى حياتنا بشتى جوانها وفى كافة مجالاتها وهذه الأهمية ترجع الى :

+ ١ - أن الكنيسة هى جماعة المؤمنين الأعضاء فى جسد السيد المسيح الواحد وهو رأس هذا الجسد وهذه الكنيسة .
+ ٢ - أن الله يعمل فى هذه الكنيسة التى تخصه ، ويعمل أيضاً فى الإنسان

---

(١) مقالة للأستاذ / امير نصر (رسالة خدام الشباب)

الذى يُكون ويشكل هذا التاريخ ، أحداثاً ومواقفاً وأشخاصا .

+ ٣ – أن دراسة وفهم الماض بتحايلة بكل ما فية من خبرات ايجا بية وسلبية يساعدنا على استشراف المستقبل ،فنختار المناسب لناولاعصر الذى نعيش فية الظروف التى نحن فيها .

+ ٤ – تعميق روح الانتماء والارتباط بالكنيسة فى كل مكوناتها؛ الله والملائكة ،القديسون – المؤمنون

+ ٥ – معرفة دور المسيحية فى تغيير حياة الانسان وحياة العالم وتاريخها معا، مما يعطى شهادة حية لعمل الروح القدس وشهادة الملكوت الله الممتد الي الارض ولهذا نجد ان هذة الداسة الواعية توصلنا الي اكتشاف العديد من العناصر الهامة في تاريخ الكنيسة انذاك منها :

+ ١– معرفة اساس الايمان المسيحي الارثوذكس ومدي حفظ والتمسك بة كوصية انجيلية

(٢تي ١:١٣ ، ١٤) وذلك من خلال

+ تعاليم الكنيسة الاولي .

+ الشهداء الابرار وحفظ الايمان .

+ مواجهة الهرطقات والدفاع عن الايمان .

+ ابطال الايمان

+ ٢– التبصر للحياة المسيحية المعاشة في حياة الكنيسة خلال حياة القديسين و الفضائل المقدسة التي تسربلوا بها وان كل سيرة تحوي دور النعمة الالهية فيها والانجيل المعاش المفتوح والمقروء من جميع الناس أى

الايمان الحى بخبراته الروحية الفائق .

← ٣ - مواقف القديسين وأثرها مثل : .

+ الشجاعة .. المعمدان - مارجرجس - يوحنا ذهبى الفم .

+ الدفاع عن الايمان .. البابا اثناسيوس الرسولى - البابا كيرلس الكبير - البابا ديسقورس .

+ التحول والتغيير .. اغسطينوس - الانبا موسى الاسود - مريم المصرية .

+ + الثبات والاحتمال .. دميانة - الانبا صموئيل المعترف .

+ الجهاد والمثابرة .. الانبا انطونيوس - الانبا مقاريوس .

+ الامكانيات التى أعطاها الله للإنسان وكيفية استخدامها .

+ البابا كيرلس الرابع ودوره فى التعليم والثقافة .

+ البابا كيرلس السادس ١١٦ والبابا شنودة الثالث ودوره فى النهضة الكنسية المعاصرة .

← ٥ - الرصيد الهائل من التعاليم والمبادىء والمفاهيم الروحية من خلال + مدرسة الاسكندرية + فكرة الآباء القديسين .

← ٦ - العلاقة اليومية الحية مع الكنيسة المنتصرة فى السماء من خلال + شفاعة القديسين + أعياد القديسين .

← ٧ - المنهج الروحى والكنسى فى حياة الشركة المسيحية وعلاقات المحبة والنظام والترتيب فى الكنيسة .

٢ - مصادر التاريخ الكنسى

تتنوع المصادر التاريخية والاثرية التى تقدم لنا التاريخ الكنسى وتبحث فيه ونذكر منها :

- **اولاً : الكتاب المقدس .**
- **ثانياً : قوانين الآباء الرسل**

وكتاباتهم التعليمية المتمثلة فى الديداكية والدسقولية .

- **ثالثاً : كتابات الآباء الرسوليين**

تلاميذ الرسل مثل اكليمنضس الرومانى وهرماس وبابياس وأغناطيوس وبوليكربوس .

- **رابعاً : المصادر اليهودية**

مثل كتابات فيلو الفيلسوف اليهودى الاسكندرى ويوسيفوس المؤرخ .

- **خامساً : الكتاب والمؤرخون الوثنيون**

مثل تاكيتوس وسوتونيوس وبلين .

- **سادساً : كتابات آباء القرن الثانى**

مثل يوستينوس الشهيد وايريناوس وهيجيسبوس الذى اقتبس منه ايريناوس ويوسابيوس وابيفانيوس .

- **سابعاً : المؤرخون الكنسيون**

فى العصور المختلفة بدءا من يوسابيوس القيصرى والملقب بـ (أبو التاريخ الكنسى) ومروراً بكل من بالليديوس ويوحنا كاسيان - روفينوس - جيروم - سوزومين - يافاجروس - جناديوس ثيئونوريت - سقراط (القرن ٢ -

٦) يوحنا النيقوس – ساويرس – بن المقف أسقف فوه – ميخائيل أسقف تنيس أولاد عسال – أبو المكارم – أبو شاكر بن الراهب بطرس – جرجس بن الياس المكين – ابن كبر – القرون الوسطى – يعقوب نخلة – ميخائيل شاروبيم – سليم سليمان – يوسف منقريوس – الاسقف ايونوروس – كامل صالح نخلة – القس منسى يوحنا – الانبا باسيليوس مطران القدس – الانبا ديوسقوروس اسقف المنوفية – الانبا يؤانس اسقف الغربية – ايريس حبيب المصرى – دكتور عزيز سوريال – دكتور زاهر رياض – .. (القرن التاسع عشر والعشرون)

ثامناً: الكتاب والمؤرخون المسلمون

ونذكر منهم : عبد الرحمن عبد الحكيم (ق ٥) – المقريزى (ق ١٥) – ابن اياس (ق ١٧) – عبد الرحمن الجبرتى – على مبارك (ق ١٩) دكتورة سيدة إسماعيل كاشف – عبد الرحمن الرافعى (ق ٢٠) .

تاسعاً: الكتاب والمؤرخون الاجانب

فانسايب (ق ١٧) سيكار (ق ١٨) مدارام بوتشر – بطلر – ايفلين هوايت – كروم زويجا – اميلينو (ق ١٩ ، ٢٠) .

عاشراً: الاثار

ومنها الجمرية والخشبية والصور والملابس والمبانى للكنائس والاديرة سواء كانت فى أماكنها الاصلية أو المتاحف المختلفة .

٣ - طرق دراسة التاريخ الكنسى (١)

عند دراسة تاريخ الكنيسة . تتعدد الطرق والمناهج التى تحقق الدراسة التاريخية الواعية لفهم الاحداث والدوار والحقائق والسير والابعاد الروحية والايمانية والكنسية والقانونية والطقسية وكل ما يشتمله هذا التاريخ من عناصر تحتاج الى البحث والتعميق فيها .

أما وجود الطرق والمناهج المختلفة للدراسة التاريخية ، فلا يعنى أن طريقا معينا أو مناهجاً أو خطة بذاتها تحقق هذا الفهم وهذه الدراسة المطلوبة وإنما نجد أن كل الطرق والمناهج والخطط تعمل معاً وبأساليبها المختلفة على تكوين الرؤية التاريخية المطلوبة .. فتداخل وتكامل وتناسق هذه الطرق وتلك المناهج يشكل الوحدة الواحدة لدراسة التاريخ فلا استغناء عن واحدة أو تفضيل أخرى على غيرها .

اولاً: الطريقة القرنية .

وهى دراسة القرن كله (١٠٠ سنة) من خلال : تاريخ العصر والدولة والملوك الرؤساء - الاحداث الكنسية الهامة - الآباء - الشخصيات الهامة - الكنيسة فى مصر - الكنيسة فى العالم ... الخ .

وبعد دراسة القرن الأول تبدأ دراسة القرن الثانى فالثالث .. وبقية القرون بالترتيب حتى نصل الى القرن العشرين وهذه الطريقة استخدمها المتنيح منسى يوحنا فى كتابة تاريخ الكنيسة القبطية وكذلك الاسقف ايسوذوروس فى كتابه (الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة) وتعتبر هذه الدراسة منظمة وأولية فى

---

(١) مقالة للأستاذ / امير نصر (رسالة خدام الشباب)

القراءة والمعرفة التاريخية ويمكن اعتبارها دليلاً عاماً لموضوعات التاريخ الكنسى التى يجب دراستها .

ثانياً: الطريقة الموضوعية

وهى دراسة تقوم على اختيار موضوع معين لدراسته بالتركيز من كافة جوانبه وأبعاده وما فيه من توالى الاحداث التاريخية عبر القرون والعصور المختلفة فمثلاً :

عند دراسة موضوع الرهبنة نجد الدراسة التاريخية تشمل جوانب متنوعة فى الرهبنة مثل :

- نشأة الرهبنة فى مصر وأنظمتها .
- كيفية انتشار الرهبنة فى العالم وأنواعها وتطورها .
- دور الرهبنة فى الكنيسة .
- آباء الرهبنة وقديسيها .
- التراث الرهبانى .
- أسباب ضعف الرهبنة .
- ما بين الرهبنة الغربية والرهبنة الشرقية .
- ما بين الرهبنة الناسكة والرهبنة الخادمة .
- الرهبنة فى العصور الأولى .
- الرهبنة فى العصور الوسطى .
- النهضة الرهبانية المعاصرة .
- الاديرة وآثارها .

وهكذا .. كل موضوع يدرس بكل تفاصيله ومستوياته وجوانبه دراسة مركزة وشاملة ومتخصصة .. وهذه الطريقة يستخدمها البعض فى الدراسات التاريخية التى يقومون بها مثل كتاب عصر الرسل والاستشهاد فى المسيحية للمتنيح الأنبا يؤانس اسقف الغربية السابق - أو عصر المجامع للمتنيح القمص كيرلس الأنطونى (النبا باسيليوس مطران القدس السابق) ..

ثالثاً: طريقة الشخصيات .

تقوم هذه الطريقة على دراسة الشخصيات الكنسية والعامة دراسة شاملة تشملك العصر والأحداث الهامة الشخصيات المعاصرة ملامح الشخصية ذاتها أهم الأعمال التى قامت بها .. الخ ، وهذه الطريقة تشمل سير الآباء البطاركة - الأباء الاساقفة - اباء الرهبنة - الشخصيات العامة التى لها علاقة بالكنيسة فمثلاً عن دراسة شخصية البابا كيرلس الخامس .. تشمل الدراسة .

+ العصر الذى عاش فيه وهو فترة حكم أسرة محمد على فى مصر .

+ أهم الأحداث التاريخية مثل ثورة عرابى وثورة ١٩١٩ .

+ أهم أعمال الاكليريكية - سيامة الاساقفة - رحلات الرعوية .

+ البابا وقصته فى المجلس الملى .

+ البابا ومواقفة الوطنية .

+ أهم الشخصيات المعاصرة القديس الأنبا أبرام أسقف الفيوم - الأرشيدياكون حبيب جرجس - بطرس باشا غالى .. الخ .

+ مسألة الإرساليات الاجنبية فى مصر .

وهذه الطريقة يستخدمها الكثيرون فى عرض سير القديسين والشخصيات

الكنسية الهامة مثل كتاب إيريس المصرى بأجزائة التسع (قصة الكنيسة القبطية) وكتاب ساويروس ابن المقفع (تاريخ البطاركة) وكتاب كامل صالح نخلة (سلسلة تاريخ بابوات كرسى الإسكندرية)

رابعاً: طريقة الانتقاء:

وهذه الدراسة تعتمد على اختيار نقطة معينة أو حدث ما وتسليط الضوء عليها من جوانب مختلفة وهذا الانتقاء أو الاختيار يقوم على :

١ - مدى أهمية هذه النقطة أو هذا الحدث .

٢ - اهتمام الباحث بهذا الموضوع بالذات .

٣ - الاحتياج لدراسة هذا الأمر لتكميل وإبراز قضايا أخرى تاريخية .

٤ - للتأكيد على قضية معينة .

فمثلاً هناك نقاط وأحداث فى تاريخ الكنيسة يمكن دراستها منفصلة تحت منهج هذه الطريقة الانتقائية مثل .

- نقل الكرسى البطريركى من الاسكندرية الى القاهرة .
- قانون الإيمان وتاريخ صياغة القانونية وغير القانونية .
- الخط الهمايونى والشروط العشرة لبناء الكنائس .
- الفئات التى اختير منها الأباء البطاركة فى الكنيسة .
- أحداث حول الوحدة الوطنية مثل ثورة البشموريين - ثورة ١٩١٩ .
- الاسقفيات العامة فى الكنيسة .

خامساً: طريقة الدراسات المقارنة

تقوم هذه الطريقة على اختيار موضوع واحد وعمل عدة دراسات مقارنة من

مصادر مختلفة مع تحليلها وتحقيقها فمثلاً عند دراسة تاريخ الليتورجيا (القداس الإلهى) يتم عمل دراسة مقارنة من خلال :

+ الليتورجيا القبطية + الليتورجيا السريانية .

+ الليتورجيا الحبشية .

+ الليتورجيا عند الكنائس الارثوذكسية البيزنطية (اليونان) .

+ دراسة نصوص مختلفة حول الليتورجيا وفى عصور مختلفة .

+ الطقوس المرتبطة بهذه الليتورجيات . + كتاب هذه الليتورجيات .

+ ترتيب الليتورجيات عبر العصور . + الترجمات التى تمت عبر العصور .

وهكذا نرى هذه الطريقة تعطى أبعاداً جديدة للدراسة تشمل الكنائس الأخرى ودراستها فى نفس الموضوع .

سادساً: ادوات مساعدة للدراسة

هناك بعض الأدوات المساعدة فى الدراسة التاريخية لأية طريقة من الطرق السابق ذكرها أو غيرها لم نذكرها وهذه الأدوات تسهم بكل إيجابى فى التعمق والفهم للدراسات التى نقوم بها مثل .

١ - الخرائط

تسهم الخرائط فى الدراسة المكانية والجغرافية المرتبطة بموضوع البحث التاريخى ، حيث تعطى أفاقاً ورؤية الاحداث وتحركها وتطورها ، وأثر البيئة فمثلاً عندما ندرس فى العصر الرسولى رحلات القديس بولس التبشيرية الثالث مع وجود خريطة جغرافية تبين المدن والبلاد والمواقع التى يتكلم عنها أو التى نزل بها . وطرق المواصلات والعبور المختلفة التى ستر فيها يمكننا أن نتعرف

على الجهد الجبار الذى بذله القديس بولس الرسول فى الكرازة والتبشير كرسول للأمم ، كذلك عند دراسة خريطة مصر ومواقع الاديرة القديمة والأثرية والمعاصرة يمكن أن نتبين مدى انتشار الرهبنة فى ربوع مصر فى القرون الأولى وكيف أن علم الاثار لنا اليوم عن مواقع كتبها المؤرخون والرحالة عاش بها الآباء وازدهرت بها البرارى .

٢ - الجداول

الجداول التى تستخدم فى الدراسات التاريخية تساعد وبشكل فى فهم الحقائق وتحقيق أحداث ، خاصة مع دراسات المقارنة وهذه الجدول متنوعة مثل :

أ - جداول البطاركة ب - جداول الملوك

ج - جداول الكرسى الرسولى للكنائس الأخرى .

د - جداول بأهم الاحداث العامة والخاصة .

هـ - جداول بأهم البيانات حول الشخصيات .

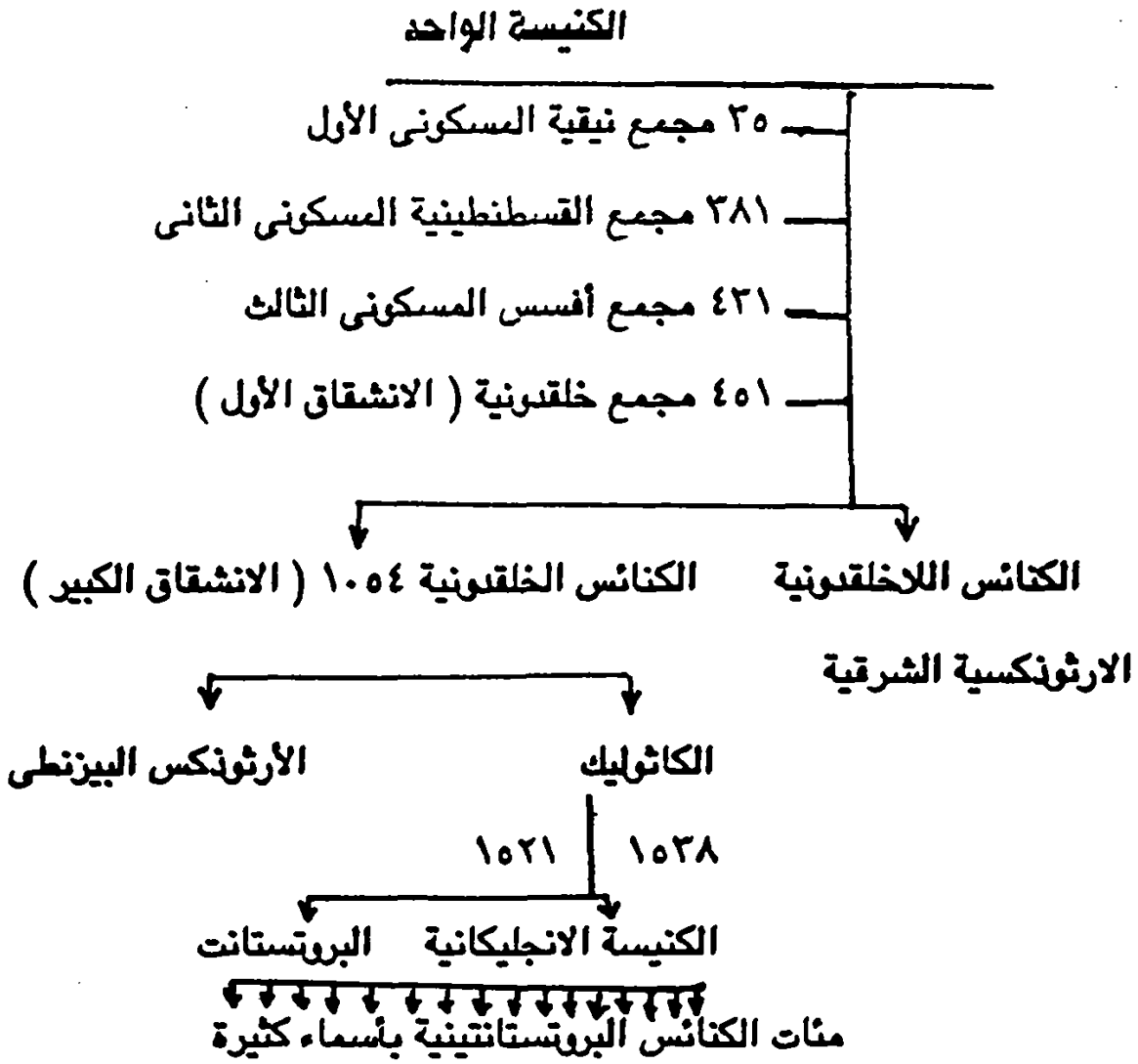
و - جداول الحصر والتعداد - للآباء - - الأماكن - الكنائس - الأديرة - الأيقونات - الآثار - المراجع .

ز - ويمكن للدارس أن يقوم بعمل الجداول التى تناسبه حسب الدراسة والطريقة التى يستخدمها وهى تعتبر مجهوداً خاصاً أثناء الدراسة .

٣ - الرسومات التوضيحية

هناك بعض الموضوعات تحتاج مع دراستها الى مجموعة من الرسومات التوضيحية تساعد فى البحث والفهم والربط والشرح بين عناصر الموضوع ..

فعند دراسة الانشقاق فى الكنيسة يمكن أن تكون هناكرسم توضيحى يوضح تواريخ الانشقاق مثل



٤ - البيانات

ترجع أهمية وجود كشوف للبيانات العامة التى تساعد على البحث الدراسة مثل بيان بأسماء البلاد والمواقع قديماً وحديثاً مثل مدينة نيقية = إزنيق التركية حالياً.

مدينة نيقوميديا = إزميد التركية حالياً .

مدينة القسطنطينية = إسطنبول التركية حالياً

٤ - أقسام التاريخ الكنسى

يتفق أغلب المؤرخين على تقسيم الكنيسة الى عدة أقسام رئيسية وكل قسم يحتوى على بعض الموضوعات الهامة التى تمثل الأساس التاريخى الذى لا غنى عنه عند المعرفة أى الدراسة التاريخية وهذه الأقسام هى :

١ - عصر الأباء الرسل وتلاميذهم .

٢ - عصر الاستشهاد والأباء المدافعون .

٣ - عصر المجامع الكنسية . ٤ - الرهبنة .

٥ - الانشقاق الأول عام ٤٥١ فى مجمع خلقدونية .

٦ - الكنيسة فى الشرق

* مصر تحت الحكم البيزنطى (٤٥١ - ٦٤١)

* مصر تحت الحكم الاسلامى (٦٤١ - ١٨٠٥)

* الكنيسة فى عهد أسرة محمد على (١٨٠٥ - ١٩٥٢) .

* الكنيسة المعاصرة فى مصر وبلاد المهجر .

* الكنائس الارثوذكسية الشرقية الأخرى .

* تاريخ الحوار بين الكنائس الأرثوذكسية من أجل الوحدة الإيمانية .

٧ - الكنيسة فى الغرب حتى الانشقاق الكبير (٤٥١ - ١٠٥٤) .

٨ - ظهور البروتستانتينية وحركة الإصلاح منذ عام ١٥٢١ وما بعدها .

٩ - ظهور الكنيسة الانجليكانية منذ عام ١٥٣٨ وما بعدها .

١٠ - الحركة المسكونية والمجالس الاقليمية منذ عام ١٩٤٨ .

من ناحية أخرى يمكن أن تعرض لتاريخ الكنيسة فى مصر من خلال الاقسام التالية :

١ - القديس مارمرقس الرسول وتأسيس كرسى الإسكندرية .

٢ - الكنيسة تواجه الاباطرة

أ - الأباطرة الوثنيون (٦٢ - ٣١٣) الشهداء .

ب - الاباطرة المناصرون لهراطقة (٣١٣ - ٤٥١) البطاركة الملكيون .

ج - الاباطرة المناصرون روما (٤٥١ - ٦٤١) الاضطهاد البيزنطى .

٣ - العمل الجماعى

أ - المجامع المسكونية . ب - الرهبنة القبطية .

ج - الاعياد الكنسية (أعياد القديسين - والكنيسة - القرارات)

د - التشريع الكنسى (قوانين المجامع قوانين البطاركة - قوانين الأباء)

هـ - الليتورجيا القبطية (القديس سرابيون - البابا كيرلس الكبير)

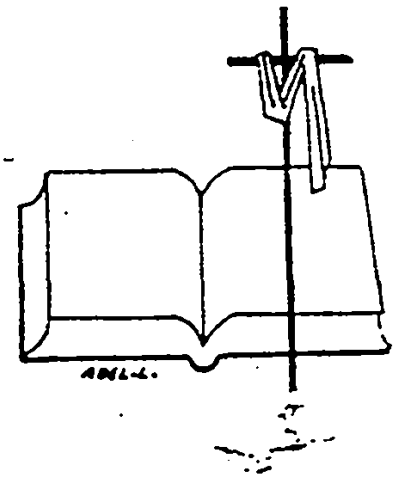
٤ - النشاط القبطى

أ - الفكرى والثقافى والعلمى .

ب - التعمير والبناء .

ج - الاجتماع .

د - الفنون .



(٢) الكنيسة في عصر الرسل

كنيسة: كلمة سريانية معناها (مجمع) أما الكلمة اليونانية (ابكتريا) ومعناها مجمع المواطنين في بلاد اليونان.

العصر الرسولي: الفترة الزمنية التي عاش فيها الرسل وتشتمل نحو ٧٠ عاما من تأسيس الكنيسة في سنة ٣٠م إلي ١٠٠م. زمن نياحة القديس يوحنا الحبيب.

لماذا ندرس تاريخ العصر الرسولي:-

(١) لأنه عصر الروح القدس عصر الإلهام والتشريع.

السيد المسيح هو النبع الأصلي للديانة.

(٢) يقدم لنا صورة أمينة لحيوية الحياة المسيحية. مثاليتها ونقاوتها.

(٣) يقدم لنا إثباتا واضحا علي أن المسيحية كديانة إنما هي عمل إلهي فائق في وسط هذه الممالك القوية الضخمة لذلك كانت قوية بالإيمان، الحب، الرجاء.

(٤) الآيات والمعجزات العظيمة التي صاحبت العصر الرسولي من ظهورات السيد المسيح مدة أربعون يوما بالإضافة إلي المعجزات التي تمت علي أيدي الرسل.

(٥) العصر الرسولي يقدم لنا نماذج لشخصيات مسيحية عملاقة أمثال بولس الرسول وتيموثاوس ... الخ.

✝ المصادر التاريخية لعصر الرسل:-

١. أسفار العهد الجديد بصفة عامة: وسفر أعمال الرسل بصفة خاصه.
٢. كتابات التعليم والقوانين المنسوبة للرسل مثل كتاب الدسقولية.
٣. كتابات الأباء الرسوليين: يقصد بهم تلاميذ الرسل مثل اكليمندس الروماني وأغناطيوس وبوليكاريوس.
٤. كتابات الايوكريفا (غير القانونية).
٥. المصادر اليهودية: مثل كتابات فيلو (Philo) ويوستينوس خراب أورشليم.
٦. الكتابة والمؤرخون اللاشين والوثنيون مثل تاكيتوس ديلليفي.
٧. كتابات أباء القرن الثاني الميلادي مثل يوستينوس وأرنساؤس.
٨. المؤرخون الكنسيون:- وأهمهم يوساييوس القيصري.
٩. المخلفات الأثرية:- مثل مخطوطات البحر الميت.

✝ العالم الذي ولدت فيه الكنيسة والمحيط بها المؤثر عليها:-

(أ) اليهود:

(أ) الحالة السياسية:

منذ دخول القائد الروماني أورشليم ٦٣ ق.م خارو خاضعين للسلطة الرومانية.

(ب) الحالة الاقتصادية والاجتماعية:

كانت سيئة للغاية. كانت توجد طبقة كبيرة من الناس والفلاحين تماثلها طبقة صغيرة من الأغنياء وذلك بالإيمان.

الضرائب التي كانت تجمع بواسطة العشارين وذلك بالإضافة إلي ضرائب أخري متنوعة.

(٣) سمات الكنيسة في عصر الرسل

القراءات: سفر أعمال الرسل ص ٢ .

✞ يوضح لنا القديس لوقا (كاتب سفر أعمال الرسل ملامح الحياة الكنسية في كنيسة الرسل.

✞ هذه الحياة تعتبر النموذج الذي يحتذي به والمعيار الذي يقيم كل نشاط وكل خدمة وكل حياة في أي كنيسة وفي كل عصر.

✞ هذه الملامح تظهر لنا أسباب القوة في كنيسة الرسل، ونحن في احتياج أن نستلهم من هذه الحياة التي وضعها الرب يسوع لتلاميذه الأطهار المنهج السليم الذي تسلمه الرسل من المسيح وأودع في الكنيسة وتسلمته الأجيال.

ومن هذه المبادئ:

أولا: كنيسة عبادة:

✞ من أهم ما يميز كنيسة الرسل هو العبادة بنفس واحدة ومثال ذلك:

١ الصلاة من أجل بطرس: فكانت تصلي الكنيسة من أجل بطرس عندما سجن (وكانت الكنيسة تصلي بلجاجة) (أع ١٢ : ٥) وكانت النتيجة أن:- الأبواب الحديدية تتفتح والسلاسل تنفك والملاك يصحب بطرس إلي خارج السجن.

٢ -أسطفانوس: أخذه اليهود ليرجموه فتخرج منه صلاة بروحانية وعمق!!

✞ كان المسيح بالنسبة للكنيسة والرسل هو الصديق والحبيب.

✞ يذكر سفر أعمال الرسل عن العبادة (كانوا يواظبون بنفس واحـــدة علي الصلاة والطلبة) (أع ١ : ١٤).

✞ ظهور ملامح هذه العبادة في سر الأفخارستيا والالتفاف حول جســـد الرب ودمه.

س: لماذا ركز الرسل في حياتهم علي العبادة؟

ج العبادة تعني تسليم القيادة للروح القدس الذي يعطي للكرازة قوتها وفاعليتـــها، وهو الذي يعمل في الكلمات وفي كل شئ ويرتب كل شئ حتى إننا نســـتطيع أن نطلق علي سفر أعمال الرسل (سفر أعمال الروح القدس).

✞ الروح القدس هو: القوة الفاعلة في الآيات والمعجزات.

✞ وهو المصباح المنير الذي كان يكشف محاولة تسلل العـــالم إلي الكنيســـة (روح العالم).

✞ هو الذي وحد المؤمنين قلبا ونفسا.

✞ هو الذي شدد الكنيسة وسط الألم والضيق.

✞ من ملامح العبادة هو الامتلاء من الفرح الحقيقي.

ثانياً: كنيسة حب:

✞ الله محبة ومن الطبيعي أن يختار السيد المسيح أناسا مملوءين حبا ليحملوا لـــــواء الكرازة بعد صعوده.

✞ لذلك وضع السيد المسيح مبدءا هاما كشرط للتلمذة ولتبعيته وهو "حينئذ يعلم العالم إنكم تلاميذي حينما لكم حبا بعضكم نح بعض" (يو ١٣ : ٣٥). مـــن ملامح المحبة في الكنيسة الأولي.

١. **أنها محبة مضحية** فلم تكن جوقاء كرنين صوت الطبول – لم تكن بالكلام بل بالعمل والحق. فلما أحبوا يسوع أحبوه من كل قلب وكان المسيح بالنسبة لهم الصديق والحبيب حتى أنهم تركوا كل شئ وتبعوه

٢. **محبة منفتحة علي الكل** مع أن التلاميذ كانوا في أول الأمر متعلقين بيهوديتهم وبالمبادئ التي عاشوها حتى أنهما اعتقدوا أن اليهودية هي المعبر الوحيد للمسيحية. بينما الخارجين عن اليهودية هم أمم (مواطنين من الدرجة الثانية) لا يصح أن يتعاملوا معهم حتى الرؤيا التي رآها بطرس الرسول عند قبول كرنيليوس (قائد المائة الأممي) للإيمان وسماعة الصوت "ما طهره الله لا تدنسه أنت" (أع ١٠ : ٢٥).

٣. **محبتهم للمسيح** لم تكن خليط بمحبة أخري تفسدها ... ولم يكن لهم القلب المنقسم بين المسيح والعالم، بل المسيح هو غاية الوصية (محبة المسيح) – حب المسيح عندهم لم يكن عواطف أو شعور ولكن سلوكا وحياة، يرددون من سيفصلنا عن محبة المسيح "أشده أم ضيق ....".

ثالثا: كنيسة حق واستقامة:

السيد المسيح أسس الكنيسة وأعطاها الروح القدس الذي وصفه السيد نفسه بأنه روح الحق ... وكنيستنا هي كنيسة الحق والاستقامة كما يفهم من ألقابها (أرثوذكسية – مستقيمة الرأي) وظهر ذلك في:

١ – التمسك بإنجيل الخلاص.

٢ – مقاومة حركة اليهود (مجمع أورشليم).

(٣) صدق المؤمنين في علاقتهم مع الله.

(٤) عدم التساهل في الحق من أجل الناس أو المنفعة "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس". وهو مبدأ هام وضعوه نصب أعينهم.

رابعاً: كنيسة شركة:

عندما حل الروح القدس علي التلاميذ كان الجميع بنفس واحدة (أع ٢ : ١) والعبادة كانت بنفس واحدة (أع ٢ : ١٤) وهذا يرجع إلي إحساسهم بأنهم أعضاء في الجسد الواحد، حتى في الأملاك والمقتنيات كانت مشتركة (أع ٢ : ٤٤)، وكان سر حياة **الشركة** هو الهدف الواحد (وهو شخص ربنا يسوع المسيح) **وعمقها** هو الالتفاف حول جسد الرب ودمه (الأفخارستيا) **وقوتها** في انصهار الفردية في وحدة الجماعة **ولهيبها** يظهر في الصلوات الحارة والعبادات الأمينة.

خامساً: كنيسة آلام واضطهاد:

جاءت المسيحية بمفاهيم جديدة لم تعرفها اليهودية من قبل جعلت المسيحية تتعارض معها من جهة هذه المبادئ، فاضطهدت لذلك المسيحية – اعتبرت الكنيسة أن الألم هبة "وهب لكم لا أن تؤمنوا فقط بل أن تتألموا لأجله" (في ١ : ٢٩)، ونوع أيضا يأتي عنه المجد "أن كنا نتألم معه فسنتمجد أيضا معه" (رو ٨ : ١٧)، لذلك خرج الرسل فرحين من أمام المجمع (بعد تعذيبهم) فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل اسمه (أع ٥ : ٤١).

– كانت الكنيسة تصلي من أجل مضطهديها وتشدد أبنائها.

سادساً: كنيسة كرازة وتبشير:

- ✞ فبطرس بعظة واحدة يجذب ٣ آلاف نفس (أع ٢ : ٤١).
- ✞ كانت الكنيسة رغم الاضطهاد تنمو في سلام (أع ٩ : ٣١).
- ✞ كان الاضطهاد يزيد الكرازة (أع ٨ : ٤).
- ✞ وظهر حماس الرسل في نشر الكلمة وامتداد ملكوت الله (أع ١٩ : ٢).
- ✞ "بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع" (أع ٤ : ٣٣).

- كان معلمنا بطرس ينادي بكل قوة (ليس بأحد غيره الخلاص).
- أيضا "ليس اسم أخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع ٤ : ١٢).
- "الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة" (أع ٨ : ٤).
- جوهر الكرازة هو شخص الرب يسوع وملكه ومجيئه الثاني.
- الكرازة بالحياة المعاشة قبل الكلمة المنطوقة وضحت الرؤية في الخدمة من خلال:

١ – اختيار الشمامسة ألـ ٧ لخدمة الموائد.

٢ – رفض أموال حنانيا وسفيرة لأنها مخلوطة بالكذب.

٣ – الموقف الصارم من سيمون الساحر.

وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت كانت علي جميعهم

(أع ٤ : ٣٣)



(٤) أشهر الكنائس الرسولية

تميزت بعض كنائس العصر الرسولي عن سواها بمميزات معينة، أضفت عليها نوعا من الشهرة لم تكن لغيرها ... وهذه الشهرة لم تنطو علي أي نوع من الرئاسة الكنسية[1]. ولكنها نالتها إما بسبب مركزها الديني وتأسيس الرسل لها، وأما لشهرتها الثقافية، أو مكانتها السياسية...

ونستطيع أن نميز أربع كنائس في العصر الرسولي حازت شهرتها في العالم المسيحي وهي: كنائس أورشليم، وإنطاكية، والإسكندرية، وروما.

كنيسة أورشليم:

كان أمرا طبيعيا أن تحتل كنيسة أورشليم شهرة خاصة في عصر الرسل فأورشليم لها تاريخها الديني الطويل منذ أن كانت مركز الديانة اليهودية في العالم كله وقلبها النابض، وقبلة أنظار اليهود المشتتين في أنحاء العالم. وقد **آل إلي كنيسة أورشليم المسيحية الكثير من الشهرة السابقة، بعد أن غدت الوريثة الشرعية الأولي للديانة اليهودية** ... هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن مدينة أورشليم هي أول مدينة رددت صدي صوت الرب يسوع، وذاقت حلاوته قبل العالم كله، وتقدس ثراها بدم الفادي الزكي الذي أهرق فيها.

وفي أورشليم ولدت الكنيسة المسيحية، ومنها ذاعت بشري الخلاص في العالم كله، وحظيت بكرازة الرسل: والعجائب التي أجراها الرب علي أيديهم.

---

[1] لم يستطع فيكتور أسقف روما أواخر القرن الثاني أن يجبر كنائس أسيا الصغرى أن تعيد الفصح مع كنيسة روما في وقت واحد، وحوالي منتصف القرن الثالث قاوم القديس كبريانوس الشهيد أسقف قرطاجنة بشمالي أفريقيا استفانوس أسقف روما بشدة بسبب معمودية الهراطقة.

وتركت بدم باكورة شهداء الحمل، استفانوس رئيس الشمامسة، والرسولين يعقوب بن زبدي، ويعقوب أخي الرب، وغيرهم ممن لم يحفظ لنا التاريخ أسمائهم.

كانت أول مركز ديني مسيحي أنشئ، وفيها عقد أول مجمع كنسي، وكانت تعتبر بحق الكنيسة الأم في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة، التي يتطلع إليها المؤمنون [1]، وقد ورد في ليتورجيه القديس يعقوب تلقيب كنيسة أورشليم "بالأم" كما أجمع آباء الكنيسة علي ذلك[2].

ولما ثارت ريح الاضطهاد علي الكنيسة الناشئة في أورشليم واستشهد استفانوس "تشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة، ما عدا الرسل" (أع ٨ : ١) ... وبقاء الرسل في أورشليم مع تزايد الاضطهاد الدامي، يرينا أنهم كانوا يعتبرون تلك المدينة ولا شك مركزا ورأسا للكنيسة الناشئة، ومصدرا للإشعاع المسيحي، وألا لكانوا تفرقوا هم أيضا مع بقية المؤمنين، يكرزون بالكلمة حيثما حلوا... ومن أورشليم كانت الكنيسة تشرف علي النشاط الكرازي الذي يقوم به الكارزون ... "ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، **أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا**، اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس" (أع ٨ : ١٤، ١٥)، وكذلك أيضا بالنسبة لإنطاكية، فحالما سمعت كنيسة أورشليم إيمان عدد من سكانها "أرسلوا برنابا لكي يجتاز إلي إنطاكية" (أع ١١ : ٢٢).

---

(1) Schaff, Voi, I, p, 2470

(2) ما أصدق النبوة التي قالها المرتل عن أورشليم "صهيون الأم تقول أن إنسانا حل فيها وهو العلي الذي أسسها إلي الأبد (مز ٨٦ - الترجمة القبطية)، انظر الخريدة النفيسة ص ٨٨، ٨٩.

وثمة ظاهرة واضحة تربط مكانة كنيسة أورشليم بين كنائس عصر الرسل، وإحساس المسيحيين خارج أورشليم بحقها عليهم وواجبهم نحوها ... تلك هي إرسال التقدمات للفقراء أورشليم من الكنائس المختلفة. يهودية وأممية ... لقد أعتني القديس بولس بهذا الأمر، وكان يجمع التقدمات من كنائس الأمم التي أسسها، ويرسلها إلي كنيسة أورشليم[1]، بل هو بنفسه كان يحمل هذه التقدمات، كما حدث في زيارته الثانية لأورشليم حوالي سنة ٤٤م، حينما كان يحمل تقدمات كنيسة إنطاكية (أع ١١ : ٣٠).

وقد تولي أمور كنيسة أورشليم **القديس يعقوب** البار أحد الإثني عشر حتى سنة ٦٢ حين استشهد، وقد كان أول أسقف عليها، حسبما يخبرنا هيجيسبوس[2]، وخلفه أخوه **سمعان بن كلوبا** الذي استشهد مصلوبا علي يد أتيكس والي اليهودية سنة ١٠٦ وله من العمر ١٢٠، ويبدو أن سمعان خلف يعقوب مباشرة عقب استشهاده، لأنه هو الذي انتقل بالمسيحيين من أورشليم إلي بلاد Pella قبيل خراب أورشليم، إتماما لوصية الرب.

لكن كنيسة أورشليم لم تحتفظ بمركزها الديني المتميز، بسبب ما حل بالمدينة من خراب سنة ٧٠م، ولم يسترد الكرسي الأورشليمي مركزه الديني، إلا أوائل القرن الرابع الميلادي، حينما اتجهت أنظار المسيحيين إلي اعتبار الأراضي المقدسة بعد تغير الأحوال السياسية، وزيارة الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين لها، واكتشاف صليب المخلص بها.

---

(1) أنظر : غل ٢ : ١٠، رو ١٥ : ٢٦ - ٢٧ خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم ص ٥ .

(2) Housebrus, h. E., 4.22.4.

Eusebius:

كنيسة إنطاكية:

ويأتي بعد كنيسة أورشليم من جهة الأهمية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية، كنيسة إنطاكية ... كانت مدينة إنطاكية هي المدينة الثالثة في الإمبراطورية الرومانية بعد روما والإسكندرية، بسبب مركزها الجغرافي والسياسي فقد كانت العاصمة السياسية للإقليم السوري، ومركزا إستراتيجيا هاما في هذا الجزء من الإمبراطورية، كان سكانها خليطا من الإغريق النبلاء والأغنياء، والسريان وهم عامة الشعب، واليهود، كان موقعها بين الشرق والغرب أنسب مكان لنشر الإيمان الزاحف إليها من أورشليم، في جهات العالم الأخرى، نظرا لقربها من أورشليم، وبذا استطاعت أن تظل علي صلة دائمة – وبسهولة – بالكنيسة الأم في أورشليم والحصول علي ما علي تحتاج إليه منها ... وفي كلمات أخري نقول، **إن إنطاكية كانت هي باب فلسطين المفتوح علي العالمين اليوناني والروماني. ومن هذا كانت خير قاعدة لنشر المسيحية فيها ...** وكانت بدروها تقدم العون للكارزين الذين يخرجون منها.

وتعتبر كنيسة إنطاكية هي الكنيسة الأممية الأولي[1]، من جهة تاريخ تأسيسها ... وأول ما عرف المؤمنون باسم المسيحيين كان في إنطاكية. وقد تعب في الكرازة بها القديسان برنابا وبولس (أع ١١ : ٢٢ – ٢٦)، ووصل إليها القديس بطرس متأخرا، بعد مجمع أورشليم (غل ٢ : ١١)، وجعلها القديس بولس مركز انطلاقه في رحلاته التبشيرية.

---

(1) Schaff Vol., p, 279
(2) Ptessence

وليس صحيحا ما يدعيه البابويون والروم والسريان، من أن القديس بطرس الرسول هو مؤسس كنيسة إنطاكية، أول أسقف عليها[٢] ، وأنه أسسها بين سنتي ٣٦، ٣٧، ثم أقامك بها سبع سنين[١] ، أبحر بعدها إلي رومية ومهما كانت شهادات الآباء والمؤرخون التي يستندون إليها، فشهادة **كتاب الله أولي بالصحة والتصديق**، فعقب مقتل استفانوس حوالي سنة ٢٧، حدث "اضطهاد عظيم علي الكنيسة التي في أورشليم. فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل" (أع ٨ : ١)، ثم ذهب بطرس مع يوحنا إلي السامرة (أع ٨ : ١٤)، وفي هذه الأثناء كان بطرس يجتاز في اليهودية وذهب إلي لدة حيث شفي اينياس، ثم ذهب إلي يافا حيث أقام طابيثا فيها أياما كثيرة (أع ٩ : ٣٢، ٣٢)، وبعد يافا قصد قيصرية بناء علي دعوة كرنيليوس (أع ١٠) وبعد هذه الجولة الكرازية، صعد إلي أورشليم حيث خاصمه بعض اليهود المتنصرين بسبب عماده كرنيليوس ومن الأمين (أع ١ : ٢)، وكان ذلك حوالي سنة ٤٠، وفيها تقابل لأول مرة مع بولس في أورشليم (غل ١ : ١٨، ١٩)، وبعد قصة كرنيليوس الواردة في (ص ١٠، ١١) من سفر الأعمال، يتكلم القديس لوقا عن دخول الإيمان إلي إنطاكية علي يد الذين تشتتوا بسبب مقتل استفانوس (أع ١١ : ١٩- ٢١)، ولما سمع هذا الخبر عن الإنطاكيين، في أذان الكنيسة التي في أورشليم "**أرسلوا برنابا لكي يجتاز إلي إنطاكية**"، الذي لما أتي ورأي نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب" (أع ١١ : ٢٢، ٢٣) وكان ذلك سنة ٤٣[٢] ، ثم خرج برنابا إلي طرسوس ليتمل معه في الخدمة، فخدما معا بإنطاكية سنة كاملة حتى نمت كلمة الرب وترعرعت (أع ١١ : ٢٥، ٢٦).

---

(١) أسد رستم، كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمي، ج ١، ص ١٩، ٢٠ الدرر النفيسة، ص، ٤٢، سليم سليمان، تاريخ الأمة القبطية، ص ٢٨١ .

(٢) Danielou, Vol. I, p, 24

واضح من كل ما تقدم أنه حتي سنة ٤٣ - وهي السنة التي أرسلت كنيسة أورشليم برنابا إلي إنطاكية ليساعد في الكرازة ونشر الإيمان - لم يكن أحد من الرسل قد ذهب إلي إنطاكية ... وفي سنة ٤٤ قبض هيرودس أغريباس علي بطرس وسجنه، لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن وأطلقه، ومضي إلي موضع آخر (أع ١٢ : ٢ - ١٧)، بعد ذلك لا نقرأ في سفر الأعمال عن بطرس إلا في مجمع أورشليم حوالي سنة ٥٠، علي أنه لا يمكن أن يكون قد خرج عن دائرة اليهودية - لا إلي روما ولا إلي غيرها من الأقاليم النائية - لأن بطرس كان لابد له من أن يتم تأسيس وتثبيت كنائسها[1]

ثابت أن بطرس ذهب إلي إنطاكية عقب مجمع أورشليم أي حوالي سنة ٥١ (غل ٢ : ١١). ولا يمكن أن يكون قد ذهب قبل ذلك التاريخ، فالقضية التي أجتمع لأجلها مجمع الكنيسة في أورشليم، كانت قضية التهود المعروضة علي المجمع من كنيسة إنطاكية (أع ١٥ : ١، ٢)، ولما تكلم بطرس أمام المجمع أشار إلي إيمان كرنيليوس ومن معه، ولو كان له سابق خدمة في إنطاكية لكان أشار إلي ذلك باعتباره رئيس الكنيسة هناك وأسقفها، وأن كنيستها هي التي تعرض القضية علي المجمع ... لكن شيئا من ذلك لم يحدث (أع ١٥ : ٧ - ١١) ... ولو كان لبطرس أية علاقة بكنيسة إنطاكية لظهر ذلك في قرار المجمع، لكن كنيسة أورشليم (الرسل والكهنة مع كل الكنيسة) أرسلوا برسابا وسيلا مع بولس وبرنابا إلي إنطاكية (أنظر أع ١٥ : ٢٢، ٢٣).

إذن - من كل ما تقدم - يتضح جليا أن وصول بطرس إلي إنطاكية كان حوالي سنة ٥١ أو ما بعد ذلك ... ووجوده هناك

---

(1) Smith, Dieionary of the Bible, vol., 2. P. 803.

٢ - ١ سليم سليمان، تاريخ الأمة القبطية، ص ٢٨٩.

وتصرفه إزاء المسيحيين من اليهود والأمم، والموقف الغريب الذي وقفه بعد وصول جماعه من عند يعقوب ... كل ذلك يدل على أنه لم يكن لبطرس أي موقف متميز هناك فكم برئاسة الكنيسة التي يدعيها البعض (غل ٢ : ١١ - ٢١)!! وثمة ملاحظة أخيرة نوردها عن هذا الموضوع ... فالأب جان كلسون Jean Colson الذي صنف كتابا كاملا عن الأسقف في الكنائس الأولي [1] ، يجعل برنابا المؤسس لكنيسة إنطاكية[2] .

كنيسة الإسكندرية:

كانت مدينة الإسكندرية وقت كرازة الرسل، تعتبر - من الناحية السياسية - المدينة الثانية في الإمبراطورية الرومانية بعد العاصمة روما . لكنها من جهة شهرتها العلمية والثقافية، كانت دون منازع، عاصمة العالم الثقافية في ذلك الحين ... فمدرستها الشهيرة، كانت أكبر مركز علمي وفلسفي في العالم الوثني، بما توفر لها من مشاهير العلماء والفلاسفة، وما زخرت به مكتبتها الشهيرة من الكتب والمخطوطات القيمة ... كانت الإسكندرية مدينة دولية، عامرة السكان من المصريين وأغريق ورومان ويهود وبعض أجناس أخري ... وكانت جاليتها اليهودية، أهم الجاليات اليهودية خارج فلسطين.

وصل الإيمان المسيحي إلي مصر قبل كرازة مار مرقس بها. نظراً لقرب مصر من بلاد اليهودية ... كما كان بين من شاهدوا معجزة يوم الخمسين بعض من سكان "مصر ونواحي ليبيا التي نحو القيروان: (أع ٢ : ١٠) وليس ما يمنع أن يكون هؤلاء الذين آمنوا بأورشليم يوم الخمسين، قد حملوا الإيمان معهم إلي مواطنيهم ... وهناك إشارة في سفر الأعمال

(1) Colson, L 1Eveper dans le sommunates prinitives.

[2] أسد رستم، كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمي، ج ١، ص ٢٠ .

إلي أبلوس الإسكندري الذي كان يهوديا وتنصر، مقتدرا في الكتب وخبيرا في طريق الرب: "وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب" (أع ١٨ : ٢٤، ٢٥) ... والقديس لوقا كتب إنجيله إلي أحد وجهاء الإسكندرية المدعو ثاوفيلس ... ولم يكن إنجيل لوقا هو الوسيلة الأولي التي حملت الإيمان إلي ذلك الرجل، بل إنه كان مؤمنا قبل وصول إنجيل لوقا إليه، إذ يقول له لوقا: "**لتعرف صحة الكلام الذي علمت به**" (لو ١ : ٣، ٤) ... وقيل أن الرسول تعاليم القانوني كرز في جنوبي مصر (منطقة أسوان والنوبة) ... وعلي أية الحالات فقد وصل الإيمان المسيحي إلي القطر المصري قبل وصول مار مرقس إليه ... **لكن تأسيس الكنيسة المصرية التي تعرف باسم كنيسة الإسكندرية، ينسب إلي القديس مار مرقس.**

والقديس مار مرقس - أحد السبعين رسولا - أسس هذه الكنيسة حوالي سنة ٦٠م ... وتميزت بكثرة عدد من آمن وبسمو روحانياتهم، وبحياة الزهد الفلسفية الفائقة الحد التي عاشها جمهور المؤمنين ... ومن فرط إعجابه بهذه الحياة، أشار إليها فيلو الفيلسوف اليهودي الإسكندري في القرن الأول الميلادي في كتاب حياة التأمل[1] .

كما أسس مار مرقس في الإسكندرية مدرسة لاهوتية، لتثبيت المؤمنين في الدين الجديد، وتقف أمام المدرسة الوثنية الشهيرة، تقاوم تيارها وأفكارها وترد عليها ... وقد قدر لهذه المدرسة - فيما بعد - بما توفر لها من علماء أن تجذب بعض فلاسفة المدرسة الوثنية وتهديهم إلي الإيمان، بل أن تصبح أكبر مركز دراسي لاهوتي مسيحي في العالم كله شرقا وغربا لعدة قرون. وقدمت المدرسة للكنيسة المسيحية في مصر وخارجها علماء وفلاسفة، استطاعوا أن يخدموا المسيحية أجل خدمة. ويذودوا عن إيمانهم بأقلامهم التي فندت ادعاءات الفلاسفة الوثنيين.

(1) Eusebius, H.E., 217.

ولا صحة مطلقا للإدعاء الضعيف القائل بأن بطرس الرسول في جولاتـــه الكرازية عرج علي مصر، ومنها – من بابيلون – كتب رسالته الأولي (١ بـــط ٥ : ١٣)، وقد تناولنا هذه النقطة بالرد والتفنيد في موضوع آخر.

كنيسة رومية:

كانت مدينة روما في عصر الرسل هي المدينة الأولي في العالم – من الناحيـــة السياسية – باعتبارها عاصمة الإمبراطورية الرومانية ... وكـــان ينظـــر إليـــها المعاصرون نظرة كلها إجلال وتقدير حتى سموها **"روما الخالدة"** وارتبطت أفكـــار الناس بها إلي حد بعيد[1].

سبق لنا أن تناولنا موضوع دخول المسيحية إلي روما، وقلنا أن ذلك تم إمـــا بواسطة من حضر معجزة يوم الخمسين من الرومان. وإما بواسطة بعض المتحمســـين من فلسطين أو سوريا أو أسيا الصغرى أو بلاد اليونان – لكن تأسيس كنيسة روميـــة ككنيسة لم يتم إلا علي يد بولس الرسول.

لكن البابويين يدعون لمار بطرس ما لم يعط له، وما لم يدعيه هو لنفسه، وما لم تعرفه الكنيسة الأولي. يقولون أن السيد المسيح أقام بطرس نائبا عنه علـــي الأرض، ورئيسا للكنيسة المنظورة. ويقولون أيضا أن القديس بطرس هو مؤســـس كنيســـة رومية وأول أسقف عليها، وأنه أقام بها ٢٥ سنة مـــن ســـنة ٤٢ إلي ســـنة ٦٧ !! وسوف لا نتعرض لدحض الادعاءات الخاصة برئاسة بطرس، لأن ذلك يبعدنا عـــن

---

(١) استمر هذا الشعور لعدة قرون، حتى أن القوط الغربيين لما دخلوا روما ظافرين ســـنة ٤١٠م، أحدث دخولهم صدمة شديدة. وأعتقد المعاصرون أن هذا نذير بزوال العالم. واستغل أعـداء المسيحية هذه الفرصة، وحاولوا أن يلصقوا هذه الكارثـــة بالمســـيحية، لأن الشـــخصيات المسيحية ومنهم القديس أغسطينوس في كتابه "مدينة الله". أنظر: Fisher, History of Europe

جوهر بحثنا في التاريخ الكنسي **وإنما سنناقش فقط تأسيس بطرس لكنيسة رومية، وإقامته الطويلة المزعومة بها.**

ولا بد أن نشير أولا إلي نقطة هامة ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا وهي أن المراكز الدينية في عصور المسيحية الأولي كانت تقاس قيمتها وعظمتها بما للمدن الكائنة فيها تلك المراكز من قيمة وعظمة مدينة [1]، ولعله مما يفيدنا في هذا المقام، أن نورد **شهادة القديس إيرونيموس (جيروم)**، الذي تعتبره الكنيسة البابوية أحد ثقاتها في التعليم ... يقول في كلامه عن الأسقف: "حيثما يوجد أسقف،سواء كان في روما أو في Engubium ، في القسطنطنيه أو في Rhegium ، في الإسكندرية أو Zoan، فإن كرامته واحدة وكهنوته واحد فلا الثروة أو ضعة الفقر تزيده أو تنقص من قدره عن كونه أسقفا **فالجميع سواء خلفاء الرسل**"[2].

تأسيس كنيسة رومية:

أولا: الأدلة الكتابية علي تأسيس بولس لكرسي رومية:

١ - بولس رسول الأمم:

إن الكنيسة التي تأسست في مدينة رومية عاصمة العالم الوثني، هي كنيسة أممية وليست يهودية (رو ١ : ٥، ١٢). وكان القديس بولس هو رسول الأمم، بينما القديس بطرس هو رسول الختان "إذ رأوا (يعقوب وبطرس ويوحنا) **أني أؤتمنت علي إنجيل الغرلة (تبشير الوثنيين). كما بطرس علي**

---

(1) Fisher: History of Europe, Merie d' Abuigne, History of the Reformation 1.8.

كيرلس مقار، الوضع الإلهي في تأسي الكنيسة ج ٢، ص ١٦٢ ١٧٧ وهكذا نص القانونان ١٧، ٢٨ ، من قوانين مجمع خلقيدونية الذي لا تعترف به كنيستنا (أنظر: سليم سليمان، تاريخ الأمة القبطية ص ٣٣٨ - ٣٤٠).

(2) St. Jerome, Letter a Evangelus (N.P.N.F., Vol. 6,. P. 289).

إنجيل الختان (تبشير اليهود)، أعطوني وبرنابا يمين الشركة **لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان"** (غل ٢ : ٧ - ٩)٠٠٠ تلاحظ التعبير الذي استخدمه القديس بولس "إذ رأوا أني أؤتمنت"٠٠٠ من الذي إئتمنه؟ الرب نفسه منذ البداية أفرز بولس لهذه المهمة، وقال حنانيا في دمشق عن بولس عقب اهتدائه مباشرة: "هذا لي إناء **مختار ليحمل اسمي أمام الأمم والملوك** وبني إسرائيل" (أع ٩ : ١٥)٠٠٠ ومرة ثانية يسجل القديس لوقا في سفر الأعمال أن الرب ظهر لبولس في رؤيا في الهيكل بأورشليم وقال له: "أسرع وأخرج عاجلا من أورشليم ٠٠٠ **فأنني سأرسلك إلي الأمم بعيدا**" (أع ٢٢ : ١٨، ٢١)٠

هذا عن الأمم بوجه عام، أما عن رومية بوجه خاص٠ فقد أعلن له الرب ذلك في رؤيا بينما كان مقبوضا عليه ومودعا بالمعسكر الروماني في أورشليم ٠٠٠ "ثق يابولس لأنك كما شهدت بما **هكذا ينبغي أن تشهد لي في رومية أيضا**" (أع ٢٣ : ١١)٠

ولا حاجة بنا إلي تفنيد الإدعاء القائل بأن القديس بطرس- بعماد كرنيليوس قائد المائة الأممي - صار رسولا للأمم٠ فهذه كانت حادثة فردية[1]، وقعت حوالي سنة ٤٠ ٠ ولقد تحدد هذا الاختصاص وتأيد فيها فيما بعد بواسطة مجمع الكنيسة في أورشليم، الأمر الذي أشار إليه بولس في (غل ٢ : ٧ - ٩)٠

٣ - مبدأ بولس الرسول في الكرازة:

سار بولس الرسول في كرازته علي مبدأ واضح، وهو أنه لا يكرز في مكان كرز فيه آخر: **"كنت محترصا أن أبشر هكذا، ليس حيث سمي المسيح، لئلا أبني علي**

---

[1] أنظر: البابا شنوده الثالث. مرقس الرسول. ٣٢ - ٣٥ ٠

٥ - الآباء الرسوليين

ويقصد بهم تلاميذ الرسل الذين تتلمذوا علي أيديهم ... ونذكر منهم:

القديس اكليمندس الروماني:

من أشهر الأباء الرسوليين. وهو الأسقف الثالث لكنيسة روما في أواخر القرن الأول (٩٢ ١٠١)، ويأتي في ترتيبه الزمني بعد الأسقف لينوس Anacletus ... لا نعرف الكثير عنه.

وهناك آراء متضاربة بخصوص شخصيته.

رأي يقول إنه أحد معاوني القديس بولس في الخدمة، وهو نفسه الذي ذكره الرسول في الرسالة إلي فيلبي (في ٤ : ٣)، ويكاد يكون هذا الرأي هو القاطع. فهو رأي قديم، ذكره أوريجينوس وايرناوس والمؤرخ يوسابيوس وجيروم في كتابه " مشاهير الرجال" ، ويحتمل أن يكون يوناني أو روماني وعمل بعض الوقت في فيلبي ثم بعد ذلك في روما. أما الآراء الأخرى فتربطه بقرابة بعيده للإمبراطور تيبيريوس Tiberius، وهذا الرأي وارد في بعض الكتب الأبوكريفا. وتوجد بينه وبين القنصل فلافيوس كليمنس Flavius Clemens أحد أقرباء الإمبراطور دومتيان الذي أعدمه بسبب مسيحيته ونفي زوجته دوميتلا Domitilia إلي إحدى الجزر. وقالوا أنه قريب القنصل المذكور (أبن أخيه أو أبن أخته) وقيل إنه كان عبدا يهوديا، أو أبن عبد يهودي للقنصل المذكور ثم أعتقه وحرره وأنه حمل اسم سيده Clemens.

ولعل شهرة هذا الرجل ترجع إلي رسالته التي كتبها إلي كنيسة كورنثوس ينصحهم فيها باخبة، بعد أن شاعت الفرقة بينهم، تلك الرسالة التي احتلت مكانة عالية في الأوساط الدينية في القرون المسيحية الأولي، وكانت تتلي في اجتماعات يوم الأحد بالكنائس من وقت إلي أخر. وقد شهد بذلك ديونيسيوس الكورنثي من القرن الثاني وكذلك المؤرخ يوسابيوس، وإن كان اسم اكليمنضس لا يرد في هذه الرسالة علي الإطلاق بل إنها من كنيسة الله التي في روما إلي كنيسة الله التي في كورنثوس، لكن الإجماع العام القديم يشهد بأنه هو كاتبها. وفضلا عن ذلك فالإنسان يشتم منها كتابة الآباء الرسوليين وروحهم ... **وهذه الرسالة تظهره ملما بالثقافة الكلاسيكية في عصره والحكمة فضلا عن الإلمام التام بكتاب العهد القديم في ترجمته السبعينية. ومن هنا رجح العلماء أن يكون هيلينيا ثقافة. ويهوديا مولدا.**

لا نعرف شيئا عن حياته علي الإطلاق ... أما عن خاتمة حياته فبعض الكتابات تجعل منه شهيدا سفك دمه علي اسم المسيح في بلاد القرم التي نفاه إليها الإمبراطور تراجان ... لكن الكتابات القديمة تذكر أنه مات ميته طبيعية ... وهكذا يذكره جيروم في كتابه مشاهير الرجال. وأول من ذكر استشهاده وقصته هو روفينوس في القرن الرابع ولا يوجد كاتب واحد قبله ذكر أن اكليمنضس مات شهيدا ... وقصة استشهاده محشوة بالخيال العجيب الذي لم نقرأ نظيرا له في كل سير القديسين والشهداء

والكنيسة الرومانية تجل هذا القديس وتذكره في خدمة ليتوجيتها ثالثا بعد الرسل.

القديس أغناطيوس الإنطاكي[١]:

هو أسقف لإنطاكية الشهير بين الآباء الرسوليين. بلقب "بالثاؤفوروس" ومعناها (احمل الإله)[٢]... وهذا اللقب لم تخلعه الكنيسة علي هذا القديس. بل هو أطلقه علي ذاته أثناء محاكمته التي سبقت استشهاده[٣] وتدعوه الكنيسة السريانية أيضا "بالنوراني" لأنه رأي الملائكة النورانيين يسبحون الله في فرقتين. فأدخل هذا النظام في الكنيسة، وكان أول من فعل ذلك.

لا نعرف شيئًا عن حياته الأولي. لكن يبدو أنه كان وثنيا. ثم آمن بالمسيح علي يد أحد المبشرين الأوائل الذين وفدوا إلي إنطاكية.

أما عن أسقفيته فهناك من يحاول أن يجعل منه تلميذا لبطرس وبولس ويوحنا... قال البعض إنه أول أسقف علي إنطاكية خلفا لبطرس الرسول أسقفها

---

(١) تاريخ الكنيسة السريانية ج ١، أسد رستم، أباء الكنيسة في القرون الثلاثة الأولي، Schaff Vol., 1, pp., 633. 660.

(١) الكلمة اليونانية ثاؤوفروس Theophorus بالنبرة علي المقطع الثاني معناها (حامل الإله) أما إذا وضعت النبرة علي المقطع الأول من الكلمة المذكورة فيصبح معناها (من حمله الله)... لجأ إلي هذا المعني الثاني بعض المتأخرين للتدليل علي أن أغناطيوس هو الطفل الذي أقامه المسيح وسط التلاميذ ليلقنهم درسا في الاتضاع (مت ١٨ : ٢، ٣). نادي بهذا الرأي بعض مؤرخي الكنيسة في العصور الوسطي من أمثال ميتافرستس Metaphrestes وأناستاسيوس الكتبي، لكن القديس يوحنا ذهبي الفم – الإنطاكي المولد – أكد أن أغناطيوس لم ير المسيح.

(٣) عن محاكمته، ومقتطفات من رسالته إلي كنيسة رومية، أنظر: الاستشهاد في المسيحية ص ٩٦، ٩٧، ١٤١، ١٤٢.

الأول !! وقيل بل هو الخليفة الثاني لمار بطرس بعد أفوديوس. وقيل أن أفوديوس رسمه بطرس بينما أغناطيوس رسمه بولس الرسول ... وقالوا إن أفوديوس وأغناطيوس كانا معاصرين لبعضهما، الأول علي اليهود المنتصرين، والثاني علي الأمم المنتصرين ... وهذا من الادعاءات التي حاولت بها بعض الكنائس أن تخلع علي ذاتها أهمية نتيجة نسبتها لبعض كبار الرسل.

كان أغناطيوس شخصية عظيمة وسط معاصريه. لكن شهرته بالأكثر هي بسبب استشهاده الرائع وثباته العجيب في محاكمته، وأشواقه المتأججة لسفك دمه علي اسم المسيح ...

وحوكم أمام والي سوريا سنة ١٠٧ – وليس أمام الإمبراطور ذاته كما تروي بعض القصص – وإذ أظهر ثباتا عجيبا في محاكمته، صدر الحكم بإعدامه بإلقائه للوحوش في روما أمام جماهير الشعب، سر أغناطيوس بهذا الحكم، فقد كان قلبه يتحرق شوقا للاستشهاد الأمر الذي يتضح بكل جلاء من رسالته التي كتبها إلي كنيسة روما، يرجوهم ألا يعوقونه عن الاستشهاد ... فلما قدموا إليه السلاسل التي سيقيد بها أنحني عليها وقبلها شاكرا الرب الذي أهله لهذه النعمة.

ودع رعيته وسافر إلي روما يحفره عشرة جنود أفظاظ. وفي سفره بحرا عرج علي بعض مدن أسيا الصغرى حيث هرع إليه كثيرا من أساقفة وكهنة وشعب تلك الكنائس للتبرك منه وللتزود من تعاليمه، ومنهم بوليكاربوس أسقف أزمير ... وفي روما. وفي الكوليسيوم Coliseum اجتمعت جموع الرومان ليشهدوا الاحتفالات بانتصارات الإمبراطور تراجان، وليشاهدوا المصارعات الدموية بين الوحوش وبعض المعتبرين مجرمين ... عري أغناطيوس من ثيابه، وألقي في الحلبة، فوثب عليه أسداه مزقا جسده الطاهر والتهماه، ولم يبقي منه سوي بعض عظام خشنة، جمعها المؤمنون بكل وقار، وعادوا بها إلي إنطاكية ككنز نفيس، ودفنت خارج باب المدينة، المعروف يومئذ بباب "دفنه< ثم نقلت علي عهد الملك ثيؤدوسيوس

الصغير، في القرن الخامس – إلي هيكل الشهداء، الذي سمي منذ ذلك الوقت "كنيسة مار أغناطيوس".

وإلي جانب ذخائره المقدسة، خلف لنا أغناطيوس رسائله السبع التي أفندها إلي بعض الكنائس وهو في طريقه إلي الاستشهاد وما زالت موجودة بين أيدينا ... وفيها يحض الكنائس علي الثبات في الإيمان والتقليد الرسولي والألفة والمحبة. والطاعة للكنيسة والابتعاد عن الهراطقة.

القديس بوليكاربوس:

ولد حوالي سنة ٦٩ أو قبل ذلك بقليل ... لا نعرف شيئا عن حياته المبكرة. **كل ما نعرفه عنه أنه كان تلميذا ليوحنا الرسول، وصديقا -أصغر في السن -لأغناطيوس الإنطاكي الشهيد ومعلما لإيريناوس الذي صار أسقفا لمدينة ليون ... أقامه يوحنا الرسول أسقفا علي مدينة أزمير بأسيا الصغرى ...** ويقال إنه هو الذي عناه القديس يوحنا في رؤياه بقوله: "أكتب إلي ملاك كنيسة سميرنا (أزمير) هذا يقوله الأول والأخر ... أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرك. مع أنك غني ... لا تقف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به ... كن أمينا إلي الموت فسأعطيك إكليل الحياة ..." (رؤ ٢ : ٨ – ١١).

يجمع التاريخ علي أن بوليكاربوس كان ذا هيبة ووقار، وتمتع بنفوذ واسع علي كل كنائس أسيا الصغرى، لما كان يتحلي به من الفضائل ولما كان عليه من الفصاحة. وخاصة لأنه كان تلميذا ليوحنا الحبيب، وعنه أخذ تعاليمه ... سافر إلي روما والتقي بأسقفها إنيكتس Anicetos **بين سنتي ١٥٠، ١٥٤ للتفاهم علي موضوع موعد عيد الفصح بعد أن أحتدم الخلاف بين كنائس**

أسيا الصغرى وكنيسة روما[1]... وكان موضع تقدير واحترام في روما. وإن كانت هذه المشكلة لم تحسم بصورة نهائية إلا في مجمع نيقية المسكوني.

ومن المعروف أنه كان يمقت الهراطقة مقتا شديدا. ولا غرابة في ذلك فهو تلميذ يوحنا الرسول الذي حذر من مجرد السلام عليهم، وأوصي بعدم قبولهم في البيوت ... ومن بين الرسائل التي كتبها بوليكاربوس لم تصلنا إلا رسالة واحدة أفندها إلي كنيسة فيلبي.

أنهي حياته شهيدا سنة ١٥٥ - علي أرجح الآراء - في عهد الإمبراطور أنطونينوس بيوس Antoninus Puus وهو في شيخوخة وقورة بارة بعد أن بلغ من العمر ٨٦ عاما.

وقصة استشهاده رائعة ومؤثرة[2]، **فعندما طلب الحاكم - أثناء المحاكمة - أن يحلف ويلعن المسيح ليطلقه، أجاب "لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عاما. ولم يصنع بي شرا، فكيف أجدف علي ملكي الذي خلصني؟!** ... وانتهي أمره بالحكم عليه أن يحرق حيا ... كان الوثنيون واليهود يتميزون غيظا، وأخذوا يجمعون أخشابا كثيرة ليضرموا نارا شديدة، ولما حاولوا تسميره علي خشبه حتى لا يتحرك أثناء اشتعال النار، قال لهم: "اتركوني

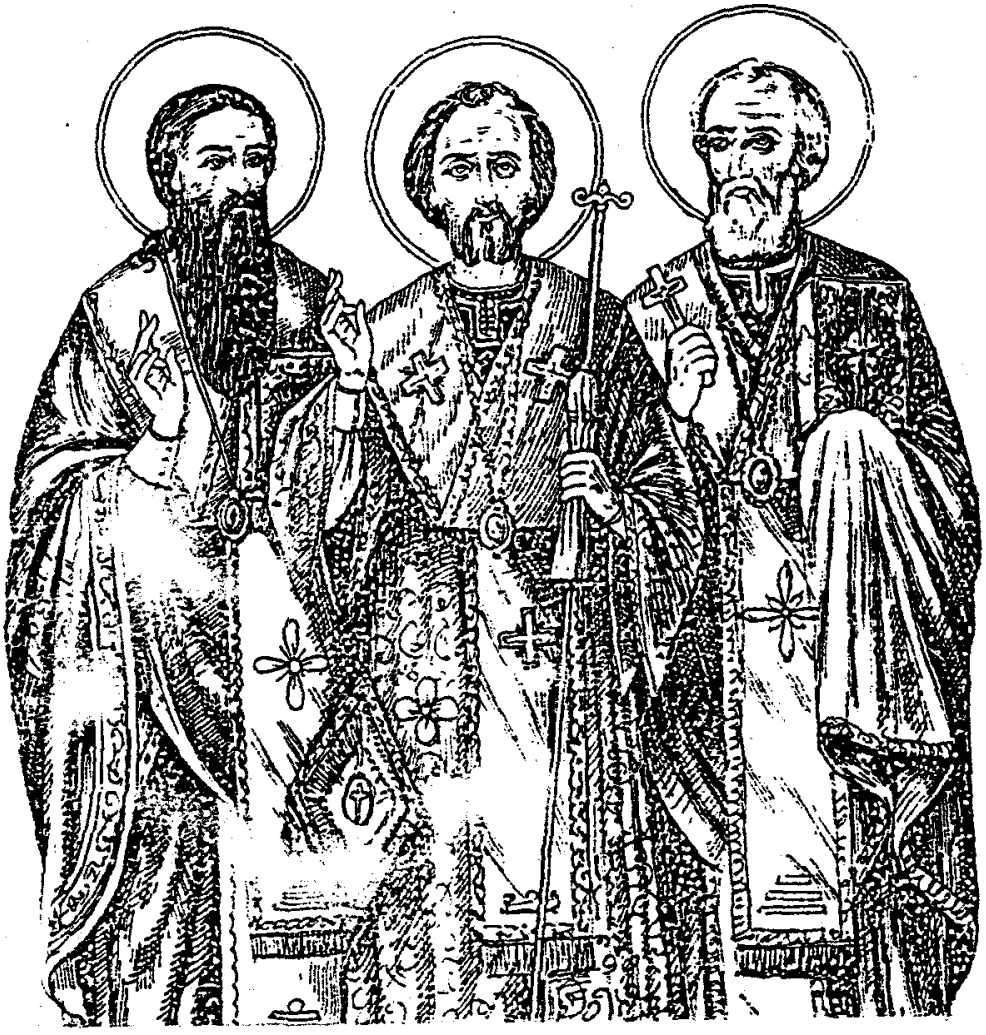
---

(١) كانت كنائس أسيا الصغرى تتبع التقويم اليهودي اعتمادا علي ما تسلموه من الرسولين يوحنا وفيلبس ... وكانت تحتفل بتذكار صلب المسيح وقيامته في ١٤، ١٦ نيسان في أي يومين من أيام الأسبوع دون التقيد بيومي الجمعة والأحد. أما كنيستي الإسكندرية وروما وبعض كنائس أخري، فقد التزمت بضرورة مراعاة هذين اليومين.

(٢) أنظر هذه السيرة التي كتبتها كنيسة أزمير إلي كنيسة فيلوميليوم Philomelium وهي مدينة من مقاطعة فريجيا بآسيا الصغرى. (A.N.F., Von., 1, pp. 30 - 40).

هكذا، فالذي وهبني قوة احتمال شدة حريق النار، سيمنحني قوة البقاء هادئا بلا حركة بدون مسامير" .

صلي أمام الجميع قبيل إشعال النار ... أما النار فقد أحاطت به وكأنها هالة من نور حول جسده، دون أن تمسه أو تفنيه ... **وقف بوليكاربوس - كما تقول سيرة استشهاده - وسط النار "لا كجسم يحترق، بل كخبز ينضج، أو فضه تنقي في فرن ... وفاح عبير طيب كأنه بخور ثمين"** ... ولما أصاب المكفلين بإحراق القديس، القلق لبطأ التهام النار لجسده، أمروا جنديا أن يغمد خنجرا في جسده .... فتفجر الدم غزيرا وأطفأ النار، ولكنه أشعل الرغبة في الاستشهاد في جموع المشاهدين، وفي جهات كثيرة[1] .



[1] عن استشهاد بوليكاربوس: أنظر الاستشهاد في المسيحية ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٦) البدع والهراطقات

.... القرن الأول

(١) و (٢) النصرانية المتهودة والأبيونية السبتيون القدامى

أراد أصحاب هذا الاتجاه ربط أنفسهم بالناموس اليهودي القديم وإدماج المسيحية باليهودية بحيث يصبح الإنجيل هو الناموس القديم محسنا أو مكملا واعتبار السيد المسيح مجرد نبي أو موسي الثاني منكرين طبيعته الإلهية ووظائفه كملك وكاهن.

كان هؤلاء في ظاهرهم مسيحيون بالاسم، وفي حقيقتهم يهودا، وقد مارسوا وأتموا ناموس موسي الأدبي والطقسي واعتبروه ملزما لهم، وأنه لازم للخلاص، ولم يفهموا المسيحية علي أنها ديانة عامة مسكونية جديدة متحررة من الناموس القديم.

ومن هؤلاء "أبيون" الذي عاش في القرن الأول بعد خراب أورشليم الذي ارتأى السيد المسيح ولد من يوسف ومريم ولادة طبيعية، وامتاز عن البشر بالفضيلة والطهارة وأنه لا يكفي الإيمان بع للخلاص، بل ينبغي أن يتحد بإتمام الختان وحفظ يوم السبت، وتبعه كثيرون، وكان يقدم لأتباعه الخمير الصرف والفطير، حتى قيل أنه لما ذهب إلي روما أخذ معه هذه العادة عند اسكندر أسقفها نحو سنة ١٢٠م. كما انتشرت هذه الأفكار في فلسطين والأقطار المجاورة والمراكز التي تشتت فيها اليهود بعد خراب أورشليم وقد أشار إليهم بولس الرسول "الأخوة الكذبة" (كو ١١ : ٢٦، وغل ٢ : ٤). وقد أقلقوا سلام الكنيسة وبخاصة في إنطاكية وغلاطية وقاوموا قانونية رسوليته وتعقبوه من مدينة لأخرى.

(والأبيونيون) اسم عبراني (أبيونيم) تعني فقراء أو مساكين وهذه التسمية إما أنهم أطلقوها علي أنفسهم لينالوا الطوبي التي أعطاها السيد المسيح للمساكين بالروح وإما أطلقها عليهم المسيحيون لأنهم فقراء ومساكين في أفكارهم المنحرفة، وقد انتشروا في فلسطين والأقطار المجاورة وامتدوا إلي روما وإلي جميع مراكز الشتات، والأبيونية بدعة ظهرت في أيام المسيحية الأولي لكنها لم تصبح مذهبا له أتباع إلا في أيام حكم الإمبراطور تراجان (٥٢ - ١١٧م).

* والأبيونيون فريقان:

١ - متزمتون: يحفظون ناموس موسي حفظا حرفيا ويقدسون السبت، ويعتبرون الختان لازما للخلاص، وأوجبوا علي المسيحيين حفظ الناموس القديم كشرط لخلاصهم، ومن جهة إيمانهم في المسيح فقد أنكروا لاهوته وأزليته، ورفضوا اعتباره اللوغوس أو كلمة الله وحكمته، كما أنكروا ميلاده المعجزي من العذراء مريم اعتبروه إنسانا عاديا كسائر البشر ولد حسب الطبيعة من يوسف ومريم، وأنه هو النبي الذي تنبأ عنه موسي، ورفضوا الاعتقاد بأن المسيح خضع للموت، ولكنهم اعتقدوا أن المسيح سيأتي ثانيا في مجد ملكي وأنه يعد لنفسه ولأتباعه لا سيما من أتقياء اليهود ملكا ألفيا علي الأرض.

٢ - معتدلون: يحفظون الناموس اليهودي لكنهم لا يلزمون الجميع به، ولا يتعصبون ذد من يرفضون حفظه وكانوا يحتفلون بيوم الأحد، ولا يعترضون علي ميلاد المسيح المعجزي من العذراء بغير زواج وعلي آلامه وموته، وإن كانوا يشتركون مع المتزمتين في إنكار لاهوته وأزليته (مذكرة الأنبا غريغوريوس أستقف عام).

(٣) النيقولاوية
شيوعية النساء

نسبة إلي نيقولاوس الدخيل الإنطاكي أحد الشمامسة السبعة الذين وقع عليهم الاختيار في الكنيسة الأولي ليقوموا بخدمة الموائد (أع ٦ : ٥)، وقد أشار إلي هذه البدعة سفر الرؤيا مرتين حين مدح الرب أسقف كنيسة أفسس لأنه يبغضها وحين حذر أسقف كنيسة برغامس ممن يتمسك بتعاليمها من رعيته (رؤ ٢ : ٦، ١٥، ١٦).

والنيقولاوية ترديد لبعض الأفكار الوثنية التي أباحت أكل ما ذبح للأوثان وإنكار أن الله هو الخالق للعالم بل أن هناك قوي أخري هي التي خلقته.

وقد كان نيقولاوس متزوجا بامرأة ذات جمال صارخ أحبها حبا شديدا فلما أعتنق المسيحية أراد أن يسلك حياة البتولية لأفضليتها فانفصل عن زوجته بالاتفاق معها لكنهما ما لبثا أن عادا وعدلا عن حياة الانفصال واستأنفا حياتهما الزوجية، فلما رأي أن سلوكه منتقضا أراد أن يبرر نفسه فأخذ ينادي بتعاليم منافية للحق والطهارة وأسلم ذاته لحياة الشر والخلاعة واقتدي به غيره بعد أن نادي بمبدأ الاختلاط بالنساء بغير ارتباط روحي، وراح أتباعه يعيشون حياة خليعة مستهترة بل أنه نادي بجواز الاختلاط بزوجته كدليل علي صدق تعاليمه وقد قاومت الكنيسة هذه البدعة حتى قضت عليها نهائيا (المسيحية في عصر الرسل) أنبا يؤانس مطران الغربية، ص ٢٦٧، ٢٦٨ - ١٩٧٢).

(٤) الكيرنثية
يسوع المسيح شخصان لا شخص واحد

نسبة إلي كيرنثوس الذي كان يهوديا واعتنق المسيحية وتعلم الفلسفة بالإسكندرية وذهب إلي أورشليم في عصر الأباء الرسل وأقام فيها بعض الوقت ثم انتقل إلي قيصرية فلسطين بإنطاكية وعلم فيها وأخيرا حط رحالة في أفسس التي بشر فيها يوحنا الرسول، وقد خلط بين المبادئ المسيحية التي اعتنقها واليهودية التي ولد فيها بالختان والسبت، وبعد قيامة السيد المسيح انتظر المملكة الألفية الأرضية للمسح بصورة مادية خالصة، وقد أخذ عن جماعة الكنوسسية اللذين زعموا بأنهم قادرون أن يردوا للبشر ما فقدوه من معرفة)أي كنوسس) الإله الأعظم، ونادوا بانقلاب المملكة التي شيدها خالف العالم وأصحابه – أخذ عنهم كيرنثوس خرافاتهم عن الأشخاص السماويين الخالدون بني الأرواح، ولكنه أظهر مبادئه بصورة لا ينفر منها اليهود فعلم أن سن الشريعة لليهود هو خالق هذا العالم وهو ذو صفات شريفة مكتسبة من الإله الحق. غير أن هذه الفضائل لم تلبث أن تدنست فأراد الله أن يلاشي سلطان مشترع اليهود بواسطة أيون مقدس يدعي المسيح، وكان رجل يهودي اسمه يسوع كامل قدوس أبن بالطبيعة ليوسف ومريم، فهذا حل فيه المسيح بترولة عليه بهيئة حمامة عند عماده من يوحنا المعمدان في نهر الأردن. وحال اتحاد المسيح بيسوع قاوم هذا بشجاعة لإله اليهود خالق العالم. فحرض هذا عليه اليهود فقبضوا عليه ليصلبوه فلما رأي المسيح أنهم قبضوا علي يسوع فارقه وطار إلي السماء قبل الآلام والصلب. وبعد ذلك تألم يسوع وقام ثانية، ولهذا أوصي كيرنثوس أتباعه باحترام الإله الأعظم أبي يسوع وباحترام المسيح وأمرهم بعدم اعتبار مشترع اليهود، وبرفض مبادئ الناموس الموسوي وأوصاهم بالسير علي نظام المسيح معلما إياهم بأنه سيعود ثانية ويتجسد ثانية ويتحد بالإنسان يسوع المسيح الذي كان حالا فيه من قبل ويملك علي تابعيه في فلسطين ألف سنة ثم وعدهم بقيامة أجسادهم وتمتعها بأفراح

سامية في مدي ملكه الألفي. وبعد ذلك يدومون في حياة سعيدة في العالم السماوي. (بحثنا "الألف سنة" سنة ١٩٧٧).

ويقول يوسابيوس القيصري المؤرخ نقلا عن البابا الإسكندري ديونيسوس أن كيرنثوس كان منغمسا في الملذات الجسدية وشهوانيا جدا بطبيعته، وتوهم أن الملكوت سوف ينحصر في تلك الأمور التي أحبها – أي في شهوتي البطن والجنس – وينسب له ايريناوس أوصافا أشد قبحا من ذلك ويكفي لإظهار ذلك ما رواه ايريناوس عن يوحنا الرسول من أنه (يوحنا) دخل ذات مرة حماما ليستحم وإذ علم بوجود كيرنثوس داخله قفز فزعا وخرجا مسرعا لأنه لم يطق البقاء معه تحت سقف واحد. ونصح مرافقيه أن يقتدوا به قائلا لهم: "لنهرب لئلا يسقط الحمام لأن كيرنثوس عدو الحق موجود داخله".

(٥) السيمونية
شراء المواهب الروحية بالمال

نسبة إلي سيمون الساحر الذي زعم أنه قوة الله الفائقة، وبعد أن صار مسيحيا عاد إلي ضلاله وسخافة أوهامه، وانطلق يخدع أهل روما بسحره كما أضل من قبل أهل السامرة الذين حسبوه إلها وأقاموا له صورة وعبدوها لكن بعد أن وصل القديس بطرس وراح يبشر بالإنجيل وتجري علي يديه العجائب وشفاء المرضي بدأ يتقلص ظل سيمون الساحر وينطوي خياله من عقولهم خاصة بعد أن أراد استعراض قوته السحرية علي مسمع ومرآي الجماهير في روما حين قصد يوما أن يصعد إلي السماء فدعا شياطين سحره ليرفعوه عن الأرض فجاءوا وحملوه وارتفعوا به إلي الجو فازداد العجب به وصاحت الجماهير بصوت عال: "عظيمة هي قوة سيمون". وكان بطرس أحد المشاهدين لهذه الأعمال السحرية وإذ رأي سيمون يصعد إلي السحاب جثا علي ركبتيه بين الجماهير وبسط يديه وشرع يستغيث بالله أن يخزي قوة إبليس

فلما صعد سيمون وأراد النزول رويدا تركته شياطينه فهوي علي الأرض ساقطا، وانكسرت ساقاه فنقله تلاميذه إلي بيت بالقرب من هناك، ولم يستطيع أن يظهر بين الناس لفرط خجله ثم صعد إلي سطح منزله وألقي بنفسه من شاهق فسقط إلي الأرض ومات لوقته أمام عشيقته العاهرة هيلانة التي كانت تتجول معه .

أما عن بدعته فإنه عند قدوم بطرس ويوحنا إلي السامرة ليمنحا الروح القدس للمعمدين ورأس سيمون العجائب التي كانت تجري علي أيديهما قدم لهما دراهم قائلا: "أعطياني أنا أيضا هذا السلطان حتى أي من وضعت عليه يدي يقبل الروح القدس" . أي أنه أراد أن يحصل علي مواهب الروح القدس والحصول علي الكهنوت مقابل المال، فأنتهره بطرس قائلا: "لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا المر لأن قلبك ليس مستقيما أمام الله" (أع ٨ : ٩ - ٢١).

وقد نادي سيمون بوجود إله ذكر وبفكر منبثق من هذا الإله الأعلى: أنثي موازية له وهذه خلقت الملائكة الذين خلقوا العالم وحبسوا هؤلاء الملائكة الأنثي في جسم امرأة وأوقعوا بها حسدا أنواعا من الإهانات، وهذه الأنثي هي هيلانة التي صارت زانية عاهرة في مدينة صور، وهي ما عبر عنها بالخروف الضال وأنه فداها وحررها

كما نادي سيمون بأن الإله الأعلى أظهر نفسه بصفة الابن يسوع بين اليهود وبصفته الأب بين السامريين في شخص سيمون، وفي بلاد أخري بصفة الروح القدس (موجز تاريخ المسيحية(يسطس الدويري (أنبا ديسقورس أسقف المنوفية) .

(٦) الميناندرية
إباحة السحر والشعوذة

نسبة إلي (ميناندر) الذي كان سامريا وتلميذا لسيمون الساحر وأتي إلي إنطاكية وخدع الكثيرين بسحره وشعوذته ولقد كانت الممارسات السحرية من العوامل التي ساعدت الأوساط الوثنية علي أن تفقد ثقتها في المسيحيين حتى أن لوسيان وكاسوس عدوي المسيحية اللدودين في القرن الثاني الميلادي زعما أن المسيح نفسه كان ساحرا

وقد علم ماندر أن من يتبعه لن يموت لأنه المخلص المرسل من فوق من عالم الأيونات غير المرئية لخلاص البشر وأنه بواسطة المعمودية التي يمنحها هو لتابعيه يصير الإنسان أعلي من الملائكة المخلوقين. وقد أعطي ميناندر السيمونية صفة الغنوسية وبواسطته.

(٧) الغنوسية
إنكار الاتحاد الحقيقي بين اللاهوت والناسوت

(غنوسيوس) كلمة يونانية معناها (المعرفة) والغنوسية محاولة فلسفية دينية لا تؤمن الإيمان التسليمي بل تعتمد علي العقل والمعرفة، فالعقل عندها فوق الإيمان والفلسفة فوق الدين. والفكر الخالص رقيب علي الوحي يستطيع أن يرفض ما لا يقبله العقل.

(والغنوسية) محاولة فلسفية لتفسير الشر والخلاص منه مع رفض أسفار العهد القديم، وهي تمجد العلم وتقلل من شأن الإيمان الذي تحول إلي معرفة عقلية لله.

كانوا يؤمنون بأن المادة أبدية وحيوية أيضا واعتبروا غالبا المسيح مخلصنا أنه شخصان: الإنسان يسوع. والمسيح أبن الله. فالمسيح الشخص الإلهي زعموا أنه

دخل في يسوع الإنسان حين اعتمد من يوحنا وتركه حين قبض عليه اليهود، فالمسيح خيال لا ناسوت له.



(٧) البدع والهرطقات

القرن الثاني

(٨) الأمونيوسية
توحيد الديانات الوثنية في المسيحية

نسبة إلي (أمونيوس السقاص) الذي ظهر في القرن الثاني الميلادي ضمن جماعة المبتدعين الدارسين في مدينة الإسكندرية الذين جرهم إلي الهرطقة تفننهم في مزج أسرار الديانات الوثنية المصرية وغوامض رموزها بقواعد الإيمان المسيحي البسيطة راغبين في إذاعة تعاليمهم المسيحية متوشحين بأثواب الفلاسفة ورتبهم فاستعادوا التعاليم الأفلاطونية وألبسوها الصفة المسيحية، وقد كان من بين هؤلاء أمونيوس هذا الذي أراد أن يضم جميع الأديان بما فيها الدين المسيحي إلي ديانة واحدة ليعتنقها الجميع وحاول أن يجعل قواعد هذه الديانة الموحدة مرضية لكل المؤمنين بالأديان المختلفة فحول كل تاريخ الإلهة الوثنية إلي تشابه واستعارات مثبتا أن ما يكونه العامة والكهنة بألقاب آلهة إنما هم خدام الله الذين يليق بنا أن نقدم لهم الخشوع حتى لا يبتعدوا عن الخشوع الأعظم اللائق بالله تعالي، وزعم بأن المسيح كان إنسانا خارقا للعادة وحبيبا لله وعارفا بعمل الله بطريقة عجيبة وأنكر أن المسيح أخذ في ملاشاة عبادة الأرواح خدام العناية الإلهية (آلهة الوثنيين) بل أراد أن يزيل ما تلطخت به الأديان القديمة وتلاميذه أفسدوا ودنسوا مبادئ معلمهم. (تاريخ الكنيسة القبطية. المرجع السابق).

(٩) الباسيليدسية
عدم صلب المسيح بل آخر مشابه له

نسبة إلي باسيليدس من أشهر الغنوسيين السكندريين الذي نشر بدعته فيها آخذا عن سيمون الساحر وميناندر الهرطقي مبتكرا خرافات أكثر سخفا منهما مدعيا أن الأب (ابراساس) خلق الفهم (نوس). وهذا خلق الكلمة (لوغوس) وهذا خلق بدوره الفطنة (فرونايس). وهذه خلقت الحكمة والقدرة (صوفيا وديناميس) اللتان خلقتا الملائكة الذين خلقوا السماء الأولي وبعض ملائكة آخرين وهؤلاء خلقوا أيضا سماء ثانية، وعلي هذا النسق اتصلوا إلي أنهم صاروا ٣٦٥ سماء بعدد أيام السنة وبقدر عدد حروف كلمة (ابراكساس) اليونانية ثم أن سكان السماء الأخيرة خلقوا هذا العالم وكونوا أناسا استحسنهم الله ومنحهم عقولا فأحد هذه الطغمات اتخذ اليهود شعبا وسن لهم شريعة. وأما باقيها فتسلطوا علي الأمم وتعظموا وأفقدوا منها معرفة الإله. فلكي يخلص الله تعالي البشر من عبوديتهم أرسل ابنه العقل (نوس) أي المسيح فاتحد بيسوع الإنسان. فلما لحظ رب اليهود تجسد المسيح حرض شعبه علي قتله فامسكوه وقتلوه. ولكنهم لم يقدروا أن يمسكوا المسيح إذ أن يسوع المسيح هو قوة غير هيولية (غير مادية) وكان يتشح ما شاء من الهيئات ولما أرادوا أن يصلبوه اتخذ صورة سمعان القيرواني. وأعطاه صورته فصلب سمعان لا يسوع الذي كان يسخر باليهود ثم عاد غير منظور وصعد إلي السماء.

وقال أبن العبري المؤرخ: أن باسيليدس نادي بإكرام الحية وتعظيمها لأنها كانت المشيرة علي حواء بالجماع مع آدم إذ لولاها ما تناسل الناس، وكان باسيليدس يهرب من الاستشهاد ويداوم علي مزاولة السحر وينغمس في الجنس زاعما أنه أخذ تعاليمه من متي الرسول وغلوسيوس تلميذ بطرس الرسول. وعرض مذهبه علي الناس بطريقة سرية فتبعه قوم كثيرون واستمرت بدعته هذه إلي أواخر

القرن الرابع • (تاريخ الكنيسة القبطية • المرجع السابق، الخريدة النفيسة، المرجع السابق) •

(١٠) الكربوكراتسية
الكمال المسيحي في ممارسة الشهوات

نسبة إلي (كربوكراتس) ويسمي أتباعه نيوستينين أي المعلمين أو المستنيرين وقد زعم أن يسوع المسيح كان ابن يوسف النجار ومولود منه كعامة البشر لكنه متميزا عنهم بقوته فقط وأن الملائكة خلقوا العالم وأنه يلزم من أثر البلوغ إلي الله أن يتم جميع أفعال الشهوة المتمردة التي يجب أن تطاع في كل شئ مجدفا بقوله أنها ذاك العدو الذي يأمر الإنجيل بأن نصطلح معه (مت ٥ : ٢٥) • فكل شهوة طاهرة لأن الله خلقها وأن من رام الخلاص فعليه أن يرتكب أقبح الشهوات

وكان يقول بأنه باحتقار شرائع الملائكة الأشرار كافة علي الأسلوب تحصل علي قمة الكمال وأن النفس تنتقل إلي أجساد مختلفة إلي أن ترتكب جميع الأفعال الأكثر شناعة، وكان ينادي بوجود نفسين • وأن الأولي منهما دون الثانية تكون خاضعة للملائكة المتمردين وأن العالم المخلوق من مادة خبيثة، وأن الأنفس خلقت قبل الأجساد وحبست قصاصا لمعاص ارتكبتها • وعلم بالسحر وأنكر قيامة الأموات •

وأتباع هذه الهرطوقي كانوا يدعون مسيحيين ويميزون أنفسهم عن غيرهم بوسمهم طرف الأذن بالنار والحديد، وكانوا يسجدون لصور تلاميذ أفلاطون وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة مع صور السيد المسيح علي حد سواء (المرجعان السابقان) •

(١١) الفالنتينوسية
إنكار الثالوث والتجسد الإلهي

نسبة إلي (فالنتينوس) الذي كان فيلسوفا أفلاطونيا واشتهي رتبة الأسقفية ولكنه لم يحصل عليها فانشق علي الكنيسة وأنكر تجسد السيد المسيح من الروح القدس والعذراء مريم وزعم أنه أتي بجسده من السماء ومر بجسد مريم كما يجري الماء من القناة وعليم بتأثير متصل للأرواح وبالإنسان فمتي إزدادت الأرواح في جسده جعلت جميع أدناس الحواس جائزة، وكان يقسم البشر إلي ثلاث رتب: لحميين وحيوانيين وروحيين، وزعم أنه وأتباعه من الروحيين ولذا كان بمعزل من الأضرار إلي الأفعال الصالحة لكونهم دون ريب في قمة الكمال ولأنهم متأكدون من نوال السعادة الأبدية. وكان يزعم أن اللحميين ممنوعين من الخلاص ومنتخبون للجحيم. كما زعم أن مسكن الله فيه ٣٠ أيوناً نصفهم ذكور ونصفهم إناث ويوجد غيرهم أربعة غير متزوجين هم: (حارس حدود مسكن الله) والمسيح والروح القدس ويسوع الذي ساعد الفلسفة أبنه الحكمة حتى ولدت خالق هذا العالم وبمجرد ما خلقه أدعي الألوهية، واتخذ اليهود شعباً له، ولذلك نزل المسيح ليبطل قوته ويهدي اليهود والأمم إلي معرفة الإله الأعظم، ثم أن (صوفيا) أي الحكمة أصغر من الأيونيين بينما هي مشتاقة لإدراك طبيعة اللاهوت الأعظم ولدت بنتاً اسمها (حكيموث) (العلوم) وبمساعدة يسوع ولدت (ديميارغوس) صانع باقي الأشياء وهذا أفرز المادة اللطيفة الحيوية من المادة الكثيفة فصنع من الأولي السموات ومن الثانية الأرض ومزج البشر من نوعي المادة وأمه حكيموث أضافت لهما جوهراً ثالثاً سماوياً روحانياً، إلا أن ديميارغوس صانع الأشياء داخلته الكبرياء ورام أن يحسبه البشر إلهاً وأرسل لليهود أنبياء ليظهروا لهم ألوهيته وتبعه كثير من الملائكة الذين تسلطوا علي أجزاء العالم المخلوق وادعوا ادعاءه فأرسل المسيح وهو مركب من جوهر حيوي روحي ليبطل تمردهم أخذ جسداً أثيرياً من السماء ومر به من جسد العذراء كما تجري المياه من القناة وبه اتحد يسوع أعظم الأيونيين وقت عماده فلما رأي ديميارغوس أن يسوع

يسعي إلي تقويض سلطانه أمر بصلبه غير أنه لما قبض عليه تركه المسيح ونفسه العاقلة وعلق علي الصليب ونفسه الحاسة وجسده الأثيري فأنكر بهذه الأفكار فالنتينوس الثالوث القدوس وحقيقة التجسد من العذراء مريم.

(١٢) الساطرينوسية
تحريم الزواج وأكل اللحوم

نسبة إلي (ساطرينوس) السوري الذي أراد أن يوفق بين أديان العالم وبين المسيحية فنادي بوجود أب واحد غير منظور خلق سبع ملائكة قاموا بدورهم بخلق العالم، ولكن من مادة خبيثة بغير إرادة ومعرفة الأب، فلما علم به استحسنه فكان البعض من أصل صالح والبعض الآخر من أصل شرير، ثم منح الأب عقولاً للناس، وقسم العالم إلي سبعة أقسام أعطي لكل ملاك قسماً وكان نصيب أحدهم اليهود فلما تمرد الملائكة السبع علي الأب أرسل المسيح إلي العالم بغير جسد حقيقي ليترع سلطانهم، وقد ألزم ساطرينوس أتباعه بالامتناع عن الزواج وأكل اللحوم وشرب الخمور لكي يضعف أثر المادة الخبيثة فيهم، وقد أشار إلي ذلك بولس الرسول في رسالته إلي أهل كولوسي حين قال: "لا تمس (لحماً) ولا تذق (خمراً) ولا تجس (امرأة)" (يو ٢ : ٢١) "التي هي جميعها ... حسب وصايا وتعاليم الناس" (٢ : ٢٢).

(١٣)، (١٤) الكردنوسية والمركيونية
جواز تكرار المعمودية للخطاة

نسبة إلي (كردنوس) و (مرقيانوس) السوريين اللذين علما بوجود ثلاثة مبادئ: الأول طاهر جدا وهو أبو المسيح، الثاني رديء جدا وهو إله الشر، والثالث متوسط بينهما وهو مهندس العالم الذي يعبده اليهود، فكان إله الشر ينازع اليهود

علي الدوام لأن كل منهما كان يطلب أن يعبد كإله في العالم، فلكي ينهي إله الطاهر هذه الحرب أرسل ابنه المسيح متجسدا لكي يخرب مملكتي إله اليهود وإله الشر الذي ساد علي باقي دول العالم.

وكان هذان المبتدعان يسمحان بتكرار المعمودية لمن يسقط في الخطية ويمنعان أتباعهما من لذات العالم لزعمهما أنهما من خلقة إله الشر، وقد رفضا شريعة موسي بزعمهما أنها من إله العدل.

(١٥) التاتيانسية
خيالية جسد المسيح

نسبة إلي (تاتيانس) السوري الذي نادي بنفس الآراء الكردنوسية والمركيونية وزاد عليها بأن المادة هي ينبوع كل شر ونظراً لأن الجسد منها فإنه ينبغي أن نبغضه ونميته، وزعم بأن الخالق هو غير الإله وأن المسيح لم يكن ذا جسد حقيقي كما كان يمقت لذات العالم ويكره الخمر لدرجة أنه استعمل في العشاء الرباني الماء بدلاً منه!



(١٦) البردساسية
سمائية جسد المسيح

نسبة إلي (بردسياس) الذي زعم أن الله صنع العالم وخلق الناس ذوي أنفس سماوية وأجساد لطيفة، فلما أوقع رئيس الظلمة الناس في المعصية سمح الله أن يلبسوا أجسادا من المادة الخبيثة قصاصا لهم فحدثت حرب بين الجسد والعقل ولما تغلب الأول علي الثاني نزل المسيح لابسا جسدا سماويا، وعلم الناس أن يذلوا أجسادهم ويتحرروا من المادة الخبيثة!

(١٧) الأبلسية
انحلال جسد المسيح بعد قيامته

نسبة إلي (أبلس) الذي كان من تلاميذ كردنوس ومرقيانوس، ونادي أبلس بمبدأ واحد صالح للعالم أشتق منه إله الشر الذي خلق هذا العالم، وأخضع الناس للشرور، فنزل المسيح بجسد حقيقي من السماء لا من زرع البشر، ولما قام المسيح من القبر انحل جسده إلي العناصر الأربعة المعروفة وهي: الماء والهواء والنار والتراب!

(١٨) المنتانوسية
منع تحليل الكهنة للخطاة

نسبة إلي (منتانوس) الذي كان من فريجية، وزعم أنه (المعزي) الذي وعد به المسيح رسله، وكان يكثر من الأصوام ويمنع العوام من الزواج ويمنح الكهنة من أن يحلوا من سقطوا في خطأ مميت زاعما أنهم لا يستحقون مشاركة المؤمنين، وقد رفض الفلسفة وأبعد من الكنيسة كل بهرجة، وأتبع الأصوام الزائدة والتقشف الشديد مما أعجب المسيحيين فزاد أتباعه وتنبأ عن سقوط الإمبراطورية الرومانية مما ضايق الأباطرة وجلب غضبهم علي الكنيسة ولذلك أيقظ الله غيرة الأباء فأفرزوه من عضوية الكنيسة، ومن ثم أخذت بدعته في التقلص حتى تلاشت تماما .

الرهبنة

اصل الرهبنة

مصر مهد الرهبنة فى العالم ، وعن مصر أخذت جميع الدول الرهبنة كنظام شعبى وكنسى بان واحد . وقد بدات الرهبنة على يد القديس أنطونيوس سنة ٣٠٥م . ، أما القديس باخوميوس فقد اسس اول دير سنة ٣١٨م . . ولأن رهبنة القديس أنطونيوس كانت مصرية فى منجها أكثر من رهبنة ناجوم ، لذلك ظلت حيه حتى اليوم تاجذ من البيئة المصرية وتعطيها دون أن تتاكل ، بعكس الرهبنه الباخومية لم تدم أكثر من قرن واحد .

والرهبنة كان أثرها قوياً وممتدا فى عصورها الاولى المبكرة على الفكر المسيحى وعلى مسيحية الغرب بنوع أخص ، فهى التى أعطت الميسحيه فى الغرب طبيعتها المركزيه كمؤسسه حتى هذا اليوم . وقد حاولت الديموقراطات الشعبية كسر هذا التمركز الصلب فى وضعه الرهبانى فلم تستطع أبداً ؛ لذلك أصبح تاريخ الرهبنة جزءاً هاماً لا ينفصل عن تاريخ المسيحية فى العالم كله حتى اليوم . ولكن بالنسبة للكنيسة القبطية فتاريخ الرهبنة يعتبر الخلفية الحية المحركة لكل أحداث الكنيسة وأمتدادها وتطورها منذ القرن الرابع حتى اليوم .

ملامح الحياة الرهبانية الأولى قبل القديس انطونيوس

١ - منذ بداية المسيحية فى مصر وبتأثير الإنجيل تأثيراً (٢) ، نشأت حاسة روحية نسكية عالية بين الأقباط باعتبار تغليب الإحساسات الروحية على الإحساسات الجسدية .

٢ - منذ القرن الأول ومن أيام الرسل اندفعت نماذج فردية وجماعية كثيرة لتقرير حياة نموذجية ، فيها كان يعيش الفرد أو الجماعة فى عزلة قريباً من البلاد ، ولكن لم يكن هناك منهج معين يعيش عليه الفرد أو الجماعة ؛ لذلك كان من النادر أن يستمر الإنسان فى سلوكه الروحانى العالى ، وكثيرون من فرط النسك ارتبكت حياتهم وارتدوا .

٣ - كثير من الأفراد رجال ونساءً مارسوا النسك فى بيوتهم ووسط عائلاتهم ، ولكن الإحتكاك المستمر بالحياة اليومية ومناقص أهل العالم أضعفت هذا الإتجه مما جعل مثل هؤلاء النساك يترقبون بفارغ ظهور المؤسسات الرهبانية الجماعية .

٤ - كثير من الافراد بتاثير الحرارة الروحية العالية والشجاعة والعزم انطلقوا فعلاً ألى البرارى والفقار البعيدة ؛ وعاشوا حياة توحدية كامله ؛ ومارسوا النسك والتقسشف فى أعلى درجاته وصوره ولكن أثبتت الخبره لهم بعد جادهم الطويل أن الانفراد المطلق هو فوق طاقه الإنسان ، فقالوا بهذا وعلموا لزائريهم ومريديهم وقنعوهم ان الحياة الجماعية أضمن طريق لتكميل النسك والعبادة وخصوصاً لذوي الامزجة والطباع البسيط ؛ هكذا فعل القديس المتوحد بلامون مع باخوميوس فنشا النظام الباخومى كلة ، والقديس المتوحد بيجول مع شنودة فنشأت أديرة شنودة المشهوره .

٥ - تعليم الآباء الأوائل وتمجيدهم لحياة البتولية والنسك ألهبت قلوب الشباب والعذارى فى الجيل الثانى والثالث ، وجعلتهم باستمرار على أهبة الإستعداد للإنطلاق من العالم ، فمن الأقوال المشهورة للقديس كبريانوس (

٢٠٠ - ٢٥٨ م) :

[إن العذارى هن النصيب الأمجد فى قطيع المسيح] .

ومن أقوال هيبوليتس (١٧٠ - ٢١٥ م) :

[النُساك محسوبون فى الكنيسة ضمن الطغمات السمائية السبعة] .

ومن أقوال كليمندس الإسكندرى (١٥٠ - ٢١٥ م) :

[النُساك هم الجزء المختار من الناس المختارين] .

وأوريجانوس يقول [نحن نكرس حياتنا لله لنخدمه فى الطهارة ، ونتعهد أن نتعفف بالجسد ولا ننعمه بل نُخضعه حتى يمكننا أن نخلص أنفسنا] .

وما أن جاء أثناسيوس بصيته الرائع وقداسته المشهورة ، وابتدأ يعلم ويعظ ويكتب المقالات المطولة عن الطهارة والبتولية والنسك بحرارته المعهودة ، حتى بلغت الشرارة مكان زيت النعمة فأشعلت قلوب الشباب رجالاً ونساءً بحب النسك والتعبد الى درجة تفوق العقل والتصور ، ففى أقل من قرن كان الرهبان قد ملأوا كل الجبال والقفار والبرارى فى مصر وبلغ عددهم عشرات الألوف .

٦ - ومن المحقق أن خروج كل من الآباء بولا وأنطونيوس وباخوميوس ومقاريوس وشنودة فى بدء حياتهم كان بصورة حرة فردية وبلا أى نموذج دافع ، وكذلك تأسيسهم لأديرتهم الأولى لم يكن قط مطابقاً لأى نموذج سابق . وكان كل أب من هؤلاء العظام له منهجه الروحى والنسكى الذى يكاد يخالف كل المناهج السابقة له .

ظهور أنبا بولا أول المتحدين

سيرة أنبا بولا كتبها چيروم سنة ٣٧٤ م ، مؤكداً أنه هو أول المتوحدين فى مصر عموماً ، باعتبار أنه قضى حياته كلها فى الوحدة دون أن ينزل مرة واحدة الى العالم . ويؤكد رواية چيروم كل من أماثاس ومكاريوس الصعيدى تلميذا القديس أنطونيوس . ويقول چيروم إن القديس أنطونيوس نفسه تكلم عن أنبا بولا : [وقد أخبر القديس أنطونيوس الشيء الكثير عن حياة بولا] . ويقول چيروم إنه فى أيام اضطهاد ديسيوس (داكيوس) وڤاليريان سنة ٢٥٠ م . ، كان بولا شاباً يافعاً عمره ١٦ سنة ، وكان متعلماً يتقن الخط القبطى واليونانى ، ولكى يهرب بولا من غرور الغنى وتجاربه التى كاد يوقعه فيها زوج أخته طمعاً فى أمواله الكثيرة ، بعد أن مات أبواه ، خرج بولا باختياره من العالم وارتمى فى حضن الله ، بعيداً بعيداً فى سفح أحد جبال العربة على البحر الأحمر (دير أنبا بولا الحالى) ، متسلحاً بالفقر والعوز ضد أهواء الجسد والعالم . واعتمد بولا على شجر النخيل ، سواء فى غذائه ، أو صنع ملابسه من الليف .

وظل بولا فى توحده المطلق مخفياً عن العالم ، حتى سنة ٣٤١ م . حينما أعلن لأنطونيوس برؤيا إلهية عن مكان هذا الزميل الأكثر جهاداً ، ليزوره الزيارة الأخيرة ، كمندوب فوق العادة عن العالم ، ليبلغه تحية الكنيسة ، وليستلم منه سر حياته وتقواه ، ليذيعها على العالم أجمع .

وإذ رأى أنطونيوس أن بولا على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أسرع عائداً بالرغم من تقدم سنه - إذ كان أنطونيوس حينئذ قد بلغ ٩٠ عاماً من عمره - ليُحضر تونيه أنبا أثناسيوس بابا الإسكندرية ، الذى كان قد أهداها له

، ليدفن بها هذه الوديعة الغالية ، التى لم يكد العالم يسمع عنها حتى فقدها ..

وبينما الشيخ أنطونيوس يسرع خطاه ويدب بعصاته فوق الصخور الوعرة ، يتسلقها بخفة الروح ، متجهاً مغارة بولا ؛ إذ يرى نوراً فى السماء ، ويرى روح بولا تحملها الملائكة ! قد مات بولا وهو شيخ شبعان نسكاً وعوزاً ، مات عن مائة وعشر سنين ، قضى منها ١٦ سنة فى العالم ثم ٩٤ سنة فى توحد كامل يفوق العقل . وكان بولا كمدينة على جبل ، ولكن للأسف لم يكتشفها العالم إلا فى اللحظات الأخيرة جداً ، فتم فيه ما قيل بالانجيل : « ولم يكن العالم مستحقاً لهم » (عب ١١ : ٣٨) .

ولكن نور هذا المصباح لم ينطفىء قط ، إذ استطاع أنطونيوس أن يعكس شعاعه الأخير ، فى اللحظة الأخيرة على العالم الذى ظل حتى اليوم يحلل أطيافه ويترجم ألوانه السمائية المبدعة !

ظهور أنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة

بالرغم من أن القديس بولا يظهر كعملاق روحانى فى تاريخ الرهبنة ، إلا أنه لم يستطع أن يسلم أسرارالحياة النسكية لغيره من عُشاق النسك والتوحيد ، وبسبب ذلك اعتبر القديس أنطونيوس أول من أعطى السر الرهبانى للعالم ، وذلك حينما لقنه لأولاده ، وسلمه إليهم كمراث ثمين ، ظل يتوارثه العالم كله من بعده جيلاً بعد جيل .

ولقد توفرت لدى أنطونيوس منذ البدء كل العوامل التى أهلته أن يكون أباً ومؤسساً للحياة الرهبانية . فقصة حياته بقلم القديس أثناسيوس الرسولى توضح أصالة اتجاهه المسيحى فى تطبيق وصايا الإنجيل ، كما تجلت لروحه ، بلا أى مواربة أو تحفظ .

ولد أنطونيوس سنة ٢٥١ م . فى بلدة كوما (قمن العروس الآن) . وبعد وفاة أبويه أحس الشاب بخطورة الغنى ، لما أحس بجمال الحياة الأبدية وذاق لذة النسك والفقر من أجل الله ، فاستودع أخته بيتاً للعذارى ، وانطلق خارج المدينة يجرب العبادة الحرة وحياة النسك والتوحيد ، وكان قد سبقه الى هذا النوع من التوحد بالقرب من الريف نُساك كثيرون ، ولكن دون أن يكون لهم منهج معين أو مكان يجتمعون فيه أو نظام خاص يتبعونه . وعاش أنطونيوس على الخبز والملح وبعض عطايا المحسنين ..

ولم يُوفق أنطونيوس كثيراً فى هذه الوحدة بالقرب من المدن ، فصمم على التوغل داخل الصحراء ، ولعل صلوات بولا كانت تجذبه سراً فى ذلك الوقت الى سلاسل جبال العربة على البحر الأحمر أيضاً ، فعبر أنطونيوس النيل الى

الصحراء الشرقية وهو ابن ٣٥ سنة ، وكان ذلك عام ٢٨٥ م . ولكنه توقف عند قلعة قديمة فى صدر الصحراء ، أغرته بهدوئها وقربها من النيل ، فسكن فيها وكانت هى منطقة « بسبير » (مكان دير الميمون الآن ، فى منصف المسافة بين أطفيح وبنى سويف) . وعاش أنطونيوس فى نسك شديد ، معتمداً على الخبز الجاف والملح وبعض المأكولات البسيطة ، التى كان يمده بها أحد محبيه .

واستمر أنطونيوس عشرين سنة فى بسبير ، وفى هذه المدة التجأ إليه جمع كثير من أحبائه ومر يديه ، وسكنوا حوله ، وعاشوا عيشته ، متمثلين بنسكه ، أما هو فلم يلتفت إليهم ولم يهتم بوجودهم ، بل ظل فى عزلته الشديدة وحياته البسيطة ، دون أن يشعر فى ذاته أو يشعر أحداً أنه صار أباً أو مسئولاً عن أحد . ولما بلغ الضيق بمر يديه مبلغاً صعباً بسبب تجاهله إياهم عشرين سنة ، أقتحموا بابه عنوة واجبروه أن يخرج إليهم ، أما هو فبوداعته الشديدة رضى بعنفهم وقبل اقتحامهم وأذعن لمطلبهم ، فخرج إليهم ، وقبل رعايتهم . وكان ذلك سنة ٣٠٥ م . وكان هذا تاريخ أول منشأة رهبانية فى مصر رسمياً ، أو بالتعبير التقليدى ، كان هذا تاريخ أول دير قبطى .

ومنذ ذلك الحين بدأت الصحراء تتقبل أفواج الحجاج الطالبين ملكوت الله بواسطة الطريق الضيق . وملأ الرهبان الصحراء بصورة سريعة ومذهل للعقل ، لأنه كما سبق وقلنا ، كانت هناك عوامل كثيرة تعبىء الحرارة الروحية لدى الشباب فى مصر بطرق متعددة .

وكان على أنطونيوس حينئذ « أن يتنقل دائماً ، كأب ، بين جماعات أولاده

من مكان الى مكان » . وعلى هذا المنوال تكون أول نموذج للنظام الرهبانى القبطى : « أب يرعى أسرة روحية من الأبناء المحبوبين المخلصين للطريق » . وهكذا نشأ نظام الرهبنة الأنطونية تلقائياً ، وإنما بتمهيد روحى لا يعرف سر بدايته وسر نموه إلا من عاشه .

بداية حياة الكينوبيون عند القديس أنطونيوس

أصل كلمة « كينوبيون » κοινόβιον

كلمة « كينوبين » تعنى حياة مشتركة . وهى من مقطعين κοινός = مشترك و βίος مشتقة من βίον = حياة . وتنطق « كينوبيوس » أو « كينوبيون » وتعنى : س مؤسسة أو مكان به قلالى كثيرة أصحابها متدون فى نظام الحياة » . وترادف فى المعنى الوصفى تماماً كلمة موناستيريون وهى أصلاً من كلمة μονάζειν أى « يعيش بمفرده أو يحيا وحيداً » فكلمة موناستيريون تعنى : « مكان يحيا فيه الناس حياة منفردة » . وهذه الكلمة ، طبعاً ، انحرف معناها ، وتطورت لتشمل معنى الدير بوصفه الحالى ، وهو جماعة يعيشون معاً حياة غير توحدية على الإطلاق .

وإنسان يعيش فى كينوبيون هو عكس المتوحد ἀναχωρητής، الذى لا يعيش فى كينوبيون ، بل يعيش منفرداً بعيداً عن الناس . وكلمة « أناخوريتيس » تعنى رنساناً انعزل وتخلف عن الحياة مع الناس .

القديس أنطونيوس أول أب لأول دير فى العالم :

وكما أن القديس بولا أول المتوحدين ، كذلك القديس أنطونيوس كان أول أب لأول كينوبيون . فحينما خرج أنطونيوس من عزلته وتوحده الكامل سنة ٣٠٥ م ،

ليقود أول جماعة من أولاده اجتمعت حوله فى قلالى منفردة ، كان ذلك إيذاناً ببدء عصر الأديرة فى مصر وبالتالى فى العالم أجمع . وكان يسمى التجمع الرهبانى فى صورته الأولى البسيطة باسم لاڤرا ، وتكتب ، وتأتى فى المخطوطات القديمة بإسم السيق وجمعها الأسياق باللغة العربية .

أما نظام معيشة الجماعة الديرية الأولى التى عاشت حول القديس أنطونيوس ، فكانت وسطاً بين النظام التوحدى ونظام الكينوبيون ، لأن من سيرة بولا البسيط نعلم أن القديس أنطونيوس بعد أن اختبره ومرنه على الحياة التوحدية عدة أشهر ، كان فيها يعيش معه تحت ملاحظته فى حياة شبه مشتركة ، أمره أن يحفر لنفسه قلاية على بعد أربعة أميال من منطقة سكنه الخاص . وهكذا انتقل بولا من حياة الكينوبيون الى حياة الوحدة ، وكان فى الإثنين تحت تدبير القديس أنطونيوس .

كذلك يخبرنا بالليديوس ، أنه علم من كرونيوس تلميذ أنطونيوس أن معلمه كان يعيش على بعد ٣٠ ميلاً من النهر ، بعيداً عن بسبير ، متوحداً ، بينما كان الذى يدبر الدير فى ذلك الوقت مكاريوس وأماثاس ، حيث كان الدير عبارة عن كينوبيون يضم جماعة المتوحدين المتتلمذين للقديس أنطونيوس .

وكذلك من بقية سيرة القديس أنطونيوس ، نتأكد تماماً أنه كان من مبادىء هذا القديس أن طالب الرهبنة (الوحدة) ينبغى أن يعيش أولاً فى كينوبيون ، وبعد ذلك إذا كمل فى العبادة يخرج الى الوحدة الكاملة ، فعند زيارة القديس آمون بنتريا (جنوب بحيرة مريوط) أشار عليه بأن الإخوة العائشين فى الكينوبيون بنتريا والمحبين للوحدة ، يلزمهم أن ينحدروا جنوباً مقدار ثلاث

ساعات ، ليعيشوا متوحدين .

ويعطينا كتاب الأبوفثجماتا تقريراً عن هذا بقوله :

[حدث مرة أن أنبا أنطونيوس جاء الى جبل نتريا ، ليفتقد أنبا آمون . فبعد أن تلاقيا معاً سأله أنبا آمون : إذ قد تكاثر عدد الإخوة بصلاتك ، وبعضهم يشتاق أن يبنى قلالى بعيدة ، حتى يكونوا فى هدوء ؛ فماذا تنصح بأن تكون المسافة التى تفصل بين هذه القلالى وبين الإخوة الساكنين هنا ؟ أجاب أنطونيوس : حينما نتناول طعامنا الساعة التاسعة حينئذ نذهب نحو الصحراء ، لنرى المكان المناسب . فلما بدأوا المسير (من الساعة التاسعة) ، ظلوا سائرين حتى غروب الشمس (حوالى ثلاث ساعات) ؛ حينئذ التفت القديس أنطونيوس إلى آمون وقال له : « هيا نصلى ونرفع الصليب هنا ، حتى أن كل من أراد أن يعيش ويبنى هنا يعمل مثلنا (أى يصلى ويرفع الصليب) ؛ فإذا أراد الإخوة أن يزورهم فيما بعد ، يمكنهم بعد أن يأكلوا لقمتهم الساعة التاسعة يقومون ويزورنهم ، والذين من هنا كذلك إذا رغبوا فى زيارة إخوتهم (وقاموا من هنا الساعة التاسعة) ، يبلغونهم فى الغروب ، فلا يحدث لأى ضيق أو تشتت إذا زار أى أحد منهم الآخر والآن المسافة هى إثنا عشر ميلاً] وهكذا يعتبر القديس أنطونيوس أحد مؤسسى منطقة القلالى ، أى نظام الوحدة الكاملة ؛ بالإضافة الى نظام الكينوبيون ، أى المعيشة المشتركة . ولكن من هذه القصة الطريفة يتبين لنا أمور فى غاية الأهمية والخطورة ، ففيها يظهر مقدار نمو الرهبان بسرعة كبيرة حتى ملأوا منطقة جبل نتريا ، التى تمتد عشرات الكيلومترات ؛ ثم مقدار طاعة وخضوع كافة الإخوة المتوحدين لتدبير أبيهم

الروحى ، حتى أن واحداً منهم ما استطاع أن ينتقل من الكينوبيون الى الوحدة دون أن يدبر آمون لهم أولاً وبنفسه المكان المناسب ؛ ثم يظهر أيضاً مقدار التفاهم والمشورة والطاعة الكائنة فى القديس آمون من نحو القديس أنطونيوس . بهذه الروح نمت الرهبنة ، وتقوت الوحدة ، وعمرت القفر والجبال ، وصارت كجنة الله .

القديس أنطونيوس يسلم عكازه لمقاريوس :

نعلم من سيرة القديس أنبا مقار التى كتبها سيرابيون أسقف تمىّ الأمديد وتلميذ أنبا أنطونيوس ، ومن الأقوال المدونة فى كتاب أقوال الآباء (أبوفثجماتا) ، أن الأنبا مقاريوس زار الأنبا أنطونيوس مرتين ، فى المرة الأولى علمنا أن حديثهما كان للتعارف أولاً ثم عن خلاص النفس ، ومنها يُستدل أن الأنبا أنطونيوس قام أثناءها بتسليم خبراته وتعاليمه الروحية الى أنبا مقار ، مؤيداً إياه بالقوة والنعمة ، أما المرة الثانية فهى التى ألبسه فيها أنطونيوس الإسكيم ، وأعطاه عصاته ، ويقول سيرابيون عن هذه الزيارة الثانية ، أنها كانت إثر أتعاب كثيرة وحروب شديدة أثارها عليه العدو ك [وأصبح مقاريوس وإذ به ليس صافى الفكر كالأول لأن الرب أطلق أن يتجرب بالأفكار ، وبدأ الشياطين الأشرار يرجمون قلبه بالأفكار ، وكأنها أصبحت كمائدة مملوءة من الأطعمة : أفكار زنا ، ودوران ، وضغطة قلب ، وغم ، ووجع ، وعظمة ، ومحبة البطالة ، والخوف ، والإفتخار ، والكسل ، لكى تصغر نفسه وتقبل أفكار التجديف ، وتقع فى عدم الأمانة وقطع الرجاء ، الذى يبعد الإنسان عن الله ، وما هو أكثر من هذه الأنواع ؛ إذ لم تدع الشياطين شيئاً من أنواع القتال إلا وجلبوها عليه فلما

مضى زمان طويل والشياطين يحاربونه ، قام ومضى الى عند الأب الكبير أنطونيوس] . فلما نظره القديس أنطونيوس من بعيد قال لتلاميذه : « هذا الأنسان سيكون غصناً مستقيماً وكبيراً وله ثمرات حلوة » ، وللوقت وعظه ، وأيده وقال له : « تأيد ولا تخف ! لأن هذه هى سبيلنا أن نجرب بكل هذه ، لتستحق أن تكون معلماً للشعوب الكثيرة التى تأتيك لترتوى من الحكمة الروحانية التى هى الرهبانية » .

ويقول سيرابيون أن فى هذه المرة ألبسه القديس أنبا أنطونيوس الإسكيم المقدس : [فطلب أن يُلبسه الإسكيم المقدس ، فألبسه إياه ، فلهذا دُعى مقاريوس تلميذ الأب أنطونيوس] . ثم وعظه بكلام معزى كثير ، وقال له : « تأيد ، واحذر ، وتحفظ على القوة التى عندك ، أعنى الكاروبيم المقدس (المسمى فى مواضع أخرى قوة الروح القدس) لأن الرب معك لمعونتك ، وأعطاه الشيخ شبوبته العتيقة (أى عصاته التقليدية المعروفة فى التاريخ والفن القبطى أنها على شكل صليب يسمى أنطونيوس) وقبله قُبلة مقدسة »

وهكذا تسلم أنبا مقار ، رسمياً ، عصا الرهبنة التى هى رمز « درب الصليب » ، من القديس أنطونيوس الكبير ، فصار خليفته على هذا الطقس المقدس . وعند مقاريوس وفى بريته بالإسقيط تركزت كل خبرات السابقين وماضى جبل العربة وبسبير ونتريا والقلالى .

ويؤكد كتاب تاريخ الرهبنة المشهور † Historia Monachorumأن مقاريوس هو الوريث الوحيد لفضائل ونعمة أنطونيوس ، كما تنبأ القديس أنطونيوس نفسه بذلك .

مدرسة الاسكندرية اللاهوتية

نشأة هذه المدرسة وشهرتها :

عندما حضر مارمرقس الرسول الى مصر كانت الاسكندرية مركزاً هاماً للثقافة الوثنية وفى مدرستها الوثنية ومكتبتها الشهيرة تخرج كثير من الفلاسفة والعلماء – فكان لابد أن يقيم مدرسة لاهوتية لتثبيت الناس فى الدين وترد على أفكار الوثنيين وكان مارمرقس نفسه متثقفاً باللغات العبرية واللاتينية واليونانية وحسب ثقافته ادرك مقدار خطر الفكر الوثنى وهكذا انشأ مدرسة لاهوتية مسيحية فى الاسكندرية عين لرئاستها العلامة يسطس .

المدرسة الوثنية والمدرسة المسيحية ومدى العلاقة بينهما : –

المدرسة الوثنية هى التى آنشأها بطليموس الاول ملك مصر وقد بلغت ذروتها فى العلوم والفلسفة فى القرن الاول للمسيحية ولم توجد مدرسة تعادلها فى دراستها الطبيعية والعلمية فى الطب والتشريح والرياضة والفلك من أجل هذا كانت هذه المدرسة منافسا للمدرسة المسيحية .

ومع ذلك عاشت المدرستان جنباً الى جنب لكل منهما طابعه الجامعى الخاص

ولكن هدف التعليم فى المدرستين يختلف : –

اولاً : هدف الدراسة فى المدرسة الوثنية هو الوصول الى مركز مرموق فى الدولة بينما فى المدرسة المسيحية لم يكن هدفاً على الرغم من أن خريجى هذه المدرسة يصلحون لذلك .

ثانيا : كان مستوى طلبة المدرسة الوثنية الاخلاقى وكذلك الاساتذة منحطا بعكس المدرسة المسيحية فالاخلاق كانت من أبرز خواص المدرسة اساتذة وطلبة .

ثالثا : أن الفلسفة والعلوم كانت تدرس فى المدرسة الوثنية بقصد الثقافة بينما كانت تدرس فى المدرسة المسيحية لغرض دينى .

رابعا : كان طلبة المدرسة الوثنية من مستوى ثقافى واجتماعى معين والطلبة كانوا ذكورا فقط عكس المدرسة اللاهوتية كان التعليم عاما للجميع لا تميز بين السيد والعبد والذكر والانثى الجميع واحد فى المسيح يسوع بالاضافة الى أن سنوات الدراسة فى المدرسة الوثنية كانت محدودة عكس المدرسة اللاهوتية فكانت غير محدودة .

المدرسة اللاهوتية (سماتها ومنهجها وخطة الدراسة فيها) : -

كان فلاسفة الوثنيون يدرسون الكتاب المقدس لكى يناقضوه ويشككوا الناس فيه ولذلك وقفت المدرسة اللاهوتية تناهض الوثنية بكل طاقاتها واصبح لها دور هام فى المنافسة الفكرية حتى انها ادخلت فى برامجها الفلسفة الوثنية بشتى فروعها على يد القديس اكليمنضس الاسكندرى (حتى تستطيع أن ترد على هجمات الوثنيين) كما نادى القديس اكليمنضس بأن الفلسفة خادمة لعلم اللاهوت وارتقت المدرسة اللاهوتية فى دراسة الفلسفة حتى كان يستمع الى محاضراتها امونيوس السقاص زعيم فلاسفة الوثنيين .

أما عن خطة الدراسة ونظامها فى الدراسة اللاهوتية : -

* لم تكن الدراسة بالمدرسة اللاهوتية دراسة عقلانية كما توهم البعض لكن كانت هناك رياضيات روحية فكانوا يصلون ويقرأون ويصومون .
* وقد كانت الاكليريكية فى عهدها الاول مدرسة دينية مسيحية تعتنى بشرح التعليم المسيحى وتبسيطه بطريقة السؤال والجواب وكان طلابها من ثلاثة أنواع : -

١ - فريق كان وثنياً يريد ان يعرف الحقيقة (حقيقة المسيحية) فيفتش عليها بالدراسة فى هذه المدرسة .
٢ - الفريق الثانى من كان وثنياً وأمن بالمسيحية ولكنه لم يكن قد حصل على سر المعمودية (أى كان فى صفوف الموعوظين) وما زال يدرس ويؤدى امتحانات حتى اذا جاز الامتحان النهائى يسمح له بالعماد .
٣ - الفريق الثالث والاخير وهم المسيحيين ولكن للدخول للعمق اكثر ولكى يزداد رسوخاً وايماناً يدرس فى هذه المدرسة ولكى يتمكن من الخدمة فى الكنيسة والعمل على نشر المسيحية .

ولقد تناظر اساتذة وعلماء المدرستين الوثنية واللاهوتية وكان نتيجة لذلك ان اهتمت المدرسة اللاهوتية بدراسة العلوم والثقافات المختلفة فقد ادخلت فيها علوم الطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والتاريخ والموسيقى واللغات .

* ولم يكن للمدرسة الاكليريكية اللاهوتية فىعهودها الاولى مبنى خاص انما كانت مركزة فى علمائها . وحيثما يوجد استاذها كانت توجد المدرسة - وكان الاستاذ يأخذ تلاميذه فى بيته الخاص . وقد ذكر عن العلامة اوريجانوس اشهر اساتذتها يستأجر لها قاعات ليعظ فيها فى ايام الاضطهاد والاستشهاد فلما كانت تلك القاعات تحطم بسببه كان يستأجر

غيرها او يعلم فى أى مكان . وقد كان الاستاذ له الحرية ان يعلم طلبته كما يتهيأ له الظروف أو كما توصى اليه طبيعته للخاصة أو حاجة الطلاب وظروفهم.
ولكن بعد ذلك بدأت الاكليريكية تعد منهج خاص للدارسين ينقسم الى ثلاث مراحل: -

المرحلة الاولى : -

مرحلة العلوم فيها يدرسون الهندسة والفسيولوجيا والفلك (هذه الدراسة لتنمية ملكات الاستدلال والملاحظة والنظام) .

المرحلة الثانية : -

دراسة الفلسفة واقوال الفلاسفة وتفسيرها .

المرحلة الثالثة : -

مرحلة دراسة العلوم اللاهوتية وكان المنهج الجدلى هو المنهج المتبع فى دراسة اللاهوت . هكذا كان لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية اهمية خاصة حتى أن الامبراطور ثيؤدوسيوس قال مرة " أن الذى يهرب من هذه المدرسة يعد كافراً "

مدرسة الاسكندرية والتفسير الرمزى : -

كان عمل المدرسة الرئيسى هو شرح كلمة الله بطريقة روحية واعلان ما تحمله من اعماق داخلية وراء الرموز .
وكانت مدرسة الاسكندرية التعليمية بلا شك اشهر معهد عقلى فى العالم المسيحى الاول وكان اهتماما منصبًا على دراسة للكتاب المقدس وقد ارتبط اسمها بالتفسير الكتابى .

دور المدرسة فى حياة الكنيسة واثار طلبتها وخريجها واساتذتها : -

كانت المدرسة جزءا لا يتجزأ من الحياة الكنسية وقدمت ضوءا جديداً على أهمية العلم والتعليم بوجه عام كما خلقت قادة فى الفكر وفى العمل الكنسى الرعوى على المستوى المحلى والمسكونى .
١ - اهتمام المدرسة بالفلسفة اليونانية تنزع عنها أى نظرة ضيقة نحو المسيحية كتراث اقليمى يرتبط بجماعة محلية أو ثقافة خاصة وبهذا ربحت الكنيسة نفوس كثيرة للسيد المسيح من عينات مختلفة على كافة المستويات الفلسفية والفكرية .
ووصف " شان " قدرة المدرسة على الكرازة بين الفئات المتباينة خلال اتساع نظريتها قائلاً كانت من جهة حصنا للكنيسة ضد الاشرار .. ومن جهة اخرى كانت جسراً للعبور من العالم الى الكنيسة .

٢ - هذا الاتجاه جعل من اساتذة المدرسة رجالاً مسكونيين (امثال اكليمنضس واريجانوس) وفى القرون التالية حمل رجالها امثال القديس اثناسيوس الرسولى وكيرلس الكبير مسئوليات كنسية على مستوى مسكونى
وجاء من تلامذتها قادة فكر مسيحى امثال القديس غريغوريوس اسقف نيصص الذى يفتخر دوما بمعلمه القبطى العلامة اوريجانوس .
٣ - استطاعت المدرسة ان تروى ظمأ المسيحيين بالاسكندرية نحو المعرفة الدينية وتحثهم على الدراسة والبحث وبهذا ساهمت فى انشاء اول نظام للدراسات اللاهوتية فى العالم او كانت بحق " مهد اللاهوت المسيحى " منها خرج رجال قادرون على الرد على امثال كليمنضس واوريجانوس والدفاع ضد الاريوسية مثل القديس اثناسيوس وضد نسطور مثل القديس كيرلس الكبير .
٤ - قيام هذه المدرسة اعطى امكانية الحصول على التعليم الذى تقدمه المدرسة الوثنية العظمى لكن بواسطة معلمين مسيحيين .

المدرسة الاكليريكية والكرسى المرقسى : -

عندما انشأ القديس مارمرقس المدرسة الاكليريكية كان قد أمن برسالتها وانه لا يمكن ان تعيش الكنيسة بدونها " لان الكنيسة لاتعيش بدون اللاهوت " لذلك انشأ هذه المدرسة وعين القديس انيانوس أول اسقف لادارتها وبعد ذلك تولى ادارتها فى أواخر حياة مارمرقس اساتذة ومديرون اشتهروا بالعلم والتقوى والغيرة الكبيرة على خدمة كلمة الرب كما شهد لهم يوسابيوس .
واختير منهم الكثيرون للكرسى المرقسى وبخاصة ان الرهبنة لم تكن قد ازدهرت ولا حتى قد ظهرت فى ذلك الزمان .
واول مدير لهذه المدرسة اللاهوتية القديس العلامة يسطس الذى جلس على كرسى مامرقس وصار السادس فى عداد البطاركة .
وعين القديس امونيوس مديرا للمدرسة - ولما جلس امونيوس " السابع على الكرسى المرقسى عين مركيانوس لادارة المدرسة وصار مركيانوس الثامن فى عداد البطاركة .
وكان البابا يوليانوس (١١) من تلاميذ هذه المدرسة اللاهوتية وفى عهد البابا ديمتريوس (١٢) تعين ياروكلاس مديرا للمدرسة بعد اوريجانوس وصار البابا الثالث عشر وفى عهده عين القديس ديونسيوس للتدريس فى المدرسة اللاهوتية وصار هو ايضا البابا الرابع عشر وكان ياروكلاس وديونسيوس من تلاميذ اوريجانوس.وتخرج من هذه المدرسة ايضا البابا بطرس (١٧) خاتم الشهداء والبابا ارشيلاوس (١٨) والبابا اثناسيوس (٢٠) والبابا تيموثاوس (٢٢)

فقد كان التقليد الجميل المتبع ان مدير الاكليريكية هو الذى يعين بطريركا لعمق روحانياته ولسعة دراساته اللاهوتية..اى أن مدير الاكليريكية يعتبر الرجل الثانى بعد البطريرك .

وعن طريق هذه المدرسة حفظت التعاليم اللاهوتية المسلمة بالتسليم الرسولى والتقليد دون حزف او زيادة ولذلك كان باباوات هذه الكنيسة هم الذين يرأسون المجامع المسكونية لان هذه الكنيسة بفضل مدرستها اللاهوتية كانت معلمة المسكونة كلها فى اللاهوت الارثوذكسى . لذلك فقد نجحت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية فى قيادة الكنيسة الجامعة اذ أن ابطالها فى المجامع المقدسة من خريجى هذه المدرسة الذين درسوا اللاهوت الارثوذكسى دراسة خالية من الهرطقات لذلك كان الاتجاه الفكرى فى الاسكندرية مطبوعا بنظرة تصوفية كما كان الاتجاة فى تفسير الكتاب المقدس بالاضافة الى المعنى الحرفى كان هناك معنيين آخرين وهما المعنى الرمزى والمعنى للروحى .

المدرسة الاكليريكية والكنائس (الكراسى) الاخرى : -

لم يقف عمل المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية على حد تخريج البطاركة أو ابطال المجامع المسكونية ولكن عملها امتد خارج الكرازة المرقسية فقد تخرج من هذه المدرسة كثير من الاساقفة المشهورين لايبارشيات خارج الكرازة المرقسية ومن امثلتهم القديس اغريغوريوس العجانبى الذى كان آمن على يد اوريجانوس وصار تلميذاً له وكتب رسالة كبيرة يمتدح فيها ما قاله من دراسة عميقة فى المدرسة وما اخذه من قدوة صالحة من الاساتذة .

وكثيرون لم يتتلمذوا شخصيا فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ولكنهم تتلمذوا على كتب علمائها ومن هؤلاء القديسون باسيليوس الكبير واغريغوريوس الناطق بالالهيات ويوحنا ذهبى الفم الذين تتلمذوا على كتب اوريجانوس ودافعوا عنه وقد احتمل ذهبى الفم المحاكمة فى سبيله ومن هنا جاء تسمية بطاركة الاسكندرية " بقضاة المسكونة " .

علماء المدرسة وفلاسفتها الاقزاز : -

*من علماء هذه المدرسة المشهود لهم الفيلسوف اثينا غوراس وهو من المدافعين المشهورين عن المسيحية وعقائدها .

ومن فلاسفتها ايضا القديس بنتينوس الذى بشر فى الهند وبلاد العرب . والذى له الفضل الكبير على اللغة القبطية . ثم القديس اكليمنضس الاسكندرى الذى آمن بالمسيحية على يد بنتينوس وصار من اشهر علماء المسيحية ووضع كتبا عديدة اشهرها المتفرقات (Stromats)

وخلف هذين العالمين القديسين العلامة اوريجانوس اشهر فلاسفة المسيحية وكتابها فى شتى العصور ، وهو يعد من علماء المدرسة الرمزية فى التفسير وسار على منهجه فيما بعد القديس اوغسطينوس .

ومن علماء المدرسة ايضا البابا ديونيسيوس (١٤) وقد اعتبر حجة فى اللاهوت ومن العلماء الافزاز الذين تخرجوا منها البابا القديس اثناسيوس الرسولى(٢٠) الذى يعتبر أبا لجميع علماء اللاهوت والذى وضع قانون الايمان المسيحى وتزعم الدفاع عن لاهوت الابن فى مجمع نيقية وباقى ايام حياته ، ووضع كتباً كثيرة اشهرها " الرد على الاريوسيون " وتجسد الكلمة " والرسالة ضد الوثنيين " ورسائل عن الروح القدس وحياة القديس انطونيوس وقد نقل هذه الكتب الاربعة الاخيرة الى اللغة العربية الآب الموقر القمص مرقس داود .

*وفى عهد القديس اثناسيوس الرسولى تولى قيادة هذه المدرسة اللاهوتية العالم الكبير القديس ديديموس – وقد اشتهر بعلمه الكبير حتى اتى القديس جيروم ليدرس على يديه بالاسكندرية وترجم له كتابه عن " الروح القدس " الى اللاتينية كما امتدحه القديس انطونيوس الكبير وقال له لا تحزن يا ديديموس لفقدك بصراً جسدياً يوجد لدى الحيوانات والحشرات لكن ينبغى ان تفرح ان لك عينان روحانيتان تستطيع ان تنظر بهما نور اللاهوت . وقد امتاز ديديموس بقوة اقناعه وبأدبه الجم في مناقشاته اللاهوتية حتى درس عليه كثير من فلاسفة الوثنيين وخلف لنا كتباً كثيرة فى اللاهوت والعقيدة والتفسير .

* ومن الاساتذة الاخرين لهذه المدرسة ثاوغنست وبيروس والقديس ديونسيوس ولقد لقب بيروس لعمق علمه بأنه (اوريجانوس الجديد) وتولى قيادة المدرسة ايضا سرابيون ومقار قبل القديس ديديموس ورودون فى عهد البابا كيرلس الكبير.

ومن أكثر الذين قاموا بترجمة تاريخ علماء المدرسة اللاهوتية يوسابيوس القيصرى ونيافة الحبر الجليل الانبا اغريغوريوس استف الدراسات العليا والبحث العلمى وجناب الاب الورع القمص تادرس يعقوب ملطى .

اضمحلال المدرسة اللاهوتية : –

وبالحقيقة كانت الكنيسة مزدهرة ونامية طوال العصور التى ازدهرت فيها مدرسة الاسكندرية اذ كانت مصدرا للنور والمعرفة اللاهوتية والدينية لايمكن الاستغناء عنه وكانت ايضا سر القوة الخفية وراء كنيسة الاسكندرية فى القرون الخمسة الاولى – اذ هو سر شهرة باباواتها وبطاركتها اذ كانوا يحسبون كحراس للايمان الارثوذكسى وبسبب اتساع افئدتهم كانوا شغوفين بالمعرفة فحسبوا " معلمى المسكونة " وكانت لهم الكلمة الاخيرة الفاصلة .

وفى أواخر القرن الخامس الميلادى ضعف الاقبال على المدرسة اللاهوتية واسبابها الذبول والانحلال وقد رأينا العلامة رودون وهو أخر مدير للمدرسة نقلها من الاسكندرية الى صيدا .

واخيرا بعد أن كانت المدرسة منارة للمسيحية فى العالم كله بدأت تضعف نتيجة انقسام الكنيسة فى مجمع خلقدونية المشئوم سنة ٤٥١ م وهكذا تخلفت المدرسة وانتقل التراث العلمى واللاهوتى الى الاديرة فى وادى النطرون.

اكليريكية القاهرة بألانبا رويس امتدادا لمدرسة الاسكندرية : -

هكذا بعد ان خمدت ضياء هذه المدرسة وانطفأ نورها فأصاب الكنيسة المصرية الذهول والضعف فلم يعد لبابواتها ما كان لهم فى العصور المسيحية الاولى من الثقافة اللاهوتية التى تمكنهم من قيادة الكنيسة القيادة الحكيمة - وأخيرا لم يصح القبط لاهمية هذه المدرسة الا بعد أن جاء البابا كيرلس الرابع المعروف بأبو الاصلاح اذ مهد لانشاء مدرسة اكليريكية لتعليم رجال الدين فى الفجالة سنة ١٨٦٢ ثم بعد ذلك فتح مدرسة اكليريكية سنة ١٨٧٤ وما ان جاء البابا كيرلس الخامس ففتح الاكليريكية الجديدة التى لم يستطع سلفه ان يكمل العمل فيها وقد عهد بأدراتها الى القمص فيلوثيئوس ابراهيم علم الدين الذى كان عالما لاهوتيا شهيرا ولكن هذه النبتة لم تستمر كثيرا الا بضعة شهور ولكن شاء الرب الاله ان تفتح الاكليريكية من جديد سنة ١٨٩٢ ويديرها المرحوم يوسف بيك منقريوس الذى بعد نياحته عين الاستاذ الارشدياكون حبيب جرجس استاذا ثم مديرا لها ثم بعد نياحته صار القمص ابراهيم عطية مديرا لها حتى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢ حيث رسم قداسة البابا كيرلس السادس القمص انطونيوس السريانى اسقفا للمعاهد الدينية والتربية الكنسية بأسم " نيافة الانبا شنودة " وصار للاكليريكية اسقفا ودخلت بذلك المجمع المقدس واخيرا رجعت الكنيسة الى عصورها الاولى حيث مدير الاكليريكية يصير بطريركا كتقليدها القديم فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١ جلس نيافة الانبا شنودة اسقف الاكليريكية على السدة المرقسية بأسم قداسة البابا شنودة الثالث واصبح ابو الاباء وراعى الرعاة وراعى الاكليريكية الاكبر اطال الله حياته .

وانني ارجو من الرب ان اقدم عرضا سريعا مختصرا ومركزا للقديس اوريجانوس كأشهر كتاب وفلاسفة ومديرى وعلماء مدرسة الاسكندرية والمسيحية فى شتى العصور .

العلامة أوريجانوس

لست أظن مطلقاً أن كتاباً واحداً يكفي للحديث عن حياة عالم كبير مثل هذا الانسان الذى وضع من الكتب ما يعجز عقل واحد ان يعيها كلها .

أنه لغز حير التاريخ وبسببه تشاجر قديسون مع قديسين بعضهم يهاجمه وبعضهم يدافع عنه . لقد تلمذ جيلا بأكمله فى بداية القرن الثالث وتلمذ أجيالا لا تحصى بعد مماته ولا يزال يتلمذ كثيرون على كتبه .

قال عنه الكسندروس أسقف أورشليم أنه أمير الشراح للكتب المقدسة وقال عنه القديس اثريغوريوس أسقف نيصص أنه أمير الفلسفة المسيحية وقال عنه كثيرون أنه أستاذ الاساقفة لان أساقفة كثيرون تتلمذوا على يديه .

أنه عالم كبير فى الكنيسة لاهوتى من اللاهوتيين المشهورين فى العالم كله وأشهر فلاسفة المسيحية وكتابها فى شتى العصور .

نشأتـــه :-

عاش أوريجانوس بين سنتى ١٨٥ م - ٢٥٤ م وولد فى الاسكندرية من ابوين مسيحيين وكانت أسرته اسره مسيحية متدينة وكان ابوه رجلا عالما وقديسا (وهو يعتبر الوحيد من الآباء الآولين الذى شاء الله لن يولد من ابوين مسيحيين كما شاء ان يمنحه نعمة البنوة لاب شهيد) وقد درس على ابيه اولا المبادئ المسيحية مع اللبن ويستفسر منه عن الله وعن الوجود وعن الكائنات ، ومما يؤثر عن ابيه انه كان يتسلل الى غرفة نوم اوريجانوس ليلا ويقبل صدر اوريجانوس فى خشوع اعتقادا منه انه مسكن ممتاز للروح القدس ، ثم قبض على ابيه ونال اكليل الشهادة

ولما كان ابوه فى السجن وهو مايزال صبيا ارسل الى ابيه رساله يحثه فيها على الاستشهاد ويشجعه ربتويه .

كان أوريجانوس كثير القراءة : -

كان شغوفا بالقراءة حكوفا عليها ولم تكن فى ايامه كتب مطبوعة بل كانت هناك مخطوطات - وقد حدث انه كان يستأجر المكتبات ويبيت فيها الليالى يقرأ حتى تحول اوريجانوس نفسه الى خزانة كتب .

قال عنه القديس جيروم انه كان يقرأ وهو يأكل ويقرأ وهو يمشى ويقرأ فى كل وقت . وامتدت فيه المعرفه الى حد لا يقاس بالنسبة للاشخاص العاديين وفيما بعد عندما كان بحاضر كان يمكنه ان يملى على عدد من النساخ فى وقت واحد .

أوريجانوس المعلم :-

إضطر اوريجانوس الى أعالة اسرته بعد وفاة ابيه فإشتغل بالتعليم حتى أشتهر امره فأستدعاه البابا ديمتريوس الكرام (الـ ١٢) وولاه استاذيه المدرسة الاكليريكية فصار ناظراً لها بعدا كليمندس .

واستطاع اوريجانوس ان يعلى من شأن الاكليريكية ويجعلها منارة للعلم فى العالم المسيحى كله يقصدها الناس من كافة البلاد وادخل فيها علوم الرياضة والطبيعة والفلك والموسيقى .

وهكذا نال اوريجانوس شهرة عظيمة ما بعدها شهرة فى العالم كله .

وقد حقد الوثنيون على اوريجانوس واعتبروه عمود المسيحية فى جيله فيجب القضاء عليه وهكذا طاردوه فى كل مكان .

ولم يكن للاكليريكية مكان ثابت فى عهده وانما حيثما يوجد اوريجانوس تكون هذه هى الاكليريكية فالاكليريكية كانت هى الاستاذ وليس المبانى .

وكان اوريجانوس يستأجر القاعات ليلقى فيها دروسه فكان يهجمون عليها ويحطمونها فيلجأ الى غيرها حتى رفض اصحاب القاعات اخيرا ان يؤجروا له قاعاتهم خوفا عليها من هجمات الوثنيين .

فكان يلقى محاضراته احيانا فى الخلاء او على شاطئ البحر .

وكان يتتلمذ على يديه رجال وسيدات وشباب وشابات وكل من يطلب العلم .

اوريجانوس والتفسير الرمزى :-

كان اوريجانوس صاحب مدرسة فى التفسير هى مدرسة التفسير الرمزى .

وهى مدرسة قوية عميقه فى التفسير انتشرت فى العالم كله فيما بعد ونبغ فيها كثيرون مثل القديس اوغسطينوس وتختلف عن مدرسة التفسير الحرفى التى اشتهر فيها القديس باسيليوس الكبير ويظهر اسلوب اوريجانوس فى التفسير لمن يقرأ مثلاً : -

تفسيره المشهور لسفر نشيد الاناشيد فهو يتكلم عن العروس بأعتبارها إنها الكنيسة ويقول ان عبارة (أنا سوداء وجميلة) انما تقولها كنيسة الامم لكنيسة اليهود وعباره سوداء لانها بلا شريعة بلا انبياء بلا وعود ولكنها جميلة بأختيار الرب لها ويرى رمزاً لهذه السوداء الجميلة المرأة الكوشية التى تزوجها موسى النبى (عدد ٩٢ : ١) وايضاً ملكه سبأ التى زارت سليمان الحكيم ويرى فى ملكه سبأ وكلماتها لسليمان معانى رمزية جميلة منها :-

" لما رأت ملكة سبأ كل حكمه سليما والبيت الذى بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التى كان يصعدها فى بيت الرب لم يبقى فيها روح (١ مل ١١ :٤. ٥) فملكة سبأ رمزا لكنيسة الامم السوداء وسليمان وحكمته رمزاً للسيد المسيح أقنوم الحكمة وصانع السلام - والبيت الذى بناه هو الكنيسة وخدامه هم الكهنة وملابسهم ومائدته فى سر الافخارستيا .. الخ .

شخصيته :

قد لاقى أوريجانوس آلاما كثيرة لاجل المسيح والايمان والدفاع عنه والقى فى السجن وصمد وثبت ايمانه .

كان رجلاً ناسكاً مشهورا بالصوم يصوم معظم الايام ولا يأكل إلا قليلاً وكان ينام على الارض ويلبس ملابس النسك واحيانا كان يمشى حافيا وينام بلا غطاء ولا وساده ويسهر الليل فى العبادة .

وقد تحدث القديس أغريغوريوس أسقف قيصارية الجديد كثيراً فى مدح أوريجانوس .

مؤلفات أوريجانوس :

قال القديس أبيفانيوس أن مؤلفات أوريجانوس تزيد على الستة آلاف صنفاً ولعله كان منها أكثر من ألف عظة .

وقد كتب أوريجانوس باليونانية وترجمت كثير من مؤلفاته فى حياته وبعد وفاته باللاتينية .

ومن أشهر كتب أوريجانوس :-

١ - كتاب المبادئ (Principes)
٢ - كتاب ضد كلوس (Contra Celsum)
٣ - كتاب الحث على الاستشهاد .
٤ - كتاب عن الصلاة .
٥ - كتاب عن القيامة .
٦ - كتاب الهكسابلا أى السداسية (Hexapela)

ويشمل خلاصة مجهود لمده ٢٨ عاما فى دراسة مقارنة لنصوص الكتاب المقدس فى ستة أعمدة (مقارنة نسخة وترجماته) وتشمل النص العبرانى وهذا النص بحروف يونانية وفى العمود الثالث الترجمة السبعينية ثم ترجمة أكيلا ثم ترجمة سيما خوس ثم ترجمة ثيؤدوروس وفى بعض الكتب وجدت ترجمات أخرى وللاسف كل هذا المجهود قد ضاع باحتراق مكتبة

الاسكندرية ولم يبقى الاقصاصات تدل عليه .

٧ - وضع تفاسير لا تحصى لغالبية الكتاب المقدس .

منها تفاسيره لاسفار موسى الخمس وأيوب وبعض كتب الانبياء وكتابه عن يشوع وتفسيره نشيد الاناشيد والمزامير والانبياء الكبار وقد نشرت ترجمة بعض مؤلفاته فى مجموعات ما قبل نيقيه .

1 - Ante Nicene Fathers.

2 - Ancient Christian Writers.

3 - Sources Christians.

أخطائه الشائعة :-

١ - على أنه من الاخطاء التى وقع فيها أوريجانوس أنه خصى نفسه .
ولم يفعل ذلك هروبا من الشهوة فقد كان نقيا ناسكا إنما منعا لتقولات الناس إذ كان من ضمن تلاميذه الكثير من السيدات والفتيات . على أن هذا الخطأ أخذ عليه إذ تحرمه قوانين الكنيسة .

٢ - اما مشكلته الثانية فقد سافر أوريجانوس الى بلاد العرب لمقاومة بعض الهرطقات هناك كما أوفده البابا ديمتريوس الكرام سنة ٢٢٦ م إلى أخائية لمقاومة بعض الهرطقات أيضا - وعند رجوعه حدثت مشكلته الثانية فى حياته وهى أنه قبل الكهنوت من غير أسقفه البابا ديمتريوس إذ أن الكسندروس أسقف أورشليم وثيئودسيوس أسقف قيصرية فيلبس قاما بسيامته كاهنا اذ عز عليهم أن معلم الجيل وأستاذ الاساقفة لا يكون حاصلاً على درجة كهنوتية وقد أستاء البابا ديمتريوس الكرام من هذه السيامة .

٣ - كما نسبت إلى أوريجانوس أخطاء لاهوتية كثيرة يتعلق بعضها بالارواح والملائكة والشياطين والنفس البشرية ونفس المسيح والفداء والاجساد .

حرمـــــــه : -

عقد البابا ديمتريوس مجمعا سنة ٢٣١ م (قبل نياحته بعامين) وحكم بحرم أوريجانوس ثم توالت الاقاويل بعد ذلك عن محاللته من تلميذه القديس أغريغوريوس أسقف قيصارية الجديد .

على أن حرمه لم يصدر من البابا ديمتريوس فقط وانما قديسون آخرون تكلموا على أخطاءه واستحقاقه للحرمان .

وقيل أن أوريجانوس قال عن نفسه (أيها البرج العالى كيف سقطت)

أوريجانوس بعد حرمه : -

• أسس أوريجانوس مدرسة لاهوتية أخرى فى فلسطين وتتلمذ عليه الكثيرون ونالت مدرستة شهرة كبيرة .

• وقيل انه هدى الى الايمان أسقف لبصرة وكذلك هدى رجلاً أسمه أمبروسيوس كان واقعا فى الغنوسية وقد تبعه أمبروسيوس هذا وكان غنياً جداً فانفق عليه الكثير من ماله فأمكنه بهذا أن يكون له الكثير من النساخ وبالتالى الكثير من الكتب .

معاصروه :-

كان أوريجانوس معروفا من الاباطرة والملوك فى أيامه .

وقد عاصر ثلاثة من البطاركة هم : -

١ - البابا ديمتريوس الكرام (الـ ١٢) (١٨٨ - ٢٣٠ م)
٢ - البابا ياروكلاس (الـ ١٣) (٢٣٠ - ٢٤٦ م)
٣- البابا ديونيسيوس (الـ ١٤) (٢٤٦ - ٢٦٤ م)

وفاتـــــــه : -

توفى أوريجانوس فى مدينة موره بفلسطين سنة ٢٥٤ وله من العمر ٦٩ سنة واختلفت الاقوال فيه .

وشهد القرن الرابع بالذات وبداية الخامس صراعا ضخما حول هذه الشخصية ما بين اصدقاؤه وخصومه .

المجامع الكنسية

من الثابت تاريخيا ان النظام المجمعى كان معمولا به منذ اقدم العصور التى وجدت فيها روح الشورى او تبادل الرأى فقد عمل به فى الوثنية كما ان الفكرة المجمعية لها جذور فى اليهودية فقد عقد رؤساء كهنة اليهود مجامع للسيد المسيح (مت ٢٦ : ٣) (مر ١٥ : ١) ومجامعا لمحاكمة التلاميذ لكرازتهم بالايمان المسيحى (أع ٥ :١٢)

+ **وفى عصر الرسل** : عقدت الكنيسة أول مجمع فى اورشليم عام ٥٠ ميلادية برئاسة القديس يعقوب الرسول اسقف اورشليم (أع ١٥) للنظر فى بحث شروط قبول الداخلين من الامم الى المسيحية او بعد ماحصلت مباحثة كثيرة صدر القرار بالقول " لانه قد رأى الروح القدس ونحن الان نضع عليهم ثقلاً أكثر غير هذه الاشياء الواجبه ان يمتنعوا عما ذبح للاصنام وعن الدم والمخنوق والزنا " وضاعت على الشيطان فرصة شق الكنيسة الاولى.

+ولقد اخذت الكنيسة عن الرسل الاطهار هذا المبدأ الجليل فكانت تعقد المجامع كلما حدث خلاف فى البيعة, أو وجد من الامور ما يستدعى ذلك .

اقسام المجامع

١- المجامع المكانيـــة (Diocesan Councils)

وهى التى يجتمع فيها الاسقف والقسوس والشمامسة فى مركز كل ابروشية لتدبير امورهم الخاصة.

٢- المجامع الاقليمية او المحلية أو العامة (Provincial Councils)

وهو مايقابل حاليا اجتماعات المجمع المقدس برئاسة البابا ويجتمع بصفة دورية فى السبت السابق لعيد حلول الروح القدس لتدبير امور البيعة او كل ما يواجه الكنيسة من اخطار.

والجدير بالذكر ان اخر مجمع مقدس اجتمع على غير العاده فى مصر فى الصوم الاربعينى المقدس فى سنة ١٩٧٨ ميلادية عندما فكرت الدولة فى اصدار قانون الردة.

٣- المجامع المسكونية

ينبغى ان يتوفر فيها بضع شروط نوجزها فيما يلى

١- ان تنعقد بسبب بدعة او انشقاق

٢- ان تنعقد بدعوه من الامبراطور المسيحى (فى المجامع السابقة الثلاثة)
٣ - ان يحضرها غالبية اساقفة الكنيسة - شرقا وغربا - لتتمثل فيها المسكونية
٤- تقرر شيئاً جديداً لم يكن مقرر من قبل

ولسنا نجد فى تاريخ الكنيسة من المجامع تنطبق عليها الشروط السابقة سوى ثلاثة فقط تطلق عليها اسم المجامع المسكونيه وهى :

١- مجمع نيقية الذى انعقد عام ٣٢٥ م
٢ - مجمع القسطنطينية الذى انعقد عام ٣٨١ م
٣ - مجمع افسس الاول الذى انعقد عام ٤٣١ م

ولقد اعترفت كافة الكنائس المسيحية - شرقاً وغرباً - بهذه المجامع الثلاثة وتمسكت بقانون ايمانها كما نفذت قراراتها وقوانينها .

اختصاص المجامع

أبانت لنا القوانين ما للمجامع من اختصاصات فقالت :

١- فحص المسائل المتعلقة بالايمان
٢- وضع النظم والقوانيين اللازمة لسياسة الكنيسة
٣- حل المشاكل العامة التى تعترض الكنيسة
٤- فض المنازعات والخصومات التى تنشأ بين الأكليروس أو بين الشعب أو بين كليهما
٥- محاكمة رجال الاكليروس اذا صدر منهم **ما ينافى** الايمان القويم أو يخالف ما تقرره البيعة من قوانين .

الاحكام الباطلة لبعض المجامع

جدير بالذكر ان الكنيسة رفضت كثير من الاحكام الجائرة التى أقرتها بعض المجامع ظلما على بعض اباء الكنيسة المشهورين بسلامه الرأى وحسن العقيدة وشده التمسك بالايمان مثل:

١- مجمع صور المنعقد سنة ٣٣٤م الذى حكم على البابا اثناسيوس الرسول حامى الايمان بعزلة من وظيفته الكهنوتية وبالنفى ايضا .
٢ - مثل المجمع الذى عقده يوحنا بطريرك انطاكية مع اساقفته النساطرة بعزل البابا القديس كيرلس الكبير عمود الدين ونفيه أيضا
٣- مجمع خلقدونية الذى حكم على القديس ديسقورس البابا السكندرى بالنفى فى اكتوبر سنة ٤٥١ م الى جزيرة غاغرا
٤- كما رفضت الكنيسة ايضا الاعتراف بالحكم الذى اصدره مجمع القسطنطينية المكانى على القديس يوحنا ذهبى الفم ، ورغم ان البابا ثاوفيلس الاسكندرى كان

رئيسا لهذا المجمع الذى اصدر ذلك الحكم الا ان الكنيسة عادت سريعا فى عهد خليفته القديس كيرلس البطريرك الرابع والعشرين واعترفت ببراءة القديس يوحنا ذهبى الفم كما قام القديس كيرلس بتسجيل اسمه فى" قائمة الاباء القديسين " الذين تقرأ اسمائهم فى القداس الالهى.

الكنيسة الغربية والمجامع المسكونية

بالتوثيق فى قرارات المجامع نلاحظ مقاومة اساقفة روما لسلطان المجامع فرغم ما تثبته القوانيين من أن سلطان الاساقفة مجتمعين (اى فى هيئة مجمع عام) فوق سلطان أى اسقف مهما عظمت قيمته او كرامته , نراهم تاره يدعون وجوب عقد المجامع بأمر منهم او أخرى ينادون بضرورة تثبيت الاحكام لديهم .

ومن المؤسف ايضا فى موقفهم بازاء المجامع هو قيامهم بادخال زياده على قانون الايمان الذى قرره مجمعا نيقية والقسطنطينية المسكونيين .



(١٣) مجمع أورشليم

حركة التهود:

حركة التهود من الحركات الكبيرة والقوية، التي صاحبت نشأة الكنيسة المسيحية في عصرها الرسولي، والتي انبثقت من داخلها ... قام بها بعض من آمن من اليهود المتزمتين بهدف أن يلتزم كافة المسيحيين - سواء كانوا من أصل يهودي أو وثني - بالناموس اليهودي القديم - وقد كان لهذه الحركة دوافع ونتائج ... **ويزيد من أهميتها أن بعض نتائجها - بصورة غير مباشرة - ما زالت حية حتى الآن في الكنيسة المسيحية**

مجمع أورشليم[٣]

عقد هذا المجمع سنة ٥٠ أو ٥١[٢]، كان أول مجمع كنسي يعقد، ويعتبر نواة للمجامع الكنسية التي عقدت بعده، وإن اختلف عنها كثيرا ... **كانت مهمة المجمع مزدوجة: أولا** - تقرير العلاقة الشخصية بين رسل الختان والأمم. وتقسيم حقول الكرازة بينهم، **وثانيا** - حسم موضوع الختان، وتقرير العلاقة بين المنتصرين من اليهود والأمم .. وقد أحرز المجمع بالنسبة للنقطة الأولى، تقدما كاملا ونهائيا. أما بالنسبة للنقطة الثانية فقد أحرز استقرارا جزئيا ووقتيا.

وإن كان سفر أعمال الرسل لم يسجل لنا كل ما دار من مناقشات فيما يختص بهذا المجمع، لكننا نعتقد أن مناقشات فردية بين الرسل سبقت وصاحبت انعقاد المجمع الرسمي، الذي اشتركت فيه فئات مختلفة من أعضاء الكنيسة... **في هذه**

---

(1) Schaff, Vol. L, pp. 335 – 339.

(2) Schff, Vol. L. pp. 339 – 345, De Pressense, Vol. L. pp. 125 – 138. Hill pp. 119, 120.

(٣) بعد إيمان بولس الرسول بأربعة عشر عاما (غل ٢ : ١).

المناقشات الفردية، حل موضوع قانونية رسوليه بولس عرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم **ولكن بالانفراد علي المعتبرين** لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا " (غل ٢ : ٢): لم يشيرا عليه بأية تعديلات في منهج خدمته، ولا أعطوه أية توجيهات أو توصيات، بل إذ رأوا التوفيق العجيب الذي أحرزه بولس وبرنابا في حقل الكرازة بين الأمم، أعطوهما يمين الشركة ليكونا للأمم، وأما هم فللختان (غل ٢ : ٨، ٩) • كل ما هنالك، أهم طلبوا من بولس أن يظهر حبه الأخوي، ويقوي العلاقات، بأن يعاون فقراء اليهودية عامة، وأورشليم بوجه خاص، الذين كثيرا ما كانت تحل بهم الاضطهادات والمجاعات، وكان بولس قد عني قبل ذلك بخدمة المحبة هذه، وقام بها فعلا بفرح وعن إيمان، بالجمع من كنائس الأمم، وكان يحمل العطاء بنفسه إلي أورشليم (غل ٢ : ٧ – ١٠)[1]، هكذا ظهرت روح الأباء الرسل طيبة نحو بولس وبرنابا، كما ظهر تقديرهم لهما في قرار المجمع النهائي ••• "حبيبينا برنابا وبولس، رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح" (أع ١٥ : ٢٥، ١٦) •

أما عن الموضوع الرئيسي، الذي انعقد المجمع لأجله، وهو موضوع "تهود الأمم" أو إلزام الأمم الداخلين إلي الإيمان بحفظ ناموس موسي، فبعد مباحثات كثيرة، تكلم بطرس وبعده برنابا وبولس، وأخيرا يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم ورئيس المجمع ••• وانتهي المجمع إلي القرار الآتي: "لا يوضع علي المؤمنين ثقل

---

(١) قارن: أع ١١ : ٣٠، ٢٤ : ١٧، ١ كو ١٦ : ١ – ٣، ٢ كو ٨، ٩، رو ١٥ : ٢٥ – ٢٧ •

أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، الامتناع عما ذبح للأصنام، وعن الدم والمخنوق والزنا" (أع ١٥: ٢٨، ٢٩).

ملاحظات على المجمع وقراراته:

١ - رأس هذا المجمع القديس يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم، وليس القديس بطرس كما يدعي البعض، ولم يكن بطرس هو أول المتكلمين في المجمع، فكلمة بطرس جاءت "بعدما حصلت مباحثة كثيرة" (أع ١٥ : ٧) ... وكان كلامه عن خبرته السابقة في موضوع إيمان كرنيليوس الأممي ... أما يعقوب فكان أخر المتكلمين وأكثرهم أهمية. كان لكلامه وزن كبير أنهي مناقشات المجمع[1].

٢ - كانت المناقشات والمباحثات كثيرة (أع ١٥: ٧) ... لكن الروح القدس كان أيضا حاضرا معهم، وقاد هذه المناقشات، ومن ثم صدر قرار المجمع أخيرا باسمه متحدا مع الكنيسة "لأنه قد رأي الروح القدس ونحن ..." (أع ١٥ : ٢٨). وليس باسم بطرس ... إنها صورة مشرقة لروحانية الكنيسة الأولي، ولما يجب أن تكون عليه المجامع الكنسية.

٣ - أحضر القديس بولس معه تيطس اليوناني الأممي ... ويبدوا أنه أحضره ليقدم لكنيسة أورشليم عينه حيه لما يمكن أن يفعله روح الله في الإنسان بدون الختان (غل ٢ : ١) ... ويبدوا أن فرق الفريسيين السابقين طالبوا

---

(1) Schaff, Vol. L, pp. 344, 363. De Presense, Vol. P. 133.
خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٥٠.

بختانه. لكن بولس صمد وقاوم بشدة[٢]، "الذين لم نذعن لهم الخضوع ولا ساعة ليبقي عندكم حق الإنجيل" (غل ٢ : ٥).

٤ - بخصوص قرار المجمع فإنه لم يلزم الأمم بالتهود لكنه أوصى أن يمتنع "عما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنا" (أع ١٥ : ٢٩). وهذه النواهي هي ضمن ما كان يطالب به الأممي الذي يطلب التصريح بحضور المجمع اليهودي، وما قرره موسي بالنسبة للأمميين إذا أرادوا أن يجعلوا مقامهم في أرض اليهود ... فالطعام المقدم للأصنام، سواء ما يؤكل في الهيكل الوثني أو خارجه، كان يعتبر شركة مع الشياطين (تث ٣٢ : ١٧، ١ كو ١٠ : ٢٠)، والدم هو عنصر الحياة، ولذا فهو مقدس لله (تث ١٢ : ٢٣)، والأشياء المخنوقة ما زالت تحتفظ بدمها، فلا يجب أن تؤكل تبعا لذلك ... ومن هنا، فإن

---

(١) كيف يتفق موقف بولس هنا مع موقفه فيما يتعلق تيموثاوس الذي ختنه بعد انقضاء المجمع مباشرة (أع ١٦ : ٣)؟! يبدو أن بولس ختن تيموثاوس كيهودي وليس كأممي. وقد فعل ذلك كنوع من الملاءمة الإرادية، حتى ما يجعله أكثر نفعا للخدمة بين جنسه من اليهود، الذين كانوا يعرفونه أنه أبن امرأة يهودية مؤمنة. فما كان ممكنا أن سمحوا له بالتعليم في المجمع بدون علامة العضوية وهي الختان ... أما في حالة تيطس - وهو يوناني أممي خالص فكان مطالبا بالختان كأساس للتبرير والخلاص ... كان بولس شديد الصلابة في وقوفه أمام الأخوة الكذبة - لكنه كان مستعدا دائما أن يوائم نفسه مع الضعفاء، وأن يصير كيهودي، وللأمم كأممي لكي ما يخلص كليهما (قارن رو ١٤، ١٥،١، كو ١٩ - ٢٢، أع ٢١ : ٢٣ - ٢٦) - ثم أن بولس كان لا يهمه موضوع الختان أو عدمه كطقس ظاهري فقط بالمقارنة مع حفظ وصايا الله والخليقة الجديدة في المسيح (انظر غل ٥ : ٦، ٦ : ١٥، ١كو ٧ : ١٩).

انظر أيضا Schaff, Vol, I, pp. 342, 3430

هذه النواهي الثلاثة، تتمشى مع تلك التي وضعت علي الغريب الذي يقيم بين بني إسرائيل (لا ١٧ : ١٠، ١٨ : ١٨)٠

هذه الثلاثة السابقة تبدو معقولة، أما النهي عن الزنا فيبدوا غريبا، فالزنا أمر غير مشروع لدي المسيحيين والأمميين علي السواء٠ من أجل هذا رأي كثيرون أن الزنا المشار إليه في قرار مجمع أورشليم، إنما يقصد به الزيجات المحرمة[1]، كالحالة التي أشار إليها بولس في (١ كو ٥ : ١) ٠٠٠ ورأي البعض الأخر أن المقصود هو الزنا المعروف، لأن خطايا النجاسة كان ينظر إليها باستخفاف في العالم الوثني٠ وكانت توجد معابد كثيرة مستخدمة كأماكن دينية للدعارة!! وكان بولس دائما يحذر المنتصرين علي يديه من الدنس الجنسي٠

هل أنهي مجمع أورشليم مشكلة التهود؟

لم ينه مجمع أورشليم بقراره، المناقشات والآراء التي احتدمت بخصوص تهود الأمم، والأزمات التي نتجت عن هذا الموضوع ٠٠٠ بل إن نشاط بولس الرسول الجبار٠ وكرازته الفعالة المتسعة زادتا من حدة التوتر ٠٠٠ ولك يكن ما دار بمجمع أورشليم، وما أصدره من قرارات مقنعا للمتزمتين، بل كان لهم بمثابة الهزيمة٠ ومن ثم هبوا ثانية – وبمرارة أكثر من ذي قبل – ونظموا إرساليات مضادة، للحد من نشاط القديس بولس، والترويج لمبادئهم، أو بعبارة أخري، لهدم بولس ونقض تعاليمه٠

أخذ هؤلاء "الأخوة الكذبة" حسبما يدعوهم بولس، يتعقبونه في كل حفل كرز فيه تقريبا، خاصة في غلاطية وكورنثوس ٠٠٠ ويبدو أنه كان موقفا منطقيا من جانب هؤلاء المتزمتين بعد أن

---

(1) Hill, pp. 124 – 129 Danielou, Vol, p. 30.

اعتبرت حركة التبشير بالإنجيل هي نفسها إعلان الله للبشر قديما علي يد اليهود لكن في صورته الكاملة ... لم يكن هؤلاء المتزمتون يتخيلون، أنهم سينفصلون يوما ما عما أنحدر إليهم كل ما كان ممكن أن تفعله المسيحية – حسب تصورهم – هو يهودية موسعة متحورة، يتألف جوهرها من الاعتراف بالإيمان بالمسيا اليهودي ... **كان هؤلاء الأخوة الكذبة، بالنسبة لبولس شوكة – وإن لم تكن في جسده – يستعرضهم أمامه، ويشير إليهم وإلي تعليمهم الخاطئ، ويهاجمهم في معظم رسائله**[1].

---

(1) Schaff, Vol, l. pp. 358, 259, Carrington Vo., l. p. 87.

(١٤) مجمع نيقية المسكوني
سنة ٣٢٥م

انعقد هذا المجمع – وهو بكر المجامع العامة المسكونية – في مدينة نيقيـــة في شهر مايو سنة ٣٢٥م. بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير لحسم بعض المسـائل الدينية وفي مقدمتها المشكلة الكبيرة التي أثارها أريوس ونحاول الآن أن نقف عنـــد بعض النقاط التي تعطينا صورة واضحة عن هذا المجمع.

أسباب انعقاده:

لا شك أن الآراء الهرطقية التي نادي بها أريوس هي السبب المباشر لانعقـاد مجمع نيقية لكن هناك دواع نجملها في الآتي:

(١) الخلاف حول تحديد يوم عيد القيامة:

وقد ظهر هذا الخلاف منذ وقت مبكر بين كنائس آسيا الصغـــرى وبـين كنيسة روما حينما أعلن القديس بوليكربوس أسقف أزمير "سميرنا" وتلميذ يوحنـــا الحبيب أنه ينبغي الاحتفال بذكري الصليب يوم ١٤ نيسان العبري وهو اليوم الـذي صلب فيه السيد المسيح وتذكار القيامة في السادس عشر منه وهو اليوم الذي قام فيه المسيح، بغض النظر إن كان هذان اليومان يوافقان يومي جمع وأحد "وهما اليومـــان اللذان تم فيهما الصلب والقيامة ولهما مدلولاتهما" أم لا، كانت الكنيســة القبطيــة تحرص علي الاحتفال بذكري هاتين المناسبتين في يومي الجمعة والأحد.

وفي ختام القرن الثاني حاول فيكتور أسقف روما إرغـــام كنـــائس آســيا الصغرى علي الالتزام بيومي الجمعة والأحد لكن هذه الكنائس ردت عليـــه بعقـــد مجمع من خمسين أسقفاً واعتبر فيكتور أسقف روما معتدياً وقرر عدم الالتفـــات إلي تهديده. وأخيراً حاول البابا الإسكندري ديمتريوس الكرام التوفيق بين الفريقين فعمل

علي أن يعيد المسيحيون بذكري الصليب في يوم الجمعة والقيامة في يوم الأحد علي أن يرتبطا بيومي ١٤، ١٦ نيسان العبري، فجمع لذلك علماء الإسكندرية الفلكيين (وكانوا أشهر الفلكيين في العلم آنذاك)، ووضعوا قاعدتهم المشهورة وهي أن يعيد المسيحيون عيد القيامة يوم الأحد الذي يلي فصح اليهود مباشرة وعلي الرغم من هذا الحل إلا أن الخلاف ظل قائما حتى حسمه مجمع نيقية مقراً مبدأ كنيسة الإسكندرية سالف الذكر.

(٢) الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط:

كان ملاتيوس هذا معاصراً لدقلديانوس وقبض عليه وأودعه السجن وكان من جراء ذلك أنه ضعف وبخر للأوثان، ورغم أنه عاد وندم ورجع إلي المسيحية، لكنه بدأ يرسم أساقفة بدون أذن من رئيس الكنيسة البابا بطرس خاتم الشهداء فرسم حوالي ٣٠ أسقفا مما اضطر البابا بطرس أنن يعقد مجمعاً مكانياً حرمه هو وأساقفته، لكن ملاتيوس لم يخضع لحكم المجمع واستمر في عصيانه الأمر الذي أتعب كنيسة الإسكندرية.

(٣) موضوع إعادة معمودية الهراطقة:

وهذه مشكلة هامة شغلت الكنيسة ردحا طويلاً من الزمان والمشكلة تتلخص في هل يعاد عماد الهراطقة التائبين، وما هو وضع الذين قبلوا العماد علي أيديهم، ظهر الخلاف كمشكلة بين القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة "في شمال أفريقيا" وأسطفانوس أسقف روما، كان كبريانوس يري "أن المعمدين من يد الهراطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة معموديتهم أما الذين قبلوا العماد منهم الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح ولا يعاد" علي عكس أسطفانوس الذي نادي بعدم جواز إعادة المعمودية إطلاقاً"، تحرج الأمر وعقد كلا الفريقين بعض المجامع المكانية لتدعيم رأيه، تدخل القديس ديوناسيوس البطريرك الإسكندري لحسم هذا الخلاف -

وكان من كبار اللاهوتيين في عصره - مؤيدا رأي كبريانوس، وأن كـــان هـــذا التدخل قد هدأ الجو، لكن الأمر أيضا لم يحسم بصورة قاطعة إلا في مجمع نيقية.

أريوس وبدعته:

ولد أريوس في مدينة القيروان "بليبيا" سنة ٢٧٠م درس الكثير من العلـــوم والمعارف ثم نزح إلي الإسكندرية حيث ألتحق بمدرستها اللاهوتية فاظهر في دراســـته نبوغا] كبيراً. وعندئذ داخله الغرور وسعي للحصول علي درجة مـــن درجـــات الكهنوت، شجع في بادئ الأمر ملاتيوس في حركته العصيانية ثم عاد واظهر خضوعاً مزيفاً لبابا بطرس خاتم الشهداء الذي سامه شماسا فقسا سنة ٣٠٦م، بدأ في إعـــلان تعاليمه الفاسدة في عهد البابا بطرس خاتم الشهداء وتنحصر هذه التعاليم في إنكـــار لاهوت المسيح وأنه غير مساو للأب في الجوهر. وحالما وقف البابا بطـــرس علـــي هرطقته حاول إرجاعه عن تعاليمه الفاسدة هذه ولما لم يقبل أعلن حرمه. وبعد ذلـك قبض علي البابا بطرس وأودع السجن في زمان الاضطهاد الذي أثاره دقلديـــانوس علي الكنيسة - حاول بعض أتباع أريوس مع البابا بطرس وهو في سجنه لكي يعطي حلا لأريوس ولكنه أكد حرمه واستدعي تلميذيه أرشـــيلاوس والكســـندروس - وأنبأهما بأنه سينال إكليل الشهادة كما تنبأ أنهما سيرتقيا السدة المرقسية خلفاً لـــه. وقال لهما ضمن ما قال عن أريوس "أن فيه مكراً مخفياً ولست أنا الذي حرمته بـــل السيد المسيح - لأني في هذه الليلة لما أكملت صلاتي ونمت رأيت شاباً قد دخل علي ووجهه كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به إلي رجليه وهو مشقوق وأمسك بيديه القطعة الممزقة، فصرخت وقلت يا سيدي من الذي شق ثوبك؟ أجابني أريوس هـــو الذي مزق ثوبي فلا تقبله. واليوم يأتيك قوم طالبين إرجاعه فلا تعطـــهم وأوصـــي أرشيلاوس والكسندروس بأن يمنعاه من شركتهما".

وعلي الرغم من هذه النصيحة فإنه عندمـــا تبـــوأ أرشـــيلاوس الكرســـي الإسكندري قبل أريوس بعد الحاح بعض أتباعه، لكن أرشيلاوس لم يجلـــس علـــي

الكرسي البطريركي سوي سنة أشهر وخلفه الكسندروس فجدد حرمه وناهض بدعته. حاول أريوس عن طريق بعض أتباعه أن ينال الحل من قبل البابا الكسندروس لكن هذا الأخير قال لهم "قولوا لأريوس أوصاني أبي إلا أقبلك قبلا تدخل إلي ولا أجتمع بك وذلك حسب أمر السيد المسيح فاعترف للمخلص بخطيئتك فإذا قبلك فهو يأمرني بقبولك".

منذ ذلك الحين بدأ أريوس في نشر ضلالته جهاراً فبينما كان البابا الكسندروس يعظ ذات مرة عن سلطان المسيح في إقامة الموتى مبينا أن ابن الله الكلمة مساو للأب وأن له طبيعة وذاتاً واحدة مع الأب، كان أريوس في مكان آخر من الإسكندرية يعظ علي الآية "أبي أعظم مني" منددا برأي الكسندروس ومنادياً بأن المسيح غير مساو للأب في الجوهر بل هو مخلوق بإرادة الأب ... ولكي يروج أريوس لتعاليمه الفاسدة نظم تعاليمه في مقطوعات شعرية ضمنها كتابه المسمي ثالثاً ولقنها لأتباعه فأذاعوها بين العامة لكي يرددوها بأنغام خاصة لما للتلحين من أثر كبير في نفوس السامعين. كانت النتيجة أن جمع البطريرك الكسندروس مجمعاً سنة ٣١٩م. وأصدر رسائل ومنشورات وأتباعه عقد البابا مجمعا آخر سنة ٣٢١م حضره حوالي مائة أسقف من مصر وليبيا وحكم بتجريد أريوس من رتبته الكهنوتية وكل من تبعه. واتصل البابا الكسندروس بسميه بطريرك القسطنطينية مظهراً له فساد أريوس وضلالته وشارحا له العقيدة الأرثوذكسية.

لما وجد أريوس أنه قد ضيق عليه الخناق في الإسكندرية وكل مصر غادرها إلي فلسطين وآسيا الصغرى حيث بعض أصدقاءه من الأساقفة الذين انخدعوا بضلالته وسمحوا له بنشرها ثم اتصلوا بالبابا الكسندروس راجين قبوله في شركة المؤمنين. لكن البابا رفض طالما هو باق علي ضلالته، اقتنع بعض الأساقفة بينما عقد البعض الأخر مجمعين متتالين في عامي ٣٢٢، ٣٢٣م قرروا فيهما إلغاء الحرم الصادر من

البابا الكسندروس وعاد أريوس إلي الإسكندرية ثانية ينفث سموم تعاليمه ممعنـــاً في عناده وضلاله، فطرده البابا ثانية فعاد من حيث أتي.

اتصل أوسابيوس أسقف نيقوميدية بالإمبراطور قسطنطين راجياً وساطته لحل هذه الخلاف، أنتدب الإمبراطور هوسوس أسقف قرطبة لهذه العملية المهمة فـــأتي إلي الإسكندرية لكنه لم يفلح في مهمته، فعاد إلي الإمبراطور شارحاً له الأمر طالباً عقـــد مجمع لعلاج هذه المشكلة الخطيرة.



جلسات المجمع

انعقد المجمع في مدينة نيقية في شهر مايو سنة ٣٢٥م وخصص لاجتماعاته الساحة الوسطي في القصر الإمبراطوري بالمدينة نظراً لأتساعها، بعد أن أعدت فيها المقاعد الكثيرة ووضع في الوسط كرسي من الذهب ليجلس عليه الإمبراطور قسطنطين الذي رغب في حضور جلسات المجمع "ومدينة نيقية هي العاصمة الثانية لولاية بيثينية وتقع في الشمال الغربي لأسيا الصغرى وقد تهدمت ولم يق منها سوي أطلال وفي موضعها الآن قرية "أسنيك" التركية ... وكانت المدينة علي جانب كبير من الجمال، وقد اختيرت مدينة نيقية لانعقاد المجمع لتوسط موقعها بين أسيا وأوربا بالإضافة إلي جوها الصحي، هذا ولم تختر مدينة نيقوميدية وهي العاصمة الأولي لمقاطعة بيثينية نظراً لما كان معروف عن الميول الأريوسية لأسقفها أوسابيوس.

بدأت وفود الأساقفة تصل إلي نيقية قبيل الموعد المحدد لانعقاد المجمع، وكان في مقدمة الحاضرين وفد كنيسة الإسكندرية وكان يتألف من البابا الكسندروس وشماسه أثاسيوس مع عدد من الأساقفة من بينهم الأنبا بفتوتيوس أسقف طيبة والأنبا بوتامون أسقف هرقلية بأعالي النيل اللذين قلعت عيناهما بالسيف وكويت حواجبهما بالحديد المحمي بالنار في زمان الاضطهاد.

وبلغ عدد الأباء الذين حضروا المجمع ٣١٨ أسقفا منهم ٣١٠ من الشرق وثمانية أساقفة من الغرب ولعل ذلك راجع إلي ضعف المسيحية في الغرب آنذاك، وإذ لم يتمكن سلفستروس أسقف روما من الحضور لكبر سنه أناب عنه القسين وتين ويكندس، ولا شك أن الحاضرين في المجمع كانوا خليطاً من الأساقفة اللاهوتيين الجهابذة ومنهم البسطاء من أمثال القديس أسبريدون أسقف قبرص والقديس نيقولاوس أحد الأباء اليونان وكلاهما أظهر الرب قداسته وكرامته.

ويثبت التاريخ أن وفد كنيسة الإسكندرية كان له الصدارة والمكانة الأولي في المجمع قال المؤرخ الإنجليزي ستانلي في كتابه "محاضرات عن الكنائس الشرقية" لك يكن الكسندروس هذا أسقف أول كراسي العالم المسيحي من حيث سمو المنزلة والأهمية فحسب بل وأعلي هذه الكراسي كعباً من الوجهة العلمية، وكان هو المنفرد بلقب "بابا" لا يعرف به رسميا في المجمع سواه. لأن كلمة "بابا رومية" كانت وقتئذ ما لم يتمخض به التاريخ، وأما بابا الإسكندرية فكان علماً علي رأسه نار ولقب وإعزاز وحب ومهابة واجلال عرف بع رأس كنيسة الإسكندرية فكان هو الذي يخاطب به بصفة خاصة" وثمة اجتماعات تمهيدية كانت تعقد في الشوارع والمنازل كانت تدور خلالها مباحثات ومناقشات حول القضية الرئيسية التي سينعقد المجمع لأجلها ألا وهي بدعة أريوس، كما حضر إلي نيقية في الأيام القليلة السابقة لانعقاد المجمع الكبير الكثير من الفلاسفة والوثنيين والمسيحيين وقيل أن بعضهم شارك في المباحثات التهميدية التي أشرنا إليها.

وبعد أن أخذ الأساقفة أماكنهم في المجمع حضر الإمبراطور قسطنطين وجلس عن يمينه البابا الكسندروس وأثناسيوس رئيس الشمامسة وأوسابيوس أسقف قرطبة الذي أسند إليه رئاسة المجمع لكبر سنه، وأريوس وأكبر أعوانه، كما أصطف الجمهور علي جانبي القاعة.

افتتح المجمع في عشرين مايو وانتهي في ٢٥ أغسطس من سنة ٣٢٥م وكانت الجلسة الأولي افتتاحية القي فيها سكرتير المجمع خطاب الافتتاح ورد عليه الإمبراطور قسطنطين بخطاب آخر، ولما بدأ المجمع يزاول أعماله والنظر في بدعة أريوس حدث جدل ونقاش كثير مما دعا إلي رفع الجلسة وانفضاضها دون الوصول إلي نتيجة ما.

وفي اليوم التالي انعقد المجمع وقدم أريوس صورة معتقدة الفاسد وفيه **"أن الابن ليس مساويا للأب في الأزلية وليس من جوهره وأن الأب كان في الأصل وحيد وأخرج الابن من العدم بإرادته وأن الابن إله لحصوله علي لاهوته مكتسب"**.

انبري رئيس الشمامسة أثناسيوس وأفحم أريوس بردوده القوية وحججه الدامغة مظهراً ضلاله وفساد رأيه مما أثار إعجاب جميع الأساقفة الذين فرحوا لفصاحته وهو لم يبلغ بعد الثلاثين من عمره حتى أن الإمبراطور قسطنطين نفسه أخذته الدهشة ونظر إليه وقال **"أنت بطل كنيسة الله"** وعندما ابتدأ الأباء في تحديد المعتقد السليم كان الأريوسيون يوافقون علي ظاهر أقوالهم ثم يؤولونها بما هو لصالح معتقدهم، وأخيراً تدخل أثناسيوس واقترح أن تضاف إلي العقيدة عبارة Homo – Ousious ومعناها **"مشابه في الجوهر"** وبعد نقاش كبير أخذ رأي المجمع فوافق علي اقتراح أثناسيوس وتعبيره، وتوالت جلسات المجمع إلي أن تم وضع قانون الإيمان من أول **"نؤمن بإله واحد"** حتى **"نؤمن بالروح القدس"** وقد وقع علي قانون الإيمان هذا أكثر من ٣٠٠ أسقف، ولما امتنع أريوس وأنصاره عن التوقيع حرمهم المجمع وقرر نفي أريوس وحرق كتبه.

القضايا الأخرى التي نظرها المجمع:

بعد الانتهاء من الحكم في قضية أريوس نظر المجمع في بعض القضايا الأخرى وأصدر رأيه فيها. وأما هذه القضايا فكانت:

(١) موعد عيد القيامة:

وقد قرر المجمع أن يعيد جميع المسيحيين في موعد واحد هو يوم الأحد الذي يلي الفصح لليهود. وقرر أن بابا الإسكندرية هو الذي يقوم بإبلاغ أساقفة العالم عن موعد عيد القيامة.

(٢) بخصوص الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط:

فقد قرر المجمع حفظ حقوق بابا الإسكندرية الواجبة في رئاسته على الأساقفة الذين في إقليم مصر.

(٣) مشكلة معمودية الهراطقة:

أيد المجمع رأي الكنائس الشرقية في أنه لا تعاد معمودية من هرطق عند رجوعه وأوجب إعادة معمودية من يعمدهم الهراطقة.

(٤) زواج الكهنة:

قرر المجمع السماح لمن يريد من الكهنة أن يتزوج مع الاحتفاظ ببتولية الأساقفة وعدم زواج الكهنة المترملين.

قوانين المجمع

سن الأباء المجتمعون بالمجمع عشرين قانونا لساسة الكنيسة عامة وافق عليها بالإجماع الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع كما قبلتها كقوانين صحيحة جميع الكنائس شرقا وغربا، لكن الكنيسة الرومانية طلعت علي الكنيسة الجامعة بعد المجمع النيقاوي بما يقرب من مائة عام وادعت أن هذه القوانين عددها ٨٤ قانونا. أما بواعث هذه الادعاء فهي محاولة إثبات رئاسة أسقف روما علي العالم المسيحي كخليفة للسيد المسيح علي الأرض، وضموا ذلك القانونين المزورين ٣٣، ٤٤ من القوانين المنسوبة لنيقية.

وأول ما ظهر هذا التزوير كان عند اجتماع مجمع قرطاجنة سنة ٤١٨م الذي طلب القديس اغسطينوس انعقاده للنظر في بدعة البلاجيين، وقد أرسل أسقف روما لحضور هذا المجمع نائباً عنه، وفي أولي جلسات المجمع طلب نائب أسقف روما

قراءة رسالة أسقفه فوجد الحاضرون وكان عددهم ٢١٧ من الأباء أن هذه الرسالة تشير إلي قوانين منسوبة إلي مجمع نيقية دون أن يكون لها أي أساس في القوانين الثابتة بجميع الكنائس.

وإزاء هذه البلبلة قرر أعضاء المجمع إرسال مندوبين إلي الإسكندرية وإنطاكية والقسطنطينية للاطلاع علي قوانين نيقية الأصلية. وكانت النتيجة ذلك أن أثبت المجمع أم جميع النسخ لقوانين مجمع نيقية الموجودة بقرطاجنة خالية تماما من هذه القوانين المزعومة، ونصح المجتمعون أسقف روما أن يوفد من قبله من يتحقق من ذلك من النسخ الأصلية الموجودة بالكراسي الرسولية الشرقية.

وقد أثبت كيرلس مقار في كتابه **"الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة"** أن هذه القوانين المزورة المنسوبة إلي نيقية إنما هي قوانين مجمع مكاني عقد في سرديكا سنة ٣٤٧ ولا صلة له بمجمع نيقية.

وثابت تاريخياً ومنطقياً من مراجعة هذه القوانين أنها تشير إلي أشياء وإلي أحداث لم تظهر ألا بعد مجمع نيقية مما يثبت تزويرها، ومن أمثلة ذلك القانون المزور رقم ٤٢ الذي يقول " والحبش فلا يبطرك عليهم بطريرك من علمائهم ولا باختيار من أنفسهم لأن بطركهم إنما يكون من تحت يد صاحب كرسي الإسكندرية وهو الذي ينبغي أن يصلح عليهم جاثليقياً الذي هو من دون البطريرك ومن قبله ... الخ".

هذا القانون ينظم العلاقة بين الكنيسة الحبشية وكنيسة الإسكندرية وبديهي أنه مزور ولا يمكن أن يكون صادراً عن المجمع المسكوني الأول لأنه ثابت تاريخياً أن الحبشة لم تخضع لكرسي الإسكندرية إلا بعد أن أرسل البابا أثناسيوس فرومنتيوس إليها وسامه أسقفا باسم "الأنبا سلامة" سنة ٣٣٠م. أي بعد الانتهاء من مجمع نيقية

بخمس سنوات علي الأقل أضف إلي هذا أن لقب بطريـــرك لم يســـتعمل ضمـــن الاصطلاحات الكنسية إلا في القرن الخامس وعلي وجـــه التحديـــد بعـــد مجمـــع خلقيدونية، وحتى المجمع النيقاوي كان اللفـــظ المســـتعمل أســـقف وأســـقفية أو أسقفيات.

هذا مثل واحد علي تزوير هذه القوانين،

(١٥) مجمع القسطنطينية المسكوني
سنة ٣٨١م

انعقد هذا المجمع – وهو ثاني المجامع المسكونية في مدينة القسطنطينية في سنة ٣٨١م بدعوة من الإمبراطور ثيئوديسوس للنظر في بعض البدع التي ظهرت عقب مجمع نيقية وفي مقدمتها البدعة التي طلع بها مكدونيوس أسقف القسطنطينية ... وأهم هذه البدع كانت:

(١) بدعة أبوليناريوس أسقف اللاذقية بالشام:

الذي عرف بشدة المقاومة للأريوسين ودفاعه عن لاهوت المسيح غير أنه سقط في بدعة غريبة إذ علم بأن لاهوت المسيح قد قام مقام الروح الجسدية وتحمل الآلام والصلب والموت مع الناسوت كما اعتقد بعدم مساواة الأقانيم لبعضها فقال أن الروح القدس عظيم والابن أعظم والأب أعظم منهما.

(٢) بدعة أوسابيوس:

الذي علم بأن الثالوث القدوس أقنوم واحد ظهر في العهد القديم كاب وصار إنسانا في العهد الجديد بصفة ابن وحل علي الرسل في علية صهيون بصفة الروح القدس.

(٣) بدعة مكدونيوس الذي عرف باسم "عدو الروح القدس":

كان مكدونيوس من أتباع أريوس وبواسطة نفوذ الأريوسيين لدي الملك قسطنطين الأريوسي أقيم أسقفا علي القسطنطينية سنة ٣٤٣م ولكنه طرد من كرسيه سنة ٣٦٠ لنقله جثة والدة قسطنطين الكبير من مدفن إلي مدفن آخر دون علمه. كان مكدونيوس يعلم تعاليم الأريوسية لما كان أسقفا ولكنه بعد أن أبعد عن أسقفيته

بدأ ينادي ببدعة غريبة مؤداها " أن الروح القدس عمل إلهي منشر في الكون وليس أقنوما متميزاً عن الأب والابن بل هو مخلوق يشبه الملاءكة. لكن ذو رتبة أسمي".

مشاهير الحاضرين بالمجمع:

حضر هذا المجمع ١٥٠ أسقفاً. ورأسه الشيخ الوقور أنبا ملاتيوس أسقف كرسي إنطاكية الذي ناضل ضد الأريوسية ونفي بسبب ذلك مرتين وقد انتقل قبل أن ينتهي المجمع من عقد جلساته ووضع قراراته. ومن أبرز الحاضرين الأنبا تيموثاوس بابا الإسكندرية والقديس غريغوريوس الثيولوغوس والقديس غريغوريوس أسقف نيصص شقيق باسيليوس الكبير.

ويمكن القول بأن مجمع القسطنطينية كان مجمعا شرقيا خالصاً إذ لم يحضره أحد أساقفة الغرب وحتى دماسوس أسقف روما لم يحضر ولم يرسل نواباً عنه غير أنه قبل كل قرارات هذا المجمع. وقيل أن دماسوس أرسل إلى أباء المجمع المسكوني يدعوهم للذهاب إلي روما لكي ينضموا إلي مجمع كبير غربي مزمع أن ينعقد هناك لكن الأباء المائة والخمسين رفضوا.

أما عن الملك ثيودوسيوس الأول أن الكبير فيلقب باسم "الملك الأرثوذكسي" وهو الذي أصدر منشوراً سنة ٣٨١ يجعل الديانة المسيحية ديانة رسمية للدولة. وأمر بهدم المعابد الوثنية. وعلي الرغم مما عرف عنه من قسوة في بعض الأحيان لكنه مع ذلك كان طيب القلب حسن العبادة. حدث لما ثار شعب تسالونيكي وقتلوا حاكمهم أن أصدر ثيودوسيوس أمره بقتلهم جميعا بدون تحقيق، فقتل في وقت واحد سبعة آلاف نسمة. عندئذ أبان له القديس أمبروسيوس الأسقف خطئه وحرمه من دخول الكنيسة حتى يتوب. وقال له "كيف تقف أمام الله بذنب كالجميع؟ أتستطيع أن تطأ المكان المقدس ويداك ملطختان بدم الأبرياء؟ وهكذا ظل ثمانية أشهر لا يدخل الكنيسة ولما أراد الذهاب إلي الكنيسة ذهب إلي مكان قريب

منها وأرسل ليستأذن في الدخول فقال له "إن خطيئتك الجهارية تقتضي توبة جهارية" وطلب منه أن يصدر أمرا بوقف حكم القتل مدة شهر حتى يظهر البريء من الذنب، فوافق ودخل الكنيسة وسجد أمام هيكل الله باكيا ونادماً ومرددا كلمات داود في المزمور "لصقت بالتراب نفسي فأحيني ككلمتك" • ولقد كان هذا مظهراً تأثر منه كل شعبه •

النظر في بدعة مكدونيوس:

بدا المجمع أولي جلساته في شهر مايو سنة ٣٨١ برئاسة القديس ملاتيوس غير أن هذا الأب مرض قبل انتهاء المجمع من أعماله ورقد في الرب فرشح العض غريغوريوس الثيؤلوغوس الذي كان أسقفا علي القسطنطينية آنذاك – ليخلفه في رئاسة المجمع – غير أن الأنبا تيموثاؤس بابا الإسكندرية وأساقفة مصر عارضوا هذا الترشيح • فلما رأي غريغوريوس أن موضوع رئاسة المجمع سيحدث انقساما تنازل لصديقه مكاريوس الذي حاز رضا الجميع • وبعد أن تليت مراسم انعقاد المجمع ودعي مكدونيوس ليعرض اعتقاده فبدأ يقول أن الروح القدس مخلوق مستنداً إلي الآية "كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو ١ : ٣) • فأجاب أباء المجمع قائلين "أنه لا يوجد لدينا إلا روح واحد هو روح الله، ومن المعلوم أن روح الله ليس شيئا غير حياته • وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فيصبح حسب زعمك غير حي فهذا الكفر الفظيع والخطأ الشنيع" •

ثم حاول أباء المجمع إقناعه بخطأ معتقده طالبين منه الإقلاع عنه والعودة إلي الإيمان المستقيم، لكنه رفض وأصر علي رايه •

وإزاء إصرار مكدونيوس علي التمسك برأيه قضي المجمع الكبير بحرمه وفرزه كما حكم الإمبراطور بنفيه وقرر الأباء أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس وأنه مساوياً للأب والابن وأكملوا قانون لإيمان مجمع نيقية، من

عبارة نحن نؤمن بالروح القدس ... حتى نهايته ... كما استدعي المجمع كل من أبوليناريوس وأوسابيوس وناقشنيا في آرائهما الفاسدة وإذ أصرا عليها حكم الآباء بحرمهما وقطعهما من شركة الكنيسة والمؤمنين.

ووضع المجمع ستة قوانين لسياسة الكنيسة. الأول منها يعلن التمسك بدستور إيمان مجمع نيقية ورفض كل التعاليم الغريبة عنه. والثاني خاص بتحديد مناطق نفوذ الكراسي الرسولية والأسقفيات. والثالث يثبت تقدم كرسي القسطنطينية باعتبارها مدينة الملك.

والقانون الرابع خاص برذل المدعو مكسيموس السينيكي الذي سعي للجلوس علي كرسي القسطنطينية بغير وجه حق. والسادس يعالج موضوع النظر في الدعاوي المقدمة ضد الأساقفة. أما القانون الخامس والسابع فينظمان ما ينبغي اتخاذه عند رجوع الهراطقة أو أتباعهم إلي الإيمان الأرثوذكسي.

(١٦) مجمع أفسس المسكوني
سنة ٤٣١م

عقد هذا المجمع وهو ثالث وآخر – المجامع المسكونية المعترف بها في كنائس العالم شرقاً وغرباً في شهر يونيو سنة ٤٣١م بأمر الإمبراطور ثيؤودوسيوس الصغير وحضره مائتان أسقف وذلك للنظر في بعض البدع التي ظهرت وفي مقدمتها بدعة بلاجيوس وبدعة نسطور وهذه الأخيرة كانت هي السبب المباشر في عقد المجمع.

ولد بلاجيوس بريطانيا سنة ٤٠٥ ورسم راهباً فقساً، وتتلخص بدعته في أن خطيئة أدم قاصرة عليه دون نسله وأن كل إنسان منذ حال ولادته يكون كآدم قبل سقوطه، كما نادي بأن الإنسان بما فيه من إمكانيات وقدرات طبيعية قادر علي الوصول إلي أسمي درجات القداسة دون الحاجة إلي معونة النعمة الإلهية.

أما نسطور فقد ولد في مدينة مرعض وترهب في دير قرب إنطاكية أظهر نبوغاً وحرارة في الدفاع عن الإيمان القويم ضد المبتدعين فاختير ليكون أسقفا علي كرسي القسطنطينية ولكن ما أن صار أسقفا حتى سقط في بدعة شنيعة أقلقت الكنيسة زمنا ومازالت أذيالها حية حتى الأن.

نادي نسطور بأن المسيح أقنومين وشخصين وطبيعيتين ولا ينبغي – تبعا لذلك تسمية العذراء "والدة الإله" كما عاب علي المجوس سجودهم للطفل يسوع واستقطع المقطع الأخير من كل من الثلاثة تقديسات التي ترتلها الكنيسة في صلواتها وبحكم منصبه أخذ ينشر تعاليمه الفاسدة في كل مكان مؤثراً علي الكهنة والأساقفة أيضا ... رفض مؤمنوا القسطنطينية تعاليم نسطور الغريبة وبدءوا يثورون ضده، لكنه أمعن في عناده. حضر بعض الرهبان ومثلوا أمامه وأبانوا له خطأ تعاليمه وانحرافه عن الأيمان القويم فثار عليهم وأمر بحبسهم في الكنيسة كما أمر خدامه

بضربهم وإهانتهم. وحالما سمع القديس كيرلس الكبير البابا الإسكندري بهذه البدعة كتب يفندها ويثبت التعليم الصحيح. وأرسل رسائل كثيرة لنسطور لكنه علي الرغم من كل هذا لم يتنازل عن آرائه.

ببين البابا كيرلس الكبير ونسطور:

بدا البابا كيرلس الكبير المعروف باسم عمود الدين كفاحه ضد النسطورية برسالته الرعوية التي أصدرها علي عيد القيامة لسنة ٤٢٨م، إذ فند فيها هذه البدعة، وكانت هذه الرسالة ترسل من الكرسي المرقسي إلي جميع الكنائس في كل مكان، كما جاهر بخطأ عقيدة نسطور في عظته التي ألقاها ليلة العيد وقال: "إن مريم لم تلد إنساناً عادياً بل أبن الله المتجسد لذلك فهي بحق أم الرب" "أم الله" وفي الحقيقة أن البابا كيرلس بعث بعدة رسائل إلي نسطور منها ما أرسله بيد بعض الأخوة ليسلموها إليه يدا بيد، ولكن الصلف تملك علي نسطور حتى أنه رفض مقابلة من حملوا الرسالة إليه.

عقد البابا كيرلس مجمعا مكانيا بالإسكندرية عرض عليه هرطقة نسطور وفيه تليت رسائل البابا كيرلس لنسطور وللأساقفة الآخرين فوافق عليها المجمع وأثبت خطأ تعليم نسطور، كما عقد كلسينيوس أسقف روما مجمعا من أساقفته أثبت فيه وأقر الرسالة التي بعث بها البابا كيرلس إلي كلسينيوس ردا علي رسالة هذا الأخير إليه بخصوص نسطور، ثم وضع البابا كيرلس اثني عشر بندا فصل فيها العقيدة المسيحية وحتم فيها بحرم من لا يؤمن بها "ولذلك فهي معروفة باسم حرومات القديس كيرلس": The Anathemas Of St. Cyril وبعث بها إلي نسطور طالبا إليه التوقيع عليها غير أنه أبي وقابل ذلك بكتابة بنود ضدها تؤيد بدعته وساعده في ذلك بعض أساقفة إنطاكية من معتنقي بدعته، وهكذا انقسمت الكنيسة إلي قسمين – كنائس روما وأورشليم وآسيا الصغرى وقفت بجانب القديس كيرلس الإسكندري، أما كنيسة إنطاكية فانحازت إلي نسطور.

انعقاد المجمع:

لما لمس البابا الإسكندري كيرلس عناد نسطور وأنه لا فائدة ترجي منه أرسل إلي الإمبراطور ثيؤودوسيوس الصغير يقول له "إن آبائك كانوا غيورين علي الكنيسة مؤيدين لها مدافعين عن عقائدها . وقد عاونوا رجالها في تثبيت الإيمان الأرثوذكسي الصحيح فنالوا منهم البركة" .

وهنا أنه في عهدكم الزاهر قد ظهر نسطور هذا الذي يريد أن يشتت البيعة بضلاله ... لهذا نسأل جلالتكم أن تأمروا بعقد مجمع عام للنظر في موضوع هذا الرجل فنعدو لك ونبارك ملكك" .

وهكذا أرسل الإمبراطور رسائل دعوة إلي جميع الأساقفة ليحضروا إلي أفسس في الموعد الذي حدده .

وبدأت الوفود في الوصول إلي مدينة أفسس، وجاء القديس كيرلس الكبير يصحبه خمسون أسقفا مصريا كما أحضر معه القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين والأنبا بطرس السوهاجي رئيس دير فاو الراهبين ... وحضرت باقي الوفود، جاء بوبينااليوس أسقف أورشليم وتأخر عن الموعد المحدد بوحنا أسقف إنطاكية وأساقفته وكذا نواب أسقف روما، وهكذا اضطر الآباء إلي تأخير عقد المجمع عن الموعد المحدد انتظارا لبقية الأعضاء، وبعد مضي نحو ستة عشر يوما أرسل الأساقفة المتأخرون اعتذارا عن تأخيرهم وذكرنا أنهم سيحضرون قريبا كما أنفذ يوحنا أسقف إنطاكية أسقفين حملا موافقته علي عقد المجتمع قبل حضوره .

حدث هذا في الوقت الذي تسلم البابا كيرلس أمرا ملكيا بوجوب عقد المجمع فورا بدون إبطاء ... حينئذ فقد أتفق رأي الآباء علي عقد المجمع في اليوم التالي، أما نسطور فقد حضر معه أربعون أسقفا من أتباعه .

حاول الأساقفة، قبيل انعقاد المجمع، التفاهم مع نسطور وثنيه عن معتقدة الوخيم دون جدوي، لم يحضر الإمبراطور المجمع رغبة منه في توفير الحرية التامة للأساقفة في مناقشتهم فأناب عنه الكونت كنديديان وكان هذا نسطوريا ورغب في إدخال الرعب إلي نفوس الأساقفة يومي الإيمان فقبض علي البابا كيرلس ومن معه من الأساقفة وسجنهم في أحد مخازن الحبوب بالمدينة، لكنه لما رأي ثباتهم - عاد وأطلق سراحهم خشية افتضاح أمره للإمبراطور .

جلسات المجمع:

كان مكان انعقاد المجمع هو الكنيسة الكبرى بأفسس وكان عدد الحاضرون مائتي أسقفا اختير البابا الإسكندري كيرلس ليرأس المجمع، أر سل الآباء إلي نسطور ثلاث مرات ليمثل أمام المجمع فرفض الحضور محتجا بأنه لا يري لزوما لحضوره. وأخيرا قال أنه لا يمكنه الحضور قبل وصول يوحنا الإنطاكي وأساقفته. ولم يأخذ المجمع بهذه الادعاءات لعلمه بسوء نية نسطور ولإضراره لعدم تأخير انعقاد المجمع.

افتتحت الجلسة الأولي بتلاوة رسالة الإمبراطور ثم تليت رسائل القديس كيرلس التي بعث بها إلي نسطور كما قرأت بنوده الإثني عشر وردود نسطور عليها ثم قرار مجمعي الإسكندرية وروما المكانيين اللذين عقدا ضد نسطور فوافق المجمع عليهما جميعا .

ثم بدأ المجمع مناقشة تعاليم نسطور وآرائه وفي هذه الجلسة الأولي التي استمر حتى المساء أصدر المجمع حكمه ضد نسطور جاء فيه "لهذا رأينا بناء علي القوانين المقدسة أن نبرز ضده هذا الحكم بكل حزن ودموع سائلين المولي بواسطة هذا المجمع المقدس أن يعصمه درجة الأسقفية وليكن مفرزا من أية شركة كهنوتية" .

وأرسلوا كتابا لنسطور جاء فيه: "أعلم أنه لأجل تعاليمك النفاقية وعصيانك علي القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة وحكم عليك بأنك عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة وغريب من كل خدمة كنسية". ثم قرر المجمع بحسب التعليم الرسولي أن سر التجسد المجيد قائم في اتحاد اللاهوت والناسوت في أقنوم الكلمة الأولي بدون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير، وأن السيدة العذراء هي والدة الإله. ثم وضع الآباء مقدمة قانون الإيمان التي مطلعها "نعظمك يا أم النور الحقيقي ...": كما حكم المجمع أيضا بحرم بلاجيوس وتعاليمه الفاسدة.

لم يقبل نسطور حكم المجمع بحرمه بل ذهب إلي القسطنطينية يحمل معه تقارير خاطئة دونها كنديديان نائب الملك الموالي لنسطور وملأها بالطعن في رئيس المجمع وأعضائه وبعد خمسة أيام وصل يوحنا أسقف إنطاكية ومعه ٣٢ أسقفا، وكان مجمعا من أساقفته قرر فيها عزل كيرلس الإسكندري وممنون أسقف أفسس ورفض قبول أساقفة المجمع الأفسسي في شركته ما لم يعدلوا عن قراره إلي الإمبراطور طالبا التصريح بإعادة انعقاد المجمع من جديد.

لم تمض أيام حتى وصل نواب أسقف روما حينئذ عقد البابا كيرلس الجلسة الثانية بحضورهم، وبعد أن تليت أعمال الجلسة الأولي قرأت رسالة أسقف روما، ثم تكلم مندوبوا روما مؤيدين القديس كيرلس.

وفي اليوم التالي عقد المجمع جلسته الثالثة وفيها وقع نواب روما علي حكم المجمع وقراراته، ثم عقدت الجلسة الرابعة والخامسة وبحثوا ما أقدم عليه يوحنا أسقف إنطاكية فقرروا تبرئة القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس كما حرموا يوحنا أسقف إنطاكية.

إبلاغ الإمبراطور قرارات المجمع:-

ضرب كنديديان منذوب الإمبراطور المتوالي لنسطور حصارا شديدا علي المجمع ومدينة أفسس وحتى لا يتصلوا بالإمبراطور. فكر الآباء في طريقة يوصلون بها قراراتهم إلي الإمبراطور فأحضروا شخصا أرتدي ملابس شحاذ وأمسك في يده عكازا مفرغا من الداخل وضعت بداخله قرارات المجمع. واستطاع بهذه الحيلة أن يفلت من الحصار الشديد الذي ضربه كنديديان علي المدينة كلها، وأن يصل إلي دلمانيوس العابد الذي كان الإمبراطور يجله كثيرا لقداسته وتقواه، أسرع دلمانيوس - عندما وصلته القرارات - في مقابلة الإمبراطور حيث أطلعه علي أعمال المجمع وأحكامه فوافق عليها واعتمدها.

لكن نسطور وأتباعه لم يكفوا عن محاولاتهم خداع الإمبراطور ليعدل عن اعتماده لقرارات المجمع وأخيرا انتدب المجمع ثمانية من أساقفته كما انتدب يوحنا الإنطاكي ثمانية منهم. وتقابل الوفدان مع الإمبراطور في مدينة خلقيدونية وبعد مباحثات طويلة اقتنع الإمبراطور بصحة أحكام المجمع فثبته وأمر بنفي نسطور بعيدا عن القسطنطينية.

القوانين التي وضعها المجمع:

وضع المجمع المسكوني الثالث في جلساته الختامية قوانين لسياسة الكنيسة، قرر في السنة الأولي منها توقيع الحرم علي كل من ينحرف عن الإيمان القويم ويشارك نسطور في معتقده الفاسد. كما وافق علي قبول كل من يرذل هذه التعاليم النفاقية وأعلن أن ما يجريه الأساقفة المنحرف الإيمان من سامات تعتبر باطلة.

وفي القانون السابع تحذير وحرم لكل من تسول له نفسه أن يعبث بقانون الإيمان الذي وضعه الآباء بزيادة أو نقص. أما القانون الثامن فقد حدد سلطة كل من الأساقفة، كما حرم علي الأسقف أن يعتدي علي حقوق غيره.

بين البابا كيرلس ويوحنا أسقف إنطاكية:

استمر الشقاق بين البابا كيرلس الكبير ويوحنا الإنطاكي فترة من الزمن بعد انتهاء مجمع أفسس غير أن الإمبراطور تدخل وطلب إليهما أن يتحدا ويزيلا ما بينهما من فرقة، فأخذا يتبادلان الرسائل حتى وافق يوحنا علي رسالة للقديس كيرلس بعثها إليه علي يد شماسين ووقع عليها بعد تغيير فقرات ألتبس عليه فهمها، كما أرسل يوحنا رسالة إلي البابا كيرلس حملها إليه بولس مطران حمص الذي ألقي خطابا بليغا في الإسكندرية أبان فيه محاسن الاتحاد، وهكذا تم الصلح بينهما سنة ٤٣٣م.

ذيول النسطورية:

لم تمت النسطورية بحرم نسطور ولا بموته وإن كانت قد ضعفت كثيرا. لذلك لأن معلم الرها بالعراق ومن تتلمذ فيها تمسكوا بتعاليم نسطور ونشطوا في نشرها، ولما طردهم أسقف المدينة هربوا إلي مدينة نصيبن بالشام. ومعه بعض الكهنة، وهنا شيدوا مقرا لهم وأقاموا رئيسا عليهم دعوه "جاثليق" وعملوا علي نشر بدعتهم في بلاد فارس وكاشور والهند وغيرها، وما زال بعض النساطرة حتى الآن في بعض هذه الأقاليم خاصة في شمال العراق.



(٧١) مجمع أفسس الثاني
سنة ٤٤٩

لم تنته بدعة نسطور بالأحكام والقرارات التي أصدرها مجمع أفسس الأول بل ظلت آراؤه عاملا علي بلبلة أفكار كثيرين. وكانت آراؤه الفاسدة ومعتقده الوخيم سببا للانشقاق الكبير الذي شطر كنيسة المسيح في مجمع خلقيدونية.

أنبري آباء الكنيسة القويمي المعتقد يدافعون عن الإيمان القويم ضد هرطقة نسطور. ومن بين هؤلاء المدافعين المتحمسين رئيس دير في ضواحي القسطنطينية يدعي أوطاخي "أو أوطاخيا" كان معروفا بعلمه وفضله ونسكه، ولكن أوطاخي تطرف في التعبير عن التعبير عن عقيدته فسقط في بدعة شنيعة مؤداها أن طبيعة المسيح الناسوتية تلاشت في طبيعته الإلهية فصار المسيح طبيعة واحدة ممتزجة.

وكان لأوطاخي صديق حميم يدعي أوسابيوس أسقف دوربلاوس، هذا ذهب إليه وحاول أني رجعه عن بدعة الطبيعة الواحدة الممتزجة لكنه هو الآخر وقع في خطأ آخر حينما قال بفصل طبيعتي المسيح بعد الاتحاد.

وإزاء إصرار الأرشمندريت أوطاخي علي آرائه عقد فلابيانوس أسقف القسطنطينية مجمعا مكانيا برئاسته بالقسطنطينية في عهد الإمبراطور ثيؤودوسيوس الصغير حضره ٢٩ أسقفا و ٣٣ أرشمندريت. وكان ذلك في شهر نوفمبر ٤٤٨م، أرسل المجمع إلي أوطاخي ليمثل أمامه، لكنه رفض، وتكررت هذه الدعوة وأخيرا حضر أوطاخي ومعه بعض رهبانه يتقدمهم كبير الحرس الملكي فلورنسيوس وبيده رسالة من الإمبراطور للمجمع.

وقعد مناقشة أوطاخي في آرائه حكم المجمع بحرمه وعزله عن رئاسة ديـــره، لكن المجمع أقر القول بطبيعتين ومشيئتين بعد الاتحاد، وأعضاء المجمع في تطرفهم ضد بدعة أوطاخي – وقعوا في هذه البدعة الوخيمة مجددين بدعة نسطور واضعين بـــذار هذا التعليم الخاطئ الذي نضج واكتمل في مجمع خلقيدونية.

لكن أ وطاخي لم يسكت بل لجأ إلي الإمبراطور وقد مظلمته إليه مدعيا أنه لم يفعل شيئا سوي الدفاع عن الإيمان القويم، فأمر الإمبراطور بتشكيل هيئة أخري مـن الأساقفة لفحص أعمال المجمع السابق وبحث مظلمة أوطاخي، فاجتمع الأساقفة في ٨ أبريل ٤٤٩ بالقسطنطينية برئاسة فلابيانوس أيضا. وعلي الرغم من ان معظم أعضاء هذه الهيئة هم بعينهم أعضاء المجمع المكاني السابق المطون فيـــه، إلا أنهـــم بـــدءوا يتراجعون وأظهروا صورة جديدة للإيمان، لكنها جاءت بعيدة عن الصواب وفي هذه الأثناء رفع أوطاخي مظلمته ثانية إلي الإمبراطور كما بعث برسائل إلي لون أســـقف روما الذي أظهر عطفا عليه، كان كل ذلك سببا في إقتناع الإمبراطور بضرورة عقـد مجمع عام في مدينة أفسس للنظر في هذه المشكلة الجديدة التي تعرضت لها الكنيسة.

انعقاد المجمع

وجه الإمبراطور ثيؤودوسيوس الصغير الدعوة لجميع الأسقافة لحضور المجمع ومن هؤلاء البابا الإسكندري ديسقورس الذي طلب إليه أن يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة لتثبيت الإيمان القويم كما أنفذ إليه مرسوما ملكيا يخوله حق رئاســـة المجمع. أما لاون أسقف روما فأرسل نيابة عنه أسقفا وقسا وشماسا كما حضر المجمع نائبا عن الإمبراطور.

عقدت الجلسة الأولي للمجمع في الثامن من أغسطس سنة ٤٤٩ بالكنيسة الكـــبرى بأفسس وبعد قراءة المراسيم الإمبراطورية لانعقاد المجمع بدءوا يبحثـــون في أمـــر

أوطاخي الذي استدعي فمثل أمام المجمع. ولما طلب آباء المجمع منه أن يوضح عقيدته قدمها مكتوبة كما قالها شفويا. لم يجد الآباء أنه حاد عن الأيام السليم وبعد أن استمع الآباء لبعض رسائل القديس كيرلس في شرح سر التجسد الإلهي بدءوا يراجعون أعمال مجمع فلابيانوس المكاني، ولما أخذ رأي الآباء المجتمعين في إيمان أوطاخي قرر المجمع أن إيمانه سليم وليس هناك ما يوجب عزله أو حرمه كما قرروا نفس القرار بالنسبة لرهبان ديره وقد كان حكم عليهم في مجمع فلابيانوس المكاني.

وخلص المجمع إلي القرار الآتي بخصوص الإيمان: "للمرة الثانية نجدد القول بطبيعة واحدة بعد الاتحاد للكلمة المتجسد بدون اختلاط أو امتزاج أو استحالة". ولما سئل فلابيانوس عن رأيه في قرار المجمع أعلن أنه متمسك بعقيدته التي أعلنها في مجمعه المكاني وأصر علي القول بطبيعتين في السيد المسيح بعد الاتحاد. فبدأ الأساقفة يناقشونه فأصر علي رأيه فقرر المجمع حرمه ومعه ستة أساقفة، وبعد أن انتهي المجمع من أعماله وأصدر قراراته ووقع عليها الجميع بقبولها رفعت إلي الإمبراطور فوافق عليها واعتمدها فأصدر أمرا بنفي فلابيانوس وانفض المجمع وعاد الأساقفة إلي كراسيهم.

مجمع خلقيدونية
سنة ٤٥١م

بعد انفضاض مجمع أفسس الثاني عاد مندوبوا لاون وحملوا إليه قرارات المجمع وضمنها قرار حرم وعزل فلابيانوس أسقف القسطنطينية الذي كان يشاركه رأيه بخصوص طبيعتي السيد المسيح من بعد الإتحاد. ولا شك أن هذه القرارات أغضبت لاون فضلا عن أن بعض الأساقفة المقطوعين قصدوه واحتجوا أمامه ضد قرارات مجمع أفسس الثاني فوعدهم علي مساعدتهم وإرجاعهم إلي كراسيهم.

حاول لاون ما أمكنه أن يعقد مجمعا عاما في مقر كرسيه تستأنف فيه الأحكام التي أصدرها مجمع أفسس الثاني. كتب إلي الإمبراطور ثيئودوسيوس وحرك فالنتينوس إمبراطور الغرب وأمه وزوجته فكتبوا هم أيضا ثلاث رسائل إلي ثيئوددوسيوس دون جدوى، ولا شك أن هذه المساعي تكشف عن نفسية لاون الذي طار لبه وأكل الحسد قلبه للمكانة الرفيعة التي تبوأها باباوات الإسكندرية حتى في المحافل المسكونية.

البابا ديسقوروس والأسقف لاون:

ترامت إلي أسماع البابا ديسقورس موقف لاون من قرارات مجمع أفسس الثاني ورفضه إياها وتمسكه بما جاء بالرسائل التي بعث بها فلابيانوس والتي تظهره بنفس آراء فلابيانوس الذي حرمه المجمع، يضاف إلي ذلك أن لاون أفسح صدره للمبتدعين من أتباع نسطور الذين حكمت عليهم المجامع المسكونية، وإزاء كل ذلك لم يكن في إمكان ديسقورس أن يقف مكتوف الأيدي إزاء الأخطاء التي تبدد الإيمان فعقد مجمعا مكانيا من أساقفته بالإسكندرية وانتهي إلي إصدار قراره بحرم لاون بعد ما ثبت للمجمع ثبوتا قاطعا الأسباب التي توجب هذا الحرم.

وفي سنة ٤٥٠م مات الإمبراطور ثيودسيوس دون أن يخلف نسلا وأصبح وريث العرش أخته لوليكاريا التي كانت نذرت الرهبنة، لكن تقاليد الدولة لم تكن تسمح باعتلاء النساء العرش. علي أي حال فأته بموت ثيودوسيوس فقد البابا ديسقورس عنصرا عظيما في قضية الإيمان. تزوجت بوليكاريا بأحد قادة الجيش ويدعي مركيان فصار هو الإمبراطور للشرق وكان ميالا لمبادئ نسطور كما كانت بوليكاريا علي جانب كبير من الدهاء والغطرسة والكبرياء.

البابا ديسقورس وبوليكاريا ومركيان:

كان موت ثيودسيوس فرصة سنحن للاون ليجدد مسعاه في موضوع عقد مجمع عام في روما، وفعلا بعث نوابا قابلوا مركيان والملكة. لكن الظروف السياسية تدخلت لتمنع هذا الأمر، فكانت سياسة مركيان وبوليكاريا ألا يدعا إمبراطور الغرب يتدخل في شئون الشرق الدينية حتى أن مركيان يايعاز من زوجته كتل إلي لاون يقول له: "إني مستعد لعقد المجمع في القسطنطينية وإذا كانت مشقة تحول دون حضورك فأنا أقوم مقامك في رئاسة المجمع". كان بوليكاريا تميل إلي فلابيانوس وتعاليمه في الوقت الذي كانت تنظر بعين الخوف إلي بابا الإسكندرية "الذي كانوا يسمون:ه فرعون مصر". وما وصل إليه من قوة ونعمة، وكانت تري في اتساع سلطانه خطرا يهدد بانفصال مصر عن مملكتها لو سنحن الظروف.

كانت نتيجة هذه العوامل مجتمعة أن عقد الإمبراطور مركيان مجمعا في قصره بالقسطنطينية دعا إليه كثير من الأساقفة كان معظمهم من النساطرة كما بعث إلي البابا ديسقورس برسالة يدعوه فيها إلي حضور هذا المجمع، حضر البابا ديسوقوروس وزدهش كثيرا لعدد الأساقفة المجتمعين بلا سبب، ولما قيل إن الملك يهدف إلي توضيح الإيمان قال في جرأة "إن الإيمان لهو في غاية الكمال ولا يعوزه شيء من الإيضاح وهو مقرر ومثبت من الآباء أمثال أثناسيوس وكيرلس وغيرهم".

حاول البعض أن يستميلوه ليوافق علي رسالة لاون "طومس لاون" التي تثبت الطبيعتين بعد الاتحاد لكنه قال: "أن اعتقاد البيعة ينبغي ألا يزاد عليه أو ينقص منه، فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والعقل والمشيئة كما كرز الآباء. ثم أخذ يشرح لهم المعتقد السليم وخطأ التعليم الجيد الذي يهدفون إلي تثبيته موضحا كلماته بأمثلة كثيرة منها التشبيه الذي أورده القديس كيرلس الكبير عن اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح، وأنه يشبه اتحاد النار بالحديد فإذا ضرب الحديد بالمطرقة فإن الحديد هو الذي يتأثر ولكن النار لا يلحقها شيء.

وقيل أن أغلب الأساقفة اقتنعوا برأيه لكن الأمر لم يكن مسألة اقتناع بل كانت هناك أسباب خفية تحرك هؤلاء جميعا للحد من نفوذ ديسقورس فرفع مركيلن الجلسة. وتباحث مع الأساقفة المقطوعين في أمر ديسقورس وكيفية التغلب عليه، وأخيرا استقر رأيهم لعي عقد مجمع بعيد عن العاصمة علي أن لا يناقشوا ديسنقوروس في أمر الإيمان الذي كان الحق واضحا فيه بل يقتصروا علي البحث في أمر الأساقفة المقطوعين ورسالة لاون "طومس لاون"، وهكذا صدرت الأوامر الملكية بعقد مجمع في مدينة خلقيدونية بآسيا الصغرى وتقع مقابل مدينة القسطنطينية.

انعقاد المجمع

اختلف المؤرخون في عدد من حضر هذا المجمع من الآباء فمن قائل أنهم كانوا ٣٣٠ أسقفا ومن قائل أنهم ٦٣٠ أسقفا ومن الآباء المشهورين الذين حضروا البابا ديسقورس مع بعض أساقفته ويوبينياليوس أسقف أورشليم ومكسيموس أسقف إنطاكية وأناطوليوس أسقف القسطنطينية. أما لاون أسقف روما فقد أناب عنه ثلاث أشخاص "أسقفين وقس".

حرس مركيان وبوليكاريا علي حضور جلسات المجمع ومعهما رهط كبير من حاشيتهما وكثير من الضباط والجنود بملابسهم الرسمية كما حضر القضاة الذين اختيروا لإدارة جلسات المجمع . كان المجمع بالصورة التي انعقد عليها يظهر المؤامرة الدنيئة التي دربما في الخفاء اتباع كل من فلابيانوس ولاون .

عقدت الجلسة الأولي لهذا المجمع - علي أرجح الآراء في الثامن من شهر أكتوبر سنة ٤٥١م في كنيسة القديسة أو فيما بمدينة خلقيدونية . وما كاد الملك مركيان ينتهي من إلقاء الخطاب التقليدي لافتتاح المجمع حتى نهض أحد مندوبي لاون واعترض علي جلوس البابا ديسقوروس في مقدمة الآباء بدعوى أنه قد جيء به إلي المجمع ليحاكم لأنه أقدم علي عقد مجمع أفسس السابق بدون إذن كرسي روما . وإذ أدرك القضلة أن هذا الإدعاء باطل أفحموه بالإجابة فلاذ بالصمت .

ثم نهض أوسابيوس أسقف دوربلاوس الذي عزله مجمع أفسس الثاني مع فلابيانوس وادعي أن ديسقوروس حكم عليه وعلي زميله فلابيانوس ظلما ... وهنا قال البابا ديسقورس "إن الحق يتضح عند قراءة أعمال المجمع السابق" ... بعد ذلك دخل إلي المجمع تاودريتوس أسقف قورش المقطوع لنسطوريته وطلب الانضمام إلي أعضاءه بدعوى أنه أعيد إلي كرسيه بأمر لاون أسقف روما . وهنا حدث هرج ومرج لأن فريق لاون وفلابيانوس كانوا أكثرية في المجمع .

ثم استأنفوا قراءة بقية أعمال مجمع أفسس الثاني فادعي أسقف أفسس مع بعض أساقفة الشرق بأنهم لم يوافقوا علي قرارات المجمع المشار إليه إلا مرغمين تحت ضغط الجنود شاهري السلاح . وهنا قال لهم أساقفة مصر "إن جندي المسيح لا يرهب القوة التي لا تخيف إلا الجبان، أضرموا النار ونحن نعلمكم كيف يكون الاستشهاد" .

واستأنف القارئ تلاوة أعمال المجمع السابق حتى وصل إلي ذكر رسالة لاون فسأل القضاة البابا ديسقوروس عن سبب عدم قراءتها فأجاب بأنه أمر مرتين بقراءتها وأيده في ذلك أسقف أورشليم، وأضاف أنها أرجئت لولا ورود رسالة الإمبراطور ثيئودوسيوس قرأت أولا . وبعد ذلك لم تتل رسالة أسقف روما سهوا، ثم بدأ القارئ في تلاوة اعتراف أوطاخي الذي قدمه لمجمع أفسس الثاني ومصادقة الأساقفة علي أرثوذكسيته، ومن بينهم باسيليوس أسقف سوليكا . غير أن هذا الأسقف وقف وأنكر مصادقته علي اعتراف أوطاخي . فتألم البابا ديسقوروس لكذب هذا الأسقف وقال "لست أدري ما الذي يدعو باسيليوس إلي الإنكار وهو يعلم أنه إنما صادق علي تعليم صحيح قدم إلينا ثم قال "إذا كان أوطاخي قد جحد العقيدة الصحيحة التي تضمنتها رسالته ونادي بتعليم غريب فهو لا يستحق العقاب فقط بل هو جدير بأن يحرق بلا نار" . وبعد أن تراجع وأنكر باسيليوس إيمانه السليم الذي أعلنه في مجمع أفسس الثاني نظر إليه البابا ديسقوروس وقال له من فمك تتبرر ومن فمك تدان، لقد استحييت من الناس فتجاوزت حدود الصلاح وأهنت الإيمان ألا تعلم أنه لا حياء في الحق ولا رياء في الدين .

ولعل الأساقفة المدعين كذبا وزورا وبهتانا علي البابا ديسقوروس قد تأثروا من تأنيبه لهم أو ضعفوا أمام حججه فلم يجدوا بدا من التسليم فوقفوا في المجمع وقالوا "أخطأنا ونطلب الغفران ولما سئلوا ثانية ما الذي دفعهم لهذا التغيير المفاجئ كان جوابهم نفس العبارة السابقة "أخطأنا ونطلب الغفران" . ولما أدرك خصوم ديسقوروس أن الأمر سيفلت من أيديهم قرروا رفع الجلسة علي أن تستأنف بعد خمسة أيام .... كانت هذه في الواقع مهلة ليحيكوا فيها مزيدا من المؤامرات .

وفي مخطط المؤامرة هداهم تفكيرهم إلي عقد جلسة سريعة قبل الموعد المحدد لا يحضرها القضاة ولا ديسقوروس وذلك حتى يخلوا لهم الجو وبهذا يتمكنوا من إصدار ما يحلو لهم من قرارات وفعلا عقدت الجلسة الثانية في اليوم الثالث أي قبل

الموعد المحدد بيومين بعد أن وضعوا حراسا علي البيت الذي كان نازلا فيه ديسقوروس كي يمنعوه من الخروج إذا حاول ذلك. أما عن تصرفات الأساقفة المجتمعين الذين يتصرفون عن حق وحسد فكانت خالية من روح المسيحية إذ أنهم عقدوا جلستهم وأرسلوا لاستدعاء البابا ديسقوروس في الوقت الذي وضعوا حراسا علي بيته ليمنعوه من الخروج، ولما جاء رسل المجمع يطلبون حضوره قال لهم "أن الحراس يمنعونني من الخروج ... إنني لا أحضر هذا المجمع إلا إذا حضره القضاة".

وأخيرا أصدر الأساقفة المجتمعون حكمهم المغرض علي البابا ديسقوروس غيابيا. وفي غياب أساقفته والقضاة ونواب الملك ويقضي هذا الحكم بإسقاط الأسقفية عنه وعزله من خدمة الكهنوت، ثم أرسلوا إليه قرارات المجمع، فتلاها علي مسمع من بعض أساقفته وإذ وجدها مخالفة لتعاليم البيعة المقدسة كتب علي هامشها ما يظهر فسادها كما كتب حرما علي كل من يتجاسر علي تغيير العقيدة الأرثوذكسية أو يتلاعب بقوانين المجامع المسكونية.

وما أن تسلم الخلقيدونيون كتاب أمانتهم حتى طيروا الخبر إلي مركيان الذي تملكه الغيظ وعول علي قتل ديسقوروس لولا خشيته مغبة هذه الجريمة فاكتفي بنفيه إلي جزيرة غاغرا بآسيا الصغرى. وبقي في منفاه خمس سنين صرفها في هداية الضالين وشفاء المرضي وانتقل إلي عالم الخلد سنة ٤٥٧م.

وهكذا كان مجمع خلقيدونية وما أصدره من قرارات سببا في انقسام العالم المسيحي هذا الانقسام الذي ما زال العالم كله يجني ثماره حتى الآن. تلك الثمار التي زرع بذارها لاون أسقف روما وتعاهدها خلفاؤه.

ولا نود أن ننهي هذا الفصل من دراستنا دون أن نشير إلي شخصية ديسقوروس الذي تدعوه الكنيسة "بطل الأرثوذكسية العظيم". فقد كان شيخا

وقورا جمع بين الروحانية والعمق الدراسي اللاهوتي والشجاعة المسيحية والرغبة في التضحية حتى بالنفس من أجل الإيمان، حدث أثناء حضوره في المجمع الذي انعقد في القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية والذي دعا إليه الملك مركيان أن أحد الأساقفة الحاضرين أخذ يوجه إلي ديسقوروس الكلام طالبا إليه أن يذعن لرغبة الإمبراطور ولا يخالفه كي يبقي في منصبه، فما كان من البابا ديسقوروس إلا أن قال له "إن القيصر لا يلزمه البحث في هذه الأمور الدقيقة بل ينبغي له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الإيمان المستقيم فإنهم يعرفون الكتب وخير له أن لا يميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق. دهش الجميع من جرأة ديسقورس. وهنا قالت بوليكاريا "يا ديسقورس لقد كان في زمان والدتي افدوكسيا إنسان قوي الرأي مثل "تقصد يوحنا الذهبي الفم" وأنت تعلم أنه لم يجني من جراء مخالفتها خيرا وإني أري أن حالك سيكون مثله". فأجابها ديسقوروس بكل شجاعة. وأنت تعرفين ما جري لأمك نتيجة اضطهادها لهذا القديس وكيف ابتلاها الله بالمرض الشديد الذي لم تجد له دواء ولا علاجا حتى مضت إلي قبره وبكت عليه واستغفرت الرب فعوفيت. وهاأنذا بين يديك فافعلي ما تريدين وستربحين ما ربحته أمك ...".

كانت نتيجة هذه الكلمات أن تهجمت هذه الشريرة ومدت يدها وصفعته صفعة شديدة اقتلعت ضرسين من أضراسه لشيخوخته. وما لبثت أن انهال عليه بعض رجال القصر وأوسعوه ضربا. وإمعانا في الاستهزاء به نتفوا شعر لحيته ... أما هو فبقي صامتا محتملا وهو يقول "من أجل نمات كل النهار" ثم جمع الأب الضرسين مع شعر لحيته وأرسلها إلي شعبه بالإسكندرية مع رسالة قال فيها "هذه ثمرة جهادي لأجل الإيمان، أعلموا أنه قد نالتني آلام كثيرة في سبيل المحافظة علي إيمان آبائي القديسين. أما أنتم الذين بنيتم إيمانكم علي صخرة الإيمان القويم فلا تخافوا السيول والهراطقة ولا الزوابع الكفرية".

الشرق بعد مجمع خلقيدونية
فى الفترة ما بين سنه(٤٥١م - ٦٤١م)

كانت نتيجة المشاحنات والانقسامات الدينية بعد قرارات مجمع خلقيدونيه سنة ٤٥١م ان انقسمت المملكة الرومانية الى مملكتين شرقيه وعاصمتها القسطنطينية وغربية وقاعدتها روما.

وأطلقت الكنائس الغربية على الكنائس الشرقية بأنها مونوفيزيه (Monophysite) (اى تؤمن بطبيعه واحده فى المسيح) ووصفت الكنائس الشرقيه الكنائس الغربية بأنها (DIOPHYSITE) أى تؤمن بطبيعتين فى المسيح كما اتهم الغربيون كنيسة الاسكندرية بالأوطاخيه كنتيجة للتآمر الذى حدث فى خلقيدونيه ضدها فى الوقت الذى اعتبرت كنيسة الاسكندرية الأوطاخيه بدعه حرمتها مرارا وتكرارا لانها علمت بأن طبيعه المسيح الناسوتيه تلاشت فى طبيعته الالهية هذا بينما يؤمن الاقباط (كنيسة الاسكندرية) بأن المسيح طبيعه واحده من طبيعتين او ان طبيعتى المسيح اللاهوتيه والناسوتية صارا طبيعه واحده باتحادهما الفائق السرى - بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

ومن الواضح ان الكنائس الغربية اتخذت هذا الموقف المشين من الكنائس الشرقيه وخاصه كنيسة الاسكندرية للدور القيادى لابائها فى المجامع المسكونيه الثلاثه الاولى ويكفى ان تقرأ للمؤرخ ستانلى فى كتابه " محاضرات عن الكنائس الشرقيه " قوله " واصبح بطريرك الاسكندريه بعد مجمع نيقية قاضى المسكونه كلها.

كما يكفى ايضا ان تقرأ فى تاريخ المجمع المسكونى الاول لنيقية عن الملك قسطنطين الكبير انه وقف وسط المجمع الكبير الذى ضم ٣١٨ اسقفا من انحاء العالم المسيحى ليصافح الشماس اثناسيوس ويقول له "انت بطل كنيسة الله. "

ومن الجدير بالذكر بعد نياحة البابا ديسقورس سنة ٤٥٤م وسيامه البابا تيموثاوس الثانى (البطريرك الـ ٢٦) ، تبع ذلك ان انشقت اسقفيه الاسكندريه بين سلسلتين من البطاركه الملكانيين وكانوا من الروم (الاغريق) وتتم رسامتهم فى القسطنطينيه غالبا ومن اتباع الملك الذى كان يسام فى القسطنطينيه ويرسل الينا ويؤمنون بقرارات مجمع خلقيدونيه والسلسلة الاخرى الارثوذكسيين (مونوفيزيين) وكانوا اقباط وطنيين تمسكوا بقوميتهم ورفضوا زعامة وسيطره الروم الخلقيدونيين.

+لابد هنا ان نشير الى ان شعبنا القبطى المصرى لم يقبل ان يتدخل الى المصرى فى رسامة البابا الارثوذكسى لان العمل الكنسى منفصل عن العمل السياسى كما انه لم يقبل على الاطلاق ان ينصب بطريركا دخيلا يسمى بالبطريرك الملكانى ولذلك استقبل شعب الاسكندريه فرصه انشغال الحاكم بالحروب الداخليه والخارجيه وهجموا على (بروتيريوس) بطريرك الملكيين وقتلوه وقطعوه اربا اربا واحرقوا جثته وزروا رمادها فى الهواء امعانا فى الانتقام الامر الذى ادى بصدور قرار الملك لاون - الذى تتصّب بعد موت مركيان - بنفى البابا تيموثاوس الثانى الى جزيرة غاغرا (غغغره).

بعد موت بروتيريوس البطريرك الملكانى اقام الخلقدونيين بطريركا دخيلا خلفا له دعوه " تيموثاوس سالوفاكيوس) ولكن المصريين لم يعترفوا به وقطعوه لمده ٧ سنين المده التى كان فيها باباهم منفيا.

بعد ماتمكن القائد باسيليكوس من عزل زينون اراد ان يستعين بقوه الارثوذكسيين فأصدر امره سنه ٤٧٦ باعاده البابا تيموثاوس من النفى.

ومما يذكر انه حين تقابل البابا مع باسيليكوس طلب منه ان يصدر مرسوما بحرم طومس لاون والزياده التى اضافها مجمع خلقيدونيه على الايمان النيقاوى .... استجاب الملك باسيليكوس لهذا الطلب وعقد مجمعا فى القسطنطينيه حضره اكثر من خمسمائه اسقف يتقدمهم البابا الاسكندرى واعلنوا وجوب التمسك بالايمان النيقاوى كما امروا باحراق طومس لاون وتعاليم مجمع خلقيدونيه حيثما وجدت .

عوده الملك زينون وعلاقته بكنيسة الاسكندريه

لم يسترح اكاكيوس بطريرك القسطنطينيه للنصر الذى احرزه الارثوذكسيين بقياده البابا تيموثاوس الثانى مما دعاه الى تحريض الاكليروس والرهبان فى القسطنطينيه باغلاق الكنائس وتنظيم مظاهره صاخبه ضد باسيليكوس مدعيا انه هرطوقى فأضطر باسيليكوس الى الغاء مرسومه السابق وفى نفس الوقت كان الملك زينون قد اعد جيشا كبيرا لمقابلته واسترداد عرشه وتحقق ذلك فى سنة ٤٧٦م وبعودته اصدر مرسوما بالغاء منشور باسيليكوس الدينى و أرسل يتهدد البابا تيموثاوس الاسكندرى لكن هذا الاخير تتيح سنة ٤٧٧م واقام الارثوذكسيين البابا بطرس الثالث (البطريرك الـ ٢٧) خلفا له (٤٧٧م - ٤٩٠م)

وفى هذه الفترة توفى البطريرك الخلقيدونى (تيموثاوس - سالوفاكيوس) فى سنة ٤٨٢م واقيم البطريرك يوحنا طلايا خلفا له ولانه لم يكن على علاقه ود

مع دوائر القصر والكنيسة بالقسطنطينيه مما ادى فى نهايه الامر الى هروبه الى روما ..... وفى هذا الوقت بدأ التقارب بين اكاكيوس بطريرك القسطنطينيه والبطريرك السكندرى فى الوقت الذى اخذ زينون يفقد الامل فى كسب الكنيسة القبطية عن طريق العنف وبات واضحا انه لابد من التفكير فى ايجاد حل لاعاده السلام للكنيسة الذى يؤثر بدوره على سلام الامبراطوريه ووحدتها وامنها.

الهنوتيكون (او وثيقة الاتحاد)

كان للتقارب بين بطريرك القسطنطينيه والبطريرك السكندرى ان تم عقد مجمعا بالقسطنطينيه بين وفديهما سنة ٤٨٢م وصدر منشور اعلن فيه لعقيده الارثوذكس والصلح العقيدى واللاهوتى بين الكنيسة القبطيه وكنيسة القسطنطينيه ويعرف ذلك (بالهنوتيكون) او وثيقه الاتحاد اعترفوا فيه بقرارات المجامع المسكونيه الثلاثه الاولى وحرم كل من نسطور وأوطاخى وأتباعهما ولم يتعرض للنقطة الحساسة وسبب الانقسام وهى الخاصه بطبيعه المسيح وحرم كل من يؤمن بايمان آخر وقد تمكنا من اقناع الامبراطور زينون بهذه الوثيقه ، كذلك كانت بمثابه رسالة موجهه من الامبراطور زينون الى الاساقفه والاكليروس والرهبان والمؤمنين فى الاسكندريه ومصر وليبيا والخمس مدن الغربيه.

انقسام اكاكيوس :

بعد صدور الهنوتيكون حدثت ثغره بين القسطنطينيه وروما عرفت فى الكنيسة الكاثوليكية بأسم انقسام أكاكيوس وقد دامت هذه الفرقه نحو ٣٥ عاما.

وذلك لان فيلكس اسقف روما عقد مجمعا سنه ٤٨٤م حرم فيه اكاكيوس على الرغم من القبض على مندوبيه وحبسهم فى القسطنطينيه بأمر زينون مما أدى الى رد فعل شديد فى القسطنطينيه دعى الى حذف اسم اسقف روما من القداساتز.

بدايه الانشقاق بين الكنيسة القسطنطينيه والاسكندريه فى عصر الامبراطور جستنيان

نستطيع ان نقول ان التوفيق الذى تم بين كنيسة الاسكندريه وكنيسة القسطنطينيه لم يستمر طويلا انما سرعان ماتغيرت الامور وجاء الامبراطور جستنيان الذى كان خلقيدونيا والذى تبوأ العرش سنة (٥٢٧م - ٥٦٥م) فالغى منشور الاتحاد الذى استمر من سنه (٤٨٤م - ٥١٩م) وفى ايامه عقدت المجامع الكثيرة ضد الارثوذكس .... وكانت زوجته ثيودوره ارثوذكسيه دافعت عن الارثوذكسيين ، وبفضل دفاعها امكن للاساقفه المنفيين الرجوع الى كراسيهم.

وعندما تبوأ البابا ثيؤدوسيوس (البطريرك الـ ٣٣) طلب منه الامبراطور جستنيان التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونيه ووعده اذا فعل ذلك سوف يجعله واليا على الاسكندريه وبطريركا للقاره الافريقية وتوعده بالنفى والتشريد اذا رفض ذلك.

ومما هو جدير بالذكر ان بابانا العظيم ثيؤدوسيوس لم يخف من تهديدات الامبراطور بل قال لمندوبى الامبراطور بشجاعه انه (اى الامبراطور) له سلطان على الجسد اما روحى فهى ملك للمسيح أفعلوا ما شئتم احبسونى انفونى او اى امر تريدون ,انا على استعداد ان اتحمل كل هذا او اكثر ولكننى لست مستعدا ان اجعل نفسى غريبا عن سيدى والهى بتوقيعى على قرارات مجمع خلقيدونيه فأستدعى الامبراطور جستنيان البابا ثيؤدوسيوس للقسطنطينيه وأخذ يلاطفه ورجاه التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونيه بعد ان وعده بكرامات كثيره ولكن البابا رفض فنفاه واقام عوضا عنه بطريرك دخيل يدعى (بولس التتيسى) ولكن الشعب القبطى لم يقبل هذا الدخيل وظل وفيا لاباه الشرعى الذى ظل منفيا عن كرسيه مده ٢٨عاما حتى لقب الارثوذكسيين بالثيؤديسيين نسبه الى البابا ثيؤدوسيوس وفى خلال هذه الفتره اغلق الامبراطور الكنائس الارثوذكسيه واضطهد الارثوذكس وفى خلالها ايضا مات البطريرك الدخيل فأرسل الامبراطور دخيلا آخر يدعى أبوليناريوس الذى دخل الكنيسة بزى حربى حتى يمكنه ان يخيف ويرعب , ثم أصدر امراً بأن يجتمع الناس فى الكنيسة فلما تجمعوا خلع ملابس الجندية وظهر بملابس الكهنوت ثم قرأ امامهم المرسوم الامبراطورى.

وحين وصل الى اقرار المرسوم الخلقيدونى بدأ سخط الشعب على وجوههم وبدأت معركه داخليه بين الجنود الرومانيين وبين الاقباط المتأصلين فأستشهد عدد كبير منهم حتى أطلق الناس على ذلك اليوم المذبحه وكان ذلك فاتحه سلسلة من المذابح او من الاستشهاد الدموى ورغم استخدام القوه والعنف ظل المصريين مقاطعين ابوليناريوس الدخيل.

وعلى الرغم من ان الامبراطور جستنيان فى سنه ٥٤٤م كخطوه نحو الارثوذكسيين اصدر مرسوما ادان فيه ثلاثه من عمد النسطوريه عرفوا باسم " الثلاثه فصول" وقد رحبت كنائس الشرق بهذا المرسوم ، بينما رفضته الكنائس الغربية .

ولم تبدأ المسأله التى اثارها مرسوم جستنيان الا بموته وارتقاء الامبراطور جوستن الثانى سنه (٥٦٥م - ٥٧٨م) خلفا له الذى اصدر هنوتيكون آخر سنة ٥٧١ م وظلت الامور هكذا حتى دخول الفرس ارض مصر سنة ٦١٧م ولكننا نستطيع ان نقول ان الامبراطور جستنيان وخليفته هما اللذان وضعا قاعده الكراهيه وبذور الشقاق بين كنيسة الاسكندريه وكنيسه القسطنطينيه

ومما يذكر بالخير لجستنيان اهتمامه بالقضاء على الوثنيه التى كانت ماتزال حيه فى اطراف الامبراطوريه . فشجع الارساليات الى بلاد النوبه لكن زوجته ثيؤدوره سارعت واحبطت خططه بارسال بعثات ارثوذكسيه الى تلك البلاد مقابل الارساليات الملكانيه ... كما اغلق جستنيان معابد ايزيس الوثنيه فى جزيره صقليه ومعابد امون فى واحه سيوه وحل محلها كنائس مسيحيه كما بنى الدير الذى يحمل الان اسم (ساتت كاترين فى جبل سيناء وكان يعرف سابقا باسم دير الاستحاله (استحاله الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه) ومن اعماله ايضا الحصن بدير الانبا انطونيوس ودير الانبا بولا بالبحر الاحمر.

وقد تميزت احوال مصر السياسية خلال تلك الفتره بسوء التنظيم الادارى:-

فقد قسم جستنيان مصر الى قسمين اداريين : الاسكندريه والوجه البحرى وجعل له حاكما وصعيد مصر وجعل له حاكما آخر ، كانت خطه جستنيان التخفيف عن كاهل الحاكم الواحد لكل البلاد لكن عمليه التقسيم بذرت بذور التنافس وسوء التنظيم بين الحاكمين لاقليم واحد واحدثت اضطراب وتشويش فى شئون الحكومه .. كانت نتيجته ان تعرضت مصر الى عناصر الشر من الداخل او اطماع الغزاه من الخارج .

من اشهر الحوادث فى هذه الفتره:

عندما ذهب البطريرك الدخيل (اولوجيوس) والوالى وجنوده للاستيلاء على احدى الكنائس التى كانت باسم القديسين قزمان ودميان ثار الشعب القبطى على البطريرك الدخيل والوالى وجنوده واستشهد الكثيرون وكان الشعب يحمى البابا انسطاسيوس (البطريرك الـ ٣٦) من يد الخلقيدونيين ولكن البابا الاسكندرى انسطاسيوس خوفا من اراقه الدماء بسببه ذهب الى بريه شهيت وظل صائما مصليا من اجل شعبه فأستجاب الله لصلاته ومات الامبراطور (فوقا او فوكاس) مقتولا واستولى على عرشه بعد ذلك هرقل الذى دخلت فى ايامه الفرس الى مصر وهكذا انتقم الله لشعبه اذ يقول الكتاب المقدس (لى النقمه انا اجازى يقول الرب)

الكنيسة القبطيه فى ظل الحكم الاسلامـــى

قبل الدخول فى هذا الموضوع ينبغى ان نعرف المعلومات الاتية÷

١ - ذكر ان محمدا صاحب الشريعه الاسلاميه ارسل فـى السنه السادسه للهجره كتابا الى المقوقس الذى كان واليا على مصر من قبل الملك هرقل يدعوه فيه الى الاسلام فأكرم المقوقس رسله وأرسل معهم هديه من ضمنها جاريه قبطيـه تسمى ماريه اتخذها سريه فرزق بولد سماه ابراهيم ولكنه لم يعش ولم ترزق منه بغيره وقد استنتج بعضهم ان من ذاك الحين كان بين المقوقس وزعماء العرب صلات وعلاقات سريه (١)

٢ - مما هو جدير بالملاحظة فانه يبدو ان فتح العرب لمصر كان مقررا قبل وفاه نبى المسلمين فعلى الرغم من ان النبى لم يزر مصر قط فانه كان يكن للاقباط عطفا ملحوظا يتضح ذلك فى الحديث " استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم "(٢) كما ان جميع المؤرخين والكتاب المسلمين يتنافسون فى ذكر هذه الاحاديث المطبوعه بطابع العطف البليغ ومنها وصيته عند وفاته " الله ، الله فـى قبط مصر ، فأنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عده واعوانا فى سبيل الله " ومن حديث له ايضـا" قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على دينكم " ولما سئل " كيف يكونون اعوانا على ديننا يارسول الله " قال " يكفونكم اعمال الدنيا و تتفرغون للعباده " وقال ايضا " لو بقى ابراهيم حيا ماتركت قبطا الا وضعت عنه الجزيه(٣)

٣ - لما رأى هرقل ماكان من استيلاء العرب على سوريا خاف على مصر التـى لم يبق له فى الشرق سواها لئلا يلحقها مالحق غيرها واراد ان يستبقيها له واذ لـم يكن فى استطاعته ذلك بالقوه بادر بعقد معاهده مع الخليفه عمر بن الخطاب مؤداها ان هرقل يدفع الى خزينه المسلمين جزيه سنويه معلومه نظير تغاضيهم عن فتح مصر ولكنه لم يقم بدفع الكميه المتفق عليها , فاعتبرت المعاهده لاغيه , لذلك اتخذ عمرو بن العاص الغاء عمر بن الخطاب المعاهده سببا للالحاح

---

(١) +٤ كتاب تاريخ الامه القبطيه (يعقوب نخله رفيله ص ٣٨)

(٢) ابن عبدالحكم كتاب فتح مصر " ص ٣

(٣) ابراهيم هو ابن النبى من ماريه القبطيه

عليه بفتح مصر وسهل له ذلك بقوله ان اهليها اعجز الناس عن القتال وان فى فتحها عونا عظيما للمسلمين فهى اكثر الارض اموالا واجزلها خيرا (١)

الفتح العربى لمصـــــر:

استطاع عمرو بن العاص ان يأخذ موافقه الخليفه عمر بن الخطاب بغزو مصر فجهز جيشا يتكون من ٤٠٠٠ مقاتل ووصل الى العريش ومنها الى الفرما (شرق بورسعيد) وسقطت الفرما فى يد العرب بعد حصار دام شهرا كاملا وهدم اسوارها وحصونها وكان ذلك فى اوائل سنة ٦٤٠م وبعد شهر اخر سقطت مدينه بلبيس ... وكانت معركه حاميه بين البيزنطيين والمسلمين خسر فيها البيزنطيين حوالى الف قتيل وثلاثه آلاف اسير كما قتل من العرب ايضا عددا ليس بقليل.

بعد ذلك وصل العرب الى حصن بابليون (بنى هذا الحصن الامبراطور تراجان وكان يعرف باسم قصر الشمع ولاتزال بقايا هذا الحصن موجوده بمصر القديمه بجوار الكنيسة المعلقه) ... ودام حصار العرب للحصن وقتا طويلا وبعدها تمكن العرب من الاستيلاء على قريه ام دينين (منطقه الازبكيه) وذلك بعد ان وصلهم مددا عربيا بقياده الزبير بن العوام ... كما غزا العرب منطقه الفيوم وكان ذلك فى نفس العام سنة ٦٤٠م.

فتح حصن بابليـــــون :

عرض المقوقس فى بادئ الامر التفاوض مع العرب وكان ذلك فى ابريل سنه ٦٤١. وكان فى ذلك الوقت محاصرا داخل حصن بابليون فكان رد عمرو بن العاص عليه ليس بيننا وبينكم الا احدى خصال ثلاث

١ - اما ان دخلتم فى الاسلام فكنتم اخواتنا وكان لكم مالنا وعليكم ما علينا

٢ - وان أبيتم فالجزيه عن يد وانتم صاغرون

٣ - واما القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

رفض الروم الخضوع للعرب وصمموا على مواصله القتال , واتصل المقوقس بالامبراطور يخبره بشروط العرب ولكن هرقل ارسل الى المقوقس يعنفه على تخازله فى مقاتله العرب فى اثناء ذلك استطاع الزبير بن العوام ان يصعد الى اعلى الحصن بواسطه سلم وكان قد اتفق مع الجنود العرب ان يكبروا جميعا بصوت واحد متى سمعوا تكبيره ...حدث ذلك وسط سكون الليل فظن

---

(١) كتاب تاريخ الامه القبطيه "يعقوب نخله روفيله" ص ٣٨

الروم ان العرب اقتحموا الحصن فحدث هرج ومرج وهربوا وتقدم الزبير الى باب الحصن وفتحه (بعد ان استمر حصار العرب للحصن سبعه شهور) بعد ذلك طلب قائد حاميه الحصن وكان من الروم الصلح مع العرب.

على ان اهم ما يخص الاقباط فى شروط الهدنه

١ - ان يدفع كل قبطى متمسك بدينه دينارن عن كل سنه بصفه جزيه ويعفى الشيوخ والنساء والصبيان وغير القادرين .

٢ - الا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء والا يتدخلوا فى شئون المسيحيين (١)

فتح الاسكندريه

بعد ان تم فتح حصن بابليون سار عمرو الى الاسكندريه وكان الروم قد استعدوا فيها لمعركه فاصلة مع العرب بل لقد استعد هرقل لمباشره الحرب بنفسه لولا ان المنيه وافته فكان لموته اكبر الاثر فى اضعاف شوكه الروم...وبعد ان حاصر العرب الاسكندريه مده ١٤ شهرا بعدها استسلمت المدينه ...ولظروف الانقاسامات الداخليه داخل الامبراطوريه الرومانيه بعد موت هرقل اضطر الروم انهاء حربهم مع العرب وعقد الصلح , اذ ذهب المقوقس الى بابليون حيث ابرم الصلح مع عمرو بن العاص .

وعقدت معاهده ثانيه تعرف باسم معاهدة الاسكندريه او معاهده بابليون الثانيه وذلك لانعقادها فى بابليون وتمييزا لها عن بابليون الاولى وبذلك اعتبر الاقباط اهل ذمه.وعقب معاهده الاسكندريه امتد نفوذ العرب تدريجيا الى باقى اقاليم مصر وبعد ان انتهى عمرو بن العاص من فتح مصر اتجه الى بنتابوليس (الخمس مدن الغربيه) فسار عمرو اليها وفتحها وفرض عليها الجزيه .. كما ارسل عمرو عبدالله بن سعد بن ابى سرح على رأس حمله الى بلاد النوبه حوالى ٦٤٢ . وكانت النوبه فى ذلك الحين مملكة قويه مستقله فاستعصى غزوها على العرب فكتب عمرو الى عبدالله بن سعد يأمره بالرجوع .

ومما هو جدير بالذكر ان عمرو بن العاص بعد معاهده الاسكندريه وفتحها عين المقوقس حاكما على الاسكندريه والوجه البحرى بعد ان عين عبدالله بن سعد بن ابى سرح حاكما على الوجه القبلى.

---

(١) كتاب فتح العرب لمصر (الفريد بتلر)

فتح دميـــــاط :

كان للمقوقس نسيب يسمى الهاموك كان حاكما على دمياط وتوابعها ولكنه لم يسلم المدينه لعمرو وابى واستعد للمقاومه فأرسل اليه عمرو بن العاصى فرقه من العرب فحاربوه وقتلوا احد اولاده فجمع كبراء البلد ووجهاء القوم ليشاورهم فى الامر فقام من بينهم رجل وطنى وقال " اعلم ايها الامير ان العقل لا قيمه له وما استغنى به احد الا وهداه الى سبل الفوز والنجاه من المعاطب وقد رأينا ان هؤلاء العرب لم تنخفض لهم راية ولم ينكس لهم علم ولسنا نحن بأشد قوه من جيوش الشام فالرأى عندى ان نعقد الصلح معهم لننال الامن ونفوذ بصون حرمنا ونأمن من سفك الدماء كما فعل المقوقس وما انت بأكثر منه رجالا ولا امضى منه عزيمه .

" فاستقبح الهاموك رأيه ولم يتم الرجل كلامه حتى انقضى عليه كالاسد الضارى وقتله بيده شر قتله جزاء نصيحته وكان له ولد قد شق عليه هذا الامر فقصد الانتقام لابيه وكان له دار ملاصقه لسور المدينه وفى سواد الليل تسلق السور وخرج الى العرب ودلهم على عورات اسوار ومداخل المدينه وكيف يتمكنوا منها فدخلوها واستولوا عليها , ولما لم يستطع الهاموك المدافعه اسرع بالهروب الى المدن المجاوره وتتبعه الجيش العربى وانتهى الامر بانتصار المسلمين عليه وفتح دمياط وتوابعها.

سماحه عمر بن الخطاب وعلاقته بعمرو بن العاص :

وممن ذكر عن عمرو بن العاص عندما كان فى مصر فى خلافة عمر بن الخطاب قبل ان قبطيا فقيرا اتى الى الخليفه عمر وشكا اليه ان الوالى عمرو بن العاص لطمه فاستدعى عمرو وقال له " ولد الناس احرارا فلماذا نستعبدوهم " وامر القبطى ان يلطم الامير .

كما اتهم الخليفه عمر بن الخطاب عمرو بن العاص انه اختلس مبالغ كبيره من المال وليس بمستغرب ان يغترف عمرو المال وهو العربى البدوى الذى وجد نفسه بين عشيه وضحاها امام ثروه كبيره ثم ان المؤرخين العرب لم يفندوا هذه التهمه التى وجهت اليه بل نقل الينا بعضهم ان الخليفه استجوب احد اقباط مصر عن خراجها قبل الاسلام فقال القبطى" يا امير المؤمنين كان .

لايؤخذ شيء الا بعد عمارتها اما عمرو فلا ينظر الى العماره انما يأخذ ماظهر له كأنه لايريدها الا لعام واحد (١)

ولما استتبت الامور امر عمرو بن العاص بعوده البابا بنيامين من مكانه الذى اختفى فيه بعد ان امنه على شعبه وعلى كنائسه ورد اليه الكنائس التى كان استولى عليها الروم كما سمح له بترميم الكنائس التى هدمت وساعده فى بناء كنيسه جديده بالاسكندريه واكثر من ذلك قام عمرو بن العاصى بتنظيم البلاد فى جميع النواحى الاداريه والمدنيه وبالجمله فان القبط نالو فى ايام عمرو بن العاص راحه لم يروها منذ زمان (٢).

اذ تعهد عمرو للقبط بأن يدع لهم حريه العباده كما سمح لهم بحريه التصرف فى شئونهم القضائية والاداريه ولم يكتف عمرو بذلك بل اقام بعضا منهم مديرين لمختلف الجهات ولم يطالبهم بغير الجزيه اذ الغى الضرائب الفادحه التى كان اباطره القسطنطينيه قد فرضوها على المصريين بغير رحمه على ان عمرو مع تسامحه هذا قد اعفى القبط من الجنديه فحرمهم بذلك شرف الدفاع عن وطنهم عند الحاجه(٣) وبالاجمال لم يتول على مصر امير احسن التدبير مثله كما سنرى (٤)

ولاية عبدالله بن سعد بن ابى سرح على مصر

بعد موت الخليفه عمر بن الخطاب (التى استمرت عشر سنين وسته اشهر وتسعه عشر يوما) مقتولا على يد غلام من اصل مجوسى (٥) تولى الخلافه بعده عثمان بن عفان الذى عزل عمرو بن العاص عن مصر وولى مكانه عبدالله بن سعد بن ابى سرح اخاه فى الرضاعه ومما يذكر عنه انه لما تولى الاداره جبا فى اول سنه ١٤ مليونا من الدنانير اى بزياده مليونين عما كان .

---

(١) ذكر ابن الحكم هذه المراسلات (فى صفحه ١٥٨ - ١٦٠) (من كتاب تاريخ مصر) كما ذكر فى صفحه١٤٦ ان المؤرخ الانجليزى (لين بول) دون ان يذكر المصدر الذى استقى منه هذا الخبر ان عمرو لما توفى ترك كيسا من الدانانير (مايوازى عشره اطنان من الذهب تقريبا) ورفض لاولاده ان يورثوا هذا المبلغ لعفتهم اما اليعقوبى فيذكر فقط ان عمرو ترك بعد وفاته ثروه ضخمه (طبع سنه ١٣٥٨ الجزء الثانى ص ١٩٨)

(٢) تاريخ الامه القبطيه (يعقوب نخله روفيله ص ٥٣)

(٣) مختصر تاريخ مصر (بالفرنسيه) ج ٢ البحث الثانى لجاستون فييت ص ١٢٩

(٤)تاريخ الأمة القبطية يعقوب نخلة روفيلة ص ٥٣

(٥) مروج الذهب للمسعودى الجزء الرابع - (ص ٣٨٧)والحقيقة الغائبة للدكتور فرج فودة ص ٢٣

يجبيه عمرو بن العاص فسر الخليفه بهذه الزياده وقال لعمرو يوما مفتخرا بذلك " يا ابا عبدالله درت اللقحه بأكثر من درها الاول " اى قد زاد الايراد عما . كان فى ايام امارتك فقال له عمرو على الفور " قد اضررتم بولدها " اى ان هذه الزياده لابد ان تضر بأهل البلاد لانهم لم يزيدوا فى العدد عما كان قبلا وماهى الا نتيجه ضرائب جديده قد اوجدها عبدالله بن ابى سرح ليظهر الفرق بينه وبين سلفه حتى يكون مقبولا عند امير المؤمنيين .

ثم عاود الروم محاوله استعاده الاسكندريه من يد العرب فأرسلوا اسطولا كبيرا لاجلاء العرب عن مصر اجلاءا تاما سنة ٦٤٥م وبالفعل فقد تم استيلاء الجيش البيزنطى على الاسكندريه وزحفوا على بعض بلدان الوجه البحرى وكان ذلك فى **ولايه عبدالله بن سعد بن ابى سرح** وخلافه عثمان بن عفان ولما تحرج الموقف ارسل عثمان عمرو بن العاص الذى تمكن من استعاده الاسكندريه عنوه وقتل قائد جيش الروم وكان هذا اخر عهد للروم بمصر وبعدها استتبت امور مصر للعرب .

ثم عاود عبد الله بن سعد غزو النوبه فى سنة ٦٥١م مده ولايته على مصر فى خلافه عثمان بن عفان واشتدت وطأه القتال بين الجانبين وانتهت بعقد معاهده سياسيه وتجاريه بين مصر ومملكه النوبه المسيحية .ومما ينبغى ذكره انه لما انتهى عمرو من قتال الروم اراد الخليفه عثمان ان يكافئه على اتعابه فى هذه الحرب الاخيره بأن يوليه رئيسا على جند مصر , وعبدالله بن سعد على خراجها فلم يوافق عمرو بن العاص بذلك وانصرف عنها ولم يعد اليها الا فى سنه ٣٨ للهجره .

كيف تولى عمرو بن العاص ولاية مصر مرة ثانيه

بعد عزل عبدالله بن سعد من ولايه مصر ولىّ مكانه محمد بن ابى بكر الصديق لكنه لم يصل اليها الا فى خلافه الامام على بن ابى طالب لانه فى اثناء ذلك قتل عثمان بن عفان على يد المسلمين الثائرين وتولى الخلافه بعده الامام على بن ابى طالب فعزل جميع الولاه وولى غيرهم من المتقربين اليه. لكن معاويه بن ابى سيفان الذى كان والياً على الشام رفض الخضوع لخلافه على بن ابى طالب وثار ضده وصار يخطب فى الناس ويبث فى اذهانهم ان على بن ابى طالب هو القاتل لعثمان وحرّضهم على الاخذ بثأره وساعده على ذلك عمرو بن العاص وبايع اهل الشام معاويه على ان يكون خليفه لهم وهكذا اصبح للمسلمين خليفتان على بن ابى طالب فى المدينه ومعاويه فى الشام ولذلك انقسموا الى شطرين .

لم تدم هذه الانقسامات كثيرا اذ قتل على بن أبى طالب (على يد احد الرجال المسلمين) وخلا الجو لمعاويه واعترف له الكل بالخلافه ومما يذكر عنه انه قتل جميع اقرباء على حتى لايكون له منازع ولا مخاصم وجعل مقر الخلافه فى دمشق الشام وبموت الامام على بن ابى طالب انتهت مده الخلفاء الراشدين الذين تولوا الخلافه بعد الرسول وعددهم اربعه وهم ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان و على بن ابى طالب ثم انتقلت الخلافه الى الدوله الامويه التى اول خلفائها معاويه بن ابى سيفان .

وكانت الخلافه فى عهد الخلفاء الراشدين انتخابيه فجعلها وراثيه وانحصرت فى ذريته تنفيذا لمآربه وبقيت فى يدهم نحو تسعين سنة .

اما ماكان من امر مصر فان معاويه لما بايعه اهل الشام بالخلافه طلب من عمرو بن العاص ان يفتحها باسمه (باسم معاويه) ويكون واليا عليها مادام حيا فقبل عمرو بهذا الشرط وسار اليها ومعه ٦ آلاف فارس فدخل مصر بعد ان قبض على محمد بن ابى بكر وقتله بأن وضعه فى جلد حمار واحرقه بالنار وبقى واليا عليها الى ان توفى فيها سنة ٤٣ للهجرة .

واقام عمرو فى مدينه الفسطاط (مصر القديمه) وصارت عاصمه الديار المصريه ومركز الاداره العربية الى زمن الفاطميين اللذين إتجهوا الى القاهره وجعلوها مقر خلافتهم كما سيأتى :

والان ماهى الاسباب الرئيسية التى جعلت العرب يقومون بهذه الفتوحات الواسعه ويوفقون فيها ومنها فتحهم لمصر ؟

. ان انتصار العرب على قله عددهم – على الروم الذين كانوا لهم الجيوش والحصون امر يدعو للبحث والدهشه...كيف استطاع عمرو بن العاص بجيش قوامه اربعه آلاف جندى ان يغزو مصر ...كيف استسلمت له البلاد ؟.

يمكن ان نلخص الاسباب فيما يأتى

١ – كان لتحطيم جستنيان وحده البلاد الاداريه وتقسيمه مصر الى خمس دوقيات (اقسام كبرى) يحكمها خمس محافظين ولضعف سلطه الحكم البيزنطى المقيم بالاسكندريه واهتمامه بالمسأله الدينيه المذهبيه فقط ومحاولته ابطره الدوله البيزنطيه ان يخضعوا اقباط مصر لمعتقدهم واستخدموا فى سبيل الوصول الى ذلك كل الوسائل من قمع واضطهاد , كل ذلك ادى الى ضعف السلطه الحاكمه فى مصر وهكذا لم تعد حاله مصر قبل الفتح العربى اقليما بيزنطيا بالمعنى الصحيح بل كانت العلاقه بين بيزنطه ومصر علاقه ماديه خالصه بمعنى ان

مصر تؤدى الجزيه السنويه قمحا وغلالا واموالا ترسل الى القسطنطينيه ولا يعنى البيزنطيين بغير ذلك وكانت الضرائب مصدر شكوى الفلاحين بالاضافه الى المظالم الكثيره التى كانت تقع فى جبايتها .

٢ - الحماس الدينى عند الجنود العرب المسلمون وهو لايمكن اغفاله هذا الحافز الدينى نراه واضحا حتى من عهد نبى المسلمين فبعد ان سيطر على شبه الجزيره العربيه اراد ان يدخل فى عهود ومواثيق مع القبائل المسيحيه . فكتب سنه ٦٣٠م الى نصراى نجران (فى بلاد اليمن) يدعوهم الى ابرام ميثاق معهم فأرسلت قبيله نجران المسيحيه وفدا ليفاوض محمد نبى المسلمين فى الحصول على احسن الشروط مع افهامه ان القبيله لن تتنازل عن عقيدتها المسيحيه مهما كان الثمن ... وفى اليوم التالى لوصول الوفد النجرانى الى مكه قابلوا محمدا نبى المسلمين وكان اول مافعله ان دعاهم الى اعتناق الاسلام ... والامر واضح من شروط الصلح التى فرضها على اى شعب مغلوب اما اعتناق الاسلام او الجزيه او السيف (١)

٣ - العامل الاقتصادى وهو من العوامل الهامه التى كانت وراء غزوات العرب المسلمين لقد ارادوا وهم شعب فقير جدا ان يتمتعوا بخيرات الامصار المفتوحه.

ويقول توماس ارنولد (ان حركه التوسع العربى كان عباره عن هجرة جماعه بسيطه دفعها الجوع والحرمان الى ان تهجر صحاريها الجرداء وتجتاح بلاد اكثر خصباً كانت ملكا لجيران اسعد منهم حظاً (٢)

٤ - نضيف الى ذلك الانقسام المذهبى الداخلى فى مصر مابين الخلقيدونيين (البيزنطيين) وبين الخلقيدونيين (المصريين الوطنيين) هذا الصراع الذى دام حوالى ١٩٠ عاما والاضطهادات العنيفه التى اجتازتها كنيسة مصر الوطنيه من الرومان بالاضافة الى ضعف جيش الروم المدافع عن مصر كل ذلك ساعد على انتصار العرب وفتحهم لمصر

موقف الاقباط من العرب الغزاة :

نستطيع ان نؤكد ان موقف الاقباط من العرب الغزاه كان سلبيا بمعنى انهم لم يتعاونوا معهم ولم يقفوا ضدهم . واذا كان الامر كذلك فمن الذى ارشد العرب فى زحفهم فى ارض مصر؟

---

(١) ابن خلدون

(٢) د.سعيد عبد الفتاح عاشور (أوربا فى العصور الوسطى) ج الطبعة السادسة

يجمع الباحثون ان مرشدى العرب كانوا من اليهود .. يذكر ساويرس بن المقفع فى تاريخ البطاركه ان الامبراطور هرقل رأى فى منامه ان شعبا مختونا سيثور عليه ويهزمه ويملك الارض . فظن هرقل لاول وهله انهم اليهود فأمر بتعميد جميع اليهود والسامريين فى كل ولايات الامبراطوريه .. هذا التصرف من جانب هرقل جعل اليهود يعرضون خدماتهم على العرب ، وقدموا لهم خدماتهم واعطوهم مايحتاجونه من معلومات وبذلوا لهم المساعده فى سوريا ومصر (١) ويقول الفريد بتلر فى تاريخه عن فتح مصر لم يكن يوجد قبطى واحد فى ساحه القتال ومن الخطأ الادعاء ان الاقباط كانوا يستطيعون فى ذلك الوقت ان يجتمعوا او يقاتلوا او يفاوضوا العرب .

لم يستقبل الاقباط العرب كمحررين لبلادهم فلقد كان الاقباط يجهلون كل شيء عن نواياهم وهل سيرغمهم العرب على اعتناق دين جديد هو الاسلام ؟ ونحن قد رأينا كيف ان الاقباط وقفوا امام الامبراطور البيزنطى والدوله وأبوا ان يقبلوا مجرد عقيده جديده فى نطاق المسيحيه فهل يعقل انهم رحبوا بأمه جديده تدين بدين جديد لو احسوا انهم سيرغموا على اعتناق الاسلام وما يتبع ذلك من متاعب ومظالم (٢)

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل (باشا) فى كتابه الفاروق عمر ج٢ بعد دراسه مستفيضه لعصر الخلفاء الراشدين مستندا الى المصادر العربيه "لاشك فى ان القبط لم يعاونوا الروم فى قتال العرب الا بالقدر الذى يضطرهم اليه خضوعهم كارهين لسلطات قيصر واعماله ولكن لاشك كذلك فى انهم لم يعاونوا العرب الا ان تكون معاونات فرديه أما فيما عدا ذلك فقد وقف شعب مصر من الفريقين المتحاربين موقف المتفرج شديد التطلع.

وقد لخص الاب (جانو) موقف الاقباط من العرب الغزاه فى قوله " انهم لم يقوموا بأى مجهود لوقف الكارثه (الغزو) ولكنهم احتموا خلف اسوار المدن التى لم يجرؤ العرب بعد على اقتحامها و انتظروا هجومهم عليها (٣)

وحقيقة انه لايوجد نص واحد فى المصادر القديمه يشير الى ان الاقباط قدموا اية مساعده لجيش عمرو حتى وقت حصارهم لحصن بابليون - اى فى المرحله الاولى للغزو العربى (٤)

---

(١) تاريخ البطاركه (ساويرس بن المقفع)

(٢) الفتح العربى لمصر (الفريد بتلر)

(٣) كتاب اقباط ومسلمون (د جاك تاجر) ص ٤٧

(٤). محمد حسين هيكل فى كتابه الفاروق عمر ج ٢

كيف عامل العرب اقباط مصر عند الفتح

لم يحاول العرب قط ان يطمئنوا الشعب المصرى على نواياهم اذ كانوا يجهلون اللغتين اليونانيه والقبطيه . ومع انهم على عكس الفرس - قاتلوا بشيء من الرفق ولم يقوموا بأعمال تخريبيه منظمه او باراقه دماء كثيره الا انهم تمادوا فى بعض الاحيان فى اقتراف اعمال مشينة وحركات قمع داميه مالم يساعدهم على كسب ثقه الشعب وتعاطفهم معهم .

يذكر الاسقف يوحنا النقيوسى فى تاريخه - وهو المصدر الوحيد المعاصر للفتح العربى - امثله لما عمله العرب الغزاه فيقول ان " عمرا " أمر بالقاء القبض على القضاة الرومان وتكبيل ايديهم واقدامهم بسلاسل حديديه وأوتاد خشبيه واغتصب الاموال وضاعف الضرائب المفروضه على الفلاحين وكان يضطرهم ان يحضروا علف الخيل كما انه اقترف كثيرا من اعمال العنف (١) اما عن حماس العرب الدينى للاسلام فيقول " عندما كان المسلمون يدخلون المدن ومعهم الاقباط الذين ارتدوا عن المسيحيه كانوا يستولون على املاك المسيحيين الفارين كما كانوا يسمون خدام المسيح اعداء الله " وهكذا نستطيع القول ان الاقباط لم يرحبوا بالعرب ويستقبلوهم كمحررين .. ويقول ساويرس بن المقفع فى تاريخه " من بعد ان ملك عمرو مصر بثلاث سنين ملك المسلمون مدينه الاسكندريه وهدموا اسوارها واحرقوا بيعا كثيره بالنار وبيعه مار مرقس التى هى مبنيه على البحر حيث كان جسده موضوعا ... احرقوا هذا الموضع بالنار وماحوله من الديارات".

وان كنا نذكر مظالم العرب الفاتحين فلا بد - انصافا للحقيقه - ان نقول ان هذه المظالم لم تكن عامه او شامله خاصه فى الفتره الاولى للفتح العربى فقد اكتشف البروفسور جروهمان وثيقتين برديتين يرجع تاريخهما الى سنه ٢٢ هـ (٦٤٢م) مكتوبتين باليونانيه وملحق بهما نص اخر باللغه العربيه . الوثيقه الاولى عباره عن ايصال حرره على نفسه احد امراء الجند يدعى الامير عبدالله بانه استلم خمسا وستين نعجه لاطعام الجند الذين معه وقد حررها الشماس يوحنا مسجل العقود فى اليوم الثلاثين من شهر برموده من السنة المذكوره اولا وقد جاء بظهر الورقه مايلى " شهاده بتسليم النعاج للمحاربين ولغيرهم ممن قدموا البلاد وهذا خصما عن جزيه التوقيت الاول " .

---

(١) تاريخ ص ٥٦٠ (يوحنا النقيوس)

اما الوثيقه الثانيه فنصها " باسم الله انا الامير عبدالله اكتب اليكم يا امناء تجار مدينه بسوفتس ولرجوا ان تبيعوا الى عمر بن اصلع لفرقه القوطه علفا بثلاث دراهم كل واحد منها "بعرورين " والى كل جندى غذاء من ثلاثه اصناف ويعلق الاستاذ جروهمان على الوثيقتين بقوله " ان هذه المعامله ازاء شعب مغلوب فلما نراها من شعب منتصر (١).

حريق مكتبه الاسكندريةً

لقد اتهم القائد العربى عمرو بن العاص بحرق مكتبه الاسكندريه الشهيرة بتصريح من الخليفه عمر بن الخطاب .. وتقول المصادر التى ذكرت ذلك ان عمرو ارسل للخليفه يأخذ رأيه فكان رد عمر كالاتى " و أما ما ذكرت من أمر الكتب فاذا كان ماجاء بها يوافق ماجاء فى كتاب الله (القرآن) فلا حاجه لنا به .واذا خالفه فلا أرب لنا فيه وأحرقها .. فلما استلم عمرو هذا الكتاب امر بالكتب فوزعت على حمامات الاسكندريه العامه لتوقد بها فكانوا يوقدون منها لمده سته اشهر .

وقد كان اول ماذكر القصه كتابه هو الرحاله الفارسى عبداللطيف البغدادى فى كتاب اسماه اخبار مصر . وأبو الفرج بن العبرى فى كتابه "مختصر تاريخ الدول " ويبدو مما ذكره عبداللطيف البغدادى وقد كتب كتابه حوالى سنة ١٢٠٠م ان قصه حريق مكتبه الاسكندريه على يد عمرو كانت شائعه ومتداوله فى ايامه .. حتى انه قال " وهناك كانت تقوم المكتبه التى احرقها عمرو بن العاص بأمر عمر.

كما ان ثلاثه من المؤرخين الكنسيين القدامى وهم سوزومين وثيودريت وروفينوس ذكروا ان المكتبه كانت لاتزال موجوده فى القرنيين الرابع والخامس ويذكر كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك وكان رئيسا للمجمع العلمى المصرى بالانتداب فى بحث له عن سرابيوم الاسكندريه مستندا الى شهادات الاقدمين " ان مكتبه السرابيوم التى كانت فى القرن الرابع المكتبه العظمى بالاسكندريه لم تحرق بأمر يوبيانوس (جوفيان) سنه ٣٦٤م ولاخربت بأمر ثاوفيلس الكبير سنة ٣٩١م بل ظلت قائمه مع المكتبات الاخرى فى القرن الخامس وحتى أخر القرن السادس ... يضاف الى ذلك ان للعرب سابقه حرق جميع كتب الفرس بالقانيا فى الماء والنار . هذه الحقيقه التى ذكرها بن خلدون

---

(١) وثيقتين برديتين للبروفسور جروهمان

فى مقدمته .. الامر الذى يرجح الرأى القائل بحرق تلك المكتبه العظيمه على يد عمرو بن العاص بأمر الخليفه عمر بن الخطاب (١)

عوده البابا بنيامين (البطريرك الـ ٣٨)

كان البابا بنيامين (البطريرك الـ ٣٨) هاربا من قيرس (المقوقس) البطريرك الملكانى وبعد الهزيمه التى منى بها الروم ورحيل جيشهم عن مصر غدا القبط فى مأمن من الخوف وبدأوا يشعرون بالحريه الدينيه .. ولما علم عمرو باختفاء البابا القبطى بنيامين نتيجه الظروف التى كان يمر بها الاقباط كتب كتاب امان للبابا بنيامين يقول فيه " الموضع الذى فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والامان والسلامه من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدبر حال بيعته وسياسه طائفته "..ويقال ان الذى سعى فى عوده البابا بنيامين احد الاقباط ويدعى سنوتيوس (شنوده) وكان بين قاده الجيش الرومانى كما يقال ان عمرو وهو فى طريق عودته بعد فتح الاسكندريه خرج للقائه رهبان وادى النطرون فلما رأى طاعتهم سلمهم كتاب الأمان للبابا.

لم يلبث عهد الأمان ان بلغ البابا بنيامين فخرج من مخبئه وعاد الى الاسكندريه ودخلها دخول الظافرين وفرح الناس برجوعه فرحا عظيما بعد ان ظل غائبا مده ثلاثه عشر عاما .. منها عشره اعوام قبل الفتح للعربى وثلاثه اعوام فى حكم المسلمين

وكان البابا بنيامين ذا هيئة جميله تلوح عليها امارات الوقار والجلال وكان لذلك اثر عظيم فى نفس عمرو بن العاص حينما ذهب اليه البابا والتقى به،حتى انه قال لاصحابه " لن فى جميع الكور التى ملكناها الى اللآن ما رأيت رجل الله يشبه هذا " ثم التفت اليه عمرو وقال له " جميع بيعك ورجالك اضبطهم ودبر احوالهم واذا أنت صليت على حتى امضى الى الغرب والخمس هدن وأملكها مثل مصر واعود اليك سالما بسرعه فعلت لك ماتطلب منى"

فدعا البابا بنيامين وقال له كلاما طيبا أعجبه والحاضرين ثم انصرف من عنده مكرما مبجلا.

وقد نجح البابا بنيامين فى جمع القبط الارثوذكس ولم شملهم كما اتجهت همته الى اصلاح ما تهدم من الأديره ولاسيما ماكان منها فى وادى النطرون وقد

---

(١) كتاب اخبار مصر (للرحاله الفارسى عبداللطيف البغدادى)+ كتاب مختصر تاريخ الدول(ابوالفرج بن العبرى)

لحقها التخريب الكثير منذ اوائل القرن السابع على يد الفرس والخلقيدونيين .. ومن ذلك زيارته بريه شنوده وتكريسه لبيعه جديده بدير القديس ابو مقار , حيث رأى السيد المسيح يكرس الهيكل بنفسه كما ظهر ايضا القديس أبو مقار.

كل ذلك حدا بالمؤرخ بتلر ان يقول عن البطريرك بنيامين " ولقد كان لعوده بنيامين اثر عظيم فى حل عقده مذهب القبط وتفريج كربته ان لم تكون عودته قد تداركت تلك الملة قبل الضياع والهلاك اذ لم يكن قبط مصر فى وقت من الأوقات أشد حاجة منهم فى ذلك الوقت الى ذى رأى فصيح وخلق متين يقودهم ويدبر أمرهم (١)

عدد القبط وقت الفتح العربى.

المؤرخون المسيحيون والمسلمون الاوائل ممن أرّخوا الفتح العربى فى مصر فى شبه اجماع على ان عدد من فرضت عليهم الجزيه دينارين بحسب معاهدتى بابليون والاسكندريه بلغوا ستمائه آلاف الف (سته ملآيين) وذلك لان مقدار الجزيه وحدها (بخلاف الضرائب الاخرى على الارض وخلافه كانت تسمى الخراج) التى جمعت منهم بلغت اثنى عشر ألف ألف دينار (اثنى عشر مليونا) ومعلوم ان الجزيه كانت تقرر على الذكور ممن تبلغ اعمارهم من ١٥ الى ٦٠ سنه ويعفى منها النساء والشيوخ والصبيان والمعوقين وغير القادرين والرهبان .. واضح ان من كانت تنطبق عليهم شروط دفع الجزيه كانوا حوالى ربع سكان مصر من القبط فى ذلك الوقت .. نعتقد ان عددهم كان لايمكن ان يقل عن خمسه وعشرين مليونا هذا وان كان المؤرخ الانجليزى ستانلى لين بول يقول ان ابن عبدالحكم يقدر دافعى الجزيه (ضريبه الرأس من سته الى ثمانيه ملايين نسمه فاذا كان الامر كذلك فالعدد يرتفع الى نحو ثلاثين مليون قبطى (٢)

الشريعه الاسلاميه واهل الذمه:

كان العرب بحكم بيئتهم الاولى يجهلون فن الحكم .. والقرآن بتعليماته فيما يجب اتباعه حيال أهل الذمه ، جعل مهمة الحكام فى الاراضى المحتله شيئا صعبا فقد اضطر هؤلاء الحكام بحكم الظروف اما الى تجاهل بعض تعليمات القرآن والحديث واما الى تفسيرها حسب أهوائهم .. وهكذا تعرضت هذه المبادئ منذ بدايه الفتوح العربيه لبعض التعليقات الخطيره فازدادت الفوارق بين المبدأ الذى كان يشتد احيانا على اهل الذمه وبذلهم وبين تطبيقه.

---

(١) كتاب الفتح العربى لمصر (الفريد بتلر)

(٢) كتاب تاريخ مصر فى العصور الوسطى ص ١٩ (ستانلى لينبول)

ويقول الدكتور ترتون فى كتابه اهل الذمه فى الاسلام " من المتفق عليه تاريخيا انه ورد فى الحديث النبوى " لايجتمع دينان فى بلاد العرب " مما حمل عمربن الخطاب على طرد جميع اليهود والنصارى من شبه الجزيره العربيه باعتبارها دار الاسلام دون سواه من الاديان . وقد خلت بلاد الحجاز من الذميين نتيجه طردهم منها .. على انه لم يؤد هذا المفهوم الى اخراج الذميين من بلاد اليمن .. على أيه الحالات فنحن نرى تضاربا فى تطبيق هذا الاتجاه .. ففى حياة محمد نبى المسلمين كان هناك نصرانى اسمه موهب يسكن مكه ذاتها لكن عمر فى خلافته حرم دخول المدينه على غير المسلمين من الذكور البالغين ولم يستثن من هذا التحريم سوى شخص يدعى ابو لؤلؤه لانه كان صانعا ماهرا .. ويبدوا انه الاحتياج الى بعض النصارى كان يلزم الحكام المسلمين بالسماح بدخول البلاد المحرمه هكذا فعل عثمان بن عفان ومعاويه بن ابى سيفيان الذى لما ارسل ابنه يزيد لمع الحج استصحب يزيد معه طبيبه النصرانى ابا الحكم كما ارسل الخليفه عبدالملك بن مروان احد المهندسين الروم المسيحين الى مكه لعمل هندسى عقب احد الفياضانات التى هددت الكعبه وأرسل الوليد بن عبدالملك بن مروان ثمانين صانعا من الروم والقبط لاعاده مسجد محمد .. كما اشترك كثير من العمال الذميين فى بناء المساجد(١)

اهل الذمه وعهد عمـــــر

خضع اهل الذمه ايضا لشروط عمر التى تعرف باسم عهد عمر . ذكرها القلقشندى (١٣٥٥ - ١٤١٨) فى كتابه (صبح الاعشى) ... ونحن نذكرها هنا لان بعض ولاة مصر المسلمين رجعوا اليها احيانا . هذه الشروط المنسوبه لعمر بن الخطاب وضعت اولا فى صوره خطاب حرره اهل سوريا ورفعوه للخليفه عمر ليصدق عليه.

وقام القلقشندى بتلخيص الشروط المفروضه على اهل الذمه وهى : الجزيه والضيافه والانقياد لاحكامنا . وعندما لايركبوا الحمير يجعل الراكب رجليه من جانب واحد . وان ينزلوا المسلمين صدر المجلس وصدر الطريق . والتمييز عن المسلمين فى اللبس وانهم لايرفعون ما يبنونه على جيرانهم المسلمين وانهم لا يحدثون كنيسه ولابيعه فيما احدثه المسلمون من البلاد.

---

(١) كتاب اهل الذمه فى الاسلام - ٢٠٣ : ٢٠٤ (د . ترتون)

ان موضوع عهد عمر محل نقاش من جهه صحه نسبته اليه .. لكن الامر الذى لايمكن انكاره او تجاهله هو أن بعض الخلفاء والولاه وفقهاء المسلمين ساروا على نفس الخط الواضح نحو الذميين فى عهد عمر طوال الحكم الاسلامى.

ومن جهه مصر . فان عمر بن العاص كان فى بادئ الامر قد صالح اقباط مصر على مبدأ الجزيه الذى اشرنا اليه لكن المؤرخ المقريزى يذكر ان عمر بن الخطاب ما لبث ان كتب لواليه على مصر عمرو بن العاص " أن أختم فى رقاب أهل الذمه بالرصاص وليظهر مناطقهم ويجزوا نواصبهم ويركبون على الاكف عرضا ولاتضرب الجزيه الا على من جرت عليه الموس دون النساء والولدان ولاتدعهم يتشبهون بالمسلمين فى ملبوسهم " .(١)

الاقباط والنظام المالى:

اهتمت الخلافه الاسلاميه عقب فتح مصر مباشرة باستغلالها وجبايه اموالها وتشهد المكاتبات التى دارت بين الخليفه عمر بن الخطاب وعمر بن العاص عقب فتح مصر على ان الخليفه كان يريد جبايه نفس القدر الذى كان يجبيه الروم من مصر (ابن الحكم فتوح مصر واخبارها) وينسب لعمرو بن العاص انه قال لاقباط مصر بعد الفتح (أن من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته " ويذكر ابن الحكم ان عمرو قتل احد اثرياء الصعيد ويدعى بطرس لانه اخفى كنزا له فكان ذلك سببا فى ان يخرج الاقباط كنوزهم خوفا من القتل (٢)

ومن الواضح ان الاقباط سرعان ماعادوا الى المعاناه من كثره ما فرض عليهم من ضرائب. تماما كما كانوا فى زمن الروم اذ ان الاعباء الماليه التى تطلبتها الخلافه كانت كثيره واصبح مطلوب منهم توفير المال اللازم لبيت مال المسلمين وللمنتفعين من الولاه والموظفين (دكتوره سيده كاشف , مصر فى عصر الولاه ' ١٢٢ - ١٢٣) وتقول دكتوره سيده كاشف " يظهر ان العنصر المالى الرئيسى الذى كان يهتم به العرب هو الجزيه ولذلك كانت الجزيه سببا فى اسلام كثير من الاقباط الذين ارادوا التخلص منها وهذا طبعا معناه نقص دخل الدوله وربما حدا هذا بالخلفاء الى مضاعفه مقدار الجزيه على من تبقى من الاقباط على دينه حتى لقد قيل ان الخليفه عمر بن عبدالعزيز ارسل الى حيان بن شريح عامله على خراج مصر ان يجعل جزيه موتى القبط على احيائهم.

---

(١) كتاب " صبح الاعشى " (للقلقشندى)

(٢) فتوح مصر واخبارها (لابن الحكم)

والملاحظ ان الاعباء المالية اخذت تزداد تدريجيا على الاقباط مما اضطر الكثيرين الى التحول الى الدين الاسلامى فرارا منها وعندما كثر عدد الاقباط الذين دخلوا فى الاسلام كثر العبء المالى على من بقى على دينه منهم .. كذلك بدأ والى مصر عبدالعزيز بن مروان سنه (٦٨٥ - ٧٠٥) فرض الجزيه على الرهبان اذ امر باحصاء جميع الرهبان فى كل الكور وفى وادى النطرون وسائر الاماكن وفرض دينارا جزيه على كل راهب وامر الا يترهب احد بعد من احصاه وكانت هذه أول جزيه أخذت من الرهبان (١)

وفى خلافه الوليد بن عبد الملك واثناء ولايه اخيه عبدالله بن عبدالملك (٧٠٥ - ٧٠٩) زادت الاعباء الماليه على الاقباط وقد اسلم عدد منهم لكن من ناحيه اخرى قامت فى عهده حركه مقاومه سلبيه ضد سياسه العرب الماليه من جانب الذين لم يرضوا بتغيير دينهم بسبب الاعباء الماليه فأخذ بعض الافراد يهربون الى مناطق مختلفه غير تلك التى كانوا مقيدين فيها ... غير ان الوالى تشدد فى قمع تلك الحركه التى كانت تهدد باثاره الفوضى فى مصر فضلا عن تأثيرها فى ماليه الدوله فأمر بوسم الغرباء الذين وجدوا فى الاقاليم المختلفه على ايديهم وجباههم وأرسلهم الى مواضع مختلفه وقد استمرت حركه الهروب من ولايه قره بن شريك الذى خلف عبد الله بن عبد الملك (٧٠٩ - ٧١٤) بل انها اتخذت فى عهده شكلا واسعا فكانت اسرات بأسرها رجالا ونساءا واطفالا تهرب من مكان الى مكان لاتستقر فى مكان معين وذلك فرارا من دفع الضرائب .. وفى خلافه سليمان بن عبدالملك (٧١٥ - ٧١٧) كان متولى خراج مصر اسامه بن زيد التنوخى وقد اشتد اسامه فى طلب الخراج والجزيه وامر عماله الا يتوانوا فى جمع الضرائب فأسلم الكثيرون فى عهده كى يتخلصوا من الاعباء الماليه وقد امر اسامه الا يأوى احد غريبا فى الكنائس او الفنادق او السواحل .. وقد عمل اسامه بن زيد احصاء ثانيا للرهبان بعد الاحصاء الذى تم فى عهد عبدالعزيز بن مروان وجبى منهم الجزيه كما امر الرهبان الا يقبلوا فى الرهبنه من يأتى اليهم بعد ذلك وأمر أسامه بوسم كل راهب بحلقه حديد فى يده اليسرى كان يكتب عليها اسم بيعته وديره وتاريخه اما من وجد هاربا او غير موسوم فقد كان يلقى عقابا قاسيا (دكتوره سيده كاشف ٢١٢٣ - ١٢٨) .

وبسبب الحاجة الى المال كان بعض الخلفاء والولاة يستمرون على جمع الجزيه حتى ممن يسلمون ولاشك ان معظم الذين اعتنقوا الاسلام من الاقباط كان بسبب

---

(١)كتاب مصر فى عصر الولاة (د.سيدة كاشف)

التهرب من دفع الجزيه وليس حبا فى الاسلام كدين فقد حدث فى ولايه حفص بن الوليد الثالثه على مصر سنة ٧٤٥م من قبل الخليفه مروان بن محمود عندما اعلن اعفاء كل من يسلم من الجزيه . اعتنق نحو اربعه وعشرين الفا من الاقباط الدين الاسلامى . كذلك عندما قرر الخليفه العباسى ابو العباس السفاح ان يعفى من الجزيه كل من يعتنق الدين الاسلامى ويقيم شعائره تخلى كثير من المسيحين عن دينهم واعتنقوا الدين الاسلامى بسبب فداحه الجزيه والاعباء الملقاه عليهم (سيده كاشف ١٢٩)

أهل الذمه ووظائف الدولـــة :

لم يشمل عهد عمر مسألة إستخدام أهل الذمه لان القران أجاب على ذلك بالنفى وقد تمسك عمر طوال مده خلافته بأحكام القران...وقد أورد لنا الفقيه بن النقاش خطيب (١) مسجد بن طولون فى القرن التاسع الميلادى عده أمثله لما اتبعه الخليفه عمر" قال أبو موسى الاشعرى للخليفه :استخدمت رجلا نصرانيا . فأجابه الخليفه : ماذا فعلت ايها الرجل ؟ ان الله سيعاقبك . ألم تدرك معنى قول الله تعالى " يا ايها الذين آمنوا , لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين (المائده ٥٠) " فقلت يا أمير المؤمنين استخدمته وتركت جانبا عقيدته . فأجاب عمر : ليس هذا عذرا ولن أشرف ابدا الذين احتقرهم الله . ولن أرفع ابدا الذين وضعهم الله فى حاله دنيئه ولن اقترب من الذين ابعدهم الله منه ، وكتب الى الخليفه عمر احد قواده ليستعلم بخصوص ادخال الكفار فى الوظائف العامه فقال : " ان الاموال التى تدفقت على الخزينه بكثرة , ولا يستطيع غيرهم أن يقوم بالاعمال الحسابيه قل لى حينئذ مايستحسن عمله " ... فأجاب عمر " لاتشركوا الكفار فى أعمالكم لاتعطوهم ماحرمه الله عليهم . ولاتضعوا ثروتكم فى أيديهم ولا تنسوا هذه المبادئ التى يجب أن يسير عليها كل رجل " . وكتب الخليفه الى احد قواده : أن الذى يستخدم كاتبا نصرانيا , يجب الا يشاطره فى حياته او يكن له عاطفه او يجلسه بجانبه أو يستشيره لان النبى والخليفه امرا بألا يستخدم الذميين فى الوظائف وتلقى الخليفة عمر رسالة من معاوية بن أبى سيفان يقول فيها " يا أمير المؤمنيين انى استخدم فى ولايتى نصرانيا لا أستطيع بدونه أن أجمع الخراج .

---

(١) كان ابن النقاش فقيها من الترجه الاولى وخطيبا لمسجد ابن طولون وكان يعطى دروسا فى هذا الجامع وفى بعض مساجد القاهره وتوفى سنه (١٣٦٢م) وقد اعتمدنا على رأيه لسببين : اولا لانه كان يقيم بمصر ويتحدث فى كتبه الفقيه عن الاقباط بوجه خاص ثم انه عاش بمصر فى زمن كانت البلاد تتمتع بالاستقلال..وكان المسلمون يسيطرون على حالة البلاد سيطرة كاملة

ولكن أردت قبل أن يقوم بهذا العمل ان انتظر أوامركم " فأجاب الخليفه " أدعو الله أن يقينى هذا الشر . قرأت الرسالة التى وجهتها الى بخصوص النصرانى.واعلم ان هذا النصرانى قد توفى والسلام(١)

أما رأى الفقيه النقاش , فلم يكن اقل صراحه من رأى عمر رغم الفاصل الزمنى بينهما (نحو ٢٣٠سنه) لقد سئل الفقيه " ما هو رأى علماء الاسلام وهم قاده الشعوب , فيما يختص باستخدام الذميين وبالاستعانه بهم بصفه كتاب لدى الامراء لاداره البلد او لجبايه الخراج ؟ أهو عمل شرعى أم محرم فأجاب ابن النقاش أعلم ان الشرع لايسمح باستخدام الذمين وهذا رأى جميع المسلمين أما العلماء فقد افتوا بعدم استخدام الذميين فحرموه بتاتا أو أعربوا على الاقل عن عدم رضائهم لانهم يقولون : لاعهد بيننا وبين انصار النبى (٢) ويمكن تطبيق هذا الكلام على اقباط مصر الذين يعتقدون انهم غير مرتبطين بعهد مع المسلمين فان قيل ان الايات التى ذكرتها تتعلق فقط بشعور الصداقه نحو النصارى بينما ان المسأله تتعلق باستخدامهم فى الوظائف العامه , اقول " لا يستخدم الانسان الا من يثق فيه .. وعلى ايه حال فان الله تعالى حل المشكله الخاصه بالذميين حلا قاطعا اذ قال " من يتولهم منكم فانه منهم (سوره المائده الايه ٥١).

وقد كره عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى أن تكون يد الذمى هى العليا فيكون له السلطات على المسلمين وحاول من ذلك.فأرسل الى الولاه عن هذا الخصوص رسالة يقول فيها " أما بعد فان الله عز وجل اكرم بالاسلام اهله وشرفهم و أعزهم,وضرب الذله والصغار على من خالفهم وجعلهم خير امة أخرجت للناس.فلا تولين أمور المسلمين أحدا من أهل الذمه,فتبسط أيديهم وألسنتهم . وتذلهم بعد أن أعزهم الله,وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى وتعرضهم لكيدهم والاستطاله عليهم "لذلك فقد عزل عمر بن عبدالعزيز جماعة من العمال القبط بمصر,واستبدل بهم عمالا مسلمين.والواقع انه كان شديد التمسك بتطبيق ذلك المبدأ فى جميع نواحى الدوله الاسلاميه لأنه كتب ذات مره يقول "أن من أراد أن يقيم فى مملكته وبلاده فليكن على دين محمد مثله,ومن لايريد فليخرج عنها"(٣)

---

(١) كتاب أقباط ومسلمون (د.جاك تاجر ص ٥٥ ، ٥٦

(٢) لم يذكر ابن النقاش نصوص القرآن ولكنه فسر معنى الآية ٧٥ من سورة آل عمران

(الكندى : لكتاب الولايه والقضاء , ابن عبد الحكم : سيره عمر بن عبدالعزيز , الكامل فى التاريخ لابن الأثير , ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركه صفحه ٣٢٦) .

(٣) (الكندى:لكتاب الولاية والقضاء ،ابن عبدالحكم :سيرة عمر بن عبدالعزيز ،الكامل فى التاريخ لابن الأثير،ساويرس بن المقفع ::تاريخ البطاركة صفحة ٣٢٦)

القيود الخارجيه المفروضه على أهل الذمـــه :

عرض عمر لهذه القيود بصفه عامة ثم جاء الفقهاء ليفسروا ما قاله عمر يقول أبو يوسف قاضى بغداد فى "كتاب الخراج" (١) عن (القيود المفروضه على ازياء أهل الذمه) ينبغى ان تختم رقابهم فى وقت جبايه جزيه رؤوسهم حتى يفرغ من عرضهم . ثم تكسر الخواتيم كما فعل بهم عثمان بن حنيف ان سألوا كسرها وأن يتقدم فى أن لا يترك احد منهم يتشبه بالمسلمين فى لباسه ولا فى مركبه , ولا فى هيئته ويؤخذوا بأن يجعلوا فى أوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقده فى وسطه كل واحد منهم وبأن تكون قلانسهم مضربه (٢) وأن يتخذوا على سروجهم فى موضع القرابيس مثل الرمانه من الخشب وبأن يجعلوا شراك نعالهم مثنيه ولايحذوا على حذو المسلمين وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل ويمنعوا من أن يحدثوا بناء بيعه لهم او كنيسه ... فمر عمالك أن يتخذوا اهل الذمه بهذا الزى هكذا كان عمر بن الخطاب .. أمر عماله ان يأخذوا أهل الذمه بهذا الزى وقال حتى يعرف زيهم من زى المسلمين .

وقال ابو يوسف ايضا " حدثنى عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن ابيه ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عامل له : اما بعد فلا تدعن صليبا ظاهرا الا كسر وسحق ولا يركبن يهودى ولانصرانى على سرج وليركب على اكاف ولا يركبن امرأه من كسائهم على رحالة وليكن على اكاف وتقدم فى ذلك تقدما بليغا ، وامنع من قبلك فلا يلبس نصرانى قباء ولاثوب خز ولاعصب وقد ذكر لى ان كثيرا ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم وتركوا المناطق على اوساطهم واتخذوا الحمام والومز وترلكوا التقصيص ، ولعمرى لئن كان يضع ذلك فيما قبلك ان ذلك بك لضعف وعجز ومصانعه وانهم حين يراجعون ذلك ليعلموا ماأنت فانظر كل شئ نهيت عنه فاحسم عنه من فعله والسلام"
وان هذه الفقره لتدل بوضوح على ان هذه القيود قد حزفت احيانا بعد ظهورها وترجع اسباب هذه المخالفات اكثر ماترجع الى اعتبارات ماليه وسياسيه
وسنتحقق من ذلك بوضوح عندما نتكلم عن عهد الولاه (٣)

---

(١) طبع ببولاق سنه ١٣٠٢ ص ٧٢و ٧٣

(٢) يبدو ان مسأله الملابس هذه قد أخذت دورا هاما عند العرب ويقص علينا الكندى قصه قلنسوتهم كادت تنتهى بمأساه فقد لاحظ القاضى ابن ابى الليث ان القضاه التابعين له كانوا يبالغون فى تطويل قلنسوتهم فأمرهم بتقصيرها واقسم أن تقطع رأس كل من يخالف هذا الامر (كتاب الولاه والقضاه ص ٤٦٠ للكندى)

(٣) اقباط ومسلمون (د٠ جاك تاجر ص ٥٨)

أهل الذمة ودية من يقتل منهم :

هناك تضارب كبير بين الفقهاء فى هذا الامر .. يقال ان كلا من محمد نبى المسلمين وعمر بن الخطاب اباح دم المسلمين الذين يقتلون النصارى اغتيالا والمأثور عن النبى محمد انه اشار الى ان من قتل ذميا فلن يشم رائحه الجنه .. ولكن على بن ابى طالب قال " لايقتل مؤمن بكافر " وقد دعاه الى هذا القول وجود فكره ضد قتل المسلم لقتله ذميا.

ويقال ان كلا من ابى بكر وعمر وعثمان طالب فديه كامله غير منقوصه كما فى حالة المسلم تماما . ولكن مالك بن انس يقول بأن ديه الذمى نصف ديه المسلم سواء كان القتل عمدا او خطأ .. ويرى الأمام الشافعى ان ديه الذمى ثلث ديه المسلم فى العمد والخطأ .. وقيل ان ديه الذمى المقتول زمن محمد نبى المسلمين كانت نصف ديه المسلم .

واذا قتل رجل من المسلمين فى ارض اهل الذمه التزم اهلها الذميون بديته اذا لم يعرف قاتلوه او لم يستطع القبض عليهم (اهل الذمه فى الاسلام صفحه ٢٠٧ - ٢١٠) (١)

الاسلام والمرتد

الفقهاء المسلمون متفقون على ان الموت جزاء الردة عن الاسلام . وهم فى ذلك متمسكون بالحديث القائل يقتل من بدل دينه .. ويصر البعض على قتل المرتد مهما كانت الظروف التى دعت الى ردته , على حين يرى البعض الاخر ان يستتاب . فأن استتاب ولم يصر على ردته فلا يجوز قتله .. وطبعا هذا الكلام ينطبق على الذمى الذى يعتنق الاسلام تحت اى ظروف وبعدها أحس بخطئه وأراد العوده الى دينه .. وان كان الفقهاء متفقون على قتل المرتد , لكنهم يختلفون فى المده التى ينفذ بعدها الحد .. فمنهم من يقول يجب قتل المرتد فى الحال , والبعض يرون أن يمهل ثلاثه ايام للاستتابة , فان تاب قبلت توبته ...

سئل عمر بن الخطاب رأيه فى رجل اسلم ثم ارتد ثم اراد العوده هل يقبل اسلامه , قال " اقبلوه منه ,وقدموا له الاسلام فان قبله اتركوه وان لم يقبله فأقطعوا رقبته"

---

(١) كتاب أهل الذمة فى الاسلام (د . ثرتون)

و أخذ رأى عمر بن عبد العزيز الخليفه الأموى فى امر يهودى أسلم ثم ارتد فقال " ادعه الى الاسلام فان اسلم اخلوا سبيله و ان أبى اقتلوه (اهل اللذمه فى الاسلام صفحه ٢١١ - ٢١٦) (١)

الاسلام وشهاده الذمـــى

يكاد يكون هناك اجماع بين فقهاء المسلمين بعدم جواز شهاده ذمى لمسلم لا فى سفر ولا فى حضر ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان اول من اخذ بهذا الرأى . وبعض المصادر تظهر مدى التزمت فى هذه الحاله فيرفض ابو حنيفه ومالك والشافعى شهاده الذمى فى حالة مسلم مرض مرض الموت وهو فى سفره وأراد ان يوصى فلم يجد أحدا من المسلمين يتخذه شاهدا فأوصى وصيته لذمى ومع ذلك يرفض هؤلاء الفقهاء شهاده الذمى حتى فى هذه الحاله (أهل الذمه فى الاسلام صفحه ٢١٧) (٢)

آراء اسلامية معتدلة بخصوص اهل الذمة فى الاسلام

على انه من المفيد ان نشير هنا - بعد ان عرضنا لموضوع أهل الذمه فى الشريعه الاسلاميه الى ما كتبه مؤخرا الدكتور محمد عماره فى كتاب الهلال عدد فبراير ١٩٧٩ بعنوان " الاسلام والوحده الوطنيه "..والكاتب تخرج فى الازهر ودار العلوم وحصل على الماجستير والدكتوراه فى العلوم الاسلاميه يقول : (٣)

اولا : الجزيـــة

لقد القى فى فكر امه الاسلام وتراثها الفكرى والتاريخى بفعل الممارسات السياسية والاداريه التى لم تكن ابدا اسلاميه وبسبب منحها التبرير والمباركه من الفقهاء ورؤساء الدين القى فى فكر أمه الاسلام وعقلها . ان اهل الشرائع الاخرى من اهل الذمه واصحاب الكتاب هم رعايا من الدرجه الثانيه وفى احسن الاحوال انهم ليسوا مع المسلمين على قدم المساواه فى الحقوق والواجبات وكان وجوب (الجزيه) عليهم واعطائهم لها وهم صاغرون اهم فارق شكلا وموضوعا يقيم جدار التفرقه باسم الدين.

---

(١) كتاب الهلال عدد فبراير سنه ١٩٧٩ بعنوان " الاسلام والوحده الوطنيه" للدكتور محمد عماره

(١) + (٢) + كتاب اهل الذمه فى الاسلام (دشرتون)

صحيح ان القرآن الكريم قد تحدث عن هذه الجزيه فى موطن واحد وايه واحده فقال " قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى تعطوا الجزيه عن وهم صاغرون " (سورة التوبه : ٢٩)

وصحيح كذلك ان حكاما مسلمين لا يرقى الشك الى التزامهم بتعاليم الاسلام - ومنهم عمر بن الخطاب - حصّلوا الجزيه من اهل الكتاب .. بل لقد تحدثت مصادر التاريخ عن أن الرسول , قد عقد صلحا مع نصارى نجران , ومجوس البحرين وفيه نص على دفعهم الجزيه للدوله الاسلاميه .

ولكن هناك روايات ومأثورات كثيره فى موضوع الجزيه هذا تحتاج الى تمحيص ودراسة وتصحيح وعلى ضوء نتائج هذا التمحيص والتصحيح , سنجد أن اغلب التطبيقات فى تاريخنا لهذا الامر هى سياسة ومظالم لا علاقه لها بالاسلام.

فالشائع مثلا ان الجزيه هى ضريبه يدفعها اهل الذمه والكتاب , غير المسلمين , الذين يعيشون فى ديار الاسلام وأن سبب وجوبها عليهم هو عدم تدينهم بشريعه الاسلام , وهذا هو رأى علماء المذهب المالكى الذين قالوا ان الجزيه قد وجبت على اهل الكتاب " **بدل عن القتل بسبب الكفر** " فكأن اختلاف الشريعه هو سبب وجوبها , ومن ثم فهى دائمه الوجوب ومستحقه الدفع طالما بقى هذا الاختلاف.

لكن هذا الشائع ليس هو الصحيح .. اذ لو كان سبب الجزيه هو الاختلاف فى الدين لوجبت على كل المخالفين , بينما امرها ليس كذلك فهى لا تجب الا على القادرين على القتال من الرجال ولاتجب على الشيوخ ولا النساء ولا العجزه ولا المرضى من اهل الكتاب . وهؤلاء جميعا مخالفون للمسلمين فى الشريعه (الدين) ومع ذلك لاتجب عليهم الجزيه .. كما انها لاتجب على الرهبان إذن . فليس الخلاف فى الدين هو سبب وجوبها , وانما هى " ضريبه جنديه " أو بدل الخدمه العسكريه "بتعبيرنا الحديث " فرضتها الدوله الاسلاميه على القادرين على حمل السلاح والقتال . ممن هم فى سن الجنديه وطور القدره عليها . فى نظير اعفائهم من هذه الجزيه لاعتبارات " أمن " اقتضتها ظروف خاصه ببعض المجتمعات التى فتحتها جيوش المسلمين عندما اقتضت اعتبارات الامن هذه ان يكون الجيش جميعه فى تلك البلاد مؤلفا من العرب المسلمين
ويشهد لذلك ما قاله غير المالكه من الفقهاء , من انها وجبت " بدلا عن النصر والجهاد"

فلم تكن الجزيه اذا ضريبه دينيه , عله وجوبها هى المخالفه فى الدين بل كانت بدلا من الجنديه عندما اقتضت ضرورات الامن قصر الجنديه على المسلمين . فلما زالت هذه الضروره وكلما تخلفت سقطت هذه الضريبه , وقامت المساواه الحقه والحقيقه بين المواطنين على اختلاف الشرائع والمذاهب والاديان .. واليوم وبعد التطور الذى بلغته الامه والذى ساوى بين ابنائها جميعا فى شرف الجنديه وتأديه ضريبه الدم والذود عن الوطن . هل هناك مبرر لبقايا فكر او حديث - مجرد فكر أو حديث - عن هذه الجزيه تظل معششه فى عقول متخلفه ظانة او زاعمة ان سقوط هذه الجزيه هو تعطيل لحكم من احكام الله!

ثانيا : الـزى الخـــاص :

ولقد ترسبت فى قناعه العامه وقطاع من الخاصه ان الاسلام قد دعا الى تمييز اهل الكتاب عن المسلمين بزى خاص وعلى الرغم من ان الاسلام - وخاصه فى قرآنه الكريم - لم يعرض لقضيه الازياء والاشكال لا بالنسبه للمسلمين ولا بالنسبه لغيرهم لاهتمامه بالجوهر والمقاصد اكثر من الظواهر والاشكال الا ان ما شهده تاريخنا وسجله حول زى اهل الكتاب واهل الذمه من مراسيم قد صدرت تحدد لهم التزى بزى خاص ثم تعطل تنفيذه هذا بالرشوه او الجاه او مرور الزمن ثم العوده اليها ثانيا ... وهكذا ان ما شهده التاريخ فى هذا المجال قد رسب فى القناعات والافكار ان هذا الامر هو دين , او على الاقل وثيق بالدين .. ولقد اسهم فى هذا الخلط , خلط السياسة واوامرها بالدين وشريعته.

ان ائمه وفقهاء أجلاء قد تحدثوا عن وجوب تمييز أهل الذمه بزى خاص ورووا ان فقهاء اجلاء قد التزموا ذلك فى مجتمعاتهم التى حكموها .. وعلى سبيل المثال فها هو القاضى ابو يوسف (١١٣ - ١٨٢ هـ - ٧٣١ - ٩٨ م) يكتب فى كتاب الخراج طالبا من الخليفه هارون الرشيدى الالتزام بذلك مع اهل الكتاب والذمه " فلا يترك احد منهم يتشبه بالمسلمين فى لباسه ولا مركبه ولا فى هيئته ...الخ "

وقد استند أبو يوسف فى تقرير ذلك الى ان عمر بن الخطاب قد امر به وانه " امر عماله بأن يأخذوا أهل الذمه بهذا الزى وقال:حتى يفرق بين زى اهل الكتاب من زىالمسلمين " .. ونحن لانجادل صدق رواية ابى يوسف ان عمر بن الخطاب . قد طلب ان يتميز زى اهل الكتاب عن زى المسلمين .

وان كانت لنا ملاحظات على القضيه برمتها نوجزها فى نقاط :
١- ان صنيع عمر بن الخطاب فى هذا المقام - كذلك غيره من الخلفاء - ليس دينا ولا شريعه فمثل هذه الامور ليست من الدين فى شئ .
٢ - ان خيال الحكام قد تلقف مبدأ التمييز فى الزى فأضاف فى تطبيقه التفاصيل , حتى ليخيل للمرء ان الذين شرعوا هذا الامر وطبقوه هم من مصممى الازياء .وذلك يجعل هذا الامر اذ حل فى عادات الحكام التى نسجتها ظروف عصورهم . و أبعد عن ان تكون ذات صله بالشريعه والدين .
٣ - وهو أهمها - ان الفقهاء الذين استمروا على مر القرون يعيدون هذه القضيه ويزيدون لم يقفوا وقفه المتأمل للحكمه التى من اجلها بدأ عمر بن الخطاب فوضع هذا القانون .. فوصفه لم يرو عن النبى ولا عن ابى بكر وإنما روى عن عمر أى إنه من محدثات عهده لم يتأمل الفقهاء حكمة هذا القانون ولو تأملوها لقالوا بالغائه لانه قد اصبح غير ذى موضوع .

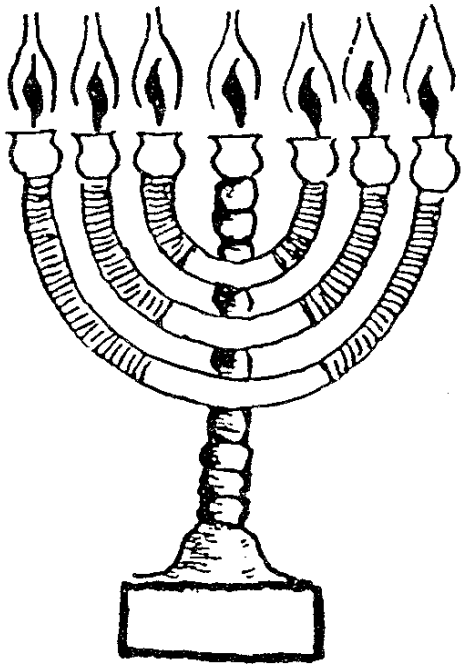
ثالثا : وقف بناء الكنائس والبيع الجديـــدة :

وقضيه ثالثه جرى عليها العمل وطبقتها السلطه السياسيه فى تاريخنا او فى بعض فتراته وهى حظر بناء دور العباده الجديده لغير المسلمين من اهل الكتاب غير تلك التى كانت قائمه عند فتح البلاد من قبل العرب المسلمين وعقد الصلح بينهم وبين اهل تلك البلاد فى ذلك التاريخ .. بل اننا نجد كتب الفقه الاسلامى تكاد تجمع على منع قيام هذه المعابد الجديده وتطلب الاقتصار على ماكان قائما منها عند الفتح كنائس كانت للنصارى او بيعا لليهود او بيوت نار للمجوس وأقصى ماتبيحه هذه الكتب هو ترميم بيوت العبادة هذه دون زيادة أو توسيع .

والامر الذى لاشك فيه هو ان مثل هذا الحكم وتطبيقه انما يمثل مظهرا للتفرقه الدينيه وللطائفيه ويؤكد غياب الوحده الوطنيه والقوميه اذ ما الذى تعنيه اباحه اقامه المساجد الجديده دون حظر او تحديد مع منع غير المسلمين من ممارسه هذا الحق الذى يمارسه المسلمون...هى اذن تفرقه لا سبب لها الا اختلاف الشرائع الدينيه .. ولايحق لباحث مخلص عن الحقيقه .. ان يتجاهل ان نصوص الفقهاء هذه والادله التى استندت اليها من المعاهدات والمصالحات وكذلك تطبيقاتها التى نهض بها ساسة العصور الوسطى وحكامها وعوامها . ان هذه الاشياء قد غدت لدى الكثرين من المسلمين " مسلمات دينيه وشرعيه " , تسلب الشريعه عن اغلب دور العباده غير الاسلاميه , وتجرد القرارات الحديثة باقامه

المعابد الجديده لاهل الكتاب من الحجيه الشرعيه . ومن ثم فلا بد من فتح باب النظر من جديد فى هذا الحكم الذى اجمع اغلب الفقهاء والبحث عن علاقته بالاسلام كدين , وبالشريعه الاسلاميه , كنهج الهى يجب ان يلتزمه المسلمون ومنذ البدايه فنحن نرى ان هذا الحكم رغم وروده فى كتب الفقه فهو ليس دينا , ولا هو من الشريعه الدينيه وانما هو من الترتيبات الاداريه والسياسيه التى مارستها السلطات السياسيه بعد عصر الفتوحات مدفوعه بقدر غير ضئيل من التعصب وضيق الافق ثم جاء الفقهاء فقننوها وجعلوها فقهاً ، وذلك بعد أن إستولوا عليها بنصوص معاهدات وإتفاقات صلح عقدت فى صدر الاسلام

وان كانت هذه الاصوات المخلصه تدل على أن الحق له انصاره ومريدوه فى كل مكان وزمان لكنه يؤسفنا الى جانب الكلام السابق ان يقع فى ايدينا كتاب اقامه الحجه الباهره على هدم كنائس مصر والقاهره " لشيخ الاسلام احمد الدمنهورى فى القرن الثامن عشر " وعنى بنشره موسى برلمان وطبعته جامعه كاليفورنيا سنه ١٩٧٥ الذى يورد آراء فقهاء المذاهب الاربعه بوجوب هدم الكنائس ليس المستحدث منها بل حتى ماكان قائما بها من بيوت العباده لغير المسلمين.



قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراختتها
فى عصر الولاة

(عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية)

ما أغنى الكنيسة القبطية وعلمائها فى كل الاجيال . انه من المستحيل ان يحصى الانسان كل القديسين فى هذه الفترة لكننا نقدم بعض النماذج .

١ - البابا بنيامين الاول البطريرك الـ ٣٨ (٦٢٣م - ٦٦٢م)

وتتميز حياه البابا بنيامين الرعوية بثلاث مراحل متباينة :-

المرحلة الاولى :- تمتد منذ رسامته اوائل سنة ٦٢٣ حتى اختفائه سنه ٦٣١

المرحله الثانيه :- وتمتد من سنه ٦٣١م الى سنه ٦٤٤م :-

وفيها اختفى البابا بنيامين . وظل مختفيا حتى اصدر عمرو بن العاص خطاب أمان له .. وكان البابا بنيامين مختفيا بأديره وادى النطرون ومنها الى الصعيد وظل مختبئا بأحد أديره الصعيد للمده ثلاثة عشر عاما .. وبينما كان هذا البابا فى مخبئه . غزا العرب مصر واحتلوها .

المرحله الثالثه :- وتمتد من سنه ٦٤٤ الى نياحته سنه ٦٦٢ :-

وفيها شهدت مصر الحكم العربى .. وعاد البابا بنيامين الى نشاطه الرعوى بعد اختفاء لمده ثلاثه عشر عاما . خاصة بعد التعاطف الذى أظهره القائد العربى عمرو بن العاص على الاقباط والنعمه التى اعطيت للبابا فى عينيه حتى ان عمرو بن العاص أعطى للبابا بنيامين سلطانا على جميع رجال الكنيسه فى مصر ليدبر احوالهم . كالبطريرك والرئيس الشرعى للكنيسه فى كل اقليم مصر كما امر باسترداد جميع الكنائس التى اغتصبها الروم خاصه فى الاسكندريه .

واهم اعمال البابا بنيامين فى هذه الفتره يمكن تلخيصها فيما يلى :-

أ) - اعاد رأس القديس مار مرقس بعد ان سرقها احد البحاره من كنيسة مار مرقس بالاسكندرية وكانت تقع على السور الشرقى للمدينة وكانت ملفوفة بلفائف وظنه مالا مخبئاً - وبمعجزه الهيه لم تبحر المركب التى كانت فيها الرأس.فخرج البابا ومعه الكهنة وحملوا الرأس المقدس وسط التسابيح .. وكانت كنيسة مار مرقس قد احرقت اثناء فتح العرب الثانى للإسكندرية فى صيف سنه ٦٤٦م . وقد اعاد بناءها خلفه البابا اغاثون البطريرك الـ ٣٩

ب) - ومما يذكر للبابا بنيامين انه دشن كنيسة الانبا مقار بديره ببريه شيهيت ويروى انه اثناء صلوات التكريس شاهد الانبا بنيامين الانبا مقار حاضرا بين اولاده رهبان الدير . فظنه واحدا منهم ووضع فى قلبه ان يرسمه اسقفا حينما يخلو احد الكراسى . ولكن السيرافيم ظهر له واعلمه بحقيقة هذه الشخصيه وهو انه انبا مقار ابو البطاركة والاساقفة .. ووقت الدهن بالميرون رأى البابا بنيامين يد السيد المسيح تمسح معه الهيكل .

٢ - البابا اغاثو البطريرك الـ ٣٩ (٦٦٢ م - ٦٨٩ م)

وكان هذا البابا معاصراً لمعاوية بن ابى سيفان وقد اشتهر هذا البابا فى مده خدمته بشراء صبيان النصارى الذين نهبهم العرب من الجزر خصوصاً جزيره صقليه التى استولوا عليها وجعلوا يتجرون بهم فى اسواق الثغر فكان يشتريهم ويفرقهم على المسيحيين ليربوهم . وفعل ذلك بالرجال والنساء ونقرأ فى السنكسار اليعقوبى ان البابا اغاثو " لقى شدائد كثيرة من أجل الامانة فقد ذكر ان فى زمانهِ مضى انسان اسمه تاؤدوسيوس (وكان ملكانى المذهب) الى مدينه دمشق وقدم الى يزيد بن معاويه الخليفه اموالا كثيره واخذ منه منشورا بأن يتولى مدينه الاسكندرية والبحيرة ومريوط فلما أتى تقسى على البابا اغاثو وضاعف الجزيه اذ طلب منه ٣٦ ألف دينار والزمه بكل ما ينفق على مراكب الاسطول فى كل سنة وكان هذا يزيد على سبعه الاف دينار ولكثره شرهَ لم يختلط به اهل ملته لانهم كرهوا منه ما عمل مع البطريرك ومن شده المظالم الى حاقت بالبابا وبالاقباط امتنع البابا عن الخروج من قلايته خوفا من بطشه لانه اصدر امرا بأن " كل من وجد البطريرك فى الطريق يقتله فمكث البابا فى قلايته محبوسا الى ان اهلك الله هذا المنافق (١) .

٣ - البابا خائيل البطريرك الـ ٤٦ (٧٤٤ م - ٧٦٨ م)

قد احتمل هذا البابا شدائد وضيقات واضطهادات تجل عن الوصف مما اشرنا اليه سابقا فى اكثر من موضع . وقد عاصر نهايه الدوله الامويه وقيام العباسيه

اثبات ملكيه الاقباط لكنيسه مارمينا بمريوط

حاول الخلقيدونيون (الملكانيون) ان يضعوا ايديهم على بيعه مار مينا العظيمه بمريوط . وقد قويت شوكتهم بعد ان اقيم لهم بطريركا يدعى قسما (٧٢٨ - ٧٥٦) .. وكان عضدهم هو ثاوفيلكتس بطريرك الروم فى الشام الذى

---

(١) السنكسار ص ٣٤١ + أقباط ومسلمون (د.جاك تاجر)

كان مقربا للخليفه الاموى مروان بن محمد . واستطاع ان يحصل من الخليفه على خطاب الى والى مصر عبدالملك بن مروان للتحقيق فى ملكيه بيعه مارمينا المشار اليها . وقد حقق الوالى الموضوع بنفسه اولا . ثم احاله الى احد القضاه قدم الخلقيدونيين رشوه للقاضى ورغم وضوح ثبوت ملكيه البيعه للاقباط فانه اخذ يماطل .. فاقترح البعض ان يدفع البطريرك خائيل شيئا للقاضى فتصدى الانبا مويسيس اسقف اوسيم وقال انه ما يليق بالبطاركه والاساقفه ان يدفعوا رشوه لاحد . والله لن يتخلى عنا . وفى نفس الاسبوع عزل القاضى المرتشى . واقيم اخر وكان شخصا لايحابى . فحكم بملكيه الاقباط لهذه الكنيسه

اول محادثات للوحده المسيحيه فى مصر :-

وفى اثناء نظر قضيه ملكيه كنيسه مارمينا بمريوط جرت اول محادثات للوحده المسيحيه فى مصر بين الاقباط والروم والملكانيين فى مارس او ابريل سنه ٧٤٩م وكانت المبادره من جانب الملكانيين لكنها لم تكن بنيه خالصه وكانت نتيجه لفشلهم فى وضع يدهم على بيعه مارمينا بمريوط .. ارسل البابا خائيل يستطلع رأيهم فى هذه المسأله . فكان جوابهم انها خدعه . لكن الانبا مويسيس اسقف اوسيم رأى ان يجربوا ويرسل اليهم وفدا لمعرفه رأيهم . وفعلا ارسل البطريرك اثنان للتباحث هما القس مينا كاتب البطريرك (وهو الذى خلف البابا خائيل فى البطريركيه والشماس يحنس كاتب سير البطاركه وكان الاول عالما بكتب البيعه) اجتمع الاثنان مع قسما بطريرك الملكانيين وقسطنطين اسقف مصر الملكى . اعترف الاثنان بطبيعه واحده للمسيح بعد الاتحادوليس بطبيعتين ولما طلب منهما ان يحررا اعترافهما كتابه ليحملوه للبابا . لكنهما سألا عن وضعهما ووضع باقى الاساقفه الملكانيين بعد الاتحاد . وطلب قسما البطريرك الملكانى ان يعامل كأب مثل البابا خائيل . ويحضر جميع البيع مثله . فطلب القس مينا الرجوع للبطريرك . فلما سمع الاساقفه الاقباط طلب قسما . صاح انبا مويسيس انه لايكون اسقفا على مصر ويكون اخا للاساقفه .. ولما اخبر قسما بطريرك الملكانين بذلك فرح اولا . الا ان شماسا من الاسكندريه يتبعه . تدخل وافسد هذا الاتفاق المبدئى للوحده . لانه كان يطمع ان يكون اسقفا وهكذا فشلت اول مباحثات للوحده المسيحيه . لكنها نجحت فى ضم قسطنطين اسقف مصر الملكانى الى الكنيسه القبطيه الارثوذكسيه .

اعتقال البابا وسجنه :-

اعتقل البابا خائيل شهرا كاملا فى السجن (٨ سبتمبر - ٩ اكتوبر ٧٤٩ م) وكان معه انبا مويسيس اسقف اوسيم وانبا تادرس اسقف مصر .

واعطاه (البابا خائيل) الرب نعمه فى عيون المسجونين مسيحين ومسلمين وغيرهم . وكانوا يعترفون له بذنوبهم التى فعلوها . فكان يعزيهم ويصبرهم ويقول لهم انهم ان نذروا توبه حقيقيه وعدم العوده لمثل الذنوب التى فعلوها فان الله يخلصهم قبل انتهاء السنة . فعاهدوه جميعا على ذلك . وقد تمجد الرب وتم ما قاله حرفيا . وقد افرج عنه الوالى بعد ما ضمنه بعض اراخنه الاقباط فى ان يذهب الى الصعيد ليجمع مايمكن جمعه من الاقباط ويقدمه للوالى . واعطاه الرب نعمه فى هذه الجوله وتمت على يديه معجزات شفاء كثيره .

عاقبة من يستهن بمقدسات الرب وصوره :-

وحدث يوم خروج البابا خائيل من السجن بعد اعتقاله شهرا . ان طلب اليه الشعب ان يصلى معهم قداسا . وبالفعل رفع القرابين فى كنيسه سرجيوس وواخس (ابى سرجه) بمصر القديمه .. ولما حان وقت التناول تقدم اليه رجل ليتناول من الاسرار المقدسه . ولم يناوله . وفى نهايه الخدمه حضر هذا الرجل للبابا البطريرك باكيا ليعرف سبب منعه من تناول الاسرار المقدسه فقال له البطريرك انه لم يمنعه . لكن المسيح هو الذى فعل ذلك . وطلب اليه ان يعترف بخطيئته .. فأعترف الرجل وقال انه كان يتناول طعام الافطار فى بيته ثم يأتى الى الكنيسه ويتقرب من الاسرار . وهكذا فعل فى ذلك اليوم ليتناول من يد البابا كان ذلك سببا فى ان اصدر البابا خائيل تعليماته الى الاكليروس لكى يحذروا الناس من ذلك .

وحدثت معجزه عجيبه فى بيعه مريم العذراء بالاسكندريه . حينما دخل شاب غير مسيحى ورأى صوره السيد المسيح على الصليب والجندى يطعنه فى جنبه بالحربه . وسأل الشاب عن معنى الصوره فقيل له انها تعبر عن خلاص العالم . فما كان من ذلك الشاب الا ان اخذ قصبه وطعن الصوره فى الجانب الايسر فى استهزاء . وللوقت تصلب الشاب والتصقت يده بالقصبه التى طعن بها صوره المصلوب . وصار معلقا هكذا وهو يصرخ طوال اليوم . فصلى الشعب الحاضرين كيرياليسون .. ولم يعد الشاب الى حالته الطبيعية الا بعد ان اعترف ان تلك الصورة هى للمسيح المخلص ... وبعدها قصد ذلك الشاب احد الاديره وتعمد هناك .

اما عن الضيقات الكثيره التى احتملها هذا البابا فقد اشرنا اليها فى اماكن متفرقه من هذا الكتاب

٤ - انبا مويسيس اسقف اوسيم (١) .

من اعلام الكنيسه وقديسيها العظام فى القرن الثامن الميلادى .. واتاه يوما بعض اراخنه مصر وطلبوا اليه ان يصلى الى الله ليرفع الضيق عنهم وعن شعبه . لانهم احصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوا عددهم اربعه وعشرين الفا فقال لهم امنوا يا اولادى ان الوالى الذى يضطهدكم يهلك فى بحر هذا الشهر وفعلا تم الامر كما قال .

وعاصر هذا الاسقف البابا خائيل البطريرك الـ٤٦ وفى أيامه حاول الخلقيدونيون بأسلوب ملتوى وللتشفى ان ينزعوا ما فى بيعه مارمينا بمريوط من زينه وأعمدة ولكن الله لم يسمح بذلك .

ولما اضطهد مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين . البابا خائيل البطريرك الـ ٤٦ لازمه الانبا مويسيس واشتهى ان يستشهد ويسفك دمه على اسم المسيح . وما ان وصلا (البابا والانبا مويسيس) الى خيمه مروان طرح الجند الانبا مويسيس على ركبتيه ورفعا رجليه الى اعلا وضربوه بدبابيس نحاس على جنبيه وعلى رقبته . وكان المعذبون يطلبون منه رشوه ليطلقوه اما هو فلم ينبث ببنت شفه لانه كان لايفهم لغه الجند العربيه .

وامر مروان بقطع رقبه البابا خائيل بالسيف . وساقه السياف الى موضع تنفيذ حكم القتل فجرى خلفه الانبا مويسيس . وحاول السياف منعه لكنه لم يمتنع حتى غضب منه احد الجند ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به . فمد القديس رأسه لكن بعض الموظفين منعوا الجلاد من ضربه ثم زج به فى السجن مع البابا .. ووضعت القيود فى ارجلهما مع كثيرين . لكن انبا مويسيس تنبأ بأنهم سيخرجوا من السجن سالمين . وبألفعل تم قوله بهزيمه مروان امام العباسيين .

استمر الانبا مويسيس مرافقا للبابا خائيل . وفيا له وللكنيسه طوال ايام تجاربه المره . واخيرا مرض . وعلم بدنو ساعة رحيله من هذا العالم فاستدعى رعيته وأوصاهم وباركهم وتنيح بسلام

اشهر النساك القديسون :-

يعسر علينا ان نحصى القديسين من النساك الذين حرصوا على ان يخفوا فضائلهم كتدريب مستمر لإماتة الذات . لكننا نذكر منهم :-

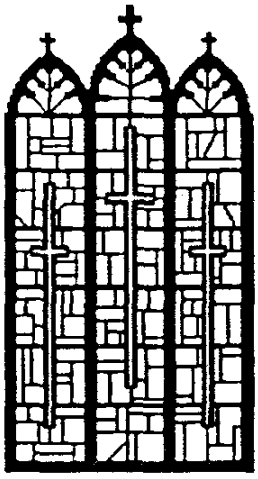
---

(١) اوسيم مركز امبابة بمحافظة الجيزة

الانبا يحنس قمص شيهيت (هذا غير يؤنس القصير) الذى كان يظهر له المخلص وامه العذراء فى كل مره يقدس القرابين وكذلك تلميذه ابيماخس القمص الذى شبهوه بموسى النبى للنعم التى كانت تبدو عليه . والذى اعطى موهبه شفاء الامراض وعمر اكثر من مائه عام . وكذلك القديسين انبا ابرام ورفيقه انبا جوارجى والقديس انبا اغاثون العمودى الذى ترهب بدير ابو مقار وتوحد فى جهه سخا (بمحافظة كفر الشيخ) وغيرهم كثيرون جدا .

أشهر العلماء وكتّاب السير :-

١ - يوحنا النقيوس
٢ - مينا اسقف نقيوس
٣ - الشماس جرجه
٤ - الانبا زخارياس اسقف سخا



" الفصل الثالث "

أمثلة من المتاعب التى حاقت بالكنيسة فى عصر الدولة العباسية

١- فى عهد الخليفة الهادى :-

فى أيام الخليفة الهادى لم يكد يتسلم الوالى على بن سليمان العباسى مقاليد الحكم حتى توهم أن هدم الكنائس مما يأمر به الدين الاسلامى ، فأمر بهدم عدد كبير منها ، وقد شجع هذا العمل بعض المتعصبين فى هدم عددا آخر من الكنائس (١) .

٢- فى عهد الخليفة المتوكل حدثت بعض انواع التحقير الادبى :-

ففى سنة ٢٣٥ هـ ايام الخليفة المتوكل على الله العباسى ، أمر المتوكل أهل الذمة بلبس الطيالسة (شال أو طرحة) العسلية ، والزنانير (الحزام الذى يشد على الوسط) ، وركوب السروج بركب الخشب . وتكون السروج كهيئة الأكف (بردعة الحمار) ، وعلى رؤوسهم القلانس المختلفة الألوان . وأن تخيط الرقاع على ظهورهم وصدورهم . كل رقعة قدر أربع أصابع ولونها عسلى . وأزر نسائهم عسلية ، وملبس مماليكهم مثلهم . ويمنعون من لبس المناطق . وهدم بيعهمم المحدثة . وأخذ العشر من منازلهم . فأن كان الموضع واسعا صير مسجدا ، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجدا صير قضاء . وأمر أن تجعل على باب دورهم أساطين (عمدان) وقيل شياطين من خشب مسمورة تقريبا بين منازلهم ومنازل المسلمين . ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأعمال السلطان التى تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين . ونهى أن يتعلم أولادهم فى كتاتيب المسلمين ، وأن يعلمهم مسلم . ونهى أن يظهروا فى أعيادهم وشعانينهم صلبانا وأمر بأن تسوى قبورهم بالأرض لئلا تشبه قبور المسلمين . وكتب الكتب إلى عماله فى الآفاق بذلك . ثم أمر أهل الذمة فى سنة ٢٣٩ هـ بلبس دراعتين (الدراعة قميص مفتوح من الأمام إلى موضع القلب) عمليتين على الدرايع والأقبية (القباء ثوب يلبس فوق الثياب) . وبالاقتصار فى مواكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين (الخيول التركية) .

٣- ما يختص بالشعائر الدينية :-

وفى مدة بطريركية البابا خائيل الأول البطريرك الـ ٤٦ (٧٤٤ - ٧٦٨) ام القاسم ابن عبد الله الحجاب متولى الخراج - وكان شريرا محبا للنساء

---

(١) قصة الكنيسة القبطية ب٢ رقم ٥٠٨ ص ٤٠١ (د. ايريس المصرى)

بالدخول إلى البيعة بدير الأنبا شنودة بالصعيد ، وهو راكب فرس ، ومعه سرية مفضلة لديه كانت تركب على فرس أخر .حاول رئيس الدير منعه ، لكنه فى غطرسة أبى ، ودخل البيعة ، فنفرت الفرس التى تركبها السرية ، فوقعت على الأرض ميتة ، ونفقت الفرس أيضاً .. أما القاسم فصرعه روح نجس لبث ملازما له يعذبه حتى مات .

٤ - اضطهاد الصور والايقونات :-

وفى أيام الفتنة بين الأمين والمأمون اعتدى على الأقباط فى الاسكندرية ، واحرقت مواضع عديدة لهم كما أحرقت ديارات وادى النطرون ، ونهبت فلم يبق بها من رهبانها إلا نفر قليل

٥ - مظالم ضد الاكليروس والرهبان والعلمانيين :-

لقد خلف الأمويين فى حكم مصر العباسيين سنة ٧٥٠ م . وإن كان العباسيون قد أظهروا نوايا طيبة نحو أقباط مصر فى بداية عهدهم ، لكن المشكلة الكبرى كانت فى الولاة الذين يعينون على مصر .. كان هؤلاء الولاة فى ظلمهم وحقدهم امتداد للولاة الامويين . وكانت الدوافع التى دفعت ولاة الأمويين إلى ابتزاز الشعب ، هى عينها دوافع الولاة الذين ولوا مصر من قبل العباسين ، خاصة وأن مركز الخلافة صادر فى بغداد وهى أبعد من دمشق . وربما استعصى الأمر على المظلومين من أن يقرعوا باب الخليفة .

ويذكر تاريخ البطاركة فى سيرة البطريرك يوساب الأول (٨٣٠ م -٨٤٩ م) أن أمرا وصل من بغداد صحبه رجل نسطورى اسمه العازر يقضى بنزع الأعمدة الرخامية والأرضيات الرخامية من الكنائس لاستخدامها فى تزيين قصور الخليفة والأمراء فى بغداد . وذلك لما عرف عن مصر من الثراء الحضارى . كان معنى نزع أعمدة الكنائس وحملها أن تهدم هذه الكنائس .. وما أن وصل العازر النسطورى حتى انضم إليه الخلقيدونيون المقيمون بالاسكندرية وأخذوا يرشدونه إلى الكنائس الفخمة بالاسكندرية ، إلى أن انتهى به المطاف إلى بيعة الشهيد مارمينا بمريوط التى اهتم الأباطرة البيزنطيون بتزيينها ، وكان بها من الرخام الشىء الكثير جدا ، فلما رأى ذلك النسطورى ما بها من الرخام الملون تعجب وبهت وقال هذا ما يحتاجه الخليفة . فلما سمع البابا يوساب بذلك ، قال لذلك النسطورى " هوذا كل البيع التى بحكمى بين يديك فافعل بها ما أمرك به الملك وهذه البيعة فقط أحب منك ألا تعترضها . ومهما التمسته منى سلمت إليك " لكن العازر لم يقبل شماتة منه . وأخرج من البيعة المذكورة الرخام الملون والبلاط الذى يحتوى الوانا بديعة ولا مثيل له ولا يقدر بثمن على حسب تعبير

تاريخ البطاركة . بعدها قام البطريرك باعادة عمارتها .. لكن الله أظهر قوته ، فضرب العازر ضربة فى جسده فمرض بمرض الاستسقاء (تاريخ البطاركة ٦٢٦ - ٦٢٨) (١)

وفى أيام الخليفة هارون الرشيد :-

شيد البابا يوحنا الرابع كنيسة عظيمة للملاك ميخائيل فأغتاظ منه الاروام وشكوه للخليفة ، ووجدها الوالى عبد الله بن المهدى - فرصة مناسبة لفرض غرامة باهظة على البطريرك فدفعها هذا راضيا دون أن يوقف بناء الكنيسة يوما واحدا (٢)

ثورات الاقباط فى عصر الدولة العباسية :-

كان العباسيون أكثر دراية من عمرو بن العاص ، فقد عرفوا كيف يستعينون بأهل البلاد الاصليين ، الذين كانوا على أستعداد لمساعدتهم ضد حكام البلاد تخلصا من المظالم الكثيرة لكن كثيرا ما يعيد التاريخ نفسه ، فما لبث العباسيون أن وجدوا أنفسهم مضطرين إلى فرض ضرائب باهظة .. يقول تاريخ البطاركة ، ولما كان فى ثالث سنه من مملكة الخرسانيين أضعفوا الخراج واكملوه على النصارى ، ولم يوفوا لهم بما وعدوهم (البطاركة ٤٤٢)

١) ثورة أقباط رشيد :

تكررت مظالم الولاة واستبدادهم بالناس على نحو ما اتبعه ولاة الامويين .. ففى خلافة أبى جعفر المنصور العباسى ، أوقع واليه على مصر يزيد بن حاتم بن المهلب بن أبى صفرة (٧٦٢ م- ٧٦٩ م) ببطريرك الاقباط الانبا مينا الاول اضطهادا شديدا . فساء الاقباط مالحق برئيسهم الدينى وابيهم الروحى . وكانت نتيجة ذلك أن ثار الاقباط فى رشيد وسخا وغيرهما من المدن المصرية ، وجاهروا بالعصيان . فأرسل إليهم الوالى قوة من الجيش. لكن الثوار الاقباط ردوهم على أعقابهم مهزومين أما الوالى فإزاء هزيمته أشتعل غضبه على الأقباط ، واضطهدهم وهدم كنائسهم . فعرض عليه أقباط الفساط (مصر القديمة) أن يترك لهم كنائسهم مقابل خمسين ألف دينار يدفعونها ، لكنه رفض وأصر على هدمها إذلالا لهم وانتقاما من أقباط سخا ورشيد . وبالفعل هدمها .

---

(١) تاريخ البطاركة (ساويرس بن المقفع) ص ٦٢٦ - ٦٢٨

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا) ص ٣٩٠

٢) ثورة أقباط حوف : -

وفى ولاية الليث بن الفضل (٧٩٩ م- ٨٠٣ م) بعث مسّاحين يمسحون الارض وأمرهم أن ينتقصوا من القصبة أصابع ، فتظلم أهل الحوف عليه ، فلم يسمع منهم فتجمهروا قبطا وعربا وساروا إلى الفسطاط . فخرج إليهم الليث بجنده وقاتلهم فهزموه لكنه عاد ولم شمل قواته وهزمهم ، وقتل منهم عددا كبيرا . وقبض على ثمانين من زعمائهم وقطع رؤوسهم ، وحملها إلى الفسطاط وعرضها على الناس حتى يلقى الرعب فى نفوسهم ، فكان لهذا العمل أثره فى أمتداد الثورة إلى معظم الوجه البحرى ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى ولى الخلافة المأمون فى سنة ٨١٣ م .

٣ - ثورة أقباط الوجه البحرى :-

وفى خلافة الخليفة المأمون العباسى (٨١٣ م- ٨٣٣ م) ، تفجرت مشاعر المظالم والتحقير والاضطهاد التى ظلت مكبوته لسنوات عديدة فى نفوس الاقباط ، فقد أمتنع أقباط الوجه البحرى عن دفع الخراج ، وشاركهم فى ذلك العرب . وقامت بينهم وبين الولاة حروب متفرقة قتل فيها كثيرون .. وإزاء هذه الحالة الخطيرة التى لم يسبق لها مثيل - فقد كانت أكثر الثورات عنفا - نظرا لانشغال المأمون بمحاربة الروم فقد بعث برسائل على يد مندوبين لاهل مصر أن يخلدوا للهدوء ، لكنها لم تجد نفعا .

فما أن انتهى من حربة مع الروم حتى قصد مصر ، وكان واليها فى ذلك الوقت هو عيسى بن منصور (٨٣١ م - ٨٣٢ م) ، فعاتبه بشدة ناسبا إليه كل ماحدث من هياج الناس نتيجة المظالم الكثيرة . وبلغ الامر أن المأمون أمر بتجريد الوالى من ملابسة الخارجية علامة على التحقير .
يقول مؤرخو المسلمين أن الخليفة المأمون لما كان فى مصر ورأى ثورة أقباط الوجه البحرى ، حكم بقتل رجالهم وبيع نسائهم وسبى أطفالهم ، لكن يبدو أن هذا الكلام هو تلخيص للنتيجة النهائية .. أما مؤرخو القبط فيقولون أنه لما وصل المأمون إلى مصر ذهب إليه البابا يوساب البطريرك الـ ٥٢ (٨٣٠ م- ٨٤٩ م) ، فأستقبله الخليفه استقبالا حسنا ، وطلب إليه أن ينصح اقباط الوجه البحرى ويحذرهم بأن يكتب لهم منشورا يدعوهم فيه الى الطاعة حقنا لدمائهم ووعده بأن ينظر بنفسه فى راحتهم .

وكتب البطريرك المنشور فأطاع الناس واذعنوا إلا أهل البشمور ، الذين رفضوا الاستسلام والخضوع ، وأبوا إلا المقاومة .. فلما علم المأمون بما وصل إليه الامر ، حمل عليهم بجنوده فشتت شملهم ودخل بلادهم ، وقتل رجالهم وسبى

نساءهم وأطفالهم ، وسلب أموالهم وهدم كنائسهم إمعانا فى إذلالهم ، وبالجملة فان المأمون لم يبرح أراضيهم إلا بعد أن خرب ديارهم وجعل بلادهم أطلالاً . ومكث المأمون فى مصر نحو شهرين طاف خلالها بأنحاء البلاد يسكن خواطر الشعب فسامحهم مما تبقى عليهم من أموال .. كانت هذه الثورة هى اخر ماقام به الاقباط من ثورات ، وكانت فى نفس الوقت أعظمها .

وعلى الرغم أن البطريرك يوساب عمل جاهدا على إقناع البشموريين على الاذعان والخضوع ، لكن كاتب سير البطاركة يصف الحالة المهينة التى وصلوا اليها ، مما يبعث على الاعتقاد أنه يبرر مسلكهم الثورى ، يقول بعد أن يصف ثقل يد عمال الخراج وموجه الغلاء التى عمت البلاد " مات بالجوع خلق كثير من النساء والاطفال والصبيان والشيوخ والشبان ومن جميع الناس مالا يحصى عدده من شدة الجوع وكان متولى الخراج يؤذى الناس فى كل مكان . وأكثر النصارى البشموريين كانوا يعذبونهم بعذاب شديد مثل بنى أسرائيل الى أن باعوا اولادهم فى الخراج من كثرة العذاب لانهم كانوا يربطونهم فى الطواحين ويضربونهم حتى يطحنوا مثل الدواب .. فلما نظر أهل البشموريين أن ليس لهم موضع يخرجون منه وموضعهم لا يقدر عسكر يسلكه لكثرة الوحلات فيه وما يعرف طرقه إلا هم ، فبدأوا ينافقوا ويمتنعوا أن يدفعوا خراجا ، وأتفقوا وتأمروا على ذلك وكان الملك فى ذلك الوقت عبدالله المأمون ابن هارون الرشيد "

(تاريخ البطاركة ٦٠٠ ، ٦٠١)

ومما يلاحظ على ثورات الاقباط التى أستمرت نحو قرن من الزمان - لا سيما فى منطقة الدلتا - أنها كان يعوزها التنظيم والتكتيك والقيادة الموحدة ، لذلك كان يقضى عليها سريعا .. لم يعرف الاقباط كيف يوحدون صفوفهم ويتخذون لهم قيادة قوية حكيمة . ويبدو أن هدف هذه الثورات الرئيسى كان رفع المظالم المالية التى أثقلت كواهلهم . بالاضافة إلى الاعتراض على نواحى وأنواع الاضطهادات الاخرى كالتحقير الادبى وما يمس العقيدة الدينية .

حوادث مؤسفة :-

من أشهر الحوادث المؤسفة فى العصر العباسى :-

١ - ماحدث للبابا مينا الاول البطريرك الـ ٤٧ من متاعب بسبب الشماس بطرس

٢ - ماحدث للبابا يوساب البطريرك الـ ٥٢ بسبب اسحق أسقف تانيس وتادرس أسقف مصر .

٣ - ماحدث للبابا يوساب أيضا بسبب أسقف مصر الذى يدعى بنا .

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراختتها
فى عصر الدولة العباسية

١ - البابا ياكوبوس (يعقوب) الملقب بالعمود المضئ البطريرك الـ ٥٠ (سنة ٨١٩م - ٨٣٠ م) الذى كان فى أيام الخليفة المأمون

وقد أشتهر بالتقوى والقداسة وفعل الخير كما خصه الله بصنع العجائب نذكر بعض منها .

أ - عاقبه من يستحى برجال الله :

ذكر أن شماسا وقحا دفعه الطيش على شتمة البابا فى وجهه وقال له ادفع الديون والاقساط المقرره عليك للكنائس والايبروشيات أو تخل عن البطريركية وأمضى إلى لديرك من حيث أتيت ، فقال له البطريرك إنك لن تعود ترى وجهى بعد . فمضى ذلك الشماس الى بيته وأعترته للحال حمى ومات تلك الليلة .

ب - إقامته للموتى :-

ذكر عن أحد الاراخنة المدعو مكاريوس من نبروه كان قد طعن فى السن ولم يرزق نسلاً وفى آخر عمره رزق ولدا ، فصنع وليمة ودعا اليها كثيرين وفى مقدمتهم البطريرك البابا ياكوبوس ، فحدث أن الوليمة لم تتته حتى أصيب الولد بوعكه مفاجئة ومات .

وعندما علم والده المدعو مكاريوس لم يضطرب ولا إنزعج ولكن بثقة وبايمان قوى ، الايمان الذى نقل الجبال وأقام الموتى والذى يقول عنه الكتاب المقدس " كل شئ مستطاع للمؤمن " قام وحمل أبنه الذى مات وألقاه فى حضن البابا وهو غير مرتاب فى أن الله يسمع له ليعيد لولده الروح والحياة ، وما كان من البابا ياكوبوس إلا أنه قام برسم الولد بعلامة الصليب على جبهته وصدره وقلبه وصلى قائلا " ياسيدى يسوع المسيح الواهب الحياة المنعم بالجاه أعد لهذا الطفل نفسه وأمنحه الحياة " وفى النهاية نفخ فى وجهه فعادت إليه نفسه فكان الفرح بإحيائه أعظم من الفرح بالوليمة ، أما والده ففرق ثلث أمواله على الفقراء والمساكين وبنى كنيسة مريم المجدلية فى القدس وأماكن لزائريه .(١)

---

(١) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٩٣

٢ - البابا يوساب البطريرك الـ ٥٢ (٨٣٠ م - ٨٤٩ م):

وقد أمتلا تـاريخ هذا البابا بالازمـات والمشاكل والضيقـات ومنهـا موضـوع أسقفى تانيس ومصر اللذين طلب شعباهما أبعادهما وإلا تركا الكنيسة وأنتهى الامر بقطعهما من الكهنوت بقرار مجمعى .. وفى أيامـه ثار البشموريون وكان ذلك فى خلافة المأمون العباسى ، الامر الذى أشرنا إليه سابقا ، وقد تعرض للموت بضرب عنقه بالسيف بواسط أخو الافشين قائد الجيش بوشاية أسقفى تانيس ومصر كما أسلفنا سابقا .

وفى أيامه أصدر المعتصم الخليفة العباسى أمرا إلى واليه على مصر بتجريد الكنائس من زينتها ، وينزع منها الأعمدة الرخامية . ومن الكنائس التى خضعت لتنفيذ هذا الامر بيعة مار مينا بمريوط ، على يد نسطورى يدعى لعازر . هذا بالاضافة إلى الضيقة التى سببها تادرس الذى أشتهى أسقفية أوسيم ، ويوحنا أسقف مصر الذى أشتهى أن يكون متقدما على بقية الاساقفة .

كان البابا يوساب يعد شبّانا من الافريقيين - ممن كانوا يهدونهم ملوك الحبشة والنوبة المسيحيين - ليكونوا بمثابة إرساليات للكرازة فى بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الافريقية .. وفتح البابا لهؤلاء الشبان مدرسة لتعليمهم قواعد الدين المسيحى فى البطريركية ، لكن أسقف مصر المقطوع من الكهنوت وشى إلى قاضى مصر أن هؤلاء الشبان مسلمين .. فما كان من القاضى إلا أن أرسل وأحضر هؤلاء الشبان ، كما أستدعى البطريرك وعنفه قائلا " لا ينبغى أن تخطف أبناء المسلمين لتتصرهم " فأجابه البابا " هؤلاء نصارى اولاد نصارى ارسلوا الى من ملكى النوبة والحبشة " .فأتى القاضى بالشبان أمام البطريك ، ونظرا لعظم تهديد القاضى لهم ، إعترفوا بالإسلام أمامه .. وإنتهى الأمر بأن صار هؤلاء الشبان عبيدا وأقتسمهم أعيان المسلمين .

وقد احتمل هذا الأب البطريك شدائد كثيرة ، وإهانات بالغة ذكرنا بعضها فى غير هذا الموضوع .. ولما أكمل سعيه الحسن أراد الله الذى لاينسى تعب المحبة ، أن يريحه من أتعاب هذا العالم الفانى فنقله إليه ، وكان إنتقاله فى يوم الأحد وقت تناول الأسرار المقدسة

أ - موهبة إخراج الشياطين

وقد حظى الله هذا البطريرك بموهبة إخراج الأرواح النجسة ومن ذلك أن روحا نجسا إعترى إبن أحد الأراخنة ، وجعل يسخر بالبطريرك قائلا " إنى لن أترك الولد حتى لو أمرنى البطريرك " فإنطلق أبوه وأعلم البطريرك بذلك وطلب منه

أن يكتب ورقة يأمر فيها ذلك الروح بالخروج من ولده فكتب يقول " من يوسف الحقير أصغر البطاركة الى الشيطان ، أنى آمرك بأسم الرب يسوع أيها الروح النجس أن تخرج من هذا الولد لأنه عبد للمسيح إلهنا ولا تعود تمس جسمه أو نفسه بأذى " فأخذ الأرخن هذا الأمر وعاد به الى بيته ، وحالما تلاه على ولده ، خرج منه الشيطان مولولا ، وشفى الولد (١)

٣ - البابا شنودة الاول (ساتوتيوس) البطريرك الـ ٥٥ (٨٥٩ م - ٨٨٠ م)

الذى عاصر كل من الخليفة المتوكل والمنتصر والمستعين كما عاصر أحمد بن طولون فى خلافة المعتز والمهتدى والمعتمد .

أ - من مآثر هذا الآب

أنه حفر خليجا أوصله الى الثغر الاسكندرى ، أجرى فيه الماء الى المدينة وعمل قنوات تحت الارض توصل المياه الى المبانى ، وبعد أن أتم هذا العمل الخيرى اشرع الناس يغرسون الاشجار والكروم على شاطىء ذلك الخليج ، ولم يمضى زمن حتى تحولت تلك الاراضى القاحلة الى جنات وفراديس (٢)

ب - كل ماتطلبونه من الآب باسمى تنالونه : -

كان لهذا الآب دالة عظيمة عند الله ، ومن البراهين على ذلك أنه كان يصنع لمارمينا عيدا إحتفاليا كل سنة تتقاطر لزيارته الناس من الجهات ، فإتفق فى إحدى السنين إن مياه الآبار نضبت لكثرة ازدحام الناس ، إذ لم يكن مطر فى تلك السنة فأشرفوا على الخطر ، وقد عظم الكرب خصوصا فى اليوم الذى يليه فتجمع الناس حول البطريرك وطلبوا إليه أن يدعو الهه لكى يفتقدهم ويفرج ضيقتهم ويروى ظمأهم وظماء دوابهم فوعدهم خيرا . وفى الصباح احتفل بقداس العيد وذكر أمام الرب ضيق شعبه فلم ينته من القداس حتى تغطت السماء بالغيوم وبدأ المطر يهطل بغزارة وإستمرت المياه تنهال حتى رويت الارض وملأت الأبار وزال ضيق الشعب وتمجد الإله الصانع العجائب على ايدى أحبائه (٣)

جـ - الأب المحب يبذل نفسه من أجل أحبائه :-

فقد ذكر عن هذا الأب ان له عادة سنوية أن يذهب هو ومجموعة من الاراخنة وأعيان الاقباط الى دير ابى مقار ويقضوا جمعة الألام فيه ، فذهب مع كثيرين على حسب عادته وكان العرب (الغوغاء ورعاع المسلمين) منتشرين

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ص ١٩٥

(٢) + (٣) كتاب الخريده النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٩٨ ، ١٩٩

كالجراد فى الوادى فتعقبوهم فى طريقهم وأضروا بهم ونهبوا قوافلهم وكل ما وصلت اليه أيديهم وفى يوم الخميس الكبير (خميس العهد) تكرر هجومهم مرة أخرى على الدير بقصد نهبه وتدميره ، فجزع الرهبان والشعب معا وأيقنوا أن الهلاك وشيك ، وأبتدأوا يولولون ويبكون ، فلما شاهد البطريرك هذا الاضطراب اشتمله الحزن وقصد أن يفدى شعبه بتضحية ذاته فاخذ عكازه وخرج الى الغوغاء - رغما عن توسلات الاساقفة والشعب بعدم خروجه - ودعاهم الى قتله بعد أن انتهرهم ووبخهم.ولكن هؤلاء لما نظروه خارجا لهم بمفرده جزعوا كما كان منظره المهيب سببا فى دخول الرعب فى قلوبهم فولوا هاربين ولم يبقى منهم احد .

وكان نتيجة الهجومات المتكرره على الاديرة من عرب البادية والغوغاء والبربر أن هجر اغلبية الرهبان من الاديرة وتشتتوا فى البلاد ، ولكى يحمى البطريرك الرهبان داخل الاديرة من بطش الغوغاء المتكررة ، شاد فى كل دير حصنا منيعا وهى التى بقيت ولها آثار حتى الان فى اديرة وادى النطرون (١)

مشاهير المسيحين من الاطبا ء فى العصر العباسى : -

١ - جورجيوس طبيب الخليفة المنصور (٢)

هو جورجيوس بن جبرائيل وكان يدعى بن أبى أصيبعة خدم بصناعة الطب للخليفة المنصور وكان خطيباً عنده رفيع المنزلة ، ونال من جهته اموالاً جزيلة وقد نقل للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين الى العربى

اما قصة استدعائه لعلاج المنصور فهى :

مرض المنصور سنة ١٤٨ هـ وفسدت معدته . وكلما عالجه الاطباء ازداد مرضه فتقدم إلى الربيع (وزيره وكاتم سره) بأن يجمع الأطباء لمشاورتهم . فجمعهم فقال لهم المنصور"من تعرفون من الأطباء فى سائر المدن طبيبا ماهرا ؟ "فقالوا " ليس فى وقتنا هذا احد يشبه جورجيوس رئيس أطباء جندى سابور (٣) ، فإنه ماهر فى الطب ، وله مصنفات جليلة " . فأنفذ اليه المنصور من يحضره . فحاول جورجيوس ان يعتذر بمشغوليته فلم يستطيع .

---

(١) كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الطنيسة ج٢ ص ١٩٨،١٩٩

(٢) الخليفة العباسى . أسس بغداد وجعلها عاصمته توفى سنة ٧٧٥ .

(٣) مدينة فى خوزستان .

فعهد بأمر البيمارستان (١) إلى ابنه بختيشوع ، وذهب . ولما رصل إلى المنصور دعا له بالفارسية والعربية . فتعجب الخليفة من حسن منظره ومنطقه ، وسأله عن أشياء ، فأجاب عنها بسكون ، فقال له " قد ظفرت منك بما كنت أحبه واشتاقه . وحدثه بعلته وكيف كان ابتداؤها ، فقال له جورجيوس : أنا أدبرك كما تحب .

اكرام الخليفة له :

* أمر له الخليفة بمكانه جليلة . وقال للربيع (وزيره) " انزله فى منزل جليل من دورنا ، واكرمه كما تكرم أخص الأهل وقد عالجه جورجيوس حتى عاد إلى صحته " وفرح به الخليفة فرحا شديدا وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل "

وبعد مرور سنتين ، قال الخليفة لجورجيوس " أرسل من يحضر أبنك الينا . فقد بلغنى أنه مثلك فى الطب " . فقال له جورجيوس " مدينة جندى سابور اليه محتاجة . وإن فارقها أنفسد أمر البيمارستان (المستشفى) . وكان أهل المدينة إذا مرضوا ساروا اليه ، وههنا معى تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم فى الصناعة حتى أنهم مثلى . وفى الغد أخذ معه عيسى بن شهلا وأوصله اليه (٢)

ولما كان فى ١٥١ هـ دخل جورجيوس إلى الخليفة فى يوم الميلاد ... فقال له الخليفة " من يخدمك ههنا ، فقال " تلامذتى " فقال له " سمعت أنه ليست لك أمراة " فقال له " لى زوجة كبيرة ضعيفة ، ولا تقدر أن تنتقل إلى من موضعها " . وخرج من حضرته ومضى إلى البيعة .

فأمر الخليفة خادمه سالما ، أن يختار من الجوارى الروميات الحسان ثلاثا ، ويحملهن إلى جورجيوس مع ثلاثة آلاف دينار ففعل ذلك .

ولما عاد جورجيوس إلى منزله ، عرفه عيسى بن شهلا بما جرى ، وأراه الجوارى ، فقال لتلميذه عيسى " يا تلميذ الشيطان ، لم أدخلت هؤلاء منزلى ؟ أمضى ردهن إلى صاحبهن . ثم ركب جورجيوس وعيسى ومعه الجوارى إلى دار الخليفة.وردهن على الخادم

فلما وصل الخبر بالمنصور ، أحضره وقال له " لم رددت الجوارى ؟ " . قال له " هؤلاء لا يكونون معى فى بيت واحد ، لأننا نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من أمراة واحدة . وما دامت المرأة فى الحياة ، لا نأخذ غيرها ، فحسن

---

(١) البيمارستان (المستشفى)

(٢) بعد عيسى ، استخدم ابراهيم تلميذ جورجيوس

موقعه من الخليفة ، وأمر فى وقته ان يدخل جورجيوس على حظاياه وحرمه ويخدمهم وزاد موضعه فى عينه وعظم محله .

ولما كان فى سنة ١٥٢ هـ مرض جورجيوس مرضا صعبا ... وخرج إليه الخليفة ماشيا وراءه وسأل عن خبره . فبكى جورجيوس وقال له " إن رأى أمير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، أن يأذن لى فى المصير إلى بلدى لأنظر إلى أهلى وولدى ، وإن مت قبرت مع آبائى " .

فقال الخليفة " يا جورجيوس ، اتق الله وأسلم ، وأنا أضمن لك الجنة " . قال جورجيوس " أنا على دين آبائى اموت وحيث يكون آبائى ، أحب أن أكون إما فى الجنة أو فى جهنم " . فضحك الخليفة من قوله وقال له " وجدت راحة عظيمة فى جسمى منذ رأيتك وإلى هذه اللحظة وقد تخلصت من الأمراض التى كانت تلحقنى قال جورجيوس " إنى أخلف بين يديك عيسى وهو تربيتى " .

فأمر الخليفة أن يخرج جورجيوس الى بلده " وأن يدفع إليه عشرة آلاف دينار وأنفذ معه خادما وقال " إن مات فى طريقه فأحمله إلى منزله ليدفن هناك كما آثر فوصل إلى بلده حيا .

٢ - جبرائيل بن بختيشوع طبيب هرون الرشيد وابنيه

قال عنه ابن ابى أصيبعة ونقل عنه دكتور محمود دياب مايأتى:
كان مشهودا بالفضل ، جيد التصرف فى المداواة ، عالى الهمة ، سعيد الجد ، حظيا عند الخلفاء ، رفيع المنزلة عندهم ، يكثرون الإحسان اليه ، وحصل من جهتهم من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء ...

علاجه لجعفر البرمكى :

ولما كان فى سنة ١٧٥ هـ ، مرض جعفر البرمكى ، فتقدم الرشيد إلى بختيشوع أن يتولى خدمته ومعالجته . ولما كان فى بعض الأيام قال له جعفر : أريد أن تختار لى طبيبا أكرمه وأحسن اليه . فقال له بختيشوع " أبنى جبرائيل أمهر منى . وليس فى الأطباء من يشاكله " فقال له جعفر " أحضرنيه " ولما أحضره عالجه مدة ثلاثة أيام وبرا . فاحبه جعفر مثل نفسه . وكان لايصبر عنه ساعة . ومعه يأكل ويشرب .

بدء صلته بالخليفة الرشيد :

مرضت حظية الرشيد ، ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها . والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان ، ولاينفع ذلك شيئا ، فقال جعفر للرشيد : لى طبيب

ماهر وهو ابن يختيشوع ، ندعوه وتخاطبه فى معنى هذا المرض ، فلعل عنده حيلة فى علاجه .

فأمر الرشيد باحضاره ... وشرح حال الصبية. فعالجها وبرأت .

وأمر الرشيد له بخمسمائة الف درهم ، وأحبه مثل نفسه ، وجعله رئيسا على جميع الأطباء ...

مكانته عند الرشيد :

وكان محل جبرائيل يقوى فى كل وقت ، حتى أن الرشيد قال لأصحابه : كل من كانت له إلى حاجة ، فليخاطب بها جبرائيل ، لأنى أفعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى . فكان القواد يقصدونه فى كل امورهم

ومنذ يوم خدم الرشيد إلى أن أنقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد خلالها فحظى عنده جلرائيل بمكانة عظيمة.

دعاء الرشيد له :

قال الرشيد مرة لجبرائيل بن بختيشوع وهو حاج بمكة " ياجبرائيل علمت مرتبتك عندى ؟ " قال " ياسيدى ، وكيف لاأعلم " قال له " دعوت لك والله فى المواقف دعاء كثيرا " . ثم التفت إلى بنى هاشم فقال " عسى أنكرتم قولى له ؟ " فقالوا " ياسيدنا ذمى " فقال " نعم ، ولكن صلاح بدنى وقوامه به ، وصلاح المسلمين بى ، فصلاحهم بصلاحه وبقائه " . فقالوا " صدقت يا أمير المؤمنين .
وكانت مدة خدمة جبرائيل بن بختيشوع للرشيد إلى أن توفى الرشيد ٢٣ سنة .

مكانته عند الخليفة الأمين :

ولما تولى الأمين ، وافى اليه جبرائيل ، فقبله أحسن قبول وأكرمه ، ووهب له أموالا جليلة أكثر مما كان أبوه يهب له . وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه .

حبس المأمون له وعزله :

فلما ملك المأمون أمر وزيره بالقبض على جبرائيل وحبسه ، لأنه ترك قصرة بعد موت ابيه الرشيد ، ومضى إلى أخيه الأمين .

علاجه للحسن وزير المأمون :

وفى سنة ٢٠٢ هـ مرض الحسن بن سهل (وزير المأمون) مرضا شديدا ، وعالجه الأطباء فلم ينفع ذلك . فأخرج جبرائيل من الحبس حتى عالجه وبرا فى

أيام يسيرة . فوهب له سراً مالا وفيرا . وأرسل فأخبر المأمون وسأله فى أمره ، فأمر بالصفح عنه .

وفى سنة ٢٠٥ هـ أمر المأمون بأن يجلس جبرائيل فى منزله ولا يخدم . وأحضر ميخائيل المتطبب ، وهو صهر جبرائيل ، وجعله مكانه ، وأكرمه إكراما وافرا مكايدة لجبرائيل .

علاجة للخليفة المأمون :

وفى سنة ٢١٠ هـ مرض المأمون مرضا صعبا ، وكان وجوه الأطباء يعالجونه ولا يصلح..فقال له أخوه أبو عيسى:يا أمير المؤمنين إحضر جبرائيل....فتجاهله .فلما ضعفت قوة المأمون عن أخذ الأدوية ، ذكروة بجبرائيل فأمر بإحضاره . ولما حضر غير تدبيره (علاجه) كله . فاستفاق بعد يوم . وبعد ثلاثة أيام صلح . فسر به المأمون سرورا عظيما .

اكرام المأمون له :

قال له عيسى أخوه وهو جالس معه على المشرب : مثل هذا الرجل الذى لم يكن مثله ولا يكون ، سبيله أن يكرم . فأمر له المأمون بألف ألف درهم . وبألف كر حنطة ، ورد عليه سائر ما قبض منه من الأملاك والضياع . وكان إذا خاطبه كناه بأبى عيسى جبرائيل . وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه .

وانتهى به الأمر فى الجلالة ، إلى أن كان كل من تقلد عملا ، لا يخرج إلى عمله إلا بعد أن يلقى جبرائيل ويكرمه . وكان عند المأمون مثل أبيه ونقص محل ميخائيل المتطبب وانحط.

ولجبرائيل بن بختيشوع من الكتب :

رسالة إلى المأمون فى المطعم والمشرب ، كتاب المدخل إلى صناعة المنطق . رسالة مختصرة فى الطب . كناشه كتاب فى صنعة البخور . وغيرها

٣ - بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع

طبيب الخليفة المتوكل والخليفة المستعين والخليفة المهتدى

وردت عنه فى كتاب (عيون الأبناء فى طبقات الأطباء) :

بلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ، مالم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا فى عصره . وكان يضاهى الخليفة المتوكل فى اللباس والفرش .

دسيسه ضده عند الخليفة الواثق :

لما ملك الواثق ، كان محمد بن عبد الملك ، وأبن أبى دلف يعاديان بختيشوع ، ويحسدانه على فضله ، وبره ، ومعروفه ، وصدقاته ، وكمال مروءته . فكانا يغيران الواثق عليه . فسخط عليه الواثق ، وقبض على أملاكه وضياعه ، وأخذ منه جملة طائلة من المال . ونفاه الى جندى سابور . وذلك سنة ٢٣٠ هـ .
فلما اعتل بالاستسقاء ، وبلغ الشدة من مرضه ، انفذ من يحضر بختيشوع . ومات الواثق قبل أن يوافى بختيشوع .

مكانته ايام الخليفة المتوكل :

صلحت حال بختيشوع بعد ذلك فى أيام المتوكل ، حتى بلغ من الجلالة ، والرفعة ، وعظم المنزلة ، وحسن الحال ، وكثرة المال ، واللباس والطيب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ فى النفقات ، مبلغا يفوق الوصف .

وقد قال المتوكل عنه للوزير ابن المدبر " إن محله مثل محل أرواحنا من أبداننا " . وكان طبيبه بختيشوع له دلالة كثيرة عليه وكان يدخل اليه فيأنس به .

ابراؤه للمعتز بالله :

كان المعتز بالله قد اعتل فى ايام المتوكل ، علة من حرارة أمتنع معها عن أخذ شىء من الأدوية والأغذية . فشق ذلك كثيرا على المتوكل ، وأغتم به . وصار اليه بختيشوع ، والاطباء عنده ، وهو فى حالة من الامتناع .. وظل يمازحه ، حتى أمكنه أن يجعله يتناول العلاج ... وبرأ المعتز . فكان المتوكل يذكر هذا الفعل له .

حسد المتوكل له :

وحدث ان زاره المتوكل فى بيته . فأكرمه غاية الإكرام ، فى زينة البيت ، والطيب ، والطعام ... فرأى المتوكل مالا عهد له بمثله ، وقال له " من أين لك هذا ؟ " ... وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته ... فنكبه بعد أيام يسيرة . وأخذ مالا كثيرا له ، لا يقدر ...

وقيل : مرض المتوكل بعد ذلك بالقولج . فاستحضر بختيشوع واعتذر اليه ، فعالجه فبرىء . فأنعم عليه ، ورضى عنه ، واعاد ما كان له . ثم جرت على بختيشوع حيلة اخرى ، إذ وشى به البعض ، فنكبه المتوكل نكبه ، قبض فيها جميع املاكه ، ووجه به إلى البصرة .

اكرام الخليفة المستعين له :

ولما استخلف المستعين ، رد بختيشوع إلى الخدمة وأحسن اليه إحسانا كثيرا .

اكرام الخليفة المهتدى له :

ولما تولى الخلافة أبن عبد الله محمد بن الواثق ، وهو المهتدى ، جرى على حال المتوكل فى أنسه بالأطباء ، وتقديمه إياهم وإحسانه اليهم . وشكا بختيشوع إلى المهتدى ما أخذ منه فى أيام المتوكل ، فأمر بأن يدخل إلى الخزائن ، وكل ما اعترف به فليرد اليه بلا مراجعة ... وأطلق له سائر ما فاته

وفاته : وقد توفى بختيشوع سنة ٣٥٦ هـ وخلف عبيد الله ولده وثلاث بنات .

كلامه وكتبه : ولبختيشوع من الكتب كتاب فى الحجامة على طريقة السؤال والجواب

ومن كلامه فى الطب : قال : الشرب على الجوع ردىء والأكل على الشبع أردا وقال : أكل القليل مما يضر أصلح من أكل الكثير مما لا ينفع .

وقد نقل حنين بن أسحق لبختيشوع بن جبرائيل كتبا كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية .

٤ - سلمويه طبيب الخليفة المعتصم

اختيار المعتصم له :

لم يكن سلموية بن بنان ، مجرد طبيب فى عهد الخليفة المعتصم بالله ، وانما كانت له سلطة سياسية كبيرة فى الدولة . وكان مقربا جدا لدى الخليفة تمر عليه كل ورقة هامة . وقد قال عنه بن ابى أصيبعة لما ولى المعتصم باللهة الخلافة فى سنة ٢١٨ هـ اختار لنفسه سلمويه طبيبا ، واكرمه اكراما كثيرا يفوق الوصف . وقد قدمه له ابو إسحق إبراهيم بن المهدى بقوله " وقع إختيارى على خادمين لى ، يصل كل واحد منهما الى فى مجالس جدى وهزلى ، يصل الى فى مرقدى ومتوضئ ، وهما : مسرور سمانه ، وسلمويه بنان . فإختر أيهما شئت ، وقلده حوائجك .

فوقع إختياره على سلمويه . أحضره أمير المؤمنين ، فأمره أن يتولى ايصال سائله فى كل الأوقات .

سلطته فى عهد الخليفة المعتصم :

وكانت توقيعات المعتصم ترد الى الدواوين فى السجلات وغيرها بخط سلمويه . وكل ماكان يرد على الأمراء القواد من خروج أمر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين ، فبخط سلموية .

وإخوة إبراهيم :

وولى المعتصم أخا سلمويه ، إبراهيم بن بنان ، خزائن بيوت الأموال فى البلاد ، وكان معه خاتم أمير المؤمنين ، ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه إبراهيم فى المنزله .

وكان سلمويه بن بنان نصرانيا حسن الإعتقاد فى دينه ، كثير الخير ، محمود السيرة ، وافر العقل ، جميل الرأى .

تقدير وتوقير المعتصم له :

قال إسحق بن على الرهاوى ، فى كتاب أدب الطبيب : إخبرنى يوحنا بن ماسوية عن المعتصم ، إنه قال : سلمويه طبيبى أكبر عندى من قاضى القضاه .لأن هذا يحكم فى نفسى ، ونفسى أشرف من مالى وملكى .

ولما مرض سلمويه الطبيب ، أمر المعتصم ولده أن يعوده فعاده ثم قال : أنا أعلم وأتيقن أننى لاأعيش بعده ، لأنه كان يراعى حياتى ويدبر جسمى . ولم يعيش بعده تمام السنة .

وفاة سلمويه وحزن الخليفة عليه :

وقال إسحق بن حنين ، عن أبيه :
إن سلمويه كان أعظم أهل زمانه بصناعة الطب . وكان المعتصم يسميه (أبى) . فلما إعتل سلمويه ، عاده المعتصم وبكى عنده ... ولما مات سلمويه ، أمتنع المعتصم عن اكل الطعام يوم موته . وأمر بأن تحضر جنازته إلى الدار ، ويصلى عليه بالشمع والبخور على نظام النصارى الكامل . ففعل بحيث يبصرهم ، ويباهى فى كرامته وحزن عليه حزناً شديدا . ومات بعد عشرين شهرا من وفاة سلموية (فى ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ)

- ٥- يوحنا بن ماسوية
طبيب ستة من خلفاء المسلمين

خدم بالطب هارون الرشيدى ، وابنيه الأمين والمأمون ، كما خدم المعتصم والواثق والمتوكل . وورد عنه فى كتاب " عيون الأنباء فى طبقات الأطباء "

لابن أبى اصيبعه ما يأتى :

كان طبيبا ذكيا فاضلا ، خبيرا بصناعة الطب، وله كلام حسن وتصانيف مشهورة ، وكان مبجلا محظيا عند الخلفاء والملوك .

وقال سليمان بن حسان : كان يوحنا بن ماسوية مسيحى المذهب ، سريانيا ، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة ، مما وجد فى أنقره وعمورية وسائر بلاد الروم ، حين سباها المسلمون . ووضعه أمينا على الترجمة . وخدم هرون والأمين والمأمون ، وبقى على ذلك إلى أيام المتوكل . قال : وكان ملوك بنى هاشم لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته ...

وقال اسحق بن على الرهاوى ، فى كتابه أدب الطبيب أن يوحنا بن زكريا قال انه اكتسب من صناعه الطب الف الف درهم ، وعاش بعد قوله ثلاث سنين آخر وكان الخليفة الواثق مشغوفا به وضنينا ...

وقال يوسف بن ابراهيم : كان مجلس يوحنا بن ماسوية أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لطبيب أو متكلم أو متفلسف ، لأنه كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب وكان فى يوحنا دعابة شديدة يحضر بعض من يحضر من أجلها .

وكانت وفاة يوحنا بن ماسوية فى سنة ٢٤٣ هـ

اما الكتب التى اصدرها يوحنا بن ماسوية ، فهى عديدة ، ذكر منها ابن ابى اصيبعة ٤٤ كتابا (ص ٢٥٥) من بينها :

كتاب فى الاغذية ، كتاب فى الأشربة ، كتاب فى القصد والحجامة كتاب فى تركيب الادوية المسهله وأصلاحها وخاصة كل دواء ، ومنفعته،كتاب البرهان (ثلاثون بابا) ، كتاب فى السموم وعلاجها ، كتاب الماليخوليا وأسبابها وعلامتها وعلاجها ، كتاب تدبير الأصحاء . كتاب علاج النساء اللواتى لا يحملن ، كتاب الجنين ، كتاب تركيب خلق الانسان وعدد أعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه ، كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه اطباء فارس والروم كتاب ، المعدة ، كتاب القولنج ، كتاب التشريح ، كتاب الصدر والدوار ، كتاب فى الجذام لم يسبقه أحد الى مثله ، كتاب الحيلة للبرء ، كتاب دغل العين ، كتاب مجسة العروق ، كتاب الصوت والبحة ، كتاب محنة الطبيب ، كتاب النوادر الطبية ، كتاب مضار الأغذية .

الكنيسة القبطية فى عصر الدولة الطولونية
أبتداً من سنة (٨٧٠م - ٩٠٥م)

ظلت مصر خاضعة خضوعا تاما للخلافة العباسية طالما كانت الخلافة قوية الجانب . ولكن بدأ الضعف يدب فى جسم الخلافة أثناء النزاع بين الامين وأخيه المأمون ابنى هارون الرشيد ومالبث هذا الضعف أن وضح بعد أن أستعان الخليفة العباسى المعتصم - الذى كانت أمه تركية - بالاتراك فى حكم الدولة . وكان من هؤلاء المماليك الاتراك طولون (أبو أحمد بن طولون) ، أهداه والى بلاد ماوراء النهر (والى بخارى) للخليفة المأمون سنة ٨١٥ م وقد تحكم هؤلاء الاتراك فى شئون الدولة المدنية والحربية . حتى أصبح بيدهم - منذ خلافة المتوكل على الله (٨٤٧ م- ٦١ م) انتخاب الخلفاء وعزلهم . لذا نجد النزعة الى الاستقلال تظهر فى مصر ،وضوح أثناء النزاع بين الامين والمأمون .. وقد حكم مصر منذ سنة ٨٥٦ م حكاما من الاتراك .

قدم أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٨٦٨ م من قبل الامير باكباك Bakbak صاحب أقطاعها وكان له من العمر ٣٣ سنه) . ووجد الخلافة ضعيفة ، فما لبث أن تحدى سلطة الخلافة ، وأستقل بمصر أستقلالا فعليا فى واقع الامر .. بل أكثر من هذا ، فقد نجح فى ضم سوريا إلى مصر ، وفى تأسيس دولة طولونية دامت نحو ٣٨ سنة . وكانت هذه أول مرة تستقل فيها مصر بعد الفتح العربى .

ويمكن دراسة أحوال الكنيسة القبطية وشعبها من خلال ولاتها كالأتى :.

اولا : عصر أحمد بن طولون : (٨٦٨م - ٨٨٤م)

١ - استمر احمد بن طولون فى حكم مصر ١٦ سنة ، وتوفى سنة ٨٨٤ ، ولم يكمل الخمسين سنه من عمره .. يذكر المؤرخون المسلمين الكثير عن تقواه وفضله ومحبته للصدقه ، وعدله ، لكنهم يجمعون على أنه كان سريعا جدا إلى استخدام السيف .. وقيل أنه قتل ١٨٠٠٠ (ثمانية عشر ألفا) سواء بالسيف أو موتا فى السجن .. كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، بل قيل أنه كان يرتله ، اذ كان ذا صوت رخيم ، تعلم القرآن والفقه وأصول الدين على مذهب أبى حنيفه . ورغم أنه تركى فما أن تولى زمام الحكم حتى أخذ فى تثبيت دعائم سلطته بأستمالة القلوب إليه ، فخلع جباه الضرائب الخلاء وعين بدلا منهم موظفين مصريين .. ويبدو أن مثل هذه المعاملة العادلة لم تعجب الجميع فثار العلويين

غربى الاسكندرية سنة ٨٦٩ م. ولما خمدت ثورتهم أشعلها بقيتهم فى منطقة أسنا بصعيد مصر . لكن أبن طولون نجح فى الحالتين وقضى على الثوار

٢ – ويذكر عنه أنه وجه عنايته الى الشعب المصرى فمنح الجميع الحرية فى ظل القانون وهكذا أتاح الفرصة للقبط لمزاولة شعائرهم الدينية وبناء الكنائس والاديرة . ومباشرة أعمالهم التجارية والزراعية والصناعية ، فعم البلاد هدوء شامل ، وأستتب الامن . (١)

٣ – وعلى الرغم مما يذكره المؤرخون عن عدله ، فهناك نقطة موضع تساؤل الباحثين ... هذه النقطة هى أن أحمد بن طولون ، رغم قصر المدة التى قضاها فى حكم مصر (١٦ سنه) ، فقد أقام من العمائر الشئ الكثير : فى سنة ٨٧٠ م أسس حاضره جديدة (عاصمة) سميت " القطائع " وأقام بها قصرا فخما لنفسه ، كما أسس مسجده المشهور الذى يحمل أسمه (لم يبدأ فى بنائه قبل ٨٧٦/٨٧٧) . وأستغرق بنائه سنتين وأقام إلى جواره دار الامارة وهو فى سبيل ذلك أمر بحرث قبور اليهود والنصارى وأختط موضعها مبنى القصر والميدان وبنى اتباعه حوله (S. lanepoole P.63 – د. ترتون ، أهل الذمة فى الاسلام ص٥٤ عن المقريزى والكندى : الولاة والقضاة) . فمن أين أتى أبن طولون بالاموال الضخمة التى أنفقها فى إقامة هذه المنشآت خاصة المسجد الضخم ؟ لقد شك معاصروا ابن طولون من المسلمين فى مصدر هذا المال لهذا السبب قال الناس بعدم جواز الصلاة فيه لانهم لم يعرفوا أصل هذا المال أو مصدره .. ولكى يهدئ أبن طولون من روع الناس جمع (ابن طولون) الناس والقى عليهم خطبة أقسم فيها أن ذلك الجامع لم يبن بها .. ومما أشيع فى ذلك الوقت أن ابن طولون عثر على كنز أستخدمه فى بناء الجامع .. ورغم كل هذه المنشآت فى فترة وجيزة فقد ترك ابن طولون فى خزائنه عشرة مليون دينارا والسؤال الذى يطرح نفسه ، من أين كل هذه الاموال التى بنى بها العمائر ، وخلفها بعد موته فى خزائنه ؟

وأجابه على هذا السؤال يقول المؤرخ الانجليزى Stanley Lanpoole فى كتابه " تاريخ مصر فى العصور الوسطى ص ٦٦ ، عن مصدر هذه الاموال " انه اكثر من محتمل ان احمد بن طولون كان من وقت لاخر يفرض غرامات باهظة على بطريرك الاقباط (٢)

---

(١) قصه الكنيسة القبطية ص ٤٥٦ رقم ٥٨٤ (د. ايزيس حبيب المصرى)

(٢) تاريخ مصر فى العصور الوسطى ص٦٦ + أهل الذمة فى الاسلام ص٥٤ (د. ترتون)

٤ - كما يسجل البلوى الذى كتب " سيرة أبن طولون " - والذى يبدو أنه عاصر ذلك العهد أن ابن طولون لم يكن يعامل جميع طبقات الشعب على قدم المساواة . فكان يفضل الاتراك الذى هو منهم - على بقية المسلمين ، والملكيين (الروم الخلقيدونيين) على سائر النصارى . ونعلم مما ذكره المؤرخ البلوى أن ابن طولون كان يتردد على دير القصير ويعتكف فى صومعة من صوامعه للتأمل (١)

٥ - احمد أبن طولون ولقائه بالرحالة القبطى :

ويخبرنا المسعودى فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر أن أحمد بن طولون علم فى سنة ٨٧٤/٨٧٣ م أن رجلا قبطيا بصعيد مصر له من العمر مائة وثلاثين سنه . عرف عنه العلم الواسع والاطلاع الكبير ، وأنه ساح فى بلدان عديدة وشاهد المماليك ووعى الكثير من المعارف ومصدره ولاسيما عن مصر ونيلها ، فأمر بأحضاره فحملوه إليه فإذا هو رجل تبدو عليه دلائل الهرم لكن لاتزال حواسه سليمة وعقله صحيحا ، وعلم أحمد ابن طولون منه أن سر صحته يرجع إلى أعتداله فى مأكله ومشربه طوال حياته وانه لم يشرب الخمر ولا يتأنق فى الطعام ولا يلبس إلا البسيط من الثياب .. وأنه كان يحرص على نظافة بدنه ولا يميل مع شهوات نفسه . ولما أراد أن يحمله على تناول شئ من لذيذ المأكل والمشرب أبى .. سأله عن منابع النيل فقال " أعتقد أن منابع النيل مستقرة فى قمم الجبال الشامخة حيث توجد بحيرة واسعة وحيث يستوى الليل والنهار على مدار السنة . وقد أطلق العلماء على هذه المنطقة أسم " الخط المستقيم " .. والمقصود بذلك خط الاستواء وقد أعجب أبن طولون باجوبة هذا الشيخ القبطى وبسعة معلوماته فأذن له بالعودة إلى بلاده .. والعجيب أن الباحثين الاوروبيين لم يعرفوا منابع النيل إلا بعد ذلك بنحو تسعة قرون . (٢)

٦ - مساوئ أحمد بن طولون وقوته :

أ - على الرغم أن أحمد بن طولون لم يضع ضرائب جديدة على القبط إلا أنه أستغل وشاية ضد البابا خائيل الثالث (ميخائيل الاول) البطريرك الـ ٥٦ (٨٨٠ م - ٩٠٧ م) فأستدعاه وحتم عليه بدفع عشرين ألف دينار . فأدى هذا التعسف إلى توتر العلاقات بينهما ، وبخاصة لان أبن طولون - حين وجد البابا الاسكندرى عاجزا عن دفع هذه الضريبة الفادحة - ألقاه فى السجن دون تردد . ويروى المقريزى " الكاتب المسلم " أن الانبا ميخائيل عن طريق أحد الكتاب

---

(١) سيرة ابن طولون " للبلوى "

(٢) مروج الذهب للمسعودى .

وأبنه أستطاع الخروج من السجن بعد أن ضمناه - وأضطر البابا ميخائيل الى بيع عقارات وقف كنائس الاسكندرية ، وبيع كنيسة لليهود بقصر الشمع المجاور للكنيسة المعلقة (ومازالت فى ايديهم إلى اليوم) ، كما باع لليهود أيضا قطعة من الارض (بأرض الحبش) وهى التى يستخدمها اليهود إلى اليوم مقابرهم شرقى منطقة البساتين وظل البابا فى ضيق شديد (١)

وبارشاد من الله قصد مدينة تانيس (اندثرت ومكانها بحيرة المنزلة غربى قبلى بورسعيد ليأخذ شيئا من صدقات النصارى هناك . وبعد أن أقام بتانيس يوما واحدا أحضر إليه جماعة ليتباركوا منه ويستفسروا عن أحواله ، وإذا راهب مستور الوجه نحيف الجسم زرى المنظر وبعد أن دخل وسط الجموع لأخذ بركة البطريرك ، جلس إلى جانب التلاميذ وقال لاحدهم لماذا أبونا البطريرك قلق بسبب ماهو مطلوب منه ... أمضى إليه وقل له بعد أربعين يوما يمزق الرب عنه الخط ولا يطلب منه مال بل يترك له " فتقدم التلميذ وأعلم البطريرك وطلب هذا الراهب ، لكنهم لم يجدوه فى المدينة كلها وبحثوا عنه حتى فى البلاد المجاوره فلم يجدوه .. وفى تمام الأربعين يوما مات أحمد بن طولون فى ١٠ مايو سنة ٨٨٤ م وجلس ابنه خمارويه موضعه ، وعندئذ أخرج الوزير أحمد بن على الماذرانى الصك وسلمه ليوحنا المليجى كاتبه ، وأحضر البطريرك من تانيس . ونزل فى بيعة السيدة العذراء بقصر الشمع حيث كان يقيم أولا وأحضر الاراخنة عنده ، وأحضروا الصك فمزقه بيده ، " وعاد إلى قلايته يمجد الله "

ب - كما لا ننسى أن البابا شنوده الاول البطريرك الـ ٥٥ قد حلت به متاعب كثيرة فى عصر احمد ابن طولون بسبب بعض الوشايات الكاذبة المغرضة من بعض أولاده الخارجين والحاقدين وضعيفى الايمان .

+ كما ذكر القس منس يوحنا أن ابن طولون ظن أن الاقباط أغنياء فزاد عليهم الضرائب وعول على نهب اموالهم (٢)

جـ - قتل سعيد بن كاتب الفرغانى :

مهندس قبطى ظهر أسمه فى عهد الطولونيين .. وغالبا ما ينسب إلى ناحية فرغان بمركز ديرب نجم بمحافظة الشرقية ، أو إلى مدينة الفراجون التى أندثرت ومحلها اليوم مدينة سيدى سالم بمحافظة كفر الشيخ .. أول ما نسمعه عنه أنه تولى عمارة مقياس النيل فى جزيرة الروضة سنة ٨٦٤ م بعد أن أمر

---

(١) الخطط للمقريزى

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منس يوحنا ص ٤٢٢

بعمارته الخليفة العباسى المتوكل .. ولما تولى أحمد بن طولون حكم مصر عهد إليه ببناء اهم منشآته ، فبنى لـه أولا قناطر بن طولون وبئره عند بركة حبش لتوصيل الماء إلى مدينة القطائع بين عامى ٨٧٣/٨٧٢ م .. ويقول المقريزى " والذى تولى لأحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصرانى حسن الهندسة ، حاذق بها ، وأنه دخل إلى أحمد بن طولون فى عشية من العشايا فقال له إذا فرغت مما تحتاج إليه فأعلمنى لنركب إليها فنراها . فقال يركب الامير إليها فى غد فقد فرغت - فتقدم النصرانى فرأى موضعا بها يحتاج إلى قصرية جير وأربع طوبات ، فبادر إلى عمل ذلك . وأقبل احمد بن طولون يتأمل العين فاستحسن جميع ما شاهده فيها . ثم أقبل إلى الموضع الذى فيه قصرية الجير ، فوقف بالقصد عليها حسب الاتفاق ، فلرطوبة الجير غاصت يد الفرس فيه فكبا بأحمد . ولسوء ظنه قدر أن ذلك لمكروه أراده به النصرانى . فأمر به فشق عنه ما عليه من الثياب وضربه خمسمائة سوط وأمر به إلى المطبق (السجن) ، وكان المسكين يتوقع الجائزه بدل ذلك دنانير ، فاتفق له اتفاق سوء " (المقريزى ج ٤ الصفحة ٣٣٨) (١)

بعد ذلك فكر ابن طولون فى بناء جامع يكون أعظم ما بنى من المساجد فى مصر ويقيمه على ثلثمائة عمود من الرخام .. يقول المقريزى عن أحمد بن طولون " فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عمود فقيل له ما تجدها ، أو تنفذ إلى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك . فأنكر ذلك ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر فى أمره

ويذكر القس منس يوحنا فى كتابه " تاريخ الكنيسة القبطية " فى هذا الصدد

" أن احمد ابن طولون كان يسمع القرآن فى أحد الأيام وعلم بعدم جواز استعمال أدوات مسروقة فى بناء الجوامع فشق ثيابه وصاح قائلا " أنه يستحيل على تشييد الجامع بدون نهب مواده من الكنائس فإنى ماسمعت من يوم وجودى أن جامعا بنى دون أن تؤخذ أعمدته من كنائس المسيحيين أو حيث أنه لا يمكننى إلا مخالفة هذا الامر فسوف أخالفه وأستغفر ربى عن هذا الذنب إن لم يكن بناء الجامع كافيا للغفران " (٢)

ولما سمع سعيد بن كاتب الفرغانى وهو فى السجن ماكان من رغبة ابن طولون وتردده كتب اليه يقول أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودى القبله .

---

(١) المقريزى ج ٤ الصفحة ٣٣٨

(٢) تاريخ الكنيسه القبطية " للقس منس يوحنا " (ص ٤٢٢)

فأحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه . فقال له ويحك ما تقول فى بناء الجامع ، فقال أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمد إلا عمودى القبله . فأمر بان تحضر له الجلود فأحضرت وصورة له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له للنفقه عليه مائة ألف دينار . فقال له أنفق وما أحتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك . فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هو فيه وهو جبل شكر . فكان ينشر منه ويعمل الجير ويبنى إلى أن فرغ من جميعه وبيضه .. فلما كان أول جمعه صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصلاة .. فلما أراد الانصراف .. صعد النصرانى الذى بنى الجامع .. وصاح يا أحمد بن طولون يا أمير الامان عبدك يريد الجائزة ويسأل الأمان أن لا يجرى عليه مثل ماجرى فى المرة الاولى فقال له أحمد بن طولون انزل فقد أمنك الله ولك الجائزة فنزل وخلع عليه ، وأمر له بعشرة الاف دينار وأجرى عليه الرزق الواسع إلى أن مات "
(المقريزى ج ٤ الصفحات ٣٦ ، ٣٧) (١)

ويشهد جامع ابن طولون بعبقرية هذا المهندس القبطى .. وقد بدئ بناؤه فى ٨٧٦/٨٧٧ م وأستغرق بناؤه سنتين . وترى العقود المدببة فى الجامع قبل أن يعرف استخدامها فى انجلترا بقرنين على الأقل(S. Lane Poole pp 64, 66) وفيما يختص بما أنتهى إليه أمر هذا المهندس القبطى ، فان مصادر أخرى تروى أن أبن طولون عرض عليه أعتناق الاسلام فأبى وتمسك بايمانه المسيحى فقطعت رأسه ومات شهيدا (٢)

كلمة حق ينبغى أن تقال :

رغم كل ما سبق فقد ذكر عن أحمد بن طولون أنه كان كثيرا ما يتردد على دير القصير (دير ملكانى شرقى طره واندثر) ويعتكف فى صوامعه للتأمل . وقد استفاد الرهبان من هذه العلاقة فعندما تقدموا إليه بالشكوى من ثقل الجزيه المفروضة عليهم منحهم بعض الامتيازات وكف ايدى رجاله عنهم .

ثانيا : عصر خمارويه بن أحمد بن طولون (٨٨٤ م - ٨٩٥ م)

١ - صداقة أنبا باخوم أسقف طما مع خمارويه :

وفى عهد ابنه خمارويه زاد التعاطف مع المسيحيين وحذا حذو ابيه بالتردد على دير القصير .. وجاء فى تاريخ البطاركة ان خمارويه كان صديقا للانبا باخوم

---

(١) المقريزى جـ ع ص ٣٦،٣٧

(٢) مقال لكامل صالح نخله عن هذا المهندس بمجلة التوفيق فى ١٥ فبراير ١٩٣٩ نقلا عن المقريزى والسيوطى والاسحاقى .

أسقف طما ، بل أن خمارويه كان قد ائتمنه على الدفاع عن حدود مصر الغربية في منطقته . وكان الاسقف أهلا لهذه الثقة فعين ثلثمائة جندى يحسنون الرماية بالنشاب لهذه الحراسة .. كما أعد لهم معديات فى عدة نقط لسهولة الانتقال من ضفة الى أخرى . وعين لهم أوقات الحراسة بالتناوب حتى يكون على أهبة الاستعداد لمراقبة أى تحركات للعدو .

٢ - سياسة بطريرك الأسكندرية الخلقيدونى وعزله :

وقد أشرنا تفضيل أحمد بن طولون للملكيين وكذا ابنه خمارويه على سائر النصارى . ومن هنا استطاع الخلقيدونيين أن يقيموا لهم أسقفا نصبوه بطريركا للاسكندرية بعد أن ظلوا قرنين كاملين من الزمان عاجزين عن إقامة بطريرك لهم .

ولاشك أن الكنيسة القبطية أستراحت مدة هذين الواليين من اعمال الشغب وقد استطاع الانبا باخوم أسقف طما وصديق خمارويه أن يقنعه أن اقامة بطريرك للخلقيدونيين لن يخدم مصر ، اذ من المحتمل أن يكون هذا البطريرك الدخيل جاسوسا لصالح الامبراطور البيزنطى ويكون هذا تمهيدا لغزو جديد للبلاد .. سر خمارويه من وطنية وإخلاص أسقف طما وخوله حق الذهاب إلى الاسكندرية واتخاذ مايراه صالحا للبلاد وللاقباط .. فأخذ الاسقف رسالة من خمارويه إلى والى الاسكندرية . وهناك نجح فى خلع الاسقف الخلقيدونى وستة من اساقفته ..

٣ - لى النقمة أنا أجازى يقول الرب :-

لما سمع خمارويه بخبر وادى النطرون سار إليه ، ودخل إلى بيعة القديس أبو مقار ونظر جسده المقدس وسأل عنه ، فقيل له هذا جسد صاحب هذه البيعة فأمر بحله من كفنه ، وأمسك شعر لحيته ، ففتح القديس عينيه فى وجهه فوقع على ظهره ، وظل ساعة مغشيا عليه لا ينطق فحملوه إلى خيمته ، وأخذوا من زيت قنديل أبو مقار ومسحوا به جبينه .. وحدثت أية أخرى مع خمارويه فى هذه البيعة ، ففيما هو يجتاز الباب ، أبصر صورة الشهيد تادرس وهى تنظر إلى الغرب وكان فى يد خمارويه حزمه ريحان فرمى بها الصورة ، قال خذها يافارس الشجعان فخرجت يد من الصورة وأخذت حزمة الريحان ، وظلت فى يده حتى أبصرها كل أحد فخاف خمارويه بن أحمد بن طولون جدا وبهت من هذه العجائب وأمر أن تعمل علامة فى تلك الصورة تسجيلا لم حدث ، فصوروا فى يده صليب آخر .. ويبدو أن هاتين المعجزتين جعلتاه يراعى النصارى ولاسيما الاساقفة والرهبان (١)

---

(١) تاريخ البطاركة مجلد ج ٢ ص ٧٧

٤ - خمارويه ودير القصير

وكان خمارويه يتردد على دير القصير بالجبل الشرقى (شرقى طره) ، وكان يعجب بصورة للسيدة العذراء حاملة المسيح والملائكة عن يمينها ويسارها وصور التلاميذ الاثنى عشر . وبنى خمارويه فى اعلا الدير غرفة ليقيم فيها جعل لها أربعة طاقات إلى أربع جهات (الشابشتى : الديارات ص ٢٨٤ - أبو صالح الارمنى ، كنائس واديرة مصر ، ورقة ٤٩ (١)

٥ - نهاية خمارويه :

أغتيل خمارويه فى أثناء زيارته لدمشق سنة ٨٩٥ م بسبب مؤامرات الحريم ، ذلك أن خمارويه رغم عدالته وهمته كان ولوعا بالنساء فجمع العديد منهن فى قصوره الباذخة ويبدو أن الحسد أكل قلوب البعض منهن فتآمرن على قتله . وكان حادث إغتيال خمارويه بداية سلسلة من الاغتيالات والمؤامرات والاضطرابات .

ثالثا : **حالة الكنيسة بعد مقتل خمارويه : (٨٩٦ م - ٩٠٥ م)**

١ - **معاناة الاقباط فى هذه الفترة :**

بوفاة خمارويه أوائل سنة ٨٩٦ م أخذت الدولة الطولونية فى الضعف والانحلال وتولى زمامها أفراد من البيت الطولونى تعوزهم الحنكة السياسية .. فبعد خمارويه تولى أبنه **أبو العساكر جيش** (٨٩٥ - ٨٩٧) فلم يرض عنه الجند وخلعوه . تولى بعده أخوه أبو موسى هارون (٨٩٧ - ٩٠٥) وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، فلم يكن يصلح بطبيعة الحال للولاية .. وإذ بدا واضحا ضعف الطولونيين بعث الخليفة العباسى المكتفى بقائدة محمد بن سليمان الكاتب لاسترداد مصر . فهزم الاسطول المصرى وفر هارون بن خمارويه حيث قتله عماه شيبان وعدى . لكن الجند لم يرضوا عن عملهما . ولما عين شيبان واليا على مصر ، رفضوا الاعتراف به وكاتبوا محمد بن سليمان ، فنزل الفسطاط ومنها إلى القطائع عاصمة الطولونيين سنة ٩٠٥ م واشتعل فيها النار فالتهمت الدور والمساجد والحمامات والاسواق والبساتين ، وهكذا قضى على الدولة الطولونية وخربت القطائع حاضرتهم ولم يبق منها غير مسجد ابن طولون . وقد نال الاقباط من ذلك شدائد كثيرة نتيجة نهب جنده بعض المدن واستباحتهم المحرمات .

---

(١) يرجح أن هذا الدير هو دير القصير وبناه اركاديوس الامبراطور أبن ثيودوسيوس فوق قبر معلمه أرسانيوس - والتسمية - القصير نسبة إلى يحنس القصير)

٢ - رغبة بغداد فى القضاء على الاسرة الطولونية :

فلقد ساد البلاد المصرية حالة من الاضطراب والفوضى لاكثر من سبب فابن خمارويه الاكبر عند مقتل ابيه كان صبيا فى الرابعة عشرة من عمره . وهيهات فى هذه السن إمكان حمل المسؤولية ، فضلا عن أنه نشأ مدللا . وثمة سبب ثان هو أن حكومة الخلافة فى بغداد كانت تريد القضاء على الاسرة الطولونية لما أحرزته من نفوذ وثروة .

٣ - كلمة حق ينبغى أن تقال :

ولم يقتصر غضب حكومة الخلافة ببغداد على الطولونيين وحدهم ، بل أمتد إلى المصريين فضاعفت الضرائب عليهم .. وذكر المقريزى أن الوزير على بن عيسى وفد الى مصر وقرر فرض ضرائب على الاساقفة والرهبان والعجزه من الاقباط . فذهب وفد قبطى إلى بغداد وقدموا التماسا إلى الخليفة بأعفائهم ، وبالفعل قبل التماسهم وبعث برسالة الى وزيره فى مصر يخبره فيها بما قرره . وأن يعامل النصارى بالرفق واللين ويراعى العهود والمواثيق التى بأيديهم ، لاسيما أرباب الكهنوت والرهبان والفقراء (١)



(١) الخطط للمقريزى

أشهر العلماء الأقباط فى عصر الدولة الاخشيدية :

١ - أبو المكارم :

وهو الشيخ المؤمن ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود زوج السيدة جليلة ست الدار بنت أخى سيف الدولة . وقد كان من أفاضل القبط ومؤرخيهم .

٢ - ساويرس بن المقفع : (فى عصر الدولة الاخشيدية والدول الفاطمية):

هو من أعظم الشخصيات الذين أنجبتهم الكنيسة القبطية فى القرن العاشر الميلادى ، ولد نحو سنة ٩١٥ م من والد لقب بالمقفع (معناه المنكس الرأس دائما أو من كانت يده متشنجة) .. وقد يكون ساويرس هو أول من نشر كتبا مسيحية باللغة العربية .. أهتم بجمع سير البطاركة السالفين جمعها من المخطوطات القبطية واليونانية بدير أبى مقار بوادى النطرون ودير نهيا قرب الجيزة (اندثر) . وقد أتم هذا الكتاب وهو فى سن الثمانين .

وكتبه تدل على معرفته للفلسفة اليونانية والاسلامية . فلا يوجد مصنف من مصنفاته إلا وفيه رد فلسفى دقيق كما كانت له دراية بالطب والفلك .

تدرج فى وظائف الدولة فى عصر الاخشيديين حتى أصبح كاتبا ماهرا . وكان يشترط فى كاتب الدواوين إلماما باللغة العربية . وعلى ذلك فقد كان ملما بالعربية إلى جانب القبطية واليونانية . وكانت وظيفة الكاتب شريفة جدا .. وعرف ساويرس فى ذلك الوقت باسم أبى البشر بن المقفع الكاتب " . وهذه الكنية لا تعنى أنه أنجب ولد اسماه بشر . وانما تدل على أنه كان شخصا معتبرا ومبجلا على نحو ما جرت عليه العادة فى ذلك الوقت .

وبعد أن وصل أبو البشر إلى اعلا المناصب ترك مجد العالم وتخلى عن وظيفته وترهب فى أحد الاديرة التى نجهلها . ولا شك أنه استفاد من فترة ترهبه ليكمل تكوينه الدينى وكان هذا التكوين يعتمد أساسا على قراءة الكتاب المقدس ومؤلفات الآباء . وقد تفوق أبو البشر فى كليهما .

سيامته أسقفا :

أختير أسقفا على مدينة الاشمون (كانت أسقفية عظيمة مزدهرة بالكنائس والاديرة . ذكرت فى جداول الاسقفيات منذ القرن الرابع المسيحى تحت أسم هرموبوليس الكبرى) وهى الآن قرية تابعة لمركز الروضة محافظة أسيوط شمال غربى ملوى .. ولا يعرف من من البطاركة رسمه أسقفا ، لكن يحتمل أن يكون قد رسم بيد أنبا مقارة البطريرك ٥٩ (٩٣٢ - ٩٥٢)

مناظراته ومجادلاته مع أئمة المسلمين :

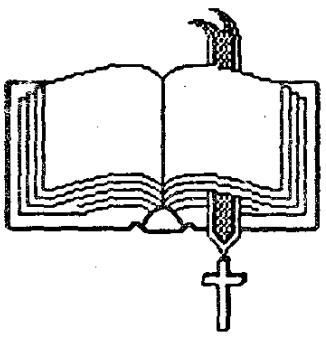
من الامور التى أشتهر بها مجادلاته مع أئمة المسلمين فى عصره.....جرت له مناظره قبل سنة ٩٥٥ مع أحد علماء الاسلام . فدون ساويرس مناقشته هذه عن الثالوث القدوس فى " كتاب المجالس " وللاسف الشديد فقد هذا الكتاب . وقد علمنا بهذا الكتاب حينما أشار هو إليه فى كتابه " تفسير الامانة " ، حينما أراد أن يرفع عن المسيحيين تهمة تحريف كتابهم المقدس ويعتبر ساويرس بن المقفع - بلا منازع - أكبر عالم دين ولاهوتى مسيحى فى القرن العاشر الميلادى كله .. كان صديقا للبابا ابرام بن زرعة السريانى . البطريرك ٦٢ . كما كان يتردد على بلاط المعز لدين الله الفاطمى ، الذى كان يدعوه للمناظرة مع ائمة المسلمين واليهود فى حضرته .. وكان ساويرس يتفوق عليهم بقوة حجته وفرط ذكائه .. وبسبب توقد ذكائه وعلمه كان له علاقة طيبة مع كبار علماء المسلمين ، وكان يمزج جلساته معهم بالمرح ... ومن أمثلة مرحه وسرعة بديهته أنه كان جالسا عند قاضى القضاه ، وحدث أن مر عليهم كلب . وكان يوم الجمعة ، وكان هناك بعض الجالسين . فقال له قاضى القضاه " ماتقول ياساويرس فى هذا الكلب هو نصرانى أو مسلم . فقال له أسأله فهو يجيبك عن نفسه . فقال له القاضى هل الكلب يتكلم . وإنما نريدك أنت أن تقول لنا . قال نعم يجب أن نجرب هذا الكلب وذلك أن اليوم يوم الجمعة ، والنصارى يصومون ولا يأكلون فيه لحم . فاذا فطروا عشية يشربوا النبيذ . والمسلمين ما يصوموه ولا يشربوا فيه النبيذ ويأكلوا فيه اللحم . فحطوا قدامه لحم ونبيذ فان أكل اللحم فهو مسلم ، وإن لم يأكله وشرب النبيذ فهو نصرانى . فلما سمعوا كلامه تعجبوا من حكمته وقوة جوابه وتركوه " (١)

وبالاضافة إلى مناظره المسلمين فقد كانت له مناظرات مع اليهود . منها مناظراته مع موسى اليهودى التى تمت فى حضرة المعز لدين الله سنة ٩٧٥ م وقد رواها الشماس ميخائيل ابن بدير الدمنهورى فى كتاب " تاريخ البطاركة (المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الصفحة ٩٣) - وهى مناظرة ظريفة .. كان موسى اليهودى صديقا ليعقوب بن كلس الوزير الذى كان يهوديا وأعتنق الاسلام .. وفى اليوم المحدد حضر موسى اليهودى والوزير بن كلس بحضرة الخليفة المعز فى قصره. فجلسوا وقتا طويلا وهم سكوت " فقال لهم الملك المعز تكلموا فيما اجتمعتم فيه . ثم قال تكلم يابطرك وقل لنائبك يقول مما عنده . فقال البطرك للأسقف تكلم ياولدى فان الله يوفقك . فقال الاسقف للمعز الملك ما يجوز خطاب

---

(١) كتاب تاريخ البطاركة المجلد الثانى (ج ٢) ص ٩٢،٩٣

رجل يهودى بحضرة أمير المؤمنين . فقال له اليهودى أنت تعيبنى وتقول بحضرة أمير المؤمنين ووزيره أنى جاهل . قال له الاسقف أنبا ساويرس إذا ظهر الحق لامير المؤمنين مايكون فيه غضب . قال الملك المعز ما يجوز أن يغضب أحد فى المجادلة ، بل ينبغى للمجادلين أن يقول كل واحد منهم ماعنده ويوضح حجته كيف شاء . قال الاسقف ما أنا شهدت عليك يايهودى بالجهل بل نبى كبير جليل عند الله شهد عليك بذلك قال اليهودى : ومن هو النبى . قال له هو أشعياء الذى قال فى أول كتابه عن " الله " عرف الثور قانيه والحمار عرف مذود سيده واسرائيل لم يعرفنى " فقال المعز لموسى أليس هذا صحيح . فقال نعم هذا هومكتوب قال الاسقف أليس قد قال الله أن البهائم أفهم منكم ، وما يجوز لى أن أخاطب فى مجلس أمير المؤمنين دام عزه من تكون البهائم أعقل منه . وقد وصفه الله بالجهل . فأعجب الملك المعز ذلك وأمرهم بالانصراف وأستحكمت العداوة بين الفريقين ، وقوى غضب الوزير وصار يطلب عثرة على البطريرك لاجل أنه فضح اليهود بين يدى الملك المعز "(١)



تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الصفحتان ٩٣ ، ٩٤

الآباء البطاركة فى العصر الفاطمى

عاصر الخلفاء الفاطميين فى مصر - الذى أمتد حكمهم إلى مائتى سنه - أثنا عشر أبا من الآباء البطاركة ، ابتداء من البابا البطريرك ابرام بن زرعه ٦٢ (٩٧٥ - ٩٧٨) الذى عاصر المعز لدين الله إلى البابا البطريرك الانبا مرقس الثالث الذى عاصر العاضد الفاطمى اخر الخلفاء وكذلك صلاح الدين الايوبى .. وسنتكلم عن بعض هؤلاء البطاركة الذين حدثت فى عهودهم احداث جسام أثرت فى الكنيسة وعلى الشعب القبطى .

الانبا ابرام بن زرعة السريانى البطريرك الـ ٦٢ (٩٧٥ م- ٩٧٨ م)

١ - الانبا ابرآم ورجال الدولة :

كانت تربطه بالخليفة المعز ورجال دولته صلات حبية ، كما كانت تربطه بأراخنة مصر أواصر المحبة ، وكان مكرما منهم وأعطاه الله نعمة فى عين الخليفة المعز " وكان المعز يحضره إليه فى كل وقت ، ويأخذ رأيه فيما يعن له ويتبارك به ، وسأله أن يسكن بمصر " (١)

٢ - من يكرمكم يكرمنى ومن يرزلكم يرزلنى :-

كان بعض الاراخنة فى ذلك الوقت يقتنون السرارى وينجبوا منهن أولادا فأصدر حرما على كل من يقتنى سرارى ، فأطاعه الجميع ماعدا أرخن واحد من أصحاب الدواوين ، كان عنده عدد من السرارى ، ورفض إطاعة البطريرك .. " ضرب له البطريرك عدة مطانيات فلم يطعه ، وبقى على سوء فعله " فقرر البطريرك زيارته فى بيته لعله يستحى منه .. لكن هذا الارخن ما أن ، علم بمقدم البطريرك لزيارته حتى أغلق باب داره . وكانت النتيجة أن البطريرك ظل واقفا لمدة ساعتين أمام الباب يطرقه دون أن يجيبه أحد .. حرمه البطريرك ونفض غبار نعليه على عتبة الدار وكان من حجر الصوان فانكسرت إلى أثنين . ورأى هذه الآية كثيرون وهاب الناس البطريرك .. وبعد أيام قليلة هلك ذلك الأرخن وكل ماله (١)

---

(٣٧) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ٩٢

٣ - حادثة نقل جبل المقطم : -

الخليفة يطالب البابا ابرام بنقل الجبل المقطم :

ولعل أعظم الآيات التى تمجد الرب بها على يد ذلك البطريرك وفى عهده كانت نقل جبل المقطم .. أوغر الوزير اليهودى الذى أسلم يعقوب بن كلس صدر الخليفة المعز ضد النصارى بقوله أنه مكتوب فى إنجيلهم " من كان عنده ايمان مثل حبة الخردل فأنه يقول للجبل انتقل واسقط فى البحر فيفعل " وقال له إما أن يكون النصارى على صدق أو كذب فى إنجيلهم .. استدعى الخليفة البطريرك أنبا ابرام وسأله عن حقيقة ورود هذا القول فى الانجيل فاجاب بالايجاب .. فطلب إليه أن يرى هذه الآية وإلا أفنى النصارى بالسيف . كانت مفاجأة للبطريرك واعتراه خوف عظيم ولم يعرف بماذا يجيب ، لكنه طلب أن يمهله ثلاثة أيام .

- استدعى البطريرك الكهنة والأراخنة والشعب الأرثوذكسى فى بيعة المعلقة وأعلمهم بالأمر وهو يبكى . ووضع على الرهبان قانون صلاة وصوم بالخبز والملح والماء من المساء إلى المساء ، وأن يجتمعوا فى البيعة ليل نهار . أما البطريرك فظل صائما هذه الأيام الثلاثة . ومن فرط حزنه وإعيائه سقط فى صبيحة اليوم الثالث على الأرض وغفا غفوة يسيرة ، فرأى السيدة العذراء وقالت له بوجه فرح " ما الذى أصابك ؟ " .. أخبرها بالأمر ، فقالت له السيدة العذراء " لا تخف فانى ما أغفل عن الدموع التى سكبتها فى بيعتى هذه " وقالت له أن يقوم ويخرج من موضع معين يؤدى إلى السوق ، وسيجد إنسانا بعين واحدة ، يحمل جرة ماء ، وهذا الانسان هو الذى تتم على يديه الآية

نصيحة سمعان الدباغ للأنبا ابرام :

استيقظ البطريرك ونفذ ما قالته العذراء وتقابل مع الرجل الذى أشارت إليه العذراء . فأمسكه وضرب له مطانية وقال له " من جهة الرب إرحم هذا الشعب " ثم أخبره عن الأمر الذى لأجله خرج للقائه . فقال له الرجل " اغفر لى يا أبى فانى خاطىء ولم أبلغ إلى هذا الحد " .. لكن البطريرك أخبره بما قالته العذراء .. أراد البطريرك أن يعرف شيئا عن هذا الرجل ، فكان جوابه " أنا رجل دباغ وهذه عينى التى تراها أنا قلعتها لأجل وصية الرب عندما نظرت ما ليس لى نظر شهوة .. وأنا فى هذا الموضع أجير لرجل دباغ " وأنه يأكل خبزا وينفق ما تبقى معه على المستورين المنقطعين من الأخوة نساء ورجال . وإنه يقوم باكرا ليحمل فى جرته ماء للفقراء " فنهارى كله أعمل فى المدبغة وليلى قايم أصلى وهذه قضية حالى " .. وطلب إليه ألا يظهره لأحد " فليس لى قدرة أن احتمل

مجد الناس " .. وطلب إليه أن يخرج ومعه الكهنة والشعب إلى الجبل الذى يحدده الخليفة ، ومعه الأناجيل والصلبان والمجامر والشموع..وليقف الخليفة وعسكره وجماعته فى جانب والأب البطريرك وشعبه فى جانب أخر ، ويقف هو خلفه دون أن يعرفه أحد ، ويصلوا ويصيحوا قائلين يارب ارحم فترة طويلة . ثم يأمرهم البطريرك بالسكوت والهدوء ويسجد ويسجد الجميع معه ، وأن ذلك يكون ثلاث دفعات وفى كل دفعة يسجد البطريرك ويقف ثم يصلب على الجبل وسيرى الجميع مجد الله .

الجبل ينخفض ويرتفع مع السجود والوقوف : -

أخبر البطريرك الخليفة باستعداده للخروج إلى الجبل ، وخرج الخليفة ووجوه دولته ووزيره ومعه اليهودى موسى .. وفعل البطريك كما قيل له من الرجل الدباغ ، وصرخوا يارب ارحم دفعات كثيرة ثم أمرهم بالسكوت وسجد على الأرض وسجد الجميع معه ثلاث دفعات ، وفى كل دفعة كان البطريرك يرفع وجهه ويصلب على الجبل فيرتفع عن الأرض ، فاذا سجدوا نزل الجبل إلى حده - فخاف المعز خوفا عظيما وصاح هو ومن معه من المسلمين " الله أكبر ، لا إله غيرك " . وبعد ثالث دفعة قال المعز للبطريرك : " حسبك يا بطرك قد عرفت دينكم " (٣٨)

ازدياد تقدير المعز للأنبا ابرام : -

ثم طلب الخليفة المعز إلى البطريرك أن يسأل أى شىء ليفعله له . فقال له " ما اتمنى إلا أن يثبت الله دولتك ويعطيك النصر على اعدائك " .. وأعاد عليه الطلب ثلاث مرات . وأخيرا قال البطريرك " إذا كان ولابد فأنا اسأل مولانا أن يأمر إن أمكن من بناء بيعة أبو مرقورة (أبو سيفين) بمصر لتهدم حوائطها فتحولت إلى شونة للقصب . وكذلك الكنيسة المعلقة التى تهدمت بعض جدرانها . فأمر المعز للوقت أن يكتب سجل بتمكين البطريرك من ذلك على أن يكون الصرف على العمارة من بيت مال المسلمين .. فأخذ البطريرك السجل شاكرا ، وأعاد المال وقال للمعز أن بيت المال أحق بهذا المال .

- ونود أن نشير هنا إلى أن معجزة نقل جبل المقطم ورد ذكرها تفصيلا فى كتاب تاريخ البطاركة المعاصر فى كتابته لهذه المعجزة - كما ذكرها أبو المكارم فى القرن العاشر فى كتابه الكنائس والديارات والرحالة ماركو بولو الذى من البندقية فى القرن الثالث عشر - وليس ذكر هذه المعجزة حديثا كما يزعم

---

(٣٨) تاريخ البطاركة ، العهد الثانى ، ج ٢ ، الصفحات من ٩٤ إلى ٩٦ .

الدكتور على ابراهيم حسن فى كتابه " مصر فى العصور الوسطى " وقوله أن أول من ذكرها هو صاحب كتاب الخريدة النفيسة . وعلى أية حال فهناك إثبات من زاوية أخرى على حقيقة حدوث هذه المعجزة ، ذلك هو التحول الذى طرأ على سلوك الخليفة المعز لدين الله تجاه الأقباط ومن بعده ابنه العزيز بالله الذى تزوج من مسيحية .

٤ - بناء كنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمة وما تبع ذلك : -

لما قرئ السجل الصادر من الخليفة عند بيعة أبو مرقورة . تجمع الغوغاء والأوباش وقالوا لو قتلنا كلنا بالسيف ما مكنا أحد من وضع حجر فى هذه البيعة . فعاد البطريرك إلى الخليفة وأخبره بذلك . فغضب المعز وركب لساعته ومعه جنوده وأتى إلى المكان وأمر بحفر الأساس فحفر بسرعة ، وجمع له عددا كبيرا من البنائين ، وحملت إليه الحجارة من كل مكان بأمر الخليفة ، وبدأوا البناء .. فلم يجسر أحد أن ينطق بكلمة ما عدا شيخ واحد كان يؤم أولئك الغوغاء فى الصلاة بالمسجد القريب من المكان . هذا ألقى بنفسه فى الأساس المحفور ، وقال أريد اليوم أن أموت على اسم الله ولا أدع أحد ويبنى هذه البيعة . وما أن علم المعز بذلك حتى أمر ان ترمى عليه الحجارة ويبنى فوقه فلما ألقوا عليه الجير والحجارة أراد أن ينهض ويقوم فلم يمكنه الأعوان لأن المعز أمر بدفنه فى الأساس الذى طرح نفسه فيه . فلما رأى البطريرك ذلك تطارح بين يدى المعز وسأله فيه إلى أن أمر باصعاده من الأساس .. وهكذا حتى كملت عمارة البيعة وكذلك بيعة المعلقة .. كما بنى هذا البطريرك كل البيع التى كانت تحتاج إلى عمارة ولم يعترضه أحد فى شىء . وامتدت العمارة إلى كنائس الاسكندرية التى كانت تداعت جدرانها .

الانبا زخارياس البطريرك الـ ٦٤ (١٠٠٤ م - ١٠٣٢ م)

معاصروه هذا البطريرك عاصر كل من الخليفة الحاكم بأمر الله والخليفة الظاهر ، وجرت له متاعب كثيرة وعاصر مظالم وإضطهادات جمة وسياسات متغيرة ومتضاربة.

١ - سجنه والقائه للأسود :

كما جرت له متاعب كثيرة بسبب الوشايات الكاذبة المضلله المغرضة التى بسببها وبدون فحص وتدقيق أمر الحاكم بأمر الله بأن يطرح البطريرك للسباع (أسود) لتأكله . لكن الذى حفظ دانيال فى جب الأسود حفظ البابا زخارياس ، فلم تقربه الأسود . وألقى الحاكم أيضا مع البطريرك راهب نوبى اسمه شبشية ، وكانت الأسود تخضع له وتلعق رجليه على نحو ما تفعل الكلاب بأصحابها .

ظن الحاكم بأمر الله - حينما بلغته هذه المعجزة - أن المسؤلين عن الاسود تطعم الأسود وتشبعها قبل أن تطلقها على البطريرك والراهب النوبى . فأمر بأن تجوع السباع ، وتذبح شاه وتنزع عن البطريرك ثيابه ويلطخ جسمه بدم الشاه . ففعلوا كما أمر الحاكم لكن الأسود ظلت مسالمة له وللراهب ولم تؤذهما

أخرجوا الأنبا زخارياس إلى السجن وظل معتقلا ثلاثة أشهر ، وحاولوا إرهابه بشتى الوسائل تارة بالحريق وأخرى بطرحه للأسود إن لم يدخل فى دين الاسلام. وإذ لم يفلح الارهاب كانوا يعرضون عليه الكرامة .. أخيرا دبر الرب أن يطلق الحاكم بأمر الله كل من بالحبس بعد شفاعة أحد مقدمى العرب ويدعى ماضى بن مقرب .

(٢) البابا زخارياس والراهب بيمن والحاكم بأمر الله : -

ذكرنا سابقا ونحن نتكلم عن الحاكم بأمر الله أن راهبا يدعى بيمين كان قد أسلم وعاد إلى المسيحية وأعطاه الله نعمة فى عين الخليفة فصار مقربا إليه . وقلنا أن الحاكم سمح له ببناء دير شهران يسكنه مع عدد من الرهبان . وكان الحاكم بأمرالله يتردد على هذا الدير ويقيم هناك ويؤاكل الرهبان . ولما أحس الراهب بيمين أن الله أعطاه نعمة فى عينى الحاكم بأمرالله تكلم فى شأن البطريرك الأنبا زخارياس وسأله الاذن فى بناء الكنائس فوعده بذلك . فانفذ الراهب بيمين من ، أخبر البطريرك بالحضور من دير أبو مقار . حضر البطريرك واخفاه بيمين عنده فى الدير .

فلما أتى الحاكم إلى الدير كعادته أخرج له البطريرك فسلم عليه وبارك عليه ودعا له .. فسأل الحاكم الراهب بيمين " من هذا " قال " هذا أبونا البطريرك أنفذت أحضرته كما أمرت " . فسلم عليه وكان معه جماعة من الأساقفة ، فقال الحاكم للراهب بيمين " من هؤلاء ؟ " فقال له " هؤلاء خلفاؤه فى البلاد وهم الأساقفة " . أخذ الحاكم يتأمل البطريرك وكان قصير القامة يرتدى ثيابا بسيطة ولم يكن وجيها فى هيئته ، بينما كان الأساقفة الذين معه ذوى مناظر حسنة وقامات فارعة . فسألهم الحاكم " هذا مقدمكم كلكم " قالوا نعم يامولانا يثبت ملكك " . فتعجب وقال لهم " إلى أين ينتهى حكمه " قالوا له " ينفذ حكمه فى ديار مصر والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية وافريقيا " فازداد عجبه وقال " كيف يطيعوه كلهم بلا عساكر ولا مال ينفقه فيهم " قالوا له " بصليب واحد تطيعه هذه القبائل كلها " سألهم " وأيش هو هذا الصليب " أجابوه " مثال الذى صلب عليه المسيح " فقال الحاكم " بالحقيقة ليس فى العالم دين ثابت مثل دين النصارى . هوذا نحن نسفك الدماء وننفق الأموال ونخرج الجيوش وما نطاع . وهذا الرجل

الشيخ الحقير المنظر الدميم الخلقة تطيعه أهل هذه البلاد كلها بكلمة " (١) .

٣ - الخصب بعد الجدب :-

فى هذا اللقاء السابق قال الحاكم بأمر الله للبطريرك وللأساقفة الذين معه " أقيموا ههنا حتى أقضى حوائجكم " . وأصدر سجلا بفتح الكنائس كلها التى فى أنحاء البلاد وعمارتها وأن تعاد إليها ما نهب منها من أخشاب وأعمده وطوب - وكذا الأراضى والبساتين التى كانت تمتلكها الكنائس فى كل البلاد المصرية أمر أن تعاد إلى الكنائس .. كما أعفى المسيحيين من الزى الخاص وحمل الصليب على صدورهم . وصرح بضرب نواقيس الكنائس .

٤ - معجزات الانبا زخارياس : -

أ - ومن معجزاته أن الانبا مرقورة تلبانه ضرب جسده بالبرص الشديد ، فحضر إلى الأنبا زخارياس فقال له البطريرك بتواضع وقلب متوجع أنه يشاركه فى التوجع فيما أصابه . ولكنه أعلمه أنه ما يصح أن يكهن إلا بعد أن يشفى من البرص حسب شريعة العهد القديم . فبكى الأسقف وطلب إلى البطريرك أن يؤازره بصلاته ، وخرج من عنده وقصد إلى كنيسة فى ايبارشيته على اسم السيدة العذراء ، وانقطع فى الكنيسة صائما ثلاثة أيام بلياليها وهو يتشفع بالعذراء من الصورة وكأنها قد مسحت جسمه فاستيقظ وقد عوفى من مرضه . ثم توجه بعدها إلى البطريرك وأعلمه بما حدث وقال " يا أبى هذا بصلواتك " . فأجابه "بل بأمانتك وصلاتك " (٢)

ب - فرحا مع الفرحين وبكاء مع الباكين : -

حدث أن شماسا متزوجا وقع فى خطية زنا فضرب جسمه بالبرص فأخذ يبكى بحرقة فقالت له زوجته وكانت امرأة تقية " قد أخطأت يا أخى وغلطت فبادر إلى الآب زخارياس القديس وأمسك بقدميه والزمهما حتى يسأل الله فيك فتبرأ " فذهب إلى البطريرك وطرح نفسه بين يديه وبكى طويلا وتعلق بقدميه واعترف له بكل شيء . فقال له البطريرك " يا ولدى فيك أن تثبت على بين يدى السيد المسيح " فقال له " أحكم على بما شئت فانى فاعله بمعونة الله لى وبركة صلاتك " فأدخله إلى مكان مظلم عنده وقال له " يا ولدى واصل الصلاة والتضرع والبكاء ، تائباً واعداً أن لاتعود إلى الخطية " . وكان يجعله يصوم ثلاثة أيام ،

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، تصفحات من ١٤٨ إلى ١٥٠ .

ثلاثة أيام ثم يطعمه بقليل من الخبز ويسير من الماء وكان يفتقده ويصلى عليه بين الحين والآخر . .

وبعد تمام أربعين يوما أتاه فوجده قد طهر من البرص ، فجعله يستحم ثم دهنه بزيت وصلى عليه وقال له " يا ولدى قد عوفيت فاعرف ما ندرته على نفسك ولا تعود إلى خطية . ولا تظن أننى صومتك ثلاثة أيام وثلاثة ليالى وافطرت أنا ، بل حى هو اسم المسيح ما تغذيت فى هذه الأربعين يوما إلا بمثل ما غذيتك به " . ثم بارك عليه وصرفه فعاد إلى زوجته المباركة فرحا مسرورا (١) .

ج - الرب يقبل عطاياك : -

ومما يذكر عنه انه أتته يوما سيدة وقدمت له مبلغا من المال . فقال لها الأنبا زكريا " الرب يقبل عطاياك " وصمت . وانتظرت هى دعوات أخرى فلم يقل ، فخرجت وهى تشعر بالضيق . فأحس بها تلميذه فأسرع إليه وأخبره فطلب أن يستدعيها فلما مثلت أمامه أمر تلميذه باحضار ميزان . ثم وضع تقدمتها فى كفى الميزان وفى الكفة الأخرى وضع ورقة كتب عليها " الرب يقبل عطاياك " . وعندما رفع الميزان رجحت الكفة التى بها الورقة . فقال لها البابا " يا ابنتى خذى منهما ما أردت " . فخرجت أمامه باكية وأخذت الورقة واحتفظت بها كبركة (٢)

الانبا شنودة الثانى البطريرك الـ ٦٥ (١٠٣٢ م - ١٠٤٦ م)

وقد عاصر هذا البطريرك من خلفاء الدولة الفاطمية كل من الخليفة الظاهر والمستنصر

وقد نالته متاعب كثيرة جدا ومضايقات من الداخل والخارج ، كانت نتيجتها أن حاقت بالكنيسة مظالم كثيرة ونال الاقباط منها جانبا كبيرا من المتاعب والمظالم

ومما يذكر أن هذا البطريرك أصدر قرارا بأن تؤول مقتنيات الاساقفة بعد نياحتهم الى البطريركية ، وظل هذا النظام معمولا به حتى أبطله البابا شنودة الثالث بموجب قرار أصدره وأعلنه . (٣)

الانبا خرستوذولوس البطريرك الـ ٦٦ (١٠٤٦ م - ١٠٧٧ م)

كانت مدة حبرية هذا البطريرك فى خلافة الخليفة الفاطمى المستنصر . الذى

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحات من ١٤٨ إلى ١٥٠ .

(٢) ايريس المصرى (قصة الكنيسة القبطية ج ١٣ الصفحة ٧٣

(٣) منسى يوحنا " تاريخ الكنيسة القبطية "(طبعة ١٩٢٤ م ص ٥١٠)

سبق أن تحدثنا عنه وقد نالت هذا البطريرك متاعب كثيرة على يد محمد البازورى وزير المستنصر . ولقد أشرنا فى حديثنا عن الخليفة الفاطمى المستنصر . وكان ذلك الوزير شديد الكراهية للمسيحيين عامة وللأقباط خاصة .. كما نالته متاعب على يد رجال قبيلة " اللواته " الذين عاثوا فسادا فى الوجه البحرى وقبضوا على البطريرك أنبا خرستوذولوس ، وأذاقوه ألوان العذاب بعد أن نهبوا داره ، واسره اللواتيون ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن دفع عنه ثلاثة ألاف دينار على نحو ما أشرنا قبلا فيما كتبنا عن الخليفة المستنصر .

كما نالته متاعب كثيرة قام بها ستة من الاباء الاساقفة ومتاعب أخرى بسبب راهب يدعى فلوطسى ومتاعب أيضا بسبب راهب يدعى أبو يعقوب بالاضافة الى متاعب جمة من إنسانا يدعى على القفطى .

ومن أشهر المتاعب التى حاقت بالكنيسة فى أيامه :

١ - بسبب الحصول على مفاتيح كنيسة واحدة : -

لقد حاقت بالكنيسة متاعب كثيرة عندما أراد البابا خرستوذولوس فتح كنيسة للصلاة بعد أن أغلقت جميعها ، ففرض الوالى نظير ذلك ضريبة باهظة على أقباط الاسكندرية ودفعوها مقابل تسليم البطريرك مفاتيح كنيسة واحدة لإقامة العبادة فيها وتركوا له بيت إنيانوس البطريرك الثانى .

٢ - سرقة الاديرة وقتل الرهبان : -

فقد ذكر بعد مقتل الوزير يازورى أن عاود المسلمون ثانية وألقوا القبض على البطريرك وهجموا على البطرخانة بالاسكندرية ووجدوا فى الخزينة تسعة آلاف دينار أقتسموها ، ثم أطلقوا سراحه بتوسط ذوى النفوذ من موظفى الاقباط ، كما ذكر أن جرت العادة أن يزور البطاركة أديرة وادى النطرون ، وفى أحد السنين بينما كان البابا خرستوذولوس بوادى النطرون ، هجم أتباع ناصر الدولة زعيم الترك على الاديرة وإضطهدوا الرهبان وذبحوا كثيرين منهم ، وأخذوا البطريرك أسيرا معهم وأوسعوه إهانة وتعذيبا ولكن الله نجاه بواسطة رجل قبطى يدعى أبا الطيب ، كان رئيس كتبة ناصر الدولة فتوسل الى مولاه أن يطلقه ، ففعل إكراما لخاطره ودفع أبو الطيب فدية له مبلغ ثلاثة آلاف دينار . (١)

---

(١) منسى يوحنا " تاريخ الكنيسة القبطية " ص ٤٤٧

٣ - البابا خرستوذولوس ورأس مارمرقس الرسول : -

وفى عهد هذا البطريرك تمكن الأقباط من الاحتفاظ برأس ما مرقس كاروز بلادنا على الرغم من سعى الروم للحصول عليها مقابل عشرة آلاف دينار. وقد أشرنا أيضا إلى ذلك فى حديثنا عن الخليفة المستنصر . ونضيف هنا أن رأس مار مرقس كانت تظهر منها عجائب كثيرة .. ويروى تاريخ البطاركة أن شخصا شك فى قلبه وقال " أترى هذه رأس القديس مار مرقس أم لا " . ففى تلك الليلة ظهر ما مرقس لشقيقه وقال له " أخوك شك فى .. ففى الصباح أعلم أخاه بما رأه فى الحلم ، فلما سمع تعجب وارتعب واعترف بما خامره من شك ، ومضى إلى حيث رأس القديس وصلى بدموع طالبا الصفح عنه " (تاريخ البطاركة ، المجلد الثان ، ج ٣ ، الصفحة ١٨١ (١)

البابا خرستوذولوس وطقوس الكنيسة : -

ومن الأمور الحسنة التى تذكر لهذا البطريرك اهتمامه بالنواحى الطقسية فى الكنسية والعبادة . ولقد وضع قوانين طقسية ، نسخة منها موجودة بمكتبة المتحف القبطى بمصر القديمة . وقد بدأ فى إصدار هذه القوانين فى ٨ مسرى سنة ٧٦٤ ش (أول أغسطس سنة ١٠٤٨ م) بعد أقل من سنتين من رسامته بطريركا . وكان أول هذه القوانين خاصا بالمعمودية . وتلاه بقوانين عن العبادة الكنسيّة وخشوع المؤمنين فى دخول الكنيسة . وتناول فى قوانينه أمور كثيرة تتعلق بطاعة الزوجات لأزواجهن - وتكلم عن الصوم الأربعينى وطقس أسبوع البصخة ابتداء من نهاية قداس أحد الشعانين - كما تكلم عن طقس الخماسين وصوم الرسل وصوم يومى الأربعاء والجمعة وصوم الميلاد والغطاس .

تأديبات الرب لشعبه : -

أ - سبق أن ذكرنا أنه فى زمان الخليفة الفاطمى المستنصر حلت بمصر أيام سود استمرت سبع سنوات بسبب انخفاض مياه النيل وحدثت مجاعات وانتشرت أوبئة وترتب على ذلك قيام حروب أهلية فى مصر نتيجة الغلاء الفاحش وندرة القوت .. وكان هذا بلا شك تأديبا من الرب لأولاده الذين انحرفوا وحادوا عن طريقه وأخذوا يتشبهون بغير المؤمنين فتكبروا وتصلفوا .. يقول كاتب البطاركه " ولما صار جميع مقدمى المملكة والناظرين فى دواوينها وتدبير أمرها كلهم نصارى وهم الملك النافذ أمرهم بغوا وعتوا وبذخوا هم وجميع النصارى بديار

---

(١) تاريخ البطاركة (المجلد الثانى جـ٣ ص ١٨٠)

مصر ، وتكبروا وعزت نفوسهم . ووقع بينهم البغضة والحسد وبين مقدميهم . وصار أكثر اهتمامهم بالأمور الدينياوية والتجمل والتفاخر والكبرياء على بعضهم بعض . فنزل الأدب من السماء من عند السيد المسيح على جميع النصارى حتى لحق غيرهم من الأمم لينتقم منهم عن جميع ذنوبهم فى هذه الدنيا ويخلصهم فى الأخرة قبل أن يصيروا إليه ... " (١) .

ومما قاله أيضا " ... كثرت خطايانا وذنوبنا .. حتى أن جماعة ثقات من المسلمين والنصارى أبصروا بأعينهم الدموع تجرى من أعين بعض الصور التى فى الكنائس " (٢) .

ب – ومن القصص المؤثرة فيما يختص بتأديبات الرب لشعبه ، أن إنسانا مسيحيا كان دائما يستشفع بالشهيد مرقوريوس (أبو السيفين) وكان يقضى حوائجه مقابل خدمته له .. وفى زمن تأديب الرب هذا استشفع هذا الرجل كعادته بالشهيد مرقوريوس فلم يقض له حوائجه كما اعتاد ، فدخله الشك من جهة هذا الشهيد . فظهر له الشهيد فى تلك الليلة " وأخرجه إلى موضع واسع ، وأوقفه على جب فيه خيل وسلاح . وقال له هل تعرفنى ؟ أنا هو مرقورة فلا تشك . اعلم إنى انا واخوتى الشهداء وغيرنا قد أمرنا بأن لا نشفع فى أحد فى هذا الزمان لأنه زمان أدب . وهذه خيلنا وسلاحنا قد تركناها هنا " (٣)

البابا خرستوذولووس ومملكة النوبة المسيحية : –

حرص البطريرك الأنبا خرستوذلوس على الصلات الطيبة التى تربط بين الكنيسة فى مصر ومملكة النوبة المسيحية . فما أن وصلته رسالة جرجس ملك النوبة يطلب فيها رسامة مطران لهم لنياحة مطرانهم حتى بادر باختيار راهب تقى ورسمه وأرسله إليهم ، فرح به النوبيون لأنه دشن لهم كنيسة قد بناها سلفه

وكان ملك النوبة هذا قد قطع الجزية التى كان يرسلها إلى مصر لكنه عاد إلى دفعها بعد أن أقنعه رسول من قبل البابا خرستوذولوس بذلك حفظا للسلام بين الدولتين . ولم ينس الرسول أن يؤكد للملك أنه يقدم له النصيحة رغم عدم رغبته فى التدخل فى شؤون الدولة السياسية . وهذا يؤكد أن كنيسة الاسكندرية قد عرفت دائما – كما فعلت فى اثيوبيا – حدود رسالتها فلم تتعد دائرة الدين

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ١٧٣ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ١٨٢ .

(٣) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ١٩٨ .

ومما ينبغى ذكره فى هذه الفترة : -

انه فى عصر هذا البطريرك ساد الانحلال والجهل ومن لروع الادله على ذلك أن المكتبه التى وصفها مقريزى دائها إسطورة من نسج الخيال التى كانت تحوى مئة الف مجلد الى جانب آيات الفن فى التصوير والمتاحف ، أصبحت منهبا لكل ناهب وتبددت بأتفه الاثمان . (١)

الأنبا كيرلس الثانى البطريرك الـ ٦٧ (١٠٧٨ م - ١٠٩٢ م) :

كانت حبرية هذا البابا الفاضل فى خلافة الخليفة الفاطمى المستنصر الذى سبق أن تحدثنا عن عهده . لكن المتصرف الفعلى فى شئون البلاد كان هو بدر الجمالى الأرمنى الذى استحضره الخليفة من سوريا وخلع عليه عدة ألقاب منها لقب " أمير الجيوش " وكان رجلا قوى الشكيمة ، حسن التصرف . وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك .

على أن أعظم ما يميز هذه الفترة هو الفن المعمارى . فأقيمت الأبنية العظيمة فى القاهرة وغيرها من المدن الكبيرة . وأحاط بدر الجمالى مصر القديمة والقاهرة بأسوار منيعة . وكان المتولى عمارتها راهب قبطى يدعى يؤنس (يوحنا) ، وهو الذى أشرف على تصميمها (٨٦) .

وفى ملاحظة هامشية للعالم المؤرخ الفريد بتلر على ما ذكره أبو المكارم عن الراهب القبطى يؤنس يقول " ليس هناك دليل لكبر من أن الأقباط كانوا هم مهندسى القاهرة " .. ويذكر أبو المكارم أن الراهب يؤنس هو الذى صمم أسوار القاهرة الجديدة فى عهد بدر الجمالى والخليفة الفاطمى المستنصر . وكانت الأسوار الأولى قد بناها جوهر الصقلى . وأقام بدر الجمالى الأسوار الجديدة بعد قرن من الزمان وكان ذلك فى سنة ١٠٨٧ م ولم تبن الأسوار الجديدة مكان الأولى ولكنها أقيمت فى مواضع أخرى أعطت المدينة مزيدا من الاتساع خاصة من ناحيتى الشمال والجنوب . وقد أقيمت الأسوار الجديدة من الطوب الأحمر أما أبواب المدينة فبنيت من الحجارة . وهذه الأبواب هى باب النصر وباب الفتوح وباب زويله .

ووسط استتباب الأمن والهدوء كلف بدر الجمالى الأقباط بتنظيم الدواوين وتشكيلها وبلغ مقدار ما جبى فى أيامه ضعفى ما كان يجبى قبلا (٨٧) .

---

(١) قصة الكنيسة القبطية (د . لويس حبيب المصرى) ب ٣ ص ٩٨)

العلاقة الطيبة بين البابا كيرلس وبدر الجمالى : -

- بعد أن تمت رسامة البابا كيرلس الثانى بالاسكندرية سار إلى مصر وقصد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بجزيرة الروضة فى الموضع الذى يقال له المختارة (لذا ترد فى المخطوطات باسم كنيسة ميخائيل المختارة (أنظر تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ٢١٠) ، فهب لاستقباله الانبا يعقوب أسقف مصر وأنفذ إلى الشيخ أبو الفضل يحيى بن ابراهيم متولى ديوان الأبواب " (رئيس الشرطة) وديوان الصناعة ، يعلمه بوصول البابا البطريرك إلى كنيسة ميخائيل بجزيرة الروضة ، فسارع هذا الشيخ وأرسل حصانا أبيض ليركبه البابا . وكان بصحبته عدد من حفظة الأمن وعبر النيل إلى مصر وكان فى استقباله على الشاطىء جمهور كبير من الناس . وسار البابا إلى قصر الخليفة تتبعه جموع كثيرة ويتقدمه موكب من خدام الكنيسة . وهكذا حتى وصل إلى قصر الخليفة المستنصر . وخف لاستقباله مامون الدولة (وكان يسمى الأستاذ ، وكان من المقربين للخليفة) - ثم أخذ مأمون الدولة البابا بمفرده وأدخله إلى الخليفة المستنصر وكانت معه أمه وأخته جالستين " وبين أيديهم طيب كثير فضمخوه من ذلك الطيب . وقالوا بارك علينا وعلى قصرنا . فبارك عليهم ودعا لهم ففرحوا به وقالوا له جعلك الله مبارك علينا وعلى دولتنا " . ثم خرج ووقف على باب القاعة ، وامر بطرس أسقف دقميرة (١) أن يقرأ الدعاء ، فقرأه ، وبارك هو أيضا ودعا (٢)

ثم أخرج البطريرك ومن معه إلى دار أمير الجيوش بدر الجمالى فاستقبل استقبالا حسنا فدعا له دعاء كثيرا ، وأمر بطرس أسقف دقميرة فقرأ الدعاء ، وأمر بدر الجمالى والى مصر أن يخرج معه إلى حيث يريد " وأن يراعيه ويخدمه ويقضى حوائجه مادام بمصر . فخرج مبجلا ونزل إلى كنيسة السيدة العذراء المعلقة بمصر..ثم طلع بعد أيام إلى كنيسة السيدة بالقاهرة بحارة الروم "

---

(١) هناك خلط بين دقميرة فى بعض الكتب - لكنها لمقية أخرى وكرسى غير دميرة - وهى حاليا تعرف باسم كفر دميره الجديد ، تابع لمركز طلخا ، انظر . Munier ; Liste Episcopales . PP 28 , 27 وانظر أيضا محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الثانى ، الجزء الثانى ، الصفحة ٩٠ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

البابا كيرلس والصوم الكبير : -

ولما حل الصوم الكبير خرج قاصدا دير أبو مقار وهناك حدث شيء عجيب في يوم الخميس الكبير (خميس العهد) بينما كان وعاء الميرون موضوعا على المذبح فاض الميرون على يديه وعلى المذبح من تلقاء ذاته . وكان الأمر موضع دهشة الحاضرين .

البابا كيرلس وبطاركة وملوك الدول الاخرى المجاورة : -

أ - وتبادل البابا كيرلس الثانى والأنبا ديونسيوس البطريرك الأنطاكى رسالة السنوديقا (الايمان المشترك) - وبموجبها كان يذكر اسم كل بطرك فى الصلوات والقداسات فى كنائس الكرسى الآخر .

ب - وفى عهده اعتزل سلمون ملك النوبة شؤون المملكة وتنازل عنها لجورجيوس ابن اخته ، وانفرد هو بالعبادة والنسك (وكان ذلك فى السنة الثانية لبطريركية البابا كيرلس الثانى) فى بيعة على اسم القديس أبو نفر وكان هذا المكان يبعد عن أسوان مسيرة عشرة أيام . وكان والى أسوان يومئذ هو أسعد الدولة شاردكين القواسى . فأتاه أحد رجاله وقال له " يا مولاى أتريد أن أمضى وأحضر لك سلمون الذى كان ملكا على النوبة " قال له " نعم " فذهب فى صحبة عشرين رجلا وفاجأوا البيعة التى فيها سلمون . وأخذوه وسيره أسعد الدولة إلى القاهرة . فلما وصل القاهرة استقبل أحسن استقبال وأكرمه بدر الجمالى وأنزله فى دار حسنة . وأقام على هذه الحال نحو سنة ثم تنيح ودفن فى دير الخندق (أنبا رويس) الذى كان فى ذلك الوقت خارج مدينة القاهرة .

وفى أثناء إقامة سلمون ملك النوبة بمصر ظهر بجلاء ما كان بين القبط والنوبيين من الرابطة الدينية . وتبادلت الزيارات بينه وبين البطريرك ووجهاء القوم ، الذين بالغوا فى إكرامه . فكان وجوده بينهم هذه المدة الوجيزة سببا فى تعزيز شأنهم وإعلاء مقامهم عند

أكابر الدولة وعظمائها ولاسيما عند بدر الجمالى ، الذى لما علم بما بين الاقباط والنوبيين والاحباش من الرابطة الدينية ، كان يحاول إبرام معاهدات مع ملوك هاتين الدولتين لتسهيل طرق التجارة وامتدادها بين مصر وهذه البلاد ، كاشف وجهاء الاقباط بما فى قلبه ، وطلب منهم بذل المساعى لتنفيذ مقاصده . فلبوا طلبه وشرعوا فى فتح باب الاتصالات مع ملوك النوبة والحبشة بواسطة الاب البطريرك كيرلس الثانى .. وبعد تداول المحادثات والمكاتبات تم الاتفاق أخيرا

وأثنى عليهم . وأنعم على الاب البطريرك بمال يستعين به على إصلاح الديارات والكنائس التى خربت (١)

أنتقام الله من المغرضين واظهار كرامة خدامه الابرياء له

فقد ذكر أن خمسة أساقفة تعصبوا ضد الاب البطريرك ولجأوا الى شخص يدعى " يسيب "ناظر بساتين (خولى) بدر الجمالى وكان قريبا منه ، وتمكنوا من إثارة يسيب ضد البطريرك وشحنوه حتى قدم الشكاوى ضد البطريرك .

نعود إلى يسيب هذا الذى تعصب لخصوم البطريرك .. فبعد أن أنصرف الآباء الاساقفة من محضر بدر الجمالى عاتب بطرس أحد تلاميذ البطريرك يسيب على ما فعله . فما كان من يسيب إلا أن خاطبه بقبيح الكلام . وحاول أحد الاساقفة أن يهدئ من غضبه دون جدوى . وازداد غضبه على التلميذ . فلما خرج البطريرك من البستان حيث كان يعقد الاجتماع ورأى يسيب هائجا خاطبه بكلام لين فلم يهدأ . ودار كلام بينه وبين البطريرك . وأخيرا قال له البطريرك " ياايسيب إذا كان لك سلطان الارض ، فأنا معى المسيح الذى له سلطان السماء والارض " . ونزل البطريرك عن دابته وضرب ليسيب مطانية . وإزاء ذلك بكى جماعة من النصارى كانوا حاضرين . ومع ذلك لم يرتدع يسيب .

وفى يوم السبت التالى مباشرة (فى مثل نفس اليوم الذى ضرب البطريرك المطانية ليسيب) ، نما إلى علم أمير الجيوش أمورا ضد يسيب فغضب منه ، وركب لوقته إلى البستان وأمر بضرب رقبته ، وضربت رقبته فى نفس المكان الذى ضرب له فيه الاب البطريرك المطانية . وكان أيضا فى مثل تلك الساعة . فتعجب جميع الناس وازدادت كرامة الاب البطريرك عندهم ، وعند أمير الجيوش أيضا

غيوم الصيف بين البابا كيرلس وبدر الجمالى : -

١٠ - وحدثت أزمة بين بدر الجمالى والاب البطريرك وبعض الاساقفة بسبب هدية ارسلها مطران الحبشة مع أخيه ، لم تقع عند بدر الجمالى موقعا حسنا . وبسبب كلمة غير حكيمة قالها أسقف من حاشية البطريرك غضب أمير الجيوش . وقرر على كل أسقف كان حاضرا مع البطريرك (وكان عددهم عشرة) دينارين كل يوم حتى يكتبوا إلى ملك الحبشة ويسافر أسقفين برسالة إليه .. وانتهى ذلك اللقاء نهاية سيئة ، وأمر بالقبض على أخى مطران الحبشة الذى

---

(١) يعقوب نخله روفيله (تاريخ الامة القبطية ص ١٤٠ ، ١٤١)

حمل الهدية .. وبسبب هدية حسنة وصلت من عند ملك النوبة ، طابت نفس أمير الجيوش وأرسل واستدعى البطريرك والاساقفة العشرة واكرمهم وطيب قلب البطريرك وكان أمير الجيوش قد طلب من مطران الحبشة ساويرس قبل سفره أن يبنى أربعة مساجد للمسلمين هناك . لكن المطران بنى سبعة مساجد ولكن الاحباش هدموها وأرادوا أن يقتلوا المطران ، بل أن ملك الحبشة قبض على المطران وأعتقله . ولما تأكد أمير الجيوش من ذلك هدأت ثورته (١)

حقيقة ينبغى أن تقال :

(أ) ومما هو جدير بالذكر أنه فى بطريركية الانبا كيرلس الثانى - وعلى وجه التحديد سنة ١٠٨٨ م / ٨٠٤ ش كان عدد الرهبان ببرية شيهيت أكثر من سبعمائة راهب كالآتى : أربعمائة بدير أبو مقار ،ومائة خمسة وستون بدير يحنس القصير ، وخمسة وعشرون بدير يحنس كاما (وهذين الديرين أندثرا فيما بعد) ، وعشرون بدير البرموس واربعون بدير الانبا بيشوى ، وستون بدير العذراء (السريان) ، وفى مغارة أبو موسى راهبين أحدهما سريانى والآخر قبطى - هذا عدا السواح الذين لا يعرفهم كاتب السيرة .

(ب) عندما تعصب خمسة أساقفة ضد البابا البطريرك اجتمع مجمع الكنيسة المقدس وكان عدد أعضاء المجمع ٤٧ أسقفا بخلاف الاب البطريرك . وكان منهم ٢٢ أسقفا من الوجه البحرى ٢٢ أسقفا من الوجه القبلى وأسقف نابليون وأسقفى الخندق والجيزه . وهذا يدل على أن عدد الاقباط فى ذلك الوقت مايزال كبيرا جدا .

الانبا غبريال بن تريك البطريرك الـ٧٠ (١١٣١ م - ١١٤٥ م)

هو أبو العلا صاعد بن تريك من مدينة مصر ، من عائلة قبطية عريقة ، كان والدة قسا وترمل . وكان كاهنا قديرا عالما متقشفا ، يعيش حياة طاهرة نسكية ، وكان ذا أموال كثيرة .

نشأ نشأة صالحة إذ رباه أبوه الكاهن تربية دينية وثقافية حسنة حتى صار رجلا عالما وكاتبا ملما بعلوم الكنيسة والكتب المقدسة ، فضلا عن أعمال الدواوين ، مقتدرا فى اللغتين القبطية والعربية . كما كان ناسخا ماهرا ، قام بنساخه عدة كتب قبطية وعربية ، الامر الذى ساعده على التبحر فى علوم الكنيسة وعقائدها.

وعلى الرغم من مسئولياته الحكومية ككاتب فى دواوينها فقد كان ملازما للبيعة .

---

(٩٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانية ، ج ٣ ، الصفحات من ٢٢٠ إلى ٢٢٢

محبا للصلوات ، كثير الصدقات ، باذلا نفسه لخدمة الكنائس والغرباء والمرضى مفتقدا الارامل والايتام ومن فى السجون . كان ذا منزلة كبيرة لدى الوزير أحمد بن الافضل حفيد بدرالجمالى . ولعل ذلك يتضح من سماح له بتكريس نفسه شماسا للخدمة بكنيسة ابى سيفين مع الاحتفاظ بوظيفته فى الديوان . وكان ذلك بسبب استقامته وامانته ومقدرته على تصرف الامور .

أسباب تأخر رسامة البابا غبريال بن تريك :-

وبسبب ظروف الامن المضطربة فى البلاد وكثرة الوشايات ظل كرسى البطريركية شاغرا مدة أكثر من سنتين بعد نياح البطريرك مكاريوس الثانى .

ويمكن تلخيص اسباب تأخير رسامة بطريرك جديد خلفا للبطريرك مكاريوس الثانى فى سببين :

السبب الاول هو فقر الاقباط الشديد فى تلك الفترة نظرا للظروف المختلفة ، الامر الذى يجعلهم فى حالة عجز عن دفع مبلغ يتراوح من ثلاثة الاف إلى ستة الاف دينار لخزينة الدولة لاستصدار مرسوم التنصيب ، وذلك بسبب الضرائب الباهظة التى فرضت بسبب الحرب مع الفرنجة .. أما

السبب الثانى فهو خشية أراخنة الاقباط من رفض الوزير التصديق على أنتخاب مسيحى بسبب حالة الشئون الدولية .. وفضلا عن ذلك فقد ازداد الامر صعوبة بسبب أثنين من الرؤساء أضمرا كراهية شديدة لكل المسيحيين أحدهما مسلم هو ابن ابى قيراط والاخر سامرى ويدعى ابراهيم – هذان الشخصان ضللا الخليفة بالقول أن الاقباط جمعوا أموال الكنائس وارسلوها للفرنجة لمساعدتهم . وازاء ذلك أمر الخليفة بمصادرة اى أموال قبطية سواء كانت خاصة بالكنيسة أو بأفراد من الاقباط . وظل الحال كذلك حتى أغتيل كلاهما فى ظروف الفوضى التى كانت تعم البلاد ، وتقلد مناصبهما بعد ذلك مسيحى ملكانى . وبواسطته سمح الوزير أحمد حفيد بدر الجمالى للاقباط برسامة بطريرك (١)

وكان وقوع الاختيار عليه بطريركا بسبب نبوات بعض القديسين والارشاد عنه دون أن يعرفوه .

قيل ان سلفه البابا مكاريوس الثانى تنبأ عنه ، كذا الراهب الحبيس بأبيار . كما أرشد الرهبان الاباء اليه أحد قديسى دير السريان فى ذلك الوقت يدعى يوسف دون أن يعرف مجرد أسمه ، وذكر أنه فى طفولته كان وهو يلعب مع اترابه من الاطفال يقول لهم أنا بطريرككم ويلبس ثيابا متشابهة لثياب البطاركة .

---

(١) Aziz S, Atiya, History of Eastern Christianity, p. 93

تاريخ البطاركة ، المجلد الثالث ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ٥٣

رسم بطريركا فى الخامس من شهر ابريل سنة ١٣١ م / ٩ أمشير سنة ٨٤٧ ش ودعى غبريال الثانى لكنه أشتهر باسم البابا غبريال بن تريك .

عبارة واحدا مع لاهوته : -

حدث وهو يقدس أول قداس له بعد رسامته بطريركا بدير أبو مقار أن قال فى الاعتراف الأخير عن جسد ربنا يسوع المسيح " وصار واحدا مع لاهوته " . فأنكر الرهبان عليه هذا التعبير . أما هو فقال لهم أنه يقولها لأنه هكذا استلمها من الآباء الأساقفة يوم رسامته الذين كانوا يلقنونه .. بعد مناقشات طويلة استقر منعا من اللبس أن يكون التعبير كالأتى " وصار واحدا مع لاهوته بغير افتراق ولا امتزاج ولا تغيير " . وقد وافقهم على ذلك وأصدر أمره إلى جميع الكنائس بتلاوة الاعتراف بالصيغة الجديدة .. هذه الحادثة إنما تدل على أكثر من مدلول . فهى تدل على يقظة الآباء الرهبان فى ذلك العصر وإتقانهم للعلوم اللاهوتية وتمسكهم بمعتقد الكنيسة . كما تدل على شجاعة أولئك الرهبان حينما تصدوا لبطريرك الكنيسة . وتدل كذلك من جهة البابا على اتضاعه وخضوعه للحق .

وفى بداية عهده تتيح الأنبا يؤنس بن سنهوت أسقف مصر ، ولم يرسم هذا البطريرك أسقفا خلفا له بل ضم كنائس هذا الكرسى له . وكان ذلك بطلب تقدم به شعب هذا الكرسى .

حالة البلاد فى أيامه : وإضطهاد الاقباط : -

وعلى مستوى الدولة تميزت الفترة التى قضاها هذا البطريرك على الكرسى المرقسى بعدم الاستقرار ، واضطراب الأمن وكثرة القلاقل ، وكثرة من قتل من الوزراء ورجال الدولة .. وتميزت هذه الفترة بالصراع بين المصريين المسلمين والجالية الأرمنية كبيرة العدد التى استجلبها بدر الجمالى الأرمنى . وكان نتيجة ذلك قتل بطريرك الأرمن وإحراق دير لهم وقتل من به من الرهبان . كما نهبت كنائس للأقباط .. وفى تلك الفترة كان فى الوزارة شخص يدعى رضوان بن ولخشى أصدر أمره بعدم استخدام النصارى فى الدواوين ولا يكونوا نظارا وأن يشدوا زنانيرهم فى أوساطهم ولا يركبوا الخيل وضاعف عليهم وعلى اليهود الجزية ، وغير ذلك من أنواع الضغوط والتحقير الأدبى .. وفى عهد هذا الوزير هجم المسلمون على كنيسة منية زفتى وكانت باسم مار جرجس ، واستولوا عليها وحولوها إلى مسجد . لكن الأنبا ميخائيل أسقف صهرجت الذى كانت تابعة له الكنيسة استغاث بالوزير رضوان ابن ولخشى وأوضح أنها بيعة قديمة فأمر باعادتها له .

وكان البابا غبريال بن تريك رجلا مصلحا وطقسيا وقانونيا وكنسيا

(أ) اصدر أمره بمنع دفن الموتى بالكنائس وبلغ حماسه لذلك أنه أمر باغلاق كنيسة حارة الروم لان شعبها خالف تعليماته ودفن بها قمص الكنيسة ، ولكنه عاد وفتحها بسؤال الأراخنة . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنه حمل جسد الأنبا مكاريوس سلفه إلى دير أبو مقار ، وكان مدفونا بالكنيسة المعلقة .. كما أصدر أمره بمنع تقديم ذبيحة على اسم الملاك ميخائيل لأن الذبيحة لا تقدم إلا على اسم الله . كما منع الكهنة من شرب الخمر وحارب الشعوذة والتنجيم والتسرى .. وفيما يختص بهذه النقطة الأخيرة ، امتنع بعض الأغنياء عن تنفيذ تعليماته فى هذا الشأن فدعا عليهم ، فلم ينقض زمن حتى بادوا جميعا .. كما حارب السيمونيه ورسم فى عهده ثلاثة وخمسين أسقفا للايبارشيات القبطية .. ولم يضع هذا البابا يده على شيء من أموال الكنائس وأوقاف الفقراء .

(ب) ومن أهم إنجازاته الطقسية ترتيبه لصلوات أسبوع الآلام . وكانت القوانين الرسولية حتى زمان هذا البابا تقضى بقراءة العهدين القديم والجديد مدة هذا الأسبوع بلا ترتيب معين ولذا فقد كان غالبية الشعب يقرأها لذاته وحده ، أى أنها لم تكن تقرأ على مسامع جميع الشعب . فجمع هذا البطريرك العلماء ورؤساء الكهنة وبعض رهبان دير أبو مقار ووضع ترتيبا وعمل كتابا لذلك أسماه البصخة المقدسة . ولعل من الأمور التى دفعته إلى ذلك أن أكثر من كانوا يعملون فى دواوين الدولة كانت لا تمكنهم ظروفهم من تكميل هذه الخدمات ومما هو جدير بالذكر أن كتاب البصخة نظمه بصورة أدق فيما بعد شخصية جليلة هو الأنبا بطرس أسقف كرسى البهنسا (بجوار بنى مزار) (انظر كامل صالح نخلة ، سيرة البابا غبريال بن تريك ص ٣٠ - ٣٢)

ومما هو جدير بالذكر أن البابا غبريال بن تريك هو أول من أصدر أمره إلى جميع الكنائس بقراءة الأناجيل والخطب الكنسية وما إليها باللغة العربية فى الكنائس وذلك بعد تلاوتها باللغة القبطية وذلك بعد أن وجد أن الأقباط يتكلمون العربية . ومن غير المعقول الا يفهم المصلى لغة الصلاة .
لذا فقد بادر بهذا القرار الخطير حتى يتمكن الأقباط من متابعة الصلوات والقراءات والعظات (١)
(ج) أما عن القوانين الكنسية التى وضعها هذا البطريرك ، فقد تضمنتها ثلاثة كتب :

---

(١) سليمان نسيم ، تاريخ التربية القبطية ، الصفحة ٩٧ .

الكتاب الأول : ٣٨ قانونا يختص بتنظيم أمور البيعة ، وعلاقة الشعب دينيا ومدنيا وواجب الأساقفة نحو رعيتهم وكذلك واجبات الكهنة ، ونهى عن سكنى الرهبان فى العالم بل عليهم أن يمضوا إلى ديراتهم . كما أمر بعدم التقديس إلا بواحد من القداسات الثلاث (الباسيلى ، الغريغورى ، الكيرلسى) . كما ذكر الآباء الأساقفة بانعقاد المجمع المقدس مرتين كل عام ، لكن حرصا على راحتهم أمر أن يحضر كل واحد من الأساقفة مرة واحدة فى كل سنة إلى القلاية البطريركية للمناقشة فى أحوال كرسيه .

والكتاب الثانى : يختص بتنظيم أمور الاكليروس .

أما الكتاب الثالث : فيختص بالمواريث .

ويقال أن لهذا البطريرك مؤلفات أخرى من بينها " علم الكنيسة " ومنه نسخة محفوظة فى مكتبة الفاتيكان وله أيضا عدة كتب فى التفاسير (١)

مرضه وظهور السيدة العذراء له :-

وحدث فى الأحد الثالث من الصوم الكبير لسنة ١١٤٤ م / ٨٦٠ ش أن مرض البابا غبريال من كثرة تقشفه وأصوامه ، وازدادت وطأة المرض عليه . وكانت جميع الكنائس ترفع صلوات عنه لكى يهبه الرب الشفاء . فأبصر البطريرك فى حلم السيدة العذراء مريم تقول له " الرب قد وهبك من أجلى أياما أخرى " فقام من مرضه معافى تماما .

كما قيل أنه رأى فى منامه وكأن جماعة من الكهنة والرهبان ومعهم أناجيل وصلبان ومجامر وقالوا له إنا جئنا لافتقادك الآن ، ونحن نعود إليك فى العام المقبل فى مثل هذا الوقت ونأخذك معنا . ثم عوفى من المرض .

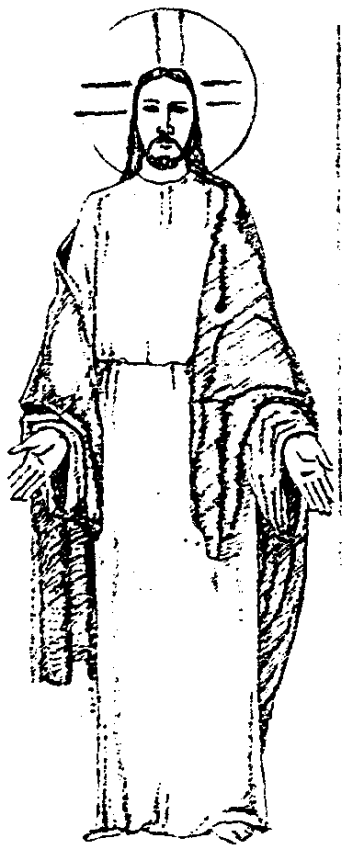
نياحته :-

وفى العام التالى ١١٤٥ م / ٨٦١ ش تنيح البابا غبريال بعد أن أكمل جهاده الحسن بعد مرض وصلوا عليه فى كنيسة أبى سيفين ودفن فى جانبها ثم نقل جسده إلى دير أبو مقارة بعد ذلك .

ايمان مارجرجس المزاحم وإستشهاده : -

كان استشهاده فى ١٩ بؤونه سنة ٦٩٥ ش الموافق ٢٦ يونيه سنة ٩٧٩ فى خلافة العزيز بالله الفاطمى وبطريركية الأنبا فيلوثاوس ٦٣ - وعلى الرغم من أن عهد العزيز اتسم بالتسامح مع النصارى كما سبق أن أوضحنا لكن الغوغاء والعامة كانوا يثيرون متاعب فى بعض المناطق .. ومن أمثلة ذلك ما حدث بمنطقة طلخا بسبب هذا الشهيد .

كان اسمه مزاحم ، وكان ابنا لرجل يدعى جمعة العطوى وهو مسلم متزوج مسيحية اسمها مريم ، تزوجها بالعنف دون إرادتها وإرادة والديها . وكان من قرية تعرف باسم الدروتين ، مركز طلخا ، دقهلية .. قضى الاثنا عشر سنة الأولى من عمره على دين أبيه ، حتى أن أمه كانت تواظب على الذهاب إلى الكنيسة وحين عودتها كان يسألها أن تعطيه جزء من القربان البركة الذى كان يستطعمه كالشهد فى فمه .. كانت هذه هى البداية التى حركته نحو التفكير فى اعتناق المسيحية .. وبدأ يتردد على الكنيسة مع أمه .. قصد الأنبا زخاريوس أسقف دمياط وهناك نال سر العماد المقدس على يد أحد كهنته وتناول من الأسرار المقدسة وعرف باسم جرجس المزاحم .



تزوج من فتاة تدعى سويلا أبنة كاهن كنيسة بساط النصارى (مركز طلخا) ويدعى القس ابانوب .

حرك الشيطان قوما ضده فمضوا وأخبروا متولى الحرب بدميره بقصة جرجس المزاحم .. وقف أمام متولى الحرب هذا واعترف - حينما سئل - أنه نصر ، فأمر بتعذيبه حتى سال دمه على الأرض ، وبعد أن أمر بحبسه أطلق سراحه بمعجزة ، إذ ظهر ملاك الرب لمتولى الحرب فى صورة إنسان وسأله العفو عنه وخلصه من بين يديه . وتعتبر هذه الشهادة الأولى .. ولم يقتصر التعذيب على جرجس المزاحم وحده ، بل تعداه إلى زوجته التى نالتها شدائد كثيرة ، كانت تضرب ضربا مبرحا .. والعجيب فى سيرة هذا الشهيد أنه حيثما اتجه كان الشيطان يدخل فى احد الناس ويذيع خبر تنصره ووصوله إلى ذلك المكان .

ومن ألوان التعذيب التى احتملها أنهم فى إحدى المرات جعلوا فى عنقه حبلا وسحبوه فى شوارع تلك البلدة . فجاء رجل من المتجمعين حوله وضربه على رأسه بالسيف فشقها ، فوقع القديس على الأرض .. وكان فى تلك الفترة يعمل فى معصرة زيت . فبلغ صاحب المعصرة أن أحد رجاله قتل ، فذهب إلى حيث هو وخلصه من أيديهم وأخذه معه ، وكان فى نيته أن ينتظر حتى يوم صلاة الجمعة ، ويأخذ معه إلى المسجد فاذا رفض الصلاة مع المصلين أحرقه حيا .. علم بالأمر عامل مسيحى كان يعمل بمعصرة الزيت فأسرع إليه وأخبره فخرج من تلك الناحية قاصدا محله روح ومنها إلى سبرباى ثم إلى طنط الجزيرة ، قليوبية ، فأقاموا فيها مدة ثلاث سنوات ، ولكن عدو الخير دخل فى بعض الأشخاص وأذاعوا خبره ، فذهب إلى ناحية تسمى اخنا وأقام فيها ثلاث سنوات .. هناك مرض بمرض شديد جدا ثم انتقل هو وزوجته إلى جهة محلة خلف (بجوار المحلة الكبرى) - ومنها مضيا إلى ناحية الديجوية (حاليا جميانه) ، فأقاموا فيها مدة ثلاث سنوات .. هناك تعاهدا هو وزوجته أن يعيشا فى بتولية كأخ وأخت .. ومن جميانه مضيا إلى بلدة بساط النصارى وهى بلدة زوجته ، فأقاما فى بيت والدها .. وأخذ يجاهد فى الصلوات حتى أنه كان يضرب كل ليلة خمسمائة مطانية .

لكن الأفكار أخذت تقلقه من كثرة ما عانى من ألام فى كل موضع يذهب إليه ، ففكر فى الذهاب إلى دير أبو مقار للترهب هناك .. وبينما هو يفكر فى ذلك إذ رأى رؤية كأنه صاعد إلى السماء جالسا عن يمين السيد المسيح . وسمع صوتا يقول " يا جرجس تقو فى الشهادة . طوباك أنك استحققت أن تعد من الشهداء وتنال الاكليل السمائى مع الأبرار فى ملكوت الرب فلا تخف يا جرجس فالتعب

يسير والنعيم كثير " .. فلما سمع هذا الكلام تقوى وأعلم زوجته به ، فكان جوابها عليه " يا أخى ما رأيت فى هذه الرؤيا يشير إلى أن الرب لا يريد أن تترهب لكنه يريد أن تظهر اسمه القدوس وتنال إكليل الشهادة والفرح العظيم ، وأدعى أنا زوجة شهيد " .. وكانت تشجعه وتقويه على الجهاد والشهادة .

قصد قسا راهبا يدعى شيث وعرض عليه أفكاره من جهة الدير والشهادة ، وبعد أن نصحه قال له " لكن طوباك يا جرجس أن أنت صبرت على عقوبة واحدة فهى أخير لك من مقامك فى الدير سنة كاملة " . منذ ذلك الحين بدأ يهيىء نفسه للشهادة وإكليلها .. وكان يتشجع بواسطة الرؤى التى تعلن له .

أما شهادته الثانية فكانت فى دميره أمام أحد الحكام هناك ، بينما كان هو مقيما ببساط النصارى . فحرك الشيطان عليه إنسانا شريرا وأخذ يذيع خبره ، وأحضروه إلى دميره ، وهناك أوثقوه وضربوه ضربا مبرحا ، وجعلوا فى عنقه حبلا وذهبوا به إلى دار النائب فأمر أن يطرح فى خزانة مظلمة . ثم أحضروه ثانية أمام النائب وعذبوه كثيرا ماديا ومعنويا . فمنهم من كان يبصق على وجهه ومنهم من يضربه على رأسه بغير رحمة ، ومنهم من ضربه على عنقه ومنكبيه بقطعة حديدية حتى تكسرت عظامه . وكانوا يضربونه وهوموثق ، أما هو فكان لا يفتر عن ذكر السيد المسيح بابتهاج .

استدعاه متولى الحرب بدميره للمثول أمامه وهناك قدم الشهادة الحسنة واعترف بالسيد المسيح قائلا له " حى هو الرب إلهى ، مهما عذبتنى فاننى لن أجحد اسم سيدى ومخلصى يسوع المسيح " ، فعذبوه عذابا شديدا وقيدوه بالقيود الحديدية ، وضربه بعضهم بقطعة خشب على رأسه فشقوها ، ثم طرحوه فى السجن . وفى منتصف تلك الليلة ظهر له رئيس الملائكة ميخائيل وستره بجناحيه وأخذ يشجعه ، ومسح بيده على جسده ، فللوقت ضمدت جراحاته ، ثم صعد ميخائيل إلى السماء . وظهرت له السيدة والدة الاله فى شبه حمامة ونشرت جناحيها على رأسه ، ووضعت فمها فى موضع الضرب ، وأيقظته من رقاده ، فرفع رأسه وأمسك جناحها الأيمن فطارت من يده وامتلأ المكان نورا ، أما جراحاته فشفيت وأحس بقوة فى جسده .. وفى السجن زارته زوجته القديسة وأخذت تشجعه وروى لها كل ما حدث معه بواسطة الملاك ميخائيل والعذراء مريم .

ومرة ثانية ظهر له الملاك ميخائيل وأضاء كل السجن نور .. وفى مرة أخرى ظهر له السيد المسيح بنور عظيم لم يستطع أن يفتح عينيه فيه وكان معه ميخائيل رئيس الملائكة.وفى السجن عذب كثيراً وكانت زوجته تزوره وتشجعه وتقويه .. ومرة أخرى ظهر له ملاك الرب ميخائيل الذى كان يستغيث به .

وشجعه وقال له " إن لى اليوم أسبوعاً أسأل الرب عنك فأرسلنى بهذا الرداء ليكون لك به قوة ، تقدم الى لأغطيك به " فتقدم اليه القديس ونشر عليه الرداء فصار واحداً مع جسده ، ورشم عليه بعلامة الصليب المقدس فشفى لوقته .

قصده بعض المسيحيين فى السجن لينالوا بركته وطلبوا منه شيئا بركة يضعوه فى منازلهم ، أما هو فأعطاهم الخرق التى على ساقيه وساعديه ورجليه ومصبوغة بدمه . وما أن علمت زوجته بذلك حتى ذهبت إليه تقويه وتبكته لأنها خافت عليه من المجد الباطل وقالت له " من أنت حتى استحققت هذه المنزلة وتعطى خرقا من جسدك للناس بركة ، ألعلك مثل بولس الذى كان الناس يأخذون الخرق التى يضعها على جسده .. وما أن سمع القديس هذا الكلام حتى بكى بكاء مرا وتعهد أنه ما يعود يفعل مثل ذلك .

أخذ الناس المملوءون حقدا وشرا يضغطون على متولى الحرب لكى يسلمهم القديس ليقتلوه حتى أن بعضهم قالوا له سنصير مسيحسيين إن لم تسلمنا هذا الرجل .

وبعد أن نالته شدائد كثيرة - لا داعى لذكر تفاصيلها - أعلن له فى رؤيا أن شهادته ستكمل فى ١٩ بؤونه - ومرة ثانية ظهر له السيد المسيح فى شبه رجل أمير وبيده كتاب مفتوح وقال له " السلام لك يا حبيبى جرجس ذا الاسم الحلو فى فم كل إنسان . تقو وتعز فهوذا جميع ألامك وأتعابك التى تقبلتها على اسمى مكتوبة فى هذا الكتاب فطوباك . لكن ارفع عينيك لتنظر ، فرفع عينيه نحو السماء فرأى شابا حسن الصورة متمنطقا بلباس أبيض شبه ملاك عظيم يتبعه جمع كثير جميعهم بملابس بيضاء كالثلج . سجدوا جميعهم لمن بيده الكتاب . فقال له القديس من هو هذا الملك العظيم الذى يتبعه هذا الجمع ؟ فقال له السيد المسيح بفمه الطاهر . هذا حبيبى جرجس الفلسطينى الذى سميت أنت باسمه . وأما هذا الجمع الذى يتبعه فهم كافة الشهداء والقديسين جاءوا جميعا ليطلبوا من أجلك لكى تكمل شهادتك " .. ولما فرغ المخلص من هذا الكلام أخفى نفسه عنه

وفى الغد ذهب متولى الحرب إلى السجن وقال للقديس جرجس المزاحم " ما فائدة انتظارك هنا . أذهب إلى زوجتك وأعلمها بأن تأخذ لك إنسانا يضمنك ويعطينى عشرين دينارا . وأنا لا أسلمك إلى أهل دميره " . فأجابه القديس " ليس معى مال لأعطيك ، ولا لى أحد يضمنى لك ، فان أرادوا أن يحرقونى بالنار ، وإن أرادوا أن يغرقونى فى البحر فليفعلوا ما يريدون بى " .

وفى اليوم التالى (١٧ بؤونه) شاع خبر أن خطاب الوالى الذى يقضى باطلاق سراح القديس قد ورد من مصر . جماعة من الشعب وخرجوا قائلين ولو نموت كلنا لا نطلقه ، لكن نخرجه ونحرقه حيا . وظل الناس يضغطون على المتولى الحرب فوعد أن يسلمه لهم فى اليوم التالى .. فأسرع الناس إلى السجن حيث القديس وتطلعوا فرأوا قوما يصلون معه فظنوا أنهم جماعة من النصارى ، فبقى بعضهم عند السجن وذهب البعض إلى الوالى يخبرونه ، فأمر أن يذهبوا إلى السجن ويذبحوا بالسيف من يجدوه هناك من النصارى . لما عادوا إلى السجن لم يجدوا سوى القديس فتعجبوا ، ولم يكن هؤلاء الذين شوهدوا يصلوا معه سوى أرواح الشهداء والقديسين الذين أتوا إليه فى هذه الساعة الحاسمة ليعضدوه .

أرادوا أن يأخذوه ولا يبقوه للغد لئلا يهرب . فقال لهم " لا أقدر أن أهرب من خدمة مخلصى التى أنا مستعد لها " ، فلم يصدقوه ولكنهم أسلموه إلى راهب اسمه مينا ليضمنه ، وهو الذى كتب سيرته . فضمنه ولم يتركهم يعذبونه

وفى لقائه الاخير مع زوجته طلب اليها أن تبتعد عنه لئلا يقتلوها ، فأجابته " يا أخى وسيدى أسألك أن لا تنسانى عند لقائك بالسيد المسيح " . فرشم القديس ذاته بعلامة الصليب وقال لها " يعوضك المسيح يا أختى عن تعبك معى فى هذا الزمان كله . الان أسألك وأودعك بان تذكرينى فى صلواتك لكى يعيننى الرب الى النهاية " . ثم قبلت قدميه وقالت له " تعز وتقو وانظر إلى الرب ولا تخف من الموت فيضيع جميع تعبك " .

وحتى اللحظات الاخيرة كانوا يجاهدون معه لكى ينكر ايمانه لكنه ثبت . ورغم الاغراءات الكثيرة ثبت معلنا ايمانه .. نزعوا ثيابه وجلدوه بالسياط حتى سال دمه على الأرض ثم أخذوه إلى موضع الشهادة وأخذوا يضربونه بلا شفقة ولا رحمة – البعض بالعصى والبعض بقطع من حديد . وتم ما قاله المسيح " ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه قد قدم قربانا لله " .

تجمع حوله نحو ألف وخمسمائة من الغوغاء بالعصى والحراب والسيوف ولم يهدأوا من تعذيبه . أما هو فلم يفتر عن ترديد اسم السيد المسيح فى فمه . وانقضوا عليه بالحراب والسيوف وقطع الحديد يضربونه . ولما لم يمت قالوا كل هذا الذى فعلناه به ولم يمت ولم يفتر عن ذكر إلهه . وأخيرا قال واحد منهم أن الاسم الذى يردده بفمه هوالذى يجعله لا يموت ، فوثب واحد وأخذ طوبة من الخزف الحاد ووضعها فى فم القديس لكى لا يستطيع ذكر اسم المسيح . أما هو فكان يردده فى قلبه .

أخيرا تقدم نحوه غلام راكبا حصانا وفى يده حربة وطعنه فى صدره فبرزت من ظهره ، فرشم القديس ذاته بعلامة الصليب دون أن يموت . وأخيرا تقدم واحد وضربه ثلاث ضربات بالسيف فلم يقطع السيف فيه شيئا فبهت الجميع لهذا الأمر . وتقدم أخر وضربه بالسيف على رأسه فشقت إلى نصفين . ورغم ذلك أخذوا حجرا يضربونه على رأسه . ومازال الضرب ينهال على رأسه حتى تحطم وتهشم وللوقت أسلم الروح فى يد الرب . وكانت الساعة الثالثة من يوم الخميس ١٩ بؤونه .(١)



استقرار صلاح الدين ونهاية الدولة الفاطمية : -

كان لانتصار صلاح الدين وفشل الفرنجة من غزوهم لمدينة دمياط أثر فى ارتفاع نجم صلاح الدين .. ولما أيقن صلاح الدين أن سلطته استقرت وجه اهتمامه إلى القضاء على المذهب الشيعى بمصر .. وأنتهى الأمر باسقاط اسم العاضد من خطبة الجمعة ، وذكر اسم الخليفة العباسى بدلا منه . وكان العاضد فى ذلك الوقت مريضا ، فلم يعلم بما كان يجرى . وبوفاة العاضد سقطت الدولة الفاطمية الشيعية سنة ١١٧١ م (٢) .

وجدير بالذكر أن صلاح الدين بدأ حكمه كوزير باتخاذ سياسة عدائية تجاه الأقباط كما سنوضح فيما بعد .

مصر والصليبيون :

فى زمان الحملات الصليبية على منطقة الشرق الأوسط (١٠٩٦ - ١٠٩٩) وتأسيس إمارة القدس اللاتينية ، كان يحكم مصر من الناحية الرسمية الفاطميون ، لكن حكامها الفعليون كانوا هم الوزراء ، وأولهم بدر الجمالى وخلفه فى الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه ثم غيرهما على نحو ما أشرنا إلى ذلك قبلا .

كان أمرا طبيعيا عندما بدأت الحروب الصليبية أن يشك الحكام المسلمون فى الأقباط من جهة تعاطفهم مع هؤلاء الصليبيين القادمين من الغرب إلى الأراضى المقدسة .. كانوا لا يعرفون مسألة الخلاف المذهبى بين أقباط مصر وبين الكنيسة فى الغرب التى تفجرت منذ مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ بسبب موضوع شخص المسيح وطبيعته ، أهو فى طبيعة واحدة أم طبيعتين .. فالكل فى نظرهم مسيحيون .. لذا كان على الحكام المسلمين فى مصر أن يراقبوا الأقباط وأن يزيدوا الضرائب عليهم . وكان هذا الاتجاه الذى تبنيه الدوائر الرسمية الحاكمة طوال هذه الفترة المشؤومة للحروب الصليبية .

وبالنسبة للأقباط ، كانت الحروب الصليبية من أكبر الكوارث التى حلت بهم وبالمسيحيين الشرقيين .. حقا أنهم لم ينعموا بالراحة طوال العصور الاسلامية ، ولم يتوقعوا أبداً أن ينعموا بالمساواة مع جيرانهم المسلمين .. لقد أدرك الأقباط أن عليهم أن يتخلوا عن . الكثير من المتع المادية لكى يحتفظوا بتراثهم الروحى . وكان عليهم - حتى قبل الحروب الصليبية - أن يتعايشوا مع نظم الحكم الاسلامى دون أن يضلوا الطريق .. وكان الخلفاء المسلمون يقدرونهم تقديرا

---

(٢) دكتور جمال الدين سرور الدولة الفاطمية فى مصر ، الصفحات من ١٣٤ الى ١٣٦

عظيما . ويتقون فيهم ، فكان منهم كتبه الدواوين وجامعو الضرائب ، وأمناء خزائن الخلفاء .

لكن الحروب الصليبية - بما كانت تحمل من معنى حروب الصليب المقدسة - جعلت المسلمين يعادون كل اتباع الصليب ، سواء كانوا من اللاتين أو اليونانيين أو الاقباط .. ومن ثم فقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل تعذيب الاقباط واضطهادهم .. ومن الناحية الاخرى فان الكارثة كانت مضاعفة بالنسبة للمسيحيين الشرقيين ، فالمسلمون أضطهدوهم على نحو ما قلنا ، واللاتين الغربيين نظروا إلى المسيحيين الشرقيين - ومنهم الاقباط على وجه الخصوص ، اتباع عقيدة الطبيعة الوحدة فى المسيح - كمنشقين وهراطقه وكفرة وأنهم اشر من الوثنيين .

موقف الاقباط من الحروب الصليبية :-

حاول الصليبيون الاستيلاء على مصر فى خلافة الآمر بن المستعلى الخليفة الفاطمى (١١٠١ - ١١٣٠) ولكنهم فشلوا ، ولشدة غيظهم من عدم تعاون اقباط مصر معهم ، منعوهم من زيارة الاراضى المقدسة .. كتب مؤرخ قبطى يعبر عن ألمه من هذه المعاملة وهذه النظرة يقول " لم يكن حزن اليعاقبه (الاقباط) بأقل من المسلمين .. بأى حق يمنع النصارى الاقباط من الحج إلى القدس أو الاقتراب من المدينة ؟ أن الصليبيين يكرهوننا ، كما لو كنا ضللنا عن الايمان القويم " (١) .

والامر الذى لاشك فيه أن الحملات الصليبية أنشأت موقفا صعبا بالنسبة للاقباط .. فقد تحالف الجهل مع التعصب فى اتهام بعض الاقباط بتهمة مساعدة الصليبيين أو التخابر معهم .. ويهمنا هنا أن نسجل شهادة عالم مسلم فى العصر الحديث هو أحمد زكى باشا الذى كتب فى مقال له فى مجلة المجمع العلمى المصرى سنة ١٩٦١ أن اليعاقبه (الاقباط) فى مصر كانوا يتجسسون لصالح صلاح الدين (٢)

ويقول دكتور على ابراهيم حسن " فى العصور الوسطى ، ظهر الاقباط فى مصر كطائفة محايدة ، وخاصة فى الحروب التى قامت بين المسلمين والصليبيين ، إذ لم يثبت أنهم مدوا يد المساعدة للمحاربين من الجانبين(٣) .

---

(١) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، الصفحة ١٦٢ ، عن رينودر ، تاريخ بطاركة الاسكندرية اليعاقبه .

(٢) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، الصفحة ١٦٢ .

(٣) د. على ابراهيم حسن ، مصر فى العصور الوسطى ، الصفحة ٤٩٧ .

صلاح الدين والاقباط :-

كان صلاح الدين مسلما متدينا ، وما أن تولى السلطة حتى أمر بطرد الاقباط من الدواوين ، لكنه أضطر إلى إلغاء هذا الاجراء فيما بعد ، بعد أن أستقرت له الامور من أجل صالح إدارة البلاد .. لكنه أذل الاقباط علانية بفرض زى خاص لهم ، ومنعهم من ركوب الخيل ، وهى من وسائل التحقير الادبى . كما فرض عليهم غرامات باهظة ، مما أضطرهم إلى بيع معظم ممتلكاتهم ليدفعوا مافرض عليهم .. وسلم كثير من الاقباط أراضيهم وحرياتهم للعرب ليكونوا تحت حمايتهم ، واخرون أعلنوا إسلامهم لينقذوا أنفسهم . وكان من هؤلاء بعض من كانوا يتولون وظائف هامة فى الدولة . وكان كل همهم الاحتفاظ بوظائفهم ومراكزهم والنجاة بانفسهم .. واحد الامثلة البارزة على ذلك عائلة قبطية كبيرة عريقة فى أسيوط . كان رب هذه العائلة يدعى زكريا بن أبى المليح بن مماتى ، ألح فى أن يعفى من الضرائب الباهظة وكذلك من مظاهر الاذلال الادبى . لكن دون جدوى .. مما أضطره أن يغير أسمه الاول وصار مسلما مع كل أفراد أسرته .

وهكذا أستطاع أن يحتفظ بوظائفه كمسئول عن شؤون الحرب والخزانة ، وأن يعين أبنه ليحل محله .. وكان هذا الرجل معاصرا لاخر الخلفاء الفاطميين وللسلطان صلاح الدين .. وكان شاعرا وكاتبا ، أشتهر بكتابته ، ومات فى مدينة حلب سنة ١٢٠٩ . وقد سبق أن أشرنا إليه قبلا .

هدم كنيسة مارمرقس بالاسكندرية :-

وفى الاسكندرية عزم الايوبيون على هدم كاتدرائية مار مرقس التى تطل على مينائى الاسكندرية بحجة أنها بحكم موقعها هذا تعتبر حصنا عظيما يمكن أن يستفيد منه الصليبيون فيما لو هاجموا الاسكندرية . وحاول النصارى عبثا دفع ألفى دينار لانقاذ الكنيسة ولكنها خربت عن أخرها .

حملات التأديب والتخريب بصعيد مصر والنوبة :-

كما أرسل صلاح الدين حمله لتأديب مملكة النوبة المسيحية ، وللقضاء على العناصر القبطية القوية فى صعيد مصر الاعلى .

ولقد شاهد عام ١١٧٣ م أول غزو إسلامى خطير ومخرب لبلاد النوبة المسيحية ، دمر خلاله دير القديس سمعان الحصين قرب اسوان ، ودير آخر عند بلده أبريم ، وقبض على عدد كبير من السكان من ضمنهم الاسقف القبطى ، وزج

بهم فى غياهب السجون ، ثم بيعوا عبيدا فى سوق النخاسة .. أما مدينة قفط القبطية العظيمة المزدهرة ، فقد خربها الايوبيون ، وهدمت بيوتها وكل ابنيتها ومنشآتها حتى سويت بالارض . ولم تقم لتلك المدينة قائمة من ذلك التخريب بل أصبحت قرية فقيرة .

سماحة صلاح الدين نحو الاقباط :

وبانتصارات صلاح الدين المتكررة على الصليبيين ، والتى بلغت الضرورة بسقوط القدس سنة ١١٨٧ م . تغيرت نفسية الايوبيين ، واصبحوا أكثر تسامحا من جهة أقباط مصر . ومنحهم السلطان صلاح الدين ديرا ملاصقا للقبر المقدس بالقدس ، هو المعروف باسم " دير السلطان " ودير السلطان هذا هو الدير الوحيد الذى لا يحمل أسم قديس من القديسين ، كما هو الحال فى بقية الاديرة القبطيه .

كما أعاد صلاح الدين الكثير من الاقباط إلى وظائفهم العليا فى الدولة كما أسترد أخرون أموالهم وممتلكاتهم التى كانوا قد فقدوها بطريقة أو بأخرى .. واختار صلاح الدين قبطيا هو صفى الدولة ابن ابى المعالى الملقب بابن شرى كسكرتير خاص له .

نحن لا نعرف على وجه اليقين ما إذا كان صلاح الدين فى الاجراءات المتعسفة التى اتخذها ضد الاقباط فى بداية حكمة كان مدفوعا بروح التعصب البغيض أم أن ذلك كان لدواعى سياسية .. إن الروح التى سادت تلك الفترة كانت روحا غير سمحة نحو المسيحيين ، زادها مجئ الصليبيين إلى شرقنا الاوسط ، حتى أن نور الدين صاحب حلب ودمشق كتب يوما إلى الخليفة العباسى يقول له " ان المسلمين حكموا خمسمائة عام ولم يسيئوا الى النصارى ، اما الآن . وقد انصرمت هذه الاعوام ، يجب الا يبقى هؤلاء النصارى فى الامبراطورية الاسلامية ، ومن لا يسلم منهم يقتل " .. لكن الخليفة كان مسلما تقيا عارفا بدينه ، فكتب له يقول " انك لم تفهم تماما أقوال النبى . وإن الله لا يأمرنا أن نقتل من لم يرتكب سوءا " (١) .

وهناك موقف لصلاح الدين مع نصارى القدس بعد أن فتح المدينة المذكورة ، يظهره بمظهر الانسان المعتدل .. فلقد نصت شروط التسليم على أن المسيحيين الفرنجة يعتبرون وحدهم أسرى حرب . وعليهم إن أرادوا فك هذا الأسر أن يدفعوا الدية الحربية .. أما النصارى من أهل القدس - الذين ليسوا من الفرنج - فقد طلبوا من صلاح الدين أن يمكنهم من الاقامة فى مساكنهم على أن يدفعوا الجزية . فأجابهم إلى طلبهم هذا . فاستقروا واشتروا من الفرنج مالم يستطيعوا

---

(١) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون ، الصفحة ١٦٣ عن تاريخ ميخائيل السورى .

حمله معهم الى بلادهم فى عودتهم (١) .

ومما يذكر فى هذا المقام أن قلعة القاهرة ، وهى من أهم آثار صلاح الدين ، بناها له مهندسان قبطيان هما أبو منصور ، وأبو مشكور .

خلفاء صلاح الدين والاقباط :

بعد وفاة صلاح الدين الايوبى واجهت مصر حملتين صليبيتين خطرتين : حملة جان دى بريين Brienne ، وحملة الملك لويس التاسع ... نزل جان دى برين على ساحل دمياط وإحتل المدينة فحدث رد فعل بين المسلمين تجاه النصارى : هل يستقبلوا الفرنج بحفاوة على نحو ما فعل النصارى الارمن والسورويون خارج مصر .. وتساءلوا ماذا عساه يحدث لو حدث تعاون بين الفريقيين ، الامر الذى يؤدى الى عواقب خطيرة بالنسبة للمسلمين وكان يوجد بدمياط عدد كبير من النصارى الملكانيين .. مثل هذا القلق وهذه الهواجس كانت كافية لبعث الاضطرابات فى القاهرة على وجهة الخصوص " وقد شمل الذهول والفزع جميع السكان ، وراحت الاشاعات حول موقف النصارى فأصبحوا موضع الريبة ، وثار ضدهم عدد كبير من الناس .. واصدر السلطان أمره بتعبئة نصف سكان مصر والقاهرة مختارين أو مكرهين لمقاتلة الصليبيين .. اما النصارى القاطنين فى القاهرة فقد فرضت عليهم ضريبة وكذلك سائر الاغنياء (٢) .

استغلال الحرب فى ابتزاز اموال النصارى :

هكذا انتهزت الحكومة فرصة الفزع الذى حل فى البلاد لتملأ خزائنها التى تأثرت من الحرب القائمة . وما يجب الاشارة اليه هى الطريقة التى استخدمها رجال الحكم ليبتزوا من النصارى اكبر قدر من المال دون استخدام العنف ويورد رينودو فى تاريخ بطاركة الاسكندرية اليعاقبة المنشور بالفرنسية بعض التفاصيل المسيرة .. يقول " ارسل حاكم مصر -بعد أن استشار رجال القانون - فى طلب قساوسة الاقباط اليعاقبه والملكانيين وقال لهم : سافروا مع المسلمين . وامعانا فى تخويفهم قال : لأجل الحرب اخرجوا مع المسلمين . غير انكم لم تصلوا إلى باب المدينة حتى يقتلونكم وما من احد يستطيع ان يلومهم فى الظروف التى نحن فيها " .. وكان يقصد بكلامه هذا الملكانيين ، اذ كان المسلمون يأخذون عليهم حبهم للفرنجة ومحاولة التشبه بهم ومحاكاة عوائدهم . فخاف القسوس من هذا الكلام خوفا شديدا ، فأسرع أحدهم إلى القول " لدينا مبلغ

---

(١) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ - عن الكامل فى التاريخ لابن الاثير

(٢) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون ، الصفحة ١١٦ - عن الانطاكى ، الصفحة ٢٣٧

ألفى دينار " . فأجاب الحاكم " حسنا أذهبوا واحضروا هذا المبلغ " . ثم قيل للقسوس الأقباط الذين كانوا حاضرين " أن هؤلاء القوم ليسوا بمرتبتكم . أنكم تساون أربعة وعشرين واحدا منهم . ولكن إذا فرضنا أنكم لا تساون إلا عشرة فقط ، فعليكم أن تدفعوا لنا عشرة ألاف دينار " . وأخيرا تم الاتفاق على دفع ثلاثة ألاف دينار فقط . ووضعت الأختام على كنيسة المعلقة وكنيسة الملكانيين ومعبد اليهود " (١) .

نهب الكنائس واضطهاد النصارى :

وحدث أن جنود القاهرة ، وهم فى طريقهم إلى دمياط ، نهبوا الكنائس التى صادفتهم .. ويبدو أن الاضطهاد كان عنيفا إذ يذكر المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الحبشة ، أن النجاشى لابيليلا Labilela صرح سنة ١٢١٨ بدخول عشرة ألاف قبطى فروا من أعمال المسلمين الانتقامية .. ولم يكن هناك مبرر لهذا الاضطهاد بدليل أنه لا يوجد مستند عربى واحد يتكلم عن مساعدة النصارى للصليبيين . ولكن كان ظهور الصليبيين كافيا وحده لاثاره الشك فى قلوب المسلمين . وهذا هو عين ما حدث فى جميع البلدان التى ظهر فيها الصليبيون فى الشرق (٢)

لويس التاسع والملك الصالح :

أما الحملة الصليبية التى قام بها الملك لويس التاسع ملك فرنسا زمن الملك الصالح أيوب (١٢٤٠ - ١٢٤٩ م) (زوج شجرة الدر الأرمنية) فكانت حرب إبادة .. وقد أرسل لويس التاسع للملك الصالح رسالة تهديد كلها غطرسة وتبجح - وإن كان الملك الصالح قد رد عليه برسالة لا تقل غطرسة ، إلا أن الجو تلبد بخصوص الأقباط .. ولنا صورة واقعية لما حدث فى مدينة دمياط ذاتها

قتل نصارى دمياط :

فبينما كان لويس يستعد لمحاصرة مدينة دمياط ، قام المسلمون بقتل جميع النصارى القاطنين بالمدينة بلا شفقة ولا رحمة . وفى اليوم التالى وجد الصليبيون مدينة دمياط خاوية .. بعد ذلك حلت بجيوش لويس التاسع هزيمة ساحقة وأبيدت عن بكرة أبيها ، وأسر لويس التاسع نفسه فى المنصورة .

أربك الفزع عددا من الصليبيين وبلبل أفكارهم ، فأخذوا يشكون فى إيمانهم .

---

(٢) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(١) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

ولما خيروا بين القتل واعتناق الاسلام ، لم يترددوا فى اعتناق الاسلام

وفى مدة الملك الكامل الايوبى :

تقدم اليه راهب يدعى يوحنا كان قد أسلم وبيده قماش وقال له هذا كفنى اقتلنى أو ردنى ، فرده وكتب له فرماناً بذلك فإفتدى به راهب آخر كان أسلم ، فلم يسمح له الخليفة بل سلمه لمحافظ الاسكندرية ليعذبه وأرسل فى طلب الراهب يوحنا من دير أبى مقار الذى لما حضر أمام الخليفة ولكى يهرب من التعذيب أدعى زورا وبهتانا أن الرهبان حفروا جبا وعثروا فيه على نقود وآنية رومانية أثرية وذهبية ، فأرسل جنودا الى الدير ليتحققوا من الامر ، فإذا بهم يجدوها أوانى كنسية فأحضروها ومعها بعض الشيوخ فلما وجدها وتأكد من ذلك بواسطة الكتابة التى عليها والتى توضح انها نذور من صنع المسيحيين المتآمرين دفعها للرهبان وصرفهم بسلام (١)

ومن سماحة الملك الكامل أيضا :

انه ركن الى الاقباط أعمال الدواوين . ورفع مقامهم وعمل على ما فيه راحتهم ، ومن أعظم الادلة على ذلك أن أحد الامراء قبض على بعض الرهبان ، وسلب منهم مبلغا من المال بحجة أنهم تأخروا فى دفع الجزية السنوية وكان هذا المبلغ هو كل ما يملكه الرهبان ، فشكوه للملك الكامل ، الذى لما نظر فى دعواهم ، أمر بإرجاع المال اليهم ومن حسنات الملك الكامل أنه اعفى الرهبان من الجزية الشخصية وزار بنفسه دير وادى النطرون وتفقد أحوال الرهبان وزار أيضا دير القديس مكاريوس ، فوجد أحد الموظفين المسلمين ساكنا به ، فأمره بالرحيل محافظة على شعور الرهبان . وبالجملة فقد منع الملك الكامل التعرض للأقباط فى أى شأن من شئون دينهم وأذن لهم ببناء كنائسهم التى خربها المسلمون وأباح لهم فتح ما أغلق منها وإقامة شعائرهم الدينية فيها جهارا بدون مانع ، ولذا تراهم يذكرون للأن فى صلواتهم اليومية هذه العبارة " وحنن الله قلوب المتولين علينا "

وعلى كل حال كانت أحوال الأقباط فى أيام الدولة الأيوبية رغم ما تخللها من صعوبات أفضل من غيرها كما قام الاقباط فى هذه الفترة بخدمة الحكومة بكل أمانة حتى أن الحكام والامراء إئتمنوهم على خزائنهم وأموالهم فحافظوا عليها وسلموهم مصالحهم ، فسيروها على أحسن حال وتأكد للكل استحالة الاستغناء عنهم أو عدم إمكان تسيير الاعمال بدونهم . (٢)

---

(١) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٣٧٥

(٢) تاريخ البطاركة " المجلد الثالث " ج ٢١ الصفحة ١٢٢

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها في عصر الدولة الايوبية

عاصر الايوبيين فى مصر إثنان من الأباء البطاركة هما

(١) البابا يوأنس السادس البطريرك الـ ٧٤ (١١٨٩ م - ١٢١٦ م)

كان محبا ومجتهدا فى ضيافة الغرباء وإفتقاد المرضى والمحبوسين ... كثير المودة لكل أحد ، ويفعل الخير مع كل أحد وكانت رسامته فى عهد سلطنة صلاح الدين الايوبى

ومما هو جدير بالذكر أنه منذ أيام هذا البطريرك بطل إرسال إساقفة الى الخمس مدن الغربية وذلك نتيجة إرتداد أهلها عن المسيحية وإعتناقهم الإسلام وذلك بعد أن ذاقوا إضطهادا مريرا على يد الملوك البيزنطيين الملكانيين ثم الحكام المسلمين ، وقد عاصر كل من الملك الغزيز والمنصور والعادل الاول والكامل

(٢) البابا كيرلس الثالث البطريرك الـ ٧٥ (١٢٣٥ م - ١٢٤٣ م) الشهير بأبى لقلق :-

وقد عاصر هذا البطريرك كل من الملك الكامل والعادل الثانى والملك الصالح والمعظم . ويقول كاتب سير البطاركة عن البابا يوأنس البطريرك الـ ٧٤ أنه فى اليوم السابق لنياحته " غشى عليه نحو ثلاث ساعات ، ثم فتح عينيه وتحدث مع الحاضرين عنده ، وسألهم عن منصور تلميذه وكان مريضا . فقالوا له مات . فقال كفنوه وأدفنوه فأنا غدا أكون عنده ثم غشى عليه دفعة ثانية . ثم فتح عينيه وقال للحاضرين عنده ، يكون بينكم بعدى خلاف عظيم فيمن تقيموه . ويكون الكرسى بلا بطريرك زمانا طويلا حتى يقيم لكم المسيح رجل يأتى به من حيث لا تعرفون ، وبالفعل تنيح فى اليوم التالى ، كما ظل الكرسى البطريركى شاغرا مدة عشرين سنة تقريبا بسبب الظروف التى واجهتها البلاد بسبب الحملات الصليبية . (١)

وقد حلت بالكنيسة مظالم وإضطهادات كثيرة بسبب الانقامسات الداخلية والفتن الخارجية نذكر منها :

(١) حدوث بعض المشاكل والاحتكاكات من جانب عامة الناس بسبب مسجد كان ملاصقا للكنيسة المعلقة وتعمد مؤذن المسجد مضايقة البطريرك ، بل كسروا القلاية البطريركية وسرقت منها بعض الأوانى الفضية . المهم أنه بسبب

---

(١) كامل صالح نخلة " البابا كيرلس بن لقلق " طبعة دير السريان ص ٢٠ ، ٢١

ذلك ذهب جمع غفير من المسلمين إلى الأمير جمال الدين بن يغمر نائب السلطان وشكوا إليه وقالوا " يا مولانا هل تغلق المساجد وتفتح الكنائس " فأجابهم " هذا حديث لا يسمع ، بل أن الجميع تفتح أبوابها . ومن أراد المسجد يطلع إليه إلا أنه لا يؤذى أحد ، ولا يتعرض أحد لآخر . أما هؤلاء النصارى فهم رعية السلطان وأنتم أدرى بذلك . وإن هذا المسجد فقير وأنا أقوم به ، إلا أن التعدى لا يمكن أحد منه " .. وكان النصارى مع اخوانهم المسلمين فى سلام وأنصاف واحترام متبادل (١)

(٢) – وحدثت أواخر أيام البطريرك كيرلس بن لقلق مشاحنات بسبب تجاور مسجد وكنيسة المعلقة واعتدى المسلمون على حائط الكنيسة المجاور للمسجد ، وحدثت بلبلة كبيرة بسبب ذلك . وكان المسلمون يطلعون على سطح قلاية البطريرك ويؤذنون ويكبرون ، وحدث ما حدث نيتجة ذلك . وعلى الرغم من أن الأمير أحضر قوما منهم وضربهم بشدة كما حبس والى مصر جماعة منهم لكنهم لم يهدأوا (١٤٨) .

شفاء الملك الكامل :–

وقد ذكر فى أيام هذا البطريرك أن تصادف أن الملك الكامل خرج من القاهرة فى نزهة قاصدا الاسكندرية ، فعبر بحر ابيار ورأى صومعة راهب حبيس هناك فوقف تحتها وصاح عليه فكلمه ودعا له . فشكى الملك له من وجع فى فؤاده ، فصلى له الراهب الحبيس على قليل من الزيت الطيب ودفعه له وقال " إذا دهنت موضع الوجع والله الشافى " فدهن به موضع الوجع فبرىء لوقته(٢)

واخيرا من المؤلفات التى حفظت له كتاب المعلم والتلميذ .. ولما تتيح استولى السلطان على جميع مخلفاته . وظل الكرسى البطريركى بعده شاغرا نحو سبع سنوات ونصف



مواضيع متنوعة ينبغى التعرض لها قبل الدخول فى عصر المماليك

(أولا) محنة اللغة القبطية

اللغة القبطية هى اللهجة الدارجة للغة المصرية القديمة فى أخر مراحلها (الديموطيقية) مكتوبة بحروف يونانية ، بعد إضافة سبعة حروف يونانية تمثل الأصوات التى ليس لها مقابل فى اللغة اليونانية .. ومن غزوة الاسكندر الأكبر لمصر فى الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد ، غدت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية ، وظلت إلى ما بعد الفتح العربى لمصر سنة ٦٤٠ م .

كانت اليونانية هى لغة الثقافة فى العالم كله وقتذاك . وكانت هى اللغة المستعملة فى مدرسة الاسكندرية الذائعة الصيت . على أن اللغة القبطية ظلت اللغة السائدة بين المصريين الوطنيين (الأقباط) فى أنحاء القطر المصرى . وظلت القبطية لغة رسمية فى الدواوين حتى بعد الفتح العربى لمصر .

فى خلافة الوليد بن عبد الملك الأموى ، وولاية واليه على مصر عبد الله بن عبد الملك فى سنة ٧٠٥ أو ٧٠٦ م (٨٧ هـ) أعلنت اللغة العربية لغة رسمية فى البلاد المصرية بدلا من اللغة القبطية .. كان الوالى عبد الله بن عبد الملك يكره النصارى جدا ، فاشتد عليهم وعمل على نزع الكتابة فى الدواوين من أيديهم ، ونقلها إلى العربية .. وكانت اللغة القبطية حتى ذلك الوقت هى اللغة المستخدمة فى دواوين الدولة ، وكان الأقباط هم القائمون بسائر الأعمال الادارية والحسابية فى دواوين الدولة تحت إشراف رئيس منهم يسمى اثناس وكان قبلها أمينا على بيت المال فعزله الوالى عبد الله بن عبد الملك وولى مكانه شخصا يسمى بن يربوع الفزاوى من حمص .

ولما رأى القبط أن هذا التغيير فى لغة الدواوين يفقدهم وضعهم فى الدولة ، عولوا على تعلم اللغة العربية فظهر ما عرف باسم السلالم ، وهى كتب تحوى الكلمات العربية مكتوبة بحروف قبطية ، على مثال الكتب التى توضع حاليا للأجانب لتعلم اللغة العربية أو العكس . كما نقلت أسماء البلاد إلى العربية فتحرفت عن أصلها .

تقول دكتورة سيدة كاشف فى كتابها مصر فى عصر الولاة ص ١١٩ ، ١٢٠ " بدأ العرب بعد فتح مصر بأقل من نصف قرن يتجهون إلى تعريب البلاد ، وإلى جعل اللغة العربية لغة رسمية ، وذلك لعدم معرفتهم باللغة القبطية . بل إننا نرى

الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان الذى كان يعى كثيرا من أمور مصر ولاية أبيه (٦٥ - ٨٦ هـ) ، يأمر بترجمة الانجيل وعدة كتب دينية مسيحية إلى اللغة العربية ، وذلك ليعرف المسلمون إذا كان فى هذه الكتب ما يمس الدين الاسلامى بسوء . وقد حدث فعلا أن عرّبت دواوين الدولة الاسلامية فى ذلك الحين ، إذ كانت الدواوين فى البلاد المفتوحة حتى مجىء عبد الملك بن مروان تكتب بلغات البلاد المحلية ، فكانت تكتب باليونانية فى الشام ، وبالبهلوية فى العراق والأمصار الشرقية ، وبالقبطية واليونانية فى مصر . وكان ذلك طبيعيا لقلة خبرة العرب بأمور الادارة ، ولأن الكتابة فن خاص . ولكن توسع خبرة العرب واستقرار الدولة واتجاهها نحو الوحدة المركزية أدى إلى وجوب التعديل ، فضلا عن السياسة العربية التى سار عليها بنو أمية .. وقد شرع فى هذا التعريب أيام عبد الملك بن مروان ، وبدىء بتعريب دواوين الشام والعراق . وكان الحجاج بن يوسف الثقفى صاحب اليد الطولى فى الأخذ بهذا التعريب فى العراق وما يتبعها شرقا . أما فى مصر فقد بدىء فى تعريب دواوينها فى خلافة الوليد بن عبد الملك وذلك فى سنة ٧٠٦ م (٨٧ هـ) فى ولاية عبد الله بن عبد الملك .. وهكذا أصبحت الدولة من الناحية السياسية عربية بمعنى أكمل . وقد ساعد التعريب على شيوع اللغة العربية وانتشارها بين الموالى والأقباط ، فأصبحت اللغة العربية لغة الدواوين ، كما بدأت تظهر طبقة الكتّاب ، كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الادارة ، فضلا على أنها لغة الثقافة ، بالاضافة إلى كونها لغة السياسة والدين " .

وما لبثت اللغة القبطية أن تلقت ضربة قاصمة على يد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٩٩٦ - ١٠٢١ م) ، الذى أصدر اوامر مشدده بابطال استخدامها نهائيا فى المنازل والطرقات العامة أيضا ، ومعاقبة كل من يستعملها بقطع لسانه ,, كما ضيق على الاولاد والبنات والسيدات بالبيوت ، بالامر بقطع لسان كل سيده تتكلم بها مع اولادها واطفالها . واقتدى بالحاكم الطاغية فى محاربة اللغة القبطية كثيرون ممن جاءوا بعده . وهكذا باتت اللغة القبطية محصورة داخل جدران الكنائس والاديرة .

وقد أتت أيام أشتد فيها الرعب على الكنيسة ، فأضطروا الآباء إلى وضع ستائر على احجبة الهياكل وقت التقديم وإجراء الخدمة الالهية ، خوفا من الحكام الغاشمين الذين كانوا إذا سمعوا الصلاة باللغة القبطية ، يهجمون على الكنائس ويفتكون بالذين فيها بدون شفقة ولا رحمة .

كان البطريرك غبريال بن تريك (١١٣١ - ١١٤٦م) هو أول من صرح بقراءة

الاناجيل والخطب وما إليها باللغة العربية فى الكنائس . وذلك بعد تلاوتها باللغة القبطية .

ومما يدل على أن اللغة العربية بدات تناهض اللغة القبطية فى القرن التاسع ، تلك الرؤيا المنسوبة خطأ للأنبا صموئيل القلمونى . والتى يرجح إلى أنها ترجع إلى القرن العاشر ، وهى تحتوى على حث مؤثر على الاهتمام باللغة القبطية ، ومنها نعرف أن اللغة العربية بدأت تحل محل القبطية حتى فى جهات كثيرة بالوجه البحرى .. وظل نجاح اللغة العربية مضطردا ، حتى انه فى القرن الثالث عشر كانت اللغة العربية هى السائدة ، واخذ علماء الأقباط يصيغون مؤلفاتهم بالعربية ، ومن أمثلتهم أولاد العسال الذين وضعوا مؤلفات دينية ولغوية كثيرة ، ومنهم أيضا جرجس بن العميد المعروف بابن المكين وأبو شاكر بن الراهب شماس الكنيسة المعلقة وشمس الرئاسة أبو البركات بن كبر والقس بطرس السدمنتى وعلم الرئاسة بن كاتب قيصر . ولهذا فقد عمد هؤلاء العلماء إلى وضع قواعد مختصرة للغة وتدوين مفرداتها لحفظها من الضياع والاندثار .

وأول من ألف كتابا باللغة العربية من الاقباط هو ساويرس بن المقفع أسقف الاشمونين الذى كان معاصرا للبطريرك أفرام بن زرعة السريانى ٦٢ (٩٧٥ - ٩٧٩ م) وهو الذى ترجم سير الآباء البطاركة مما وجده من مخطوطات بدير الانبا مقار ودير نهيا ، وما وجد بحوزة بعض النصارى باللغة القبطية واليونانية إلى اللغة العربية التى كانت شائعة أنئذ . وساعده فى تصحيح وتنقيح العبارات العربية الواضح بولس بن رجاء الوارد خبرة فى سيرة أنبا فيلوثاوس البطريرك ٦٣ (٩٧٨ - ١٠٠٣ م)

وعلى الرغم من انتشار العربية فان اللغة القبطية بقيت لغة التخاطب فى الوجه البحرى حتى القرن السابع عشر . ويقول العلامة ماسبيرو فى محاضرة له عن " صلة المصريين الاقدمين بالمصريين الحاليين " ألقاها سنة ١٩٠٨ من المؤكد أن سكان صعيد مصر كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة القبطية فى السنين الاولى من القرن السادس عشر ، فى أوائل حكم الاتراك " .. وقال المقريزى من القرن الخامس عشر فى كلامه عن دير موشه " والأغلب على نصارى هذه الاديرة معرفة القبطى الصعيدى .. ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون ألا القبطية الصعيدية " .

وفى القرن الثامن عشر لما قاربت اللغة القبطية على الزوال - كلغة التخاطب بدأ الأقباط يكتبونها بحروف عربية .. لكنها ومع كل هذه الظروف بقيت لغة الكنيسة

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها في عصر المماليك البحرية

ما أغنى الكنيسة القبطية بقديسيها وعلمائها فى كل الاجيال حتى أنه من المستحيل أن يحصى الانسان كل القديسين فى فترة تمتد نحو ١٣٠ سنة لكن نقدم بعض النماذج

أولا : الآباء البطاركة فى عصر المماليك البحرية (١٢٥٠ م - ١٣٨٢م)

عاصر حكم المماليك البحرية الذى إستمر حكمهم ما يقرب من (١٣٢) عاماً ١١ من الآباء البطاركة إبتداء من البابا أثناسيوس الثالث (الـ ٧٦) إلى البابا غبريال الرابع البطريرك (الـ ٨٦) وسوف نتكلم قليلاً عن هؤلاء البطاركة وعن الاحداث الجسام التى حدثت فى عهودهم والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى وما عاصره من مشاهير وقديسى الكنيسه وعلمائها وأساقفتها وأراخنتها فى هذه الفترة .

البابا أثناسيوس الثالث (الـ ٧٦) (١٢٥٠ م - ١٢٢٨ م)

كان شماسا وسيم قسا بإسم بولس ولقب بـ " ولد القس مكارم بن كليل " وكان مركز رئاسته بكنيسة المعلقة .

وعاصر كثير من الولاه منهم شجرة الدر والملك المعز وموسى الاشرف والمنصور والمظفر والملك الظاهر بيبرس .

ويُذكر أنه عندما جلس البابا أثناسيوس على الكرسى بذل ما فى وسعه لاصلاح ما أفسده سلفه (البابا كيرلس الثالث الشهير بن لقلق) فضغط على الاساقفة الذين إرتقوا لتلك الوظيفة الكهنوتية بواسطة المال (السيمونية) الإسلوب الذى تميز به البابا كيرلس بن لقلق . فعاملهم بقساوة عظيمة فمن الاقباط من إستصوب بتلك الصرامة ومنهم من إستهجنها فكانت سبباً فى أن ترك كثير من الاساقفة الاقباط الايمان الارثوذكسى وفى أيام هذا البطريرك حدثت عدة حوادث نذكر منها حادثة شرف الدين أبو القاسم هبه بن صاعد . التى ذكرت فى عهد الامير عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك وكان عهده كارثة على الاقباط .

وتنيح هذا الاب فى اليوم الاول من شهر كيهك المبارك سنة ٩٧٨ ش الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٢٦١ م ودفن فى كنيسة القديس مرقوريوس أبو سيفين (١) .

---

(١) تاريخ البطاركة الجزء الثانى ص ١٥ (كامل صالح نخله) .

البابا يؤانس السابع البطريرك (الـ ٧٨) (١٢٦٢ م - ١٢٦٨م) ،(١٢٧١ م -١٢٩٣م)

كان راهبا بأسم يوحنا وبعدما سيم بطريركاً كان يُدعى ابن أبى سعيد السكرى . وقد عاصر كثير من الملوك والولاه منهم الملك الظاهر ونصر الدين والملك العادل والسلطان قلاوون والاشراف خليل والملك الناصر وذلك لانه ظل على الكرسى البطريركى ما يقرب من ٢٩ عاماً ونظراً لطول المدة التى قضاها على الكرسى البطريركى جرت على النصارى فى أيامه شدائد كثيرة يطول شرحها وقاسى الاساقفة من الضيق والظلم والاستبداد ما لايمكن حصره .

ومن أشهر الحوادث فى عصره

١) حادثة الراهب الحبيس التى كانت فى أيامه وفى عهد الظاهر بيبرس وقد ذُكرت من قبل .

٢) حادثة إنتشار التكايا التى كانت أيام الملك المنصور قلاوون ٦٨٢ هـ

٣) حادثة عين الغزال والسمسار التى كانت أيام الملك الاشرف

٤) ويذكر أن فى أيامه سنة (٦٧٨ هـ) وفى عهد الملك المنصور قلاوون أنه بمجرد ما إستقل بالملك وإستلم زمام الحكم كان أول شئ عمله هو أنه أصدر أمرا بطرد جميع الكتاب النصارى من ديوان الجيش وإستخدم بدلهم من المسلمين(١)

وفى نفس اليوم الذى قامت السلطة بتنفيذ هذا القرار هُدم دير الخندق (دير أو أرض الانبا رويس بالعباسية) ولم يترك فيه حجر على حجر وإشترك جمع غفير فى أعمال التخريب وكانت هذه الحادثة تقريباً سنة ١٢٨٠ م (٢) وتنيح البابا يؤانس فى ٢٦ برموده سنة ١٠٠٩ ش الموافق ٢١ أبريل سنة ١٢٩٣ م ودفن فى دير النسطور بالبساتين فى أيام السلطان الملك الناصر (٣) .

البابا ثيئودوسيوس الثانى البطريرك (الـ ٧٩) (١٢٩٤ م - ١٣٠٠ م)

تخرج من دير أبو فانه وكان يُدعى قبل البطريركية بـأبن زويل الافرنجية نظراً لان إرتقاءه على الكرسى البطريركى يخالف الناموس والشريعة لانه فرض عليه

---

(١) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢٠٨

(٢) أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٧٦

(٣) تاريخ البطاركة الجزء الثانى من ص ٢٢ (كامل صبيح نخله)

فرضاً ولانه كان محباً للرشوة وقد أظهر الله غضبه فحدث فى أيامه فناء عظيم فى البلاد وغلاء فاحش وإنتشار مرض الطاعون بسبب قلة زيادة المياه وإضطر الناس إلى أكل الميتة (١)

ويذكر التاريخ قائلاً أنه حدث فى أيام هذا البطريرك (قبل نهاية القرن السابع الهجرى) مصائب عظيمة وويلات كثيرة بسبب إنقسام المماليك إلى احزاب فكان القبط أعظم ضحية لهذه المصائب والبلايا واضطهاد الحكام لهم والزامهم فى هذه الأيام الصعبة بدفع غرامات طائله وزيادة الجزية فمات خلق كثير واسلم كثير منهم بعضهم املا فى التخلص من المظالم وبعضهم طمعاً فى التقدم فى الدواوين والمناصب العالية رغماً عما كانوا يشاهدونه من الغدر بالمتقدمين فى الحكومة ونهب أموالهم وقتلهم والاستيلاء على جميع ممتلكاتهم ومقتنياتهم ولكن الانسان ميال بالطبع إلى حب التقدم والطمع فى الارتقاء إلى المناصب وقل من يعتبر بغيره (٢) .

وقد عاصر هذا البطريرك الملك العادل والملك الناصر محمد بن قلاوون والذى تنيح فى ايامه فى أول يناير سنة ١٣٠٠ م ودُفن فى دير النسطور بالبساتين .

البابا يؤانس الثامن البطريرك (الـ ٨٠)

كان راهباً بدير شهران (الانبا برسوم العريان حالياً) وكان رئيساً له ويُدعى يوحنا بن إيسال وعندما أختير للبطريركية كان يُلقب بابن القديس والمؤتمن . وقد سيم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان عهده عهد شؤم وكارثة كبرى على الاقباط كما حدث فى أيام رئاسة هذا البابا إضطهادات شديدة على الاقباط حتى ضجروا مما فرض عليهم من العوايد العديدة وسوء المعاملة وشدة الاضطهاد بزعامة أحد وزراء المغرب الذى أتى الى مصر بقصد إتمام فريضة الحج فلم يرق له أن القبط يتولون أمور البلاد المالية فحرض الامراء على إذلال المسيحيين فى البلاد بكافة الوسائل المؤدية إلى إضطهادهم بطرق تأباها الانسانية

---

(١) كتاب تاريخ البطاركة الحلقة الثانية ص ٢٤

(٢) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢١٤

ومن أشهر ما حدث فى أيامه ما يأتى : -

١) حادثة وزير ملك المغرب التى ذُكرت سابقاً .ص ٢٥٣.
٢) حادثة إلغاء عيد الشهيد التى ذُكرت سابقاً .ص ٢٥٥.
٣) كما ذكر الرواه المسلمون أن كنائس القاهرة أقفلت عدة أيام ويقول أبو الفضائل أن هذه الكنائس ظلت مغلقة لمدة قصيرة وأن الاديرة الموجودة فى الضواحى وغيرها لم تمس بسوء فضلاً عن كنائس الاقاليم ولكن إذا إنتقلنا إلى الاسكندرية وجدنا أنه حين وصلت الاوامر إليها بدأت فى هدم الكنائس ومنازل النصارى (١)

وقضى البابا يؤنس على الكرسى الرسولى مايقرب من ٢٠ سنه كانت كلها مفعمة بالاحزان وشديدة الوطأة عليه وعلى أبنائه المسيحيين حتى أراحه الله من متاعب هذه الحياة ومشقات الاضطهاد وإنتقل فى ٢٩ مايو سنة ١٣٢٠ م ودُفن بدير شهران فى أيام الملك محمد بن قلاوون (٢) .

البابا يؤنس التاسع البطريرك (الـ ٨١)

كان يُدعى الراهب يؤنس النقادى وقُدم بطريركاً بإسم البابا يؤنس التاسع فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٣٢٠ م . وفى أول عهد رئاسة البابا يؤنس التاسع جرت على النصارى شدائد كثيرة فقتل منهم من قتل (٣) وحُرق من حُرق وأسلم منهم الكثيرون وأشهروهم على الجمال وألبسوهم العمائم الزرقاء وهدموا الكنائس ونهبوها .
وقد أجمع المقريزى هذه الحوادث فى جملة واحدة حيث قال فى يوم الجمعة ١٩ من ربيع الآخر سنة ٧٢١ هـ هُدت كنائس مصر فى ساعة واحدة كما ذُكر فى أخبار كنيسة الزهرى (٤) وقد أتى بتفاصيل هذه الحوادث كما ذكرنا من قبل حيث ذُكر الهجوم على الكنائس فى الوجهين البحرى والقبلى وحريق مصر والقاهرة وبراءة اقباط مصر من جريمة الحرق وآثار الحريق والخراب والرماد فى القاهرة ومصر وذُكرت تفاصيلها سابقاً . كما ذُكر انه وقع اخيراً الحريق فى بيت الماسى الحاجب من القلعة وكانت الريح شديدة فقويت النار وصارت الى بيت الامير ايدغمش فأنزعج اهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها

---

(١) اقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٧٩
(٢) تاريخ فوه ص ١٦٤ وكتاب تاريخ ص ٣٧١ أ
(٣) تاريخ البطاركة (كامل صالح نخله) الجزء الثانى صفحة ٣٥
(٤) الخطط للمقريزى (الجزء الرابع) ص ٤٠٥

قد أحرقت ولم يُسمع بأشنع من هذه الحرائق (١) ولم تكن هذه الحرائق بفعل فاعل بل أراد الله أن ينذر الباغى على ما إرتكبته يداه من الظلم بالقبط الابرياء .

وأخيراً بعد أن ذاق البابا يؤنس من هذه الشدائد والكروب تنيح فى ٢٩ مارس سنة ١٣٢٧ م ودُفن فى دير النسطور فى أيام السلطان محمد بن قلاوون (٢)

البابا بنيامين الثانى البطريرك (الـ ٨٢) (١٣٢٧ م - ١٣٣٩ م)

كان راهباً بدير جبل طرا وكان يُدعى الراهب بنيامين المصور وسيم بطريركاً فى ١٠ مايو سنة ١٣٢٧ م بإسم البابا بنيامين الثانى البطريرك (الـ ٨٢)

إضطهاد النصارى فى عهده

فى أيام هذا البابا أقيم والى يُدعى شرف الدين النشئ بن تاج وكان رجلاً سيئاً أثار الاضطهاد الجبار على المسيحيين وتعذبت على يديه الاساقفة والرهبان والراهبات ورجال الاكليروس والاراخنة فقاسوا على يديه العذابات الشديدة وقاسو مرارة الاضطهاد الشنيع ، كما هُدمت كنيسة الست برباره عن آخرها وذكرت تفاصيلها سابقاً ولكن الله عز وجل لم يترك شعبه فنال هذا الوالى أشر مما جنى به على المسيحيين حتى مات وخلصت الامة من سوء تصرفاته وردائه أعماله ببركة صلوات البابا بنيامين الرجل القديس الطاهر وحل إنتقام رب العدالة على جميع فاعلى الإثم الذين كانت لهم اليد الطولى فى هذه الاعمال الشريرة (٣) وفى أيامه تدخل ملك الحبشة لرفع إضطهاد القبط .

وهكذا قضى هذا البطريرك كل أيامه جهاد وإضطهاد وتخريب فى أيام الملك محمد بن قلاوون وبعد جهاد عظيم وتوالى المصائب على شعبه تنيح فى ٦ يناير سنة ١٩٣٩ م ودُفن فى دير شهران (٤) .

---

(١) الخطط للمقريزى (الجزء الرابع) ص ٤٣٣

(٢) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧١ ، فوه ص ١٦٤ ، كتاب تاريخ بطاركة الاسكندرية ص ٩٢ .

(٣) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٣

(٤) تاريخ البطاركة الجزء الثانى (كامل صالح نخله)

البابا بطرس الخامس البطريرك (الـ ٨٣) (١٣٤٠ م - ١٣٤٨)

كان راهبا بدير أبو مقار ويدعى بطرس بن داود وأختير بطريركاً بإسم بطرس الخامس فى يناير سنة ١٣٤٠ م فى أيام الملك الناصر بن قلاوون (١)

وفى أيامه حدث إثارة اضطهاد القبط فى الريف وحادثة الرجل الذى أجبر على دخول الاسلام التى ذكرت تفاصيلها من قبل ص ٢٦٩

وفى أيامه حدث إضطهاد للنصارى فى القاهرة إذ ما كان البابا بطرس الخامس يعود من رحلته فى الاديرة حتى إندلعت نيران الاضطهاد على شعبه الوديع البادئ فابتدأ المسلمون بعد ذلك فى التسلط على القبط فيدموا مساكنهم الكائنة أمام مساكن المسلمين وصاروا يتعقبونهم فى الطرقات ويتعرضون لهم فى الشوارع ويمزقون ثيابهم ويضربونهم بكل قسوة ويلقون عليهم النار المشتعلة حتى إضطر القبط أن يختبئوا عن الانظار وأصبحوا فى حال يُرثى له وظلوا ملازمين منازلهم فترة من الزمن كان يخيل للرائى أنهم إنقرضوا .

آخر أيام البابا بطرس الخامس

بعد كل المصائب التى حلت بالشعب المسيحى اسلم روحه الطاهرة فى ٨ يوليو سنة ١٣٤٨ م ودُفن بكرامة فى دير الحبش .

عاصر البابا بطرس كل من الناصر بن قلاوون - وأبو بكر المنصور - وعلاء الدين الاشرف واحمد الناصر - واسماعيل الصالح وشعبان الكامل - إبن نصر المظفر والسلطان حسنى (٢) .

البابا مرقس الرابع البطريرك (الـ ٨٤) (١٣٤٨ م - ١٣٦٣ م)

بعد نياحة البابا بطرس الخامس تم إختيار الراهب غبريال من دير شهران وكان ذلك فى ٥ سبتمبر سنة ١٣٤٨ م ولقب بالقليوبى .

وأهم الاحداث فى عهده كالآتى :-

١) ظهور وباء الطاعون فى مصر وكان وباء عظيم مُهلك إنتشر حتى عم البلاد بلا رحمة وفى مدة الوباء الذى حل بالبلاد أتى رجل قبطى من الريف إلى القاهرة يطوف الشوارع منذراً الناس بالويل إن لم يقلعوا عن شرورهم فقبض عليه وأحضروه أمام قاضى الإسلام وصرخ القبطى أمامه بلا خوف أنه أتى ليقنع

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٣ ، فوه ص ١٦٤ أ

(٢) تاريخ نبطاركة (الجزء الثانى) (كامل صالح نخله) ص ٥٣

المسلمين بخطيئتهم فى ترك الديانة المسيحية وأظهر إستعداده للاستشهاد فقضى عليه بالعذاب مدة أسبوع وبعد ذلك قُطعت رأسه وأحرقت جثته .

٢) وفى أيامه صودرت أملاك الكنيسة والاديرة القبطية وقد ذكر تفاصيلها سابقاً وكانت تبلغ ٢٥ ألف فدان كلها موقوفه للكنائس والاديرة . قرر أمراء المماليك أن توزع وينعم بهذه الاملاك على الامراء زيادة فى إقطاعاتهم (١)

٣) وفى أيامه هُدمت كنيسة الشهيد بشبرا الخيمة وأخذ الصندوق الذى به ذخائر (أصبع) القديس وأحرق وذرّى رماده فى البحر وذكرت تفاصيلها سابقا .

٤) وفى أيامه حسد المسلمون النصارى على تقدم مركزهم فى الدولة وإنتقام الشهيد من الملك الصالح إذ كان من المرشحين للوزارة وزيران قبطيان مرتدان هما موفق الدين وعلم الدين فتنازعا عليها وإنضم لكل منهما أحزاب فأنتهى الخصام بخلع الملك الصالح وكان منشأ هذا النزاع دسيسه من أخيه الملك الناصر حسن بالاتفاق مع الامير تاج الدين وكان الناصر مسجوناً ففاز بجدارة وخلع أخاه فأخرج من السجن وبُويع (وهكذا إنتقم الشهيد سريعاً من الملك الصالح بسبب هدم بيعته وحرق إصبعه سريعاً وقيامه بإضطهاد النصار وإذلالهم) وهذا الملك ذُكرت حوادث مفصلة عن عهده الذى كان كارثة كبرى على الاقباط .

٥) وفى أيام هذا البطريرك حدث فناء عظيم فى القرى أتى على خراب معظم قرى الديار المصرية .

إنتقال البابا من هذا العالم

وبعد جهاد عظيم وصبر على الشدة التى حدثت أيام البابا مرقس الرابع فكانت نياحته فى يوم ٣١ يناير سنة ١٣٦٣ م فى أيام السلطان محمد المنصور ودفن بدير شهران وعاصر كل من السلطان حسن والصالح حسن بن ناصر والناصر ومحمد المنصور (٢)

---

(١) خطط المقريزى جزء رابع ص ٤٠٥

(٢) تاريخ البطاركة الجزء الثانى (كامل صالح نخله) ص ٦٣

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها
فى عصر المماليك الشراكسة (١٣٨٢ م - ١٥١٢ م)

أولا : الآباء البطاركة فى عصر المماليك الشراكسة

عاصر حكم المماليك الشراكسة الذى إستمر ما يقرب من ١٣٠ عام ثمانى من الآباء البطاركة إبتداء من البابا متاؤس الاول (الـ ٨٧) إلى البابا يؤانس الثالث عشر (الـ ٩٤) وسوف نتكلم قليلاً عن أشهر هؤلاء البطاركة وعن الأحداث الجسام التى حدثت فى عهدهم والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى وما عاصروه من مشاهير قديسى الكنيسة وعلمائها وأساقفتها وأراخنتها فى هذه الفترة .

البابا متاؤس الاول البطريرك (الـ ٨٧) (١٣٧٨ م - ١٤٠٨ م)

كان راهبا بدير المحرق ويدعى الراهب متى واختير للبطريركية فى ٢٥ يوليو سنة ١٣٧٨ م ولقب بالمسكين .

أشهر الحوادث فى عصره

١) إضطهاد القس متى والشيخ مرقص الأنطونى من دير القديس الأنبا أنطونيوس حيث هجم طوائف من الإفرنج على مدينة الإسكندرية ونهبوا أموالها وسبوا حريمها ثم تركوهم ومضوا ولقد كان لهذا الحدث أثر سيئ على النصارى فإن الامير يلبغا الذى كان ملكا فى تلك الأيام قام بالإنتقام من هؤلاء النصارى وأرسل إلى جميع الديار الواقعة داخل دائرة سلطته يطلب أموالهم ويستولى على ما لديهم وقد ذكرت هذه الحادثة فى سيرة الانبا مرقس سابقاً .

٢) نظراً لإمتلاء هذا الاب بالروح القدس وإنصافه فى أحكامه صارت كل محاكمة يتعذر على الملوك والحكام الفصل فيها يرسلونها إلى البابا متاؤس فتحل بالوحى الإلهى حتى ذاعت شهرته فى جميع البقاع . وتعدت حدود الأقطار المصرية ووصلت الخارج وسمع بها الملوك الذين كانوا يقدمون له الهدايا الثمينة ، فكان ملوك الإفرنج يعتقدون فى طهارته ويعترفون ويثقون فى قداسته لكثرة ما عاينوه من محبة هذا الاب القديس لهم وما لمسوه بأيديهم وعقولهم من سلامة أحكامه التى كان ينصف فيها بينهم كل إنصاف وعدل وكان عندما يلمسون منه البركة يلمسون منه هذه العدالة والسلامة والمحبة والإنصاف فى احكامه وإرشاده ويمجدون الله قائلين " بالحقيقة كما سمعنا كذلك رأينا " (١)

---

(١) فوة ص ١٧١ وكتاب ١٥ تاريخ ص ١٨١ (أ) (٢٨٢)

٣) وكان البابا متاؤس ذا علاقة قوية بالسلطان برقوق (الملك الظاهر برقوق) حتى أنه (أى السلطان) أشار إلى البابا متاؤس أن يكتب رسالة إلى ملك الحبشة لتجديد السلام معهم .

٤) فشل سعى العامة لهدم كنيسة العذراء بالمعلقة بمصر القديمة ونجاتها .

خرج البابا القديس متاؤس الأول من القاهرة قاصداً الاديرة البحرية ببرية شيهيت للإعتكاف والصلاة فلما سمع جماعة من المعاندين بتغيبه لأنهم كانوا يخشون بأسه أثناء وجوده بالقاهرة لرابطة المحبة والاخلاص التى تربطه بالسلطان برقوق اغتنموا فرصة غيابه وسعوا للقيام بهدم كنيسة السيدة العذراء والدة الإله بالمعلقة فلم يمكنهم السلطان من ذلك فإمتلؤا غيظاً وأخذوا حفنة نار وأطلقوها تحت أساسات تلك البيعة يريدون حرقها بكاملها لكن الله عز وجل ببركة الراعى الصالح متاؤس لم يدع النار تصعد إلى علو البيعة وأخذ تلاميذ البابا يطفئون النار من أسفل كما أرسل لهم رب السلام الحارس على بيعته المقدسة ندى بارداً بكثرة من فوق حتى أطفأ لهيب النار المتقدة وتعجب الحاضرون من هذه العظمة الربانية ومجدوا الله على حسن صنيعه معهم (١)

٥) فشل مؤامرة هدم دير شهران :-

أراد بعض المعاندين أن يقوموا على دير شهران ويهدموه فقدموا إلى الملك برقوق عريضة يتهمون فيها رهبان هذا الدير بإدعاءات باطلة حتى أذن لهم بهدمه فإجتمعوا لتنفيذ غرضهم السيئ ، ولكن البابا متاؤس لم يمكنهم من ذلك ويحكى أنه إجتمعوا فى ذلك اليوم خلق كثير لا يحصى لهم عدد وظنوا أنهم لكثرتهم يخشى البابا بأسهم ويخاف شرهم ويسلم لهم الدير ليهدموه ، لكن رجل الله الذى يستمد من العلى قوته لم يخف منهم وصار يناديهم ويقاومهم إلى أن قال لهم محتداً " من منكم أيها الناس له يد وسلطان فليجرد سيفه ويقتلنى لانى مادمت حياً لا أمكنكم من أن تهدموا طوبة من بناء هذا الدير إلى أن أقف أنا وانتم أمام السلطان وأظهر له الحقيقة وبعد أن تكلم معهم بهذه الجرأة المستمدة من قوة إيمانه تركهم البابا ومضى إلى القلعة وإستغاث بقوة السلطان برقوق ملك مصر ولما وصل صوت صراخه إلى مسامع الملك أرسل للوقت للكشف عن حقيقة ما نسب لرهبان الدير المذكور فلما مضى القضاة الاربعة إلى دير شهران لبحث الامر فلم يجدوا أثراً بالمرة فيما أدعى به المعاكسون ومنعهم من الاعتداء على

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٢٨٦ وفوه ص ١٧٣

مبانى الدير فهرب أولئك الشاكون وإختفوا من غضب الملك برقوق لئلا يبطش بهم لكذبهم فيما أدعوه (١)

٦) كما حدث إضطهاد له ولشعبه فى أيام الامير منطاش والقائد يلبغا
٧) خلاص البابا متاؤس من الاضطهاد والسجن الذى وقع فيهما بعد موت برقوق

فى أيام حكم الملك الناصر كان هذا الحاكم قائداً للجيش وكان ينوب عنه الامير يلبغا الذى كان عصره عصر شؤم على الكنيسة والاقباط وأمر بحصر أبوابهم (أبواب المنازل والحوانيت والطواحين والافران والبساتين والسواقي والكروم وفرض عليها ضرائب باهظة) وقبض على البابا متاؤس الاول وسجنه وأحضر نساء النصارى واليهود وألبسهم ملابس زرقاء وصفراء أمام البطريرك ولكن البابا قاومه بشده فغضب الامير عليه من ذلك واستل سيفه و شرع بضرب رقبة البابا فمد البطريرك رقبته إليه وسأله أن يقتله فرجع الامير عن غضبه وإندهش لشجاعة البابا وأراد أن يطلق سراحه ولكن البابا رفض ذلك إلا إذا أطلق أبناءه المسجونين بدون ذنب أو خطأ . فى تلك الاثناء هجم أحد امراء مصر على السجن وكسر أبوابه الحديدية وأخرج البابا متاؤس البطريرك القديس ومن معه من المسجونين من السجن وهزم الامير يلبغا.

٨) قيام الامراء بإضطهاد البابا متاؤس الاول وفشلهم فى أيام السلطان ناصر فرج

الحادث الاول

بعد إنتقال السلطان برقوق قام الامير سودون (أحد أمراء المماليك) بإضطهاد المسيحيين وشن الغارة عليهم بوطأة شديدة فدبر ذات مرة مع المعاندين كميناً صعباً للقضاء على المسيحيين ، إلا أن الله تمجد ويتمجد أسمه كشف للبابا متاؤس أمر هذه المكيدة فقام لساعته وخرج خفية من قلايته ومضى إلى بيعة الشهيد مرقوريوس وحبس ذاته فيها مدة سبعة أيام وسبع ليالى وهو مداوم على الصلاة بلا إنقطاع سائلاً المولى تعالى أن يخلص شعبه من هذه المكيدة فرأى فى الرؤية السيدة العذراء مريم تحدثه قائلة له " أن الله قبل طلبه فى خلاص الشعب وأبطل مؤامرة المعاندين السيئة " ، حينئذ إبتهج قلب هذا الاب وفرح فرحاً عظيماً وخرج فى اليوم السابع مثل ملاك الله .وبتدبير من الله تعالى أرسل

---

(١)كتاب تاريخ ص ٢٨٦ + فوة ١٧٣أ

(٢) كتاب التاريخ ص ٢٨٦ + فوه ١٧٣ أ

الامير سودون يطلب حضور البطريرك عنده فى ذلك اليوم وصار يخاطبه بما أضمره الشعب من الحوادث الرديئة الصعبة وفى جملتها أنه أراد أن يلبس النسوة الإزارات الزرقاء وغير ذلك فامتلأ البابا من روح الله وقال له " مَن من الامراء الذين تقدموك فعل هكذا مع الرعية ؟ أو مَن من البطاركة رضى أن يشهّر ببنات شعبه ويجعلهم عارا أو إضحوكه لصغار عوام الناس ولكن الحق أقول لك أيها الامير ، أنك متى شهرت بواحدة من بنات شعبى أنا لا أبرح ان اطلق الخراب و التشهير فى بلادكم ، من اطراف الحبشة إلى أقاصى مصر ، وانا أخبرك أيها الامير أن النصارى ليسوا بغير ملوك الارض ، ولا سلاطين مسيحيين ينظرون فى تسلطكم عليهم . فامتلأ الامير خوفا ، وأطلق سراح الاب ، ولم يعد يخاطبه بشىء حتى تعجب الشعب من شجاعة البابا البطريرك وقوة إقدامه ، وسداد إجابته وقدموا الشكر لله تعالى على خلاصهم من هذه التجارب والمحن بشفاعة القديسة العذراء مريم (١)

الحادثة الثانية

فى إحدى المرات تكلم أحد الامراء مع الملك والقضاة أن لا يبقوا نصرانياً على الارض فى مصر ، فقام البابا متاؤس البطريرك ، وصلى مستنجداً بشفاعة القديس مارجرجس ، أن ينقذ الاقباط من رغبة هذا الامير ، وقبل أن يتمم البابا توسلاته استجاب الله لصلاته ، حيث سلط الله على هذا الامير أعداءه فقدموا له كأساً مملوءة سماً فشربها وهو لا يعلم بما دبروه له بمكر وحيطه ومات لساعته ميته شنيعة ، وانتقم الله منه لسوء تدبيره ضد شعب الله الوديع (٢)

الحادثة الثالثة

فى إحدى المرات غضب البابا متاؤس على الامير أوزبك ، الذى كان عصره شؤم على الاقباط ، فأقام ستة أيام وستة ليالى مداوماً على الصلاة ، متوسلاً بشفاعة رئيس الملائكة ميخائيل الطاهر ، ليخلص الشعب من نيره ، فلما إنتهى اليوم السادس ولم يسمع عن ذلك الامير خبراً فأرسل أحد تلاميذه ليستطلع أخباره فوجد التلميذ تابوت ذلك الامير على باب داره والناس يستغيثون قائلين هذا الامير له ستة أيام معذباً من طعنه فى جنبه إلى أن مات فى هذا اليوم فطار التلميذ راكضاً نحو معلمه وأطلعه على جليه الأمر فتعجب البابا وأعطى المجد

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ٢٨٦ (أ) و ٢٨٧ + فوه ١٧٣ ، ١٧٤

(٢) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩١ + فوه ص ١٧٦

لله سبحانه وتعالى والشكر لرئيس الملائكة الذى لم يخيب رجائه للخلاص من هذا الأمير الظالم (١)

إنتقال البابا متاؤس من هذا العالم

فى أيام الأمير جمال الدين الذى كان عهده عهداً مظلماً على الأقباط وكان يقوم بقتل الكثير من الناس ويستولى على أموالهم وكان يبحث فى ايجاد علة على البابا ليقتله بها وتنفيذا لمؤامرته أرسل رسلاً خفية إلى أرض الحجاز واليمن ليقدموا عرايض ضد البابا يدّعون عليه فيها أن البطريرك يرسل فى وقت رسله إلى بلاد الحبشة ليحث ملكها على تخريب مكة ومافيها . ولما علم بالروح ان العرايض كُتبت ضده إستعان كعادته بشفاعة السيدة العذراء والدة الاله كى تأخذ نفسه إليها بغير سفك دم حتى لا ينال شعبه شدة ولا صعوبه - ورغم ان مندوبى البابا حملوا الى هذا الامير خمسمائة ألف درهم من مال البطريركية لعله يطيب قلبه ويكف عن تهديد البابا لكنه لم يرتدع ولذلك عندما حضر رُسل الملك يوم الاحد أوليلة الاثنين ٣١ ديسمبر سنة ١٤٠٨ م إلى دار البطريركية كان البابا قد أسلم روحه الطاهرة إستجابة لطلبته ودفن فى دير الخندق (الانبا رويس) .
وإنتقم الله من هذا الامير الظالم حيث سلط عليه من وشى به عند الملك فقبض عليه وعاقبه وإستولى على ممتلكاته ولم يسلم من الضرب والعقوبة حتى مات شر ميته (٢)

البابا غبريال الخامس البطريرك (الـ ٨٨)

كان ملقب بمستوفى الجيزه وعرف بإسم غبريال الامجد ، وكان راهباً بدير القلمون بالفيوم ثم سيم بطريركا فى سنة ١٤٠٩ م فى أيام سلطة الملك فرج بن برقوق .

وفى أيامه قطعت الكنيسة الحبشية الاعانة التى كانت ترسلها إلى الكنيسة المصرية مما تسبب عن فراغ الخزانه البطريركية من المال وإعتماد البابا فى الحصول على قوته الضرورى على مساعدة أولاده الأراخنة . وقد تم فى أيامه رسامة بطريرك انطاكى فى مصر ، كما كان فى عهده يلقى التجار المسلمون فى بلاد الاحباش معاملة سيئة فدعته الحكومة المصرية سنة ١٤١٨ م ولما مثل امام مجلس الحكومة هددوه بالموت ، إذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضايقى التجار المسلمين النازلين فى بلادهم ، فوعدهم بالاتصال بملك الأحباش

---

(١) كتب ١٥ تاريخ ص ٢٩١ + فوة ١٧٦

(٢) كتب ١٥ تاريخ ص ٢٩٤ (أ) + فوة ص ١٧٨ (أ)

ليمتنع عن هذه المعاملة ، ورغم ما قاسى هذا البابا الوديع من الإضطهاد الشديد مدة رئاسته ، فأنه بذل مجهوداً كبيراً فى سبيل إصلاح ما أفسدته يد الإضطهاد والمحافظة على شعبه من قوة رجال الحكومة ومما يذكره التاريخ حدثت زلزلة عظيمة بمصر سنة ١٤٢٤ م ومن مؤلفاته كتاباً فى الطقوس الكنسية .

إنتقاله: ولما أكمل جهاده بسلام تنيح فى سنة ١٤٢٧ م فى عهد السلطان إبن نصر الأشرف ودفن بإكرام فى كنيسة بابليون الدرج (١)

البابا يؤانس الحادى عشر البطريرك (الـ ٨٩) (١٤٢٧ م - ١٤٥٢ م)

هو القس الأسعد أبو الفرج خادم بيعة الشهيد مرقوريوس أبى سيفين بدرب البحر فسطاط مصر والشهير بإسم فرج المقسى وكان مشهوراً بالفضيلة والعلم ويقوم بالتدريس فى مدرسة قبطية عظيمة بالمكس . وقد سيم بطريركاً فى سنة ١٤٢٧ م بإسم البابا يؤانس الحادى عشر .

أهم حوادث البلاد فى عهده

توقف النيل عن الوفاء بعطائه وهبط مستوى الماء فيه سريعاً فى سنة ١٤٢٩ م فعطشت البلاد ووقع الغلاء ، كما حدث وباء شديد سنة ١٤٣٨ م بالاضافة إلى هذه النكبات . حدث فى سنة ١٤٤٩ م غلاء شديد جدا ، وإرتفعت الاسعار ، وإستمر هذا الغلاء سنتين ، قاسى الشعب اثنائها اقسى الاهوال وأفظع المجاعات ، وذلك لانه فى أثناء الغلاء تفشى مرض الطاعون وإزدادت وطأته ، ثم خفت إصابته فى أيام خماسين المسيحيين (١) . وفى سنة ١٤٥٠م زاد البلاء ، عندما وقف النيل عن الوفاء فضج الناس وشحت الغلات وإشتد قلق العالم .

أهم حوادث الكنيسة واخبارها

فى أيامه حدثت زيارة بطريرك أنطاكية لبطريرك الاسكندرية وكان هذا سنة ١٤٣٠ م ، كما حدث فى أيامه طبخ الميرون المقدس للكرسى الانطاكى .

وفى أيامه ايضاً حدث حصر لكنائس النصارى واليهود ونظموا حملة لإضطهادهم وخاصة كنيسة للملكيين ومجمع لليهود فى قصر الشمع كما أمر القضاة بضرب ثلاثة من اليهود مات إثنان منهم وأسلم الثالث وذلك سنة ١٤٤٢م

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٦ (أ) + فوة ص ١٨٣ (أ)

(١) السخاوى ص ٢٥٤

وفى أيامه تم تجديد العهد العمرى وذلك سنة ١٤٤٢ م . كما أصدر السلطان أمراً بعدم القيام بتجديد أى كنيسة أو دير أو صومعه أو قلاية أو بيعة ولا يصلح ماخرب أو نقب من جدرانها أو أخشابها إلا بإذن من السلطان ومن يخالف كان جزاءه الموت كما ارسل ملك الحبشة فى أيامه بعثة إلى مصر سنة ١٤٤٣ م تحمل هدايا للسلطان قام المغرضون بتشويه معناها فكان من نتائجها إضطهاد للنصارى ومنع بطريرك النصارى من الاتصال بالاحباش دون وساطة الدولة .

وفى أيامه تم هدم ماكان موجوداً بجبل طور سيناء وشبه الجزيرة من كنائس وصوامع مستجدة وبهدم ما إرتفع من بناء الكنائس المجاورة للجامع وتسليم أنقاض ما كان يُهدم لبيت مال المسلمين وذلك بأمر القضاء وكان ذلك فى سنة ١٤٤٦ م . ومما تقدم يظهر جلياً تحامل رجال القضاء تحاملاً يتنافى مع سمو الاديان الالهية وروح الاسلام نفسه بل يتضح من ذلك بلا أدنى شك روح البغضاء المسيطرة على عقول رجال هذا العصر بدلاً من روح التسامح التى تبشر بها الشريعة السمحاء .

وفى أيامه تم هدم كنيسة الملكيين بقصر الشمع سنة ١٤٤٧ م بأمر السلطان حسداً وطمعاً وأمر ببيع أنقاضها وأن يعمر من ثمنها المسجد المجاور القديم الذى كان بجانبها الغربى المعروف بمسجد الطليحى .

وهكذا كانت الاحكام التى تصدر بأسم العدالة هى بعيدة كل البعد عن روح الاسلام وأحكامه بل مبنية على حكم الاستبداد والتعصب الغادر

ويقول السخاوى فى كتابه أن السيد شهاب أبو العباس القسطنطينى الاصل والمصرى المولد القاضى الشفاعى الشهير بالنعمانى كان نقمه على أهل الذمة فيما يبنونه فى كنائسهم وكان هو المهتم بهدم كنيسة الملكيين بقصر الشمع وأنه نكل بالنصارى حتى أسلم على يديه ثمانون وفى أيامه لا توجد كنيسة إلا وقد نالها من السيد شهاب الدين إما الهدم أو بعض هدم وإما إزالة منبر أو إزالة حجاب وقد أصابه الله بأمراض البواسير والفتق وغيرهما ونال من الله القصاص العادل على تعصبه الاعمى وتعديه على بيعة الله ظلماً وغدراً ومات فى ٢٨ يناير سنة ١٤٤٨ م .

معاصروه: عاصر البابا يؤانس سلطنه الملك الأشرف برسباى من دولة المماليك وخلافه المعتضد الثالث داود إبى الفتح إبن المتوكل العباسى والملك العزيز (جمال الدين يوسف بن الأشرف سنة ١٤٣٨ م) وفى نفس السنة عزل الملك

العزيز وبويع أتابك جيشه سيف الدين جقمق ولُقّبَ بالملك الظاهر وبعد وفاة المعتز بويع أخيه ولُقّبَ بالخليفة المستكفى بالله الثالث العباسى (١٤٤٢ م) وفى سنة ١٤٠٥م توفى الخليفه المستكفى وبويع أخوه ولُقّبَ الخليفة القائم بأمر الله العباسى .

نياحته وبعد جهاد متواصل أكمل سعيه الحسن وأراد الله الذى لاينس تعب المحبه ان يريحه من أتعاب هذا العالم فنقله إليه فى ٤ مايو سنة ١٤٥٢ م فى سلطنة فخر الدولة عثمان بن القائم بأمر الله المُلقب بالمنصور .

البابا يؤانس الثالث عشر البطريرك (الـ ٩٤) (١٤٨٤ م - ١٥٢٤ م)

كان يدعى الراهب يوحنا بن المصرى وقد سيم بطريركا فى ١٥ أمشير سنة ١٢٠٠ ش (١٠ فبراير سنة ١٤٨٤ م) بإسم البابا يؤانس الثالث عشر فى أيام الملك قايتباى أبو النصر الأشرف .

وقد كان هذا البابا رجلاً فاضلاً وعالماً كبيراً وكان محسناً باراً وله مؤلفات كبيرة فى الدين وفى أيامه رسم بابا روميه طبيباً فى الجيش البرتغالى مطرانا على الحبش وسماه بطريرك الاسكندرية وقد قام البابا يؤانس بإحضار جسد القديس مرقوريوس أبى سيفين إلى البيعة المكرسة بإسمه **فى مصر** القديمة بدرب البحر فى سنة ١٤٨٨ م كما قام بإهداء كتاب الطب **الروحانى** إلى الانبا إبرآم أسقف جزيرة قبرص التى كانت أسقفية قبطية منذ القدم **وفى أيامه** حضرت إلى مصر بعثه حبشية لزيارة بيت المقدس سنة ١٥١٥ م .

أبروشيات الخمس مدن الغربية :

كانت الخمس مدن الغربية من أهم المراكز المسيحية التابعة للكرسى الإسكندرى وكانت أبروشياتها عامرة تشغلها الاساقفة حتى قبيل الفتح العثمانى للديار المصرية وآخر أسقف سيم لهذه البلاد هو الانبا قرياقص الذى هجر كرسيه فى بداية الفتح العثمانى وإعتزل بجبل شيهات ودعى اسمه ساويرس وله مؤلفات بدير السريان .

معاصروه : عاصر كل من السلطان قايتباى أبو النصر الاشرف والسلطان قنصوة الغورى والسلطان طومان باى والسلطان سليم الاول أول سلاطين الدولة العثمانية سنة ١٥١٧ م .

نياحته : تنيح فى ٥ فبراير سنة ١٥٢٤ م ودفن فى كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله .

١ - حالة اقباط مصر فى عصر الأتراك (العثمانيين) : -

كون أقباط الشرق (مصر) جزراً صغيرة وسط محيط إسلامى ويخضعون لبطريركية خاصة هى بطريركية الاسكندرية التى كانت محرومه من الثقافة الدينية ومحرومة من الموارد الخارجية التى يمكن أن تستمد منها ثقافة إخرى ولذا لم يجد اقباط مصر من يعتنى بهم بشكل جدى ولم يتمتعوا بالحرية التى يتمتع بها مسيحيوا العالم أجمع حتى الذين كانوا يعيشون داخل مصر .

٢ - بعض الاحكام العرفية التى طبقت فى دولة الاتراك (العثمانيين)

لقد كان حكم الأتراك على الكنيسة القبطية غاية فى القسوة نتيجة للاحكام التعسفية الظالمة التى صدرت ولزم تنفيذها على الاقباط نذكر منها : -

١ - حرمان المسيحين من الوقوف على قدم المساواة مع المسلمين .
٢ - الزام المسيحين بالمسير على يسار الطريق .
٣ - حرمان المسيحين من ركوب الخيل .
٤ - حرمان المسيحين ان يجاهروا بشهادتهم الدينية .
٥ - حرمان المسيحين من الافطار فى شهر رمضان .
٦ - حرمان المسيحين من إستخدام المسلمين .

٣) بعض الاعمال التى كان يقوم بها الاقباط فى عهد الاتراك (العثمانيين)

١ - لم تمتنع الحكومة عن تعيين الاقباط فى الوظائف العامة على نطاق واسع لانهم كانوا ذو خبرة ومهارة فنية ولما إشتهروا به من الأمانة فى العمل وحسن الإدارة .

٢ - نظراً لأن أغلب المصريين (أقباط ومسلمون) كانوا محرومين من ملكية الارض الزراعية فلم يكن امام أقباط مصر سوى الإشتغال بالزراعة فى الريف لذلك كانت سكنى الأقباط فى المدينة ضئيلة جداً .

٣ - نظراً لسكنى الفلاحين المزارعين بالريف أصبح سكنى المدن قاصراً على الصناع بحكم نظمها السائدة وكادت تكون وقفاً على المسلمين إذ كانت كل صناعة خاضعة لشيخ فمثلاً كانوا يقولون شيخ الحدادين وشيخ الخيمة وشيخ السروجية وهكذا ، ومازالت بعض هذه الألقاب حتى الأن .

قديسوا ومشاهير الكنيسة القبطية فى عصر الدولة العثمانية ١٥١٧م - ١٧٩٨ م

أولا : الآباء البطاركة :-

عاصر حكم الدولة العثمانية الذى أستمر ما يقرب من ثلاثة قرون (٢٨٦ عاماً) ثلاثة عشر من الآباء البطاركة إبتداءا من البابا غبريال السابع (الـ ٩٥) إلى البابا يؤانس الثامن عشر البطريرك (الـ ١٠٧) وسوف نتكلم قليلا عن أشهر هؤلاء البطاركة وعن الاحداث الجسام التى حدثت فى عهدهم والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى ومن عاصروهم من مشاهير وقديسوا الكنيسة وعلمائها وأساقفتها وأراخنتها فى هذه الفترة ، وتشمل هذه الفترة سيرة ١٤ بطريركاً .

البابا غبريال السابع البطريرك (الـ ٩٥) (١٥٢٥ م - ١٥٦٨ م)

كان يعرف بإبن مهنا ومن منشية أبو عايشه التى بجانب دير المحرق وترهب بدير السيدة العذراء (السريان) بإسم الراهب روفائيل(١)وقد أختير للبطريركية فى سنة١٥٢٥م بإسم البابا غبريال السابع وهو أول بطريرك أختير من دير السريان

أعماله مدة البطريركية : -

إهتم بتعمير الاديرة وخاصة دير الانبا أنطونيوس والانبا بولا ودير الميمون ودير المحرق وقد سجل الاباء الرهبان بدير الانبا أنطونيوس فى ذكراه إعترافاً بفضله فكتبوا على حائط الكنيسة الاثرية تحت أيقونة الانبا أنطونيوس والانبا بولا بالخورس الاوسط ما يؤيد ذلك ، وفى أيامه عاد دير الانبا بولا إلى خرابة إذ سطى عليه عربان بنى عطية ونهبوه وشنقوا فيه أحد الرهبان وأخذوا أوانى البيعة وتركوا الدير خراباً خالياً من الرهبان فحزن جداً البابا غبريال وإهتم به ثانيا وعمره لانه كان شديد الغيرة على عمارة الاديرة وفى أيامه أيضا عادت أثيوبيا إلىأحضان الكنيسة القبطية المرقسية .

نياحتـــــه : -

وفى سنة ١٥٧٨ م فرض السلطان على جميع التجار الخوجات واليهود ومن جملتهم النصارى ألفين دينار بسبب سفر الجيش المتوجه به سنان باشا الوزير العثمانى فتوجه البابا حزيناً إلى دير القديس أنطونيوس بالميمون وعند وصوله إلى الميمون مات فيها ودفن فى مقبرة جديدة تحت جسد القديس مرقوريوس بمصر القديمة .

---

(١) فوة ص ١٨٤

البابا يؤانس الرابع عشر البطريرك (الـ ٩٦) : -

الشهير بالمنفلوطى (١٥٧١ م - ١٥٨٦ م) من بلدة منفلوط وترهب بدير السيدة العذراء البراموس ببرية شيهيت وأختير بطريركاً فى سنة ١٥٧١ م بإسم البابا يؤانس وفى أيامه أصدرت الدولة مرسوماً بتغيير لون عمائم النصارى وجعلها سوداء اللون كما ألزمت اليهود بلبس الطراطير (١) .
وفى أيامه أستشهد القديس يوحنا القليوبى الذى سوف نذكر قصته فيما بعد .

نياحته : -

تنيح البابا فى سنة ١٥٨٦ م ودفن فى برما ثم نقل جسده إلى دير السريان وكان ذلك فى أيام السلطان مراد الثالث .

البابا غبريال الثامن البطريرك (الـ ٩٧) (١٥٨٧ م - ١٦٠٣ م) : -

كان راهبا فى دير الانبا بيشوى بإسم الراهب شنوده وسيم بطريركا بإسم البابا غبريال الثامن فى سنة ١٥٨٧ م وكان ذلك أيام السلطان العثمانى مراد الثالث .

الحوادث السياسية فى عهده : -

حدث فى عهد هذا البابا إضطرابات عديدة بين العسكر والولاه بمصر وإنتشر بسببها طاعون عظيم وقحط ماحق وثورات عديدة ، وفى هذا العهد تسربت عادة التدخين إلى مصر وهو لم تكن معروفة فى البلاد المصرية من قبل ، وفى أيامه سعى بابا روميه مرة ثانية لضم الكنيسة القبطية كما قام بمعاكسة الكنيسة القبطية فى الحبشة (أثيوبيا) وقد قام الوالى بعزل البابا مدة من الزمن ثم أعيد إلى كرسيه كما حدث فى أيامه زلزال عنيف أسقط عدداً من المنازل والمنارات بل وتفلق من شدته جبل المقطم إلى ثلاث فلق قرب اطفيح وتفجر الماء من هذا الفلق (٢) .

تعديل الاصوام فى سنة ١٦٠٢ م : -

أصدر البابا غبريال بتعديل الاصوام فى الكنيسة القبطية كما يأتى : -
١) أن يكون صوم الرسل من يوم عيد العذراء ٢١ بؤونه وفطره فى ٥ أبيب .
٢) أن يكون صوم السيدة العذراء الذى يحل فى شهر مسرى إختيارياً فمن صامه وفاء لندر ، قطعه على نفسه فله ثوابه ومن لم يصمه فلا جناح عليه .

---

(١) بن تراهب ص ٢٤٤

(٢) تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر (عمر الاسكندرانى - سليم حسين)

٣) أن يبتدأ صوم الميلاد من أول شهر كيهك ويكون فصحه عيد الميلاد .
٤) أن لا تصام ثلاثة أيام نينوى .
وقد وافقت عليه الامة القبطية وقتئذ .

نياحتـــــه : -

تنيح فى سنة ١٦٠٣ م ودفن بمقبرة دير السريان وذلك فى أيام السلطان العثمانى أحمد الثانى .

البابا مرقس الخامس البطريرك (الـ ٩٨) (١٦٠٣ م - ١٦١٦ م) : -

كان من أهالى البياضية وترهب بدير أبو مقار بإسم الراهب مرقس المقارى سنة ١٦٠٣ م . أختير بطريركياً بإسم البابا مرقس الخامس فى أيام السلطان محمد الثالث وولاية الوزير على باشا السلحدار .

ومن أعماله : -

- قام بزيارة القدس الشريف وإعتنى بأملاك الاقباط هناك . وقد نال هذا البابا إضطهادا شديداً من أقباط الوجه البحرى بسبب الاصوام والزيجة (طالبوا بتعدد الزوجات) وكان نتيجتها حبسه فى برج بالاسكندرية مدة طويلة وقاموا بسيامة بطريركاً خلافه وبعد مدة توجه نصارى القاهرة وتدخلوا للافراج عن البابا مرقس وطرد البابا الدخيل وكان الذين تسببوا فى حبس البابا مرقس قد أبادهم الله سريعا وقطع ذريتهم وهدم منازلهم وصارت خراباً .

نياحته : -

فى أيام السلطان عثمان وولاية مصطفى باشا على مصر تنيح فى سنة ١٦١٩ م ودفن فى مقبرة البطاركة بدير أبو مقار ببرية شيهيت .

البابا يؤانس الخامس عشر البطريرك (الـ ٩٩) (١٦١٩ م - ١٦٢٩ م)

كان من أهل ملوى وترهب بدير القديس أنطونيوس بالبحر الاحمر بإسم الراهب يوحنا الملوانى . وفى سنة ١٦١٩ م سيم بطريركاً بإسم البابا يؤانس الخامس عشر فى أيام السلطان عثمان وولاية مصطفى باشا والى مصر .

حدوث الوباء فى عهده : -

فى أيامه حدث وباء أطلق عليه الموت الاسود سنة ١٦٢٢ م كما حدث وباء آخر سنة ١٦٢٥ م وخلال هذه الاوبئة والمجاعات والاضطرابات ذاق الاقباط ظلماً مضاعفاً فكثيراً ما كانوا يلزمونهم بالسير على الشمال ليتركوا اليمين لغيرهم وكثيراً ما كانوا يمنعونهم من ركوب الخيل وما هو أمر من هذا كله كثيراً ما كانوا يمنعونهم من إقامة شعائرهم الدينية والتضييق بكل أنواعه .
ومن أشهر الذين عاصروه القس يوسف البرماوى .

نياحتـــــه : -

تنيح فى سنة ١٦٢٩ م ودفن فى دير القديس الانبا بيشوى فى أيام السلطان مراد الرابع .

البابا متاؤس الثالث البطريرك (الـ ١٠٠) (١٦٣١ م - ١٦٤٦ م) : -

كان يدعى تادرس من طوخ النصارى (بمديرية المنوفية) . وترهب بدير القديس أبو مقار بإسم الراهب تادرس المقارى وفى سنة ١٦٣١ م سيم بطريركاً بإسم متاؤس وذلك فى أيام الامير حسن قائمقام الوالى موسى باشا المخلوع . وفى أيامه حدث إضطهاد للبابا بسبب رسوم الولاية كما حدث فى أيامه أيضاً غلاء عظيم فى البلاد وهبط مستوى النيل هبوطاً كبيراً .

نياحتـــــه : -

تنيح فى سنة ١٦٤٦ م ودفن فى كنيسة مارجرجس بطوخ دلكة (طوخ النصارى) وكان ذلك فى أيام السلطان إبراهيم الاول وكان والى مصر وقت وفاته محمد باشا بن حيدر باشا .

البابا مرقس السادس البطريرك (الـ ١٠١) (١٦٤٦ م - ١٦٥٦ م) : -

نشأته ورهبنتـه : -

نشأ فى ناحية بهجورة بالوجه القبلى ، وترهب بدير القديس الانبا أنطونيوس بإسم الراهب مرقس الانطونى .. وقد سيم بطريركاً فى سنة ١٦٤٦ م بإسم البابا مرقس السادس وكان ذلك فى أيام السلطان إبراهيم الاول وكان محمد باشا بن حيدر باشا والياً على مصر .

وقد حدث فى أيامه أن ثار الرهبان عليه وتسببوا فى سجنه ثم أفرج عليه بعد مدة من الزمن وفى سنة ١٤٤٩ نودى بالبلاد أن لا يركب النصارى خيولاً ولا يلبسون السدود (احزمة) ولا طواقى جوخ حمراء ولا مراكيب وإنما يلبسون شدودا زرقاء طول الواحدة ٢٠ زراعا وإلى جانب هذا الضنك أمعن الوالى فى التنقيل على القبط بإبطال حقوق انوراثة وإقامة نفسه وريثاً لمن يموت فيستولى على أموال اليتامى الارامل والثكالى ولكى يتسنى له أن يستولى على أكبر مقدار من الارث كان يقتل رجلاً أو أثنين يومياً حتى قيل أن عدد ضحاياه بلغ ألفاً ومائتى رجل .

ومن أشهر الرجال فى عصره أبو دقن المنوفى .

نياحتـــه : -

تنيح فى سنة ١٦٥٦ ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة مرقوريوس بمصر القديمة

البابا متاؤس الرابع البطريرك (الـ ١٠٢) (١٦٦٠ م - ١٦٧٥ م) : -

" الشهير بالميرى "

كان يدعى بإسم الراهب القمص جرجس الميرى " كان رئيساً لدير البراموس " سيم بطريركاً سنة ١٦٦٠ م فى أيام السلطان محمد الرابع وقد حدث حريق كبير فى أيامه جهة حارة زويلة مات فيها خلق كثير وتخربت فيه عمائر كثيرة وذلك سنة ١٦٦٩ م . وفى أيامه وخاصة سنة ١٦٧٠ م إنتشر موت عظيم بمصر وضواحيها بسبب وباء عظيم دعى وباء الحريق وفنى كثير من الخلق بسببه . وكان البابا متاؤس الرابع هو آخر من سكن من البطاركة فى حارة زويلة وأول من نقل الكرسى البطريركى من حارة زويلة إلى حارة الروم سنة ١٦٦٠ م .

حوادث مؤلمة : -

ذكر الاب فانسليب عن البابا قائلاً : " أن البابا شكى له من معاملة الاتراك إذ يسمحون لكل بطاركة الطوائف الاخرى بالخروج وحرية التنقل فى المدينة فلا يتعرض لهم أحد وكان لهم الحرية فى عمل ما يشاؤون أما هو فكان الوحيد الموضوع تحت مراقبة الاتراك فكان ممنوعاً من الخروج كما كان محرماً عليه الاتصال بالجاليات الاجنبية وغير مسموح له بالسفر إلى أية جهة وكانت حياته مهددة فى كل لحظة .

إضطهاد الاتراك للقبط فى عهده : -

هنا ويجب القول بكل صراحة أنه ما من طائفة فى مصر من الطوائف غير الاسلامية كانت تعامل بإضطهاد شديد غير أقباط مصر أصحاب البلاد الاصليين الذين كانوا يعتبرون عكارة العالم بالنسبة للمسلمين حتى وصلت معاملتهم للقبط أقل قيمة من معاملتهم ليهود مصر فكانوا يسيئون إليهم ويعاملونهم حسب أهوائهم وكانوا يغلقون لهم الكنائس ويقفلون عليهم أبواب بيوتهم لاتفه الاسباب ويظلمونهم ظلماً فاضحاً حتى يغرموهم بدفع غرامات مالية باهظة وفى سنة ١٦٧٢ م قاس القبط إضطهاداً فظيعاً لان بعض الجند الاتراك قاموا بذبح إمرأة خليعة وألقوا بجثتها قريباً من بركة الازبكية وقام العساكر ظلماً وعدواناً بغلق بيوت النصارى المتاخمة لهذه المنطقة وأجبروهم على دفع غرامة قدرها ألف دينار دية لهذا الدم المهدور إذا أرادوا أن يفتحوا بيوتهم ويسعوا على معائشهم . وفى أيامه زادت فريضة الضرائب على المسيحيين كما ذكرنا فى حالة الاقباط فى العصر العثمانى . كما حدثت فى أيامه معجزات خاصة بأيقونة رئيس الملائكة ميخائيل ، وهى موجودة بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ، ومن رسم القديس لوقا . وفى أيامه كان لايزال موجوداً بوادى النطرون سبعة أديرة (١) أبو مقار (٢) يؤانس القصير (٣) الانبا بيشوى (٤) مكسيموس ودوماديوس (٥) أنبا موسى الاسود (٦) أنبا يحنس كاما (٧) السريانى .

فشل المؤامرات الشيطانية أمام وداعة وتقوى البابا متاؤس : -

ذات مرة أراد بعض الغوغاء أن يهدموا كنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمة ولكى يصبغوا على عملهم صبغة قانونية طلبوا من الوالى أن يعين لهما أغا وتوجهوا الى الديوان وعينوا من قبل الدولة أغا للقيام بتنفيذ هذه المهمة فلما بلغ الخبر البابا الانبا متاؤس إغتم غماً شديداً وأقام ليلة ساهراً متشفعاً وطالباً مساعدة القديس مرقوريوس . فما كاد الجند يقترب حتى وقع عليهم حائط بجوارهم فماتوا جميعاً وشاع الخبر فى المدينة كلها فإضطربوا وعدلوا عن مشورتهم الرديئة وقدم البابا الشكر لله .

نياحته : -

تنيح فى سنة ١٦٧٥ م ودفن فى مقابر البطاركة بكنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمة .

البابا يؤانس السادس عشر البطريرك (الـ ١٠٣) (١٦٧٦ م - ١٧١٨ م):-

" الشهير بالطوخى " كان من ناحية طوخ النصارى بالمنوفية . وكان أسمه إبراهيم وترهب بدير الانبا انطونيوس بإسم الراهب إبراهيم الانطونى وسيم بطريكاً بإسم البابا يؤانس سنة ١٦٧٦ م . وحدث فى أيامه إشتد الغلاء فى البلاد وكان ذلك فى سنة ١٦٧٨ م

إضطهاد النصارى واليهود بشتى الوسائل سنة ١٦٧٨ م : -

وفضلاً عما أصاب البلاد من الغلاء نودى فى نفس السنة أن يعلق النصارى فى رقبتهم جلجلان وفى رقبة اليهودى جلجال واحد وأن يضع كل من اليهود والنصارى عماءمهم وألا يلبسوا أثواب من الجوخ أو الصدف كما أنه نودى أن لا تأتزر نساء النصارى بمآزر بيضاء وتكون ملابس النصارى عموماً سوداء . وفى أيامه أقام نظار لكل كنائس القاهرة وقام بتعمير القلاية البطريكية بحارة الروم وتعمير كنائس وأديرة ومحلات القدس الشريف . وقد حدث فى أيامه غلاء كثير وفناء للبشر بسبب شراقى النيل (عدم وفاء النيل) وما نتج عنه من وباء وغلاء وذلك فى سنة ١٦٩٥ م .

وقوع إضطهاد على الاقباط وتنظيم بعض الأوقاف والطقوس :-

فى زمن ولاية أحمد قره محمد باشا الذى سعى إليه أحد الحاسدين مدعياً أن طائفة النصارى أحدثت بنياناً جديداً فى كنائسهم ، فقام الوالى ببحث الامر وأمر بإغلاق الكنائس وهدم ما تم تجديده ولم يشفع فى ذلك وبلغى الاوامر سوى إعطائه مبلغا خاصا له وهو " صره من الدراهم " . وصنع فى أيامه الميرون المقدس وذلك سنة ١٧٠٣ م ، كما زار فى أيامه دير الانبا أنطونيوس ثلاثة مرات كما قام بتعمير دير الانبا بولا أول السواح . وفى أيامه أيضاً تم فصل وقف دير الانبا أنطونيوس عن أوقاف دير الانبا بولا . وفى أيامه حدث عدم وفاء النيل وأعجوبة فيضانه على يديه كما قام البابا يؤانس بزيارة القدس الشريف . وفى سنة ١٧١١ م حدثت زلزلة عظيمة وحل الجراد بالبلاد وكان ذلك فى عيد القيامة المجيد فرحم الله العباد بنزول أمطار وإطلاق الرعود فمات الجراد ونجت البلاد من مصائبهم . كما حدث فى أيامه ترتيب طقس " حق الذخيرة المقدسة "وحملها للمرضى والمقعدين والمطروحين فى منازلهم وصار العمل بذلك الترتيب إلى يومنا هذا .

نياحتـــه : -

لقد حدث سنة ١٧١٨ م وباء شديد آخر ، مات من جرائه خلق عظيم وتنيح بسببه البابا ودفن فى مدفن البطاركة بكنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمة وذلك فى مدة حكم السلطان العثمانى أحمد الثالث .

البابا بطرس السادس البطريرك (الـ ١٠٤) (١٧١٨ م - ١٧٢٦ م) : -

الملقب بطرس الاسيوطى . ولد بأسيوط وسمى باسم مرجان وترهب فى دير القديس الانبا أنطونيوس وسيم قساً ورئيساً لدير القديس الانبا بولا وسيم بطريركاً باسم البابا بطرس السادس فى سنة ١٧١٨ م فى أيام السلطان أحمد الثالث . وفى أيامه قتل المعلم لطف الله شاكر .

حوادث مؤسفـــة : -

حدث فى أيامة فرض غرامات على الاقباط بلغت مائة ألف ريال على أقباط الاسكندرية وهدموا الكنائس وإضطر غالبية الناس إلى الهروب من المدينة . ومن أشهر وأبرز المطارنة فى هذه الفترة الانبا ميخائيل أسقف البهنسا والأشمونين الملقب بالعلامة وهو من أشهر الذين خدموا الدولة والكنيسة فى القاهرة وكان ناظراً على كنيسة السيدة العذراء بالعدوية ويدعى مرقوريوس " ديك أبيض " وهناك رجل آخر يدعى المعلم جرجس أبو شحاته .

نياحتـــــه :

تنيح فى سنة ١٧٢٦ م ودفن فى مقبرة الاباء البطاركة بكنيسة الشهيد مرقوريوس بمصر القديمة وذلك فى أيام سلطنة أحمد الثالث العثمانى .

البابا يوأنس السابع عشر البطريرك (الـ ١٠٥) (١٧٢٧ م - ١٧٤٥ م):-

الشهير يوأنس الملوانى . كان يدعى باسم عبدالسيد من أهالى ملوى وترهب بدير الانبا أنطونيوس ولكنه سيم قساً بدير الانبا بولا باسم القس عبدالسيد وأختير بطريركاً سنة ١٧٢٧ م فى أيام السلطان أحمد الثالث العثمانى ودعى باسم البابا يؤانس السابع عشر وفى أيامه أبطلت عادة إستلام الصليب والعكاز من مقبرة سلفائهم البطاركة وإستمرت هكذا إلى يومنا هذا .

رسامة أساقفة للحبشة : -

فى أيامه رسم ثلاثة أساقفة للحبشة أحدهما قبطى والآخران حبشيان فقبض عليهم حاكم ميناء مصوع الاسلامى وأكره أحد الحبشيين على إعتناقه الإسلام ، وأما الثانى فتمكن عن طريق الرشوة الهرب والوصول إلى القاهرة ، وأما القبطى

فإختفى . وعندما قام البابا برسامة مطران قبطى جديد تكررت المأساة ولكن الاسقف الحبشى تمكن من تسهيل سبل الفرار للمطران القبطى أما هو فقد دفع فدية وأطلق صراحه

وفى أيامه إهتم بتعمير دير القديس الانبا أنطونيوس ودير الانبا بولا . كما تم فى أيامه زيادة الضرائب على النصارى واليهود ثلاثة أضعاف .

وفى سنة ١٧٤٠ م حدث غلاء عظيم وزلزلة عظيمة زعزعة أساسات الارض .

نياحتـــة :-

وفى سنة ١٧٤٥ م تنيح البابا ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة الشهيد مرقوريوس بمصر القديمة فى عهد السلطان محمد الأول .

البابا مرقس السابع البطريرك (الـ ١٠٦) (١٧٤٥ م - ١٧٦٩ م) : -

كان من أهالى قلوصنا وإسمه سمعان وترهب بدير الانبا بولا ودعى بإسم الراهب سمعان واختير للبطريركية بإسم البابا مرقس السابع فى سنة ١٧٤٥ م فى أيام السلطان العثمانى محمد الاول . وفى أيامه منع الاقباط من زيارة بيت المقدس وحدثت حادثة نهب وسطو وضرب حجاج بيت المقدس بقيادة المعلم نيروز كاتب رضوان كتخدا التى ذكرناها سابقاً . ومن أشهر الاساقفة فى أيامه الانبا بطرس كبيرمطارنة الصعيد .

نياحتـــه : -

تنيح فى سنة ١٧٦٩ م ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة الشهيد مرقوريوس بمصر القديمة فى أيام السلطان مصطفى الثالث .

البابا يوأنس الثامن عشر البطريرك (الـ ١٠٧) (١٧٦٩ م - ١٧٩٦ م):-

من أهالى الفيوم وكان يدعى يوسف وترهب بدير الانبا أنطونيوس بإسم الراهب يوسف الانطونى وسيم بطريركاً بإسم البابا يوأنس الثامن عشر سنة ١٧٦٩ م فى عهد السلطان مصطفى الثالث العثمانى . وفى أيامه أستولى حسن باشا التركى على خزانة وأموال البطريركية .

مشاهير الأقباط فى عهده : -

١ - المعلمان رزق وإبراهيم الجوهرى . ٢ - المعلم واصف

ومن أشهر الاساقفة فى عصره الانبا يوساب الابح الرجل اللاهوتى الذى ذكرت علاقته بالبابا يوأنس بالتفصيل فى كتاب الاساقفة المشهورين بدير الانبا أنطونيوس .

كما حدث فى عهده معظم حوادث التحقير الأدبى التى ذكرناها سابقاً فى الكنيسة القبطية فى عصر الدولة العثمانية كذلك إمتد التعسف إلى جعل ركوب الخيل قاصرا على المسلمين أما القبط وبقية غير المسلمين فكانوا لا يركبون غير الحمير فإذا مر عليهم أصغر مملوك كان عليهم الترجل وتقديم اليمنه الواجبة وكان يجرى أمام المملوك سايس ليمهد الطريق لسيده ومن لم يسرع فى التنفيذ كان نصيبه الضرب بالعصا (١). وفى سنة ١٧٩١ م حدث وباء شديد مات بسببه الالوف المؤلفة وذلك حين تضافرت الطبيعة مع طغيان إبراهيم بك ومراد بك إذ هطلت الأمطار مرارا بطريقة غير معهودة فى مصر حتى تسببت فى إنحدار سيل المياه من الجبال وملئت الشوارع والبيوت والمحلات إلى حد أن عدداً من البيوت فى حى الحسينية سقط وقد صحب هذه السيول رعد قاصف وبروق تخطف الابصار فأمتلأت القلوب فزعا ثم تفشى الوباء فى أعقاب هذه السيول تفشياً مزعجاً حتى لقد كان الناس يرددون فى ذهابهم وإيابهم كلمة " يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف " . وقد قام بعمل الميرون المقدس سنة ١٧٨٦ م .

نياحته : -

تنيح سنة ١٧٩٦ م ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة الشهيد مرقوريوس بمصر القديمة وذلك أيام إمارة البكوين إبراهيم بك ومراد بك .

---

(١) تتربدج من ص ١٤٦

المعلم ابراهيم الجوهرى " سلطان القبط"

نبغ المعلم ابراهيم الجوهرى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر فى مصر هو والمعلم رزق ، وذلك فى العصر الذى ظهر فيه رجل بمصر من كبار المماليك يسمى على بك الكبير ويقول الجبرتى أنه فى هذا العصر إرتفع شأن النصارى بهذين الرجلين " ابراهيم ورزق "

وقد إشتهر منذ حداثته بنسخ الكتب الدينية وتقديمها الى الكنائس على نفقته الخاصة كما كان على صلة وثيقة بالبابا يوأنس الثامن عشر .

+ كان يعمل كاتباً عند أحد أمراء المماليك ثم عمل كاتباً لدى المعلم رزق رئيس الكتّاب وقتئذ .

+ كان معاصراً على بك الكبير وعلى بك أبو الذهب وإبراهيم بك ومراد بك حكام مصر .

+ فى أيام ابراهيم بك تقلد المعلم ابراهيم الجوهرى رئاسة كتّاب القطر المصرى وهى أسمى الوظائف الحكومية فى ذلك العصر وكان بمثابة رئيساً للوزراء " فى عصرنا الحالى .



+ كان له ولد يدعى يوسف تتيح فى سن الشباب ورزق ببنت تدعى دميانه عاشت عذراء .

من جهة أعماله لا نستطيع أن نحصر أعمال هذا الرجل العظيم فكم من الكنائس ساهم فى بنائها وساعد فى ترميمها وكم من أديرة قام بتشييد أسوار وكنائس وقصور بها وكم من بيوت فتحها ، وفى الحقيقة انه كان يعتبر ماله ليس ملكا له بل كان يصرفه فى كل عمل خيرى ، وإلى الان نجد وقفيات على كنائس وأديرة باسم المعلم إبراهيم الجوهرى (١) .

وعندما أنهى المعلم ابراهيم الجوهرى جهاده على الارض وانتقل الى الفردوس سنة ١٧٩٦ م قال عنه الانبا يوساب الشهير بابن الابح أسقف جرجا وأخميم فى تأبينه ما مؤداه " أنه كان أكبر أهل زمانه وكان محباً لله يوزع كل ما يقتنيه على الفقراء المساكين . فكان عيناً للاعمى ورجلاً للاعرج ومعيناً للارملة وأباً لليتيم ، ورئيساً مهتماً بكافة الاديرة ومدبراً لكل الكنائس وكان محباً لكافة الطوائف يساهم الكل ويحب الجميع ويقضى حوائج الكافة ولا يميز واحدا عن الاخر فى قضاء الحق ، وهكذا يمكننا أن نقول مع الكتاب المقدس أن " ذكرى الصديق للبركه " (أم ١٠ : ٧) " والصديق يكون لذكرى أبدى " (مز ١١٢ : ٦)

وللمعلم إبراهيم الجوهرى حوادث كثيرة ومواقف عجيبه وقصص مثيرة تدل جميعها على تواضع هذا الرجل العظيم وكرمه ومحبته للجميع دون تمييز أو محاباة ويعوزنا من الوقت الكثير لكى نذكر القليل عن عظمة هذا الرجل ولكننا نكتفى ببعض الامثلة .

١ - عندما تمرد وحضر إلى مصر حسن باشا قبطان موفداً من قبل الدولة العثمانية وتقاتل مع إبراهيم بك ومراد بك وإضطرهما إلى الهروب إلى أعالى الصعيد وهرب معهما المعلم ابراهيم الجوهرى وبعض الامراء ...

أرسل حسن باشا إلى قاضى القضاه طالباً أحصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهرى على الكنائس والديارات من أطيان وأملاك وغير ذلك . ثم أرسل وإستدعى زوجة المعلم ابراهيم ، التى كانت قد إختفت فى بيت حسن أغا ، وأجبرها على الاعتراف باماكن حاجاتهم ومتعلقاتهم فاستولوا على أمتعة وأوانى ذهب وفضة وسروج وغيرها ، بيعت بأثمان غالية كما قاموا بنهب بيت المرحوم يوسف بن المعلم إبراهيم وأخرجوا كل مافيه من فرش وأمتعة وأوانى ذهب

---

(١) يوجد بمحفظات البطريركية عقود الوقف الذى بلغت ٢٣٨ عقدا وبلغت أثمان العقارات الموهوبه الى الفقراء ١٥ ألف ريال بعملة تلك الايام .

وفضة وصينى وأتوا بها إلى حسن باشا فباعها بين يديه بالمزاد وكانت بكثرة زائدة حتى أستغرق بيعها عدة أيام .

ثم عاد المعلم ابراهيم الجوهرى سنة ١٧٩١ م مع ابراهيم بك ومراد بك وعادت إليه سطوته وذلك بعد سفر حسن باشا إلى الاستانة ولكن لم يستمر ذلك أكثر من أربع سنوات إذ تتيح فى أوائل سنة ١٧٩٦ م

٢ - ذكر أن أخيه ، المعلم جرجس الجوهرى ، كان ممتطياً جواداً ومارا فى احدى الطرق فأهانه أحد المشايخ ويبدو أن هذه الاهانة تكررت مراراً فتألم المعلم جرجس من هذه الاهانات وأخبر أخيه المعلم ابراهيم بها فأجابه قائلاً " غدا أقطع لسانه " وفي اليوم التالى أستدل المعلم ابراهيم على منزل الشيخ وأرسل له هدايا سمناً وجبناً إلى غير ذلك بدون علم أخيه فلما إلتقى المعلم جرجس مرة أخرى مع الشيخ رحب به ترحيباً شديداً داعياً له ، الامر الذى جعله فى حيرة وإندهاش ولما عاد علم بما فعله شقيقه وأدرك حقيقة قوله " سأقطع لك لسانه " إذ حوله من البغضه الى المحبة والاكرام وبذلك تمم قول الرسول " إن جاع عدوك فإطعمه وإن عطش فإسقه فإنك بذلك تضع جمر نار على رأسه " (رو ١٢ : ٢٠).

٣ - المعلم ابراهيم الجوهرى هو صاحب المسعى فى سبيل الحصول على ترخيص بناء كنيسة المرقسية الكبرى بالدرب الواسع بالازبكية وتفصيل ذلك إن إحدى اميرات البيت السلطانى فى الاستانه قدمت إلى مصر فى طريقها الى الحجاز لقضاء مناسك الحج ، فقام المعلم ابراهيم الجوهرى على خدمة الاميرة السلطانة بنفسه وقدم لها وقت سفرها هدايا نفيسة فأرادت ان تكافئه على صنيعه مكافأة ترفع من شأنه فى السلطنة ولكنه إلتمس منها فقط إستصدار فرمان سلطانى بتشييد كنيسة فى الازبكية بالقرب من سكنه ، فلم تستقر قدماها فى الاستانه حتى أصدرت له الفرمان وأرسلته إليه ، ولكن لم تمهله المنية قبل أن يشرع فى بناء الكنيسة ، فلما تولى منصبه أخوه جرجس إتحد مع البابا مرقس وأعيان الامة وشرعوا فى العمل وقد تم بناء الكنيسة فى ملك الامير يعقوب والمعلم ملطى .

٤ - قيل أيضا بعد نياحة المعلم ابراهيم الجوهرى أن وشى بعض الاشرار إلى الوالى فى إبنة المعلم ابراهيم ، المدعوة دميانه ، مدعين أنها تحفظ أموال ابيها التى أخذها من الحكومة فلما سألت عن ذلك أستمهلته حتى تحضر له ما طلبه ثم طافت القاهرة تجمع الفقراء والمعوزين والارامل وأحضرتهم إليه وقالت له إن أموال ومخازن أبى هى موضوعه فى بطون هؤلاء فلما عرف الوالى الحقيقة صرفها وذكر والدها بالخير .

- **المعلم جرجس الجوهرى :**

ليست شيرة المعلم جرجس الجوهرى فقط فى علو المنصب وعظم المكانة بل لما إمتاز به من العقل وكرم الاخلاق وعمل المعروف للجميع بدون تمييز بين مسلم ونصرانى ، وعدم التدخل فى مالا يعنيه ، وعظم النفس والصدق ، حتى نال ثقة جميع مرؤوسيه على إختلاف أجناسهم .

ولقد كانت ظروف المعلم جرجس غير ظروف أخيه ، لان المعلم إبراهيم باشر أعماله مدة حياته مع الامراء المماليك ولكن المعلم جرجس باشر أمور الحكومة فى اربعة عهود مختلفة وإحتك بكثير من حكام متباينين فى العادات والاخلاق والدين

اولا : مدة حكم المماليك :

يذكر التاريخ انه لما مات أخوه المعلم ابراهيم الجوهرى قلده إبراهيم منصبه فاصبح كبير كتبة مصر .

ثانيا : فى مدة حكم الفرنسيين :

إعتبره الفرنسيون عميد الاقباط فأجلوه وإحترموه وإستصحبه نابليون بونابارت الى لويس فى إحدى المهام ، كما استصحبه الفرنسيون فى عبورهم للنيل عند بولاق عقب وصول الجيش العثمانى الي أبى قير بصحبة حلفائهم الانجليز ، وظل المعلم جرجس محافظاً على رئاسة الكتاب والمباشرة ، وحائزا على ثقة الفرنسيين ورضاء أعيان المصريين وكبار المشايخ والسادة ، حتى تم جلاء الفرنسيين عن مصر فى سنة ١٨٠١ م .

ثالثا : مدة حكم الاتراك :

حينما دخل الأتراك والمماليك القاهرة على أثر إنسحاب الفرنسيين ساد الاضطراب وهرب عدد كبير من الاقباط الى مصر القديمة والجيزة . وفى أول سنة ١٨٠٣ م ثارت العساكر التركية وزحفوا على حارة النصارى ونهبوا بيت المعلم جرجس الجوهرى وأخذوا منه أشياء نفيسة وفراوى ثمينة (١) .

رابعا : مدة حكم محمد على :

وبعد أن تولى محمد على الحكم نال لديه (المعلم جرجس) المقام الاول لما يسديه اليهم من الهدايا والرغائب ، حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى ، وكان عظيم النفس ويعطى العطايا ويوزع على جميع الاعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والكساوى والبن ، ويعطى ويهب غير أن الوالى سرعان ما انقلب عليه بعد ذلك مختلقاً ، سبباً ، وهو عدم مبادرته الى جباية كل ما كان يطلبه من الضرائب ، لعل ذلك كان شفقة من المعلم جرجس على الاهالى ، ولشدة حاجة محمد على للأموال ، قبض عليه ومن معه من الاقباط بحجة ان فى ذمته مبالغ متأخرة من حساب التزامه .

---

(١) الجبرتى جزء ٣ ص ٢٥٦ .

وأستدعى المعلم غالى كاتب الالفى واسند اليه الرياسة مكانه ، وبعد مراجعة المعلم غالى حساب الجوهرى أمر الوالى بالافراج عنه على شريطة دفع مبلغ طائل فرضه عليه ، فاضطر المعلم جرجس بسبب ذلك الى بيع كثير من أملاكه فى الازبكية وقنطرة الدكة ، ثم لجأ الى الصعيد ويقال أن محمد على قد نفاه هناك

وقبل رحيله الى الصعيد جمع كل حجج أملاكه وسلمها الى البطريركية كوقف لها لتتفق من ريعها ، فوضعت البطريركية اليد عليها وبقيت فى حوزتها للآن ، وقد صرح له بالعودة الى القاهرة بعد أربع سنوات فعاد سنة ١٨٠٩ م وقابل الباشا ، فاكرمه ثم نزل بيته الذى كان المعلم غالى قد أعده له ، وتقاطر وجوه المدينة من جميع الملل للترحيب به ، ولكن المنية عاجلته فتنيح فى سنة ١٨١٠ ودفن بدير مارجرجس بمصر القديمة بجوار أخيه المعلم ابراهيم الجوهرى ، وقد كتب المؤرخ الجبرتى عن المعلم جرجس الجوهرى قائلاً إنه نافذ الكلمة واسع الصدر عظيم النفس ، أما خدماته للأقباط فلا تقل عما فعله أخوه المعلم ابراهيم الجوهرى ، فكان شريكه فى تعمير الكنائس والاديرة ، ووقف العقارات عليها الى غير ذلك من وجوه البر والاحسان .



قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها وشهداءها فى أثناء الحملة الفرنسية بمصر وفى عهد أسرة محمد على (١٧٩٨ - ١٨٧٨)

ما أغلى الكنيسة القبطية بقديسيها وعلمائها فى كل الأجيال إنه من المستحيل أن يحصى الإنسان كل القديسين فى هذه الفترة (١٧٩٨ - ١٨٧٨) التى تمتد نحو ٨٠ عاما لكننا نقدم بعض النماذج : -

أولاً الآباء البطاركة فى أيام الحملة الفرنسية وأسرة محمد على (١٧٩٨ - ١٨٧٨) : -

عاصر هذه الفترة أربعة من الآباء البطاركة إبتداء من البابا مرقس الثامن البطريرك الـ (١٠٨) إلى البابا ديمتريوس الثانى الـ (١١٠) وسوف نتكلم قليلاً عن سيرة هؤلاء البطاركة ، وعن بعض الأحداث الجسام التى حدثت فى عهدهم ، والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى ، وما عاصروه من مشاهير وقديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها فى فترة كل بطريرك .

البابا مرقس الثامن البطريرك الـ (١٠٨) (١٧٩٦ - ١٨٠٩ م) : -

ولد فى بلدة طما ودعى باسم يوحنا وترهب بدير الأنبا أنطونيوس باسم الراهب يوحنا الأنطونى وسيم بطريركاً فى سنة ١٧٩٦ م باسم البابا مرقس الثامن وذلك فى عهد السلطان سليم الثالث العثمانى وشيخى البلد إبراهيم بك ومراد بك .

وفى أيامه جاءت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ م ثم رحلت عن البلاد بعد حوالى ثلاث سنوات ونصف وعادت مصر إلى الحكم العثمانى سنة ١٨٠١م وتوالت الفتن والمؤامرات حتى تمكن محمد على باشا الكبير من الوصول إلى الحكم (منصب الوالى) العثمانى سنة ١٨٠٥ م فدخلت مصر فى عصر الأسرة المحمدية العلوية .

وفى أيامه حدثت مواقف مؤسفة ومظالم للكنيسة وللأقباط ذكرناها فى أثناء الحديث عن الحملة الفرنسية وفى سرد شخصية الجنرال يعقوب ، ومن أمثلة هذه النكبات التى حاقت بهم حرق الكنيستين العليا والسفلى بحارة الروم .

وفى أيامه نقل المقر البطريركى من حارة الروم الى حارة الازبكية ، حيث نجح المعلم ابراهيم الجوهرى فى أخذ فرمان ببناء كنيسة بالضرب الواسع وبناء مقر بطريركى ، وقام أخوه المعلم جرجس بأتمام هذا المشروع وتم نقل مقر البابا إلى

---

(١) سلسلة تاريخ البابوات البطاركة الكرسى الاسكندرية الحلقة الخامسة (كامل صالح نخلة)

هذه الكنيسة التى أطلق عليها اسم كاتدرائية الكاروز مرقس ، فعرفت بإسمه الكنيسة المرقسية .

وكان البابا مرقس الثامن عالماً فكتب بعض القوانين الخاصة بالانظمة الواجب إتباعها بالكنيسة اثناء اقامة الصلوات .

مشاهير الرجال فى عهده : -

لقد إمتاز عهد البابا مرقس الثامن برجال عظام إشتهروا فى مجال الدين والسياسة إمتيازاً عظيماً مما يسجل لهم بالفخر والاكرام ونخص بالذكر منهم : -

١ - الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا وأخميم . ٢ - المعلم جرجس الجوهرى
٣ - المعلم ملطى . ٤ -الجنرال يعقوب

نياحته : -

تنيح البابا مرقس سنة ١٨٠٩ م ودفن فى مقبرة البطاركة بالازبكية وهو أول بطريرك دفن فيها .

البابا بطرس السابع البطريرك الـ (١٠٩) (١٨١٠ م - ١٨٥٢ م) : -

من قرية الجاولى بمركز منفلوط محافظة أسيوط .

ترهب بدير الأنبا أنطونيوس ثم عينه البابا مرقس مطراناً عاماً باسم الأنبا ثاوفيلوس وهو أول مطراناً عاما بالكنيسة القبطية منذ عدة قرون وبعد نياحة الأنبا مرقس اجمع الجميع على إختياره بطريركاً بأسم البابا بطرس السابع وكان ذلك فى أيام محمد على باشا .

والبابا هو أول بطريرك اتخذ الكنيسة المرقسية مقرا بابويا (بالازبكية) ووضعت عليه الايدى بها .

تجديد كرسى النوبة : -

وفى أيامه تم تجديد النوبة ، بعد أن اسقط العثمانيون سنة ١٥١٧ م الحكومة الوطنية واستبدلوها بولاة من جيش تركى ، الذين اخذوا يطاردون النصرانية ، ويتعقبون تابعيها ، حتى قضوا عليها تماماً فى أواخر القرن السابع عشر ، وظلت خالية من النصارى حتى فتحها المصريون فى عهد محمد على باشا سنة ١٨٢٣ م حيث هاجر اليها كثيرون من الأقباط الذين شرعوا فى بناء الكنائس ، وطلبوا من البابا بطرس يسألونه رسامة أسقفاً لهم فرسم لهم اسقفاً بأسم الأنبا دميانوس .

وهكذا بدأت الخدمة الكنسية والرعوية فى أيام البابا بطرس بعد أن انقطعت حوالى ٢٠٠ عاماً وفاح عبير فضائله وتقواه وأعطاه الله موهبة صنع الايات والعجائب ، وسوف نذكر قليل من المواقف والحوادث الهامة فى حياته منها : -

(١) حادثة نور القبر الالهى

عندما كان إبراهيم باشا (أبن محمد علي باشا) حاكماً لبلاد الشام وشيع اليه احد رجاله أن النصارى يدّعو أن نورا عجيباً ينبعث سنويا من قبر السيد المسيح فى ليلة سبت النور - فشك فى صحة هذا الامر واستدعى على الفور البابا بطرس الجاولى الى بيت المقدس ، فأكد البابا بطرس للوالى صحة هذه الظاهرة ، فطلب الوالى من البطريرك قائلاً له اريد أن أرى النور يفيض من يديك ، فأجابه البابا والدموع ملء عينيه أن النور مزمع أن يفيض على يديك يا أفندينا لا على يدى أنا الخاطىء - ثم أفهمه البابا بطرس ، أن هذا الأمر من حق بطريرك أورشليم للروم الارثوذكس ولكنه اصر أن يشترك معه فى الصلاة ، فقام بطريرك الروم والاقباط ولازم الصوم ثلاثة أيام حتى تجوز هذه التجربة التى يترتب عليها اعدام أبرياء .

لما حان الوقت المحدد ، دخل الحبران الكبيران (القبر المقدس) ومعهما إبراهيم باشا ، وأخذ يصليان بحرارة وانسحاق وما أن إنتهى بالصلاة المعتادة إذ بالنور يتفجر وينبثق من القبر المقدس بشكل ارعب الباشا واوقعه فى زهول عميق حتى كاد يسقط على الأرض ، وهو يهتف قائلاً " أمان بابا أمان "

(٢) وطنية البابا بطرس وتمسكه باستقلال كنيسته : -

كان البابا بطرس أمينا فى وطنيته مخلصاً لبلاده وحكومته ، فقد زاره مرة السفير الروسى وعرض عليه حماية حكومة القيصر للأقباط كنيسة وشعباً كأقليات ، فأبتسم الباب فى وجه محدثه وسأله برفق ومودة قائلا له هل ملككم (قيصر روسيا) يموت أم يعيش إلى الأبد ؟ فقال الزائر هو يموت طبعا مثل كل بنى البشر ، فأجاب البطريرك أن كان قيصر روسيا يموت فنحن نفضل أن يكون حامى الكنيسة هو راعيها الإله الحقيقى ، الملك الذى لا يموت بل يعيش إلى الأبد ، وليس لملكه نهاية ورفض حماية الأقباط كأقليات.

وإنطلق السفير إلى محمد على باشا ، فسأله عما رأى بمصر ، فأجابه لم تدهشنى عظمة الأهرام ولا إرتفاع المسلات ولم يبهرنى كل ما فى القطر المصرى من عجائب بل أثرت فى نفسى فقط زيارتى للرجل التقى بطريرك الأقباط ، ثم روى له ما جرى بينهم فطفح السرور فى وجه محمد على باشا وقام فى نفس اليوم إلى

الدار البطريركية وقدم الشكر الجزيل للبابا بطرس على ما أبداه من وطنية حقة والإخلاص للبلاد ورفضه حماية الأقباط كأقليات

فقال له البابا بطرس لا تشكر من قام بواجب عليه نحو بلاده ، فقال له محمد على باشا والدموع تنهمر من عينيه ، قد رفعت اليوم شأنك وشأن مصر فليكن لك مقام محمد على بمصر ، ولتكن مركبة معدة لركبك كمركبته ، ومنذ ذلك اليوم ازداد مقام البابا عند محمد على ، وعظمت ثقته بابناء الأقباط ، فأفسح لهم مجال العمل فى شتى المرافق الحكومية

(٣) حكمته : -

ذكر أن أقباط الجاولى ، مسقط رأس البابا بطرس كانوا متضايقين للغاية من قساوة بعض العائلات الإسلامية المتطرفة والمتعصبة ، وسوء معاملتهم لهم وبنهب محصولاتهم وعدم فهمهم للدين الإسلامى على حقيقته ، وما فيه من سماحة لغير المسلمين ، فلكى يخلص البابا بطرس قومه من شرهم ، استدعى أكابر أقباط تلك البلدة وكلفهم بإنتقاء مائتى فدان ، من أفضل أطيانهم وقدمها هدية لشريف باشا ، فما كان من الباشا بعد أن دخلت الأرض حوزته ، أن عين لها مندوبا من قبله " مثل حاكم أو ناظر يكون له وحده حق الأشراف على شئون البلدة كلها بما فيها أراضى الأقباط ، وبذلك تخلص الأقباط من هذه المشكلة ، وتحاشوا إستبداد الجماعات المتطرفة بالأقباط

(٤) زيادة نهر النيل بصلوات البابا بطرس : -

حدثت سنة ١٨٣٤ م أن جاء النيل ناقصاً جداً فضج الناس لذلك وخشوا وطأة الغلاء وانتشار الوباء والجوع والجفاف ، ولما أشتد انزعاج الناس من هبوط النيل ، استغاثوا بمحمد على باشا طالبين اليه أن يأمر رجال الدين ، " كل طائفة أو ملة " بمفردها ، كى يرفعوا صلوات ويتلوا الطلبات ، كى يبارك الله فى مياه النيل وتروى الأراضى الزراعية ، فإستجاب لندائتهم ، واجتمع أولا المسلمين للصلاة وكثرة الدعاء وتلاوة الصلوات والاستسقاء ثم تلاهم اليهود من بعدهم الروم فالسوريين ثم الأفرج فلم ينتقل مياه النيل من مكانه ولم يرتفع عن مستواه أو يفيض ، وبعد ذلك جاء دور البابا بطرس الذى استدعى لفيفا من الاساقفة الاكليروس ، وخرج على رأسهم الى شاطىء النهر ، وأقام صلاة القداس المبارك بقلوب مؤمنة خاشعة طالبة من الله أن يرفع عن مصر كل انواع البلايا والجفاف والوباء والغلاء ... ، وبعد إنتهاء غسل أوانى الخدمة طرح ماء الغسيل على قربانه من الحمل المبارك فى ماء النهر ، فتمجد إسم الله وبارك الله تعالى الماء فى الحال وكأن بركاناً قد ظهر وأرتفعت المياه وإضطربت الأمواج

وفاضت فإنكب البابا بطرس والحاضرون معه على وجوههم سجودا لله ودهش الحاضرون من عظم الأية وظهورها على يد هذا البطريرك المتضع صاحب الإيمان القوى بالله .

(٥) تمت فى أيامه رفع راية الصليب جهارا فى جنازة الأقباط بعد حادث استشهاد القديس سيدهم بشاى فى دمياط

معاصروه :-

عاصر البابا بطرس كل من محمد على باشا (١٨٠٥ م - ١٨٤٨ م) وإبنه إبراهيم باشا (١٨٤٨ م- ١٨٥١ م) وأشهر الأساقفة فى عصره الأنبا يوساب الأبح والأنبا صرابمون أبو طرحه والقديس الشهيد سيدهم بشاى والأرخن الكبير المعلم جرجس وآخرون .

نياحته : -

تنيح البابا فى إبريل سنة ١٨٥٢ م ودفن فى مقبرة البطاركة بجوار الكنيسة المرقسية بكلود بك .

الباب كيرلس الرابع البطريرك الـ (١١٠) (١٨٥٣ م - ١٨٦١ م) : -
(الشهير بأبى الإصلاح)

ولد سنة ١٨١٦ م ببلدة الصوامعة الشرقية وترهب بدير الأنبا أنطونيوس بإسم الراهب داود الأنطونى وسيم مطراناً عاماً للكرازة المرقسية سنة ١٨٥٣ م ثم تولى البطريركية فى يونيو سنة ١٨٥٤ م . وذلك فى أيام الخديو سعيد باشا .

البطريرك المحب للعلم : -

إلى جوار عبادته وتأملاته إنكب على المطالعة والدرس ، وتعمق فى دراسة اللغات العربية والقبطية واليونانية والتركية ، كما ألم بالإنجليزية والإيطالية ، وأنشأ مدرسة فى عزبة الدير ببوش الحق بها مكتبة عامة لتسقيف الشعب ومن اهتمامه بالعلم انشأ اول مطبعة خاصة فى مصر تعتبر هذه المطبعة ثالث مطبعة عرفتها مصر فى بدء نهضتها ، فالمطبعة الأولى هى التى دخلت البلاد مع الحملة الفرنسية ، والثانية مطبعة بولاق الميرية ، وكانت الثالثة مطبعة الدار البطريركية

نوابغ القبط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر (الجزء الأول) توفيق إسكاروس)
٣٦٦

إهتمامه بنشأة الإكليركية : -

فقد وضع البابا كيرلس الرابع اللبنة الأولى فى تأسيس الإكليركية وإهتم بإنشاء مدرسة لاهوتية لتثقيف رجال الدين وإعدادهم للكهنوت فإختار شبابا صغارا ليتلقوا دروساً فى اللغة والالحان الكنسية والموسيقى والعلوم الدينية وعمل للطلبة زياً خاصاً يرتدونه اثناء الخدمة ، واقام البابا كيرلس الرابع بكل دير مكتبة لتعليم الرهبان .

إهتمامه بإنشاء المدارس : -

لأنه كان شخصاً محباً للعلم لذلك نشر العلم بين الناس وانشأ المدارس الاتية : - مدرسة الاقباط للبنين ، مدرسة الاقباط للبنات بجوار البطريركية ، ومدرسة أخرى للبنين ، ومدرسة أخرى للبنات بحارة السقايين ، وكانت مدارسه بالمجان ، وكذلك الادوات والكتب تصرف للطلبة بدون مقابل حتى إتهموه بالإسراف .

وقد تخرج فى مدارسه كثير من كبار رجال الدولة مثال ذلك بعض رؤساء الوزارات كبطرس باشا غالى وحسين باشا رشدى ويوسف بك وهبة وعبد الخالق باشا ثروت كما تخرج منها كثير من الوزراء ووكلاء الوزارات والأعيان والمستشارين ورؤساء الجمعيات الكبرى وأيضاً بعض المؤرخين مثل ميخائيل شاروبيم بك ويعقوب بك نخلة روفيله .

وتحمل البابا كيرلس الرابع فى سبيل نشر هذا العلم محاربات العرفاء الذين ظنوا فى ذلك القضاء على كتاتيبهم وما يتلقونه من رواتب ، فأشاعوا أن مدارس البابا تعلم الكفر وفساد الأخلاق وفساد العقائد .

إهتمامه بإنشاء المكتبات العامة : -

فهو أول من أنشأ مكتبة عامة وعممها فى المدارس فأنشأ مكتبة عامة بمدرسة الأقباط الكبرى التى بجوار البطريركية وبلغت شهرتها أن رئيس الوزراء يوسف باشا وهبه أهداها مكتبته النفيسة .

إهتمامه بتعليم الفتاة : -

كان البابا كيرلس الرابع أول من أهتم بتعليم البنات فى الشرق العربى كله قبل قاسم أمين بما يقرب من ٥٠ عاماً فأنشأ لهن مدرستين إحداهما فى الأزبكية والأخرى فى حارة السقايين وإحتمل نتيجة ذلك كراهية وبغضة شديدة من البعض حتى رفعوا شكواهم إلىَ الوالى طالبين إليه إغلاق المدرسة لأنه لا يليق بالبنت أن تتعلم ولكن الوالى إنضم إلى صف أبى الإصلاح إلى درجة جعلته

يوقف بعض الأفدنة إلى هذه المدرسة .

إهتمامه بالأسرة المسيحية : -

أقام البابا كيرلس الرابع الأسرة على أساس المحبة ، وإهتم بالمرأة ، فكما أقام المدارس لتعليمها كذلك أطلق حريتها وأنصفها فى حقها من الميراث إسوة بأخيها ، ومنع زواج البنات قبل سن الرشد ، وهكذا سبق قانون تحديد سن الزواج فى مصر بنحو مائة عام ، كما منع الإكراه بالزواج وأصر على أن يؤخذ رضا الطرفين قبل عقد الزواج ورسم عمل العقد الإبتدائى (قبل الإكليل حتى يتأكد من الوئام والإتفاق بين طرفى الزواج قبل الإكليل الذى لا يمكن فسخه وكان يتشدد فى الطلاق تشدداً لا مثيل له) .

رسول محبة : -

كان البابا كيرلس الرابع رسول محبة وسلام بين الجميع وقد بذل مجهوداً فى توحيد الكنائس بفضل حسن علاقته بالطوائف الأخرى ، حتى أن رؤساء الكنائس اليونان والأرمن الروس كانوا إذا ما سافروا الى الخارج ، أوكلوا له تدبير شئون كنائسه ، وحاكم البلاد نفسه سعيد باشا أوفده سنة ١٨٥٦ م إلى اثيوبيا لأزالة سوء التفاهم بينها وبين مصر فنجح وإنتهى إلى معاهدة صداقة ولما رجع إلى مصر استقبل بحفاوة وطنية كبير' .

وكان صديقاً لكثيرين من علماء الازهر وللشيخ الأكبر وكان يعقد معهم حلقات مذاكرة ومناظرة فى جو من الألفة والمحبة .

وطنية البابا كيرلس الرابع وإصلاحاته ومساعيه فى ترقية الأقباط والمطالبة بحقوقهم : -

لاحظ البابا كيرلس أن أقباط مصر لم ينالوا ما يستحقون من الترقى وحرموا من الوصول إلى مناصب الدولة العالية بسبب قبطيتهم فإنتهز فرصة صدور الفرمان السلطانى فى ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ (الخط الهمايونى) وما ينص عليه من قرارات تنادى بمساواة جميع المواطنين والتمتع بكافة الحقوق دون النظر الى معتقدادهم وديانتهم ، فتقدم البابا كيرلس الى الوالى سعيد باشا ، وطلب منه تطبيق نصوص الفرمان على أقباط مصر فوعده الباشا بذلك .

وقد كان البابا كيرلس الرابع وطنياً متحمساً لمصريته ووطنه فقد أشاع المغرضون أنه طلب من أمير البلاد أعفاء القبط من الخدمة العسكرية فتصدى لهذه الإشاعة البابا كيرلس وصرح علانية قائلاً حاشا أن أكون جباناً بهذا المقدار حتى، لا أعرف للوطنية أو افترى على أبنائى الأقباط بتجردهم من محبة وطنهم

وعدم الميل لخدمته والدفاع عنه وحماية حدوده وأرضه فليس هذا ما طلبته ولا ما أطلبه .

صفاته وفضائله : -

كان البابا الرابع يتمتع بالعديد من الفضائل والكثير من الصفات الحميدة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر : -

(١) إنصاف المرأة : -

إستدعاه يوماً سعيد باشا والى مصر ليكون حكماً فى قضية ميراث ، بين رجل وامرأة اخته وكان من الأراخنة التابعين للكنيسة الرومانية ، فقال سعيد باشا للبطريرك هل تعطى المرأة مثل الرجل أم نصف نصيبه فى الميراث ؟ فأجاب البابا كيرلس قائلاً له إذا عملت المرأة عملاً حسنا كالرجل فهل يجازيها الله بأقل مما يجازى به الرجل ؟ فقال سعيد باشا حاشا أن يكون الله ظالماً حتى يعاملها بأقل مما يعامل به الرجل !! فقال له البطريرك فإذا كان فى السماء تأخذ المرأة نصيباً كالرجل فمن الأفضل أن تأخذه فى الأرض أيضاً فاقتنع سعيد باشا بحكمة وحكم بأن يكون للمرأة مثل حظ الرجل فى هذه القضية .

(٢) سرعة الخاطر فى الجواب : --

ذكر عن البابا كيرلس الرابع أنه زار سعيد باشا فى قصره ، وكان ذلك فى وجود بعض شيوخ الإسلام وأحد علماء الأزهر المتعصبين الذى أخذ يتحرش بالبطريرك قائلاً له ، يا جناب البطريرك إن لكم كتابا منزّلا ولكن يا للخسارة إنكم تشركون بالله وتقولون إن المسيح إبن الله ومساويا له فى الجوهر ، فقال له البطريرك فى الحال ماذا نعمل وقد حيرنا القرآن ؟ فقال له العالم الأزهرى يتبرأ القرآن الشريف من ذلك ، فقال له البطريرك لقد جاء فى سورة الشورى " وليس كمثله شيء (٤٢ : ٩) فقال العالم الأزهرى الكاف زائدة ، فقال له البطريرك نحذفها فقال له العالم لا يمكن ، فقال له البطريرك نعمل بحكمها ، فقال العالم لا يمكن ، عندئذ قال له البطريرك من أين أتت الحيرة فسكت العالم ولم يبد جوابا وحاول أحد شيوخ الأسلام بأن يحول الكلام حتى ينقذ العالم المسلم من الورطة التى سقط فيها فقال له " لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن " .

(٣) الكنائس فى عصره : -

كان التضيق شديداً على المسيحين لعدم إنشاء الكنائس ولكن فى أيام البابا كيرلس الرابع إستطاع بحكمته وحسن علاقته الوثيقة مع الوالى سعيد باشا الذى أباح لهم

الحرية فى بناء الكنائس وتجديد ما تهدم رغما عن المعارضات الشديدة فى إنشائها .

ولذلك نجد بناء كنيسة جديدة فى البطرخانة القديمة بالأزبكية وبناء كنيسة جديدة بدلا من القديمة بحارة السقايين كما ذكر أن القمص يوسف موسى راعى كنيسة مارجرجس بميت غمر قد أتاه شاكيا من محاولة الحكومة له هدم باب الكنيسة لأنه عندما قام بتجديده إرتفع عن أصله " أى كبر طوله " فأوعز إليه البابا كيرلس أن يلحق به عند ذوالفقار باشا وفعلاً فأنه بعد أن إستقر البابا عند الباشا ظهر القسيس ، فإستدعاه الباشا إليه قائلاً له لماذا جئت إلى هنا ؟ فأجابه إنى جئت شاكيا من تعدى الحكومة لى وصدور أمر بأن أجعل الباب قصيرا أى منخفض بحيث لا يمكن للرجل أن يمر به إلا إذا إنحنى ، فقال له البطريرك يجب عليك إطاعة أولى الأمر ولا تخالفهم مادمت محكوما ولا ملك لك يدافع عنك .

فعندما سمع ذو الفقار باشا هذه الكلمات قام من فورة وقابل سعيد باشا وقال له : فى أيام عدلك لا يصح أن نسمع بمثل هذه الأعمال فأمر أن يبنى الحائط على حساب الحكومة ويرتفع الباب .

ولما رأى أهالى دقادوس أن باب كنيستهم فى جهة غير ملائمة نقلوه من الجهة القبلية إلى الجهة الغربية وجعلوه مرتفعا لدرجة لم يكن لهم فى سابق عهده بالوصول إليها .

ويذكر التاريخ أن مدينة طنطا عند بناء كنيسة جديدة ألقى أحد المتطرفين المتعصبين من المسلمين بنفسه عند وضع أساس الكنيسة حتى يعطل البناء فأمر مدير الأمن فى ذلك الوقت بالبناء عليه ولكن أحد القسوس الذى كان موجوداً وقتئذ طلب من المدير إخراجه حسما للمشاكل وتجنباً لإيجاد الكراهية والحقد وهكذا كانت أيامه فاتحة خير على الأقباط حيث الغيت كل القيود التى تعطل بناء الكنائس وترميمها فى عهد هذا الرجل العظيم .

البابا كيرلس الرابع وقناصل الدول : -

كان محمد على باشا والذين ورثوا الحكم من بعده يستعينون بالأجانب وخاصة الفرنسيين منهم لتدعيم سلطانهم وتنفيذ مشروعاتهم العسكرية والإنشائية والثقافية ولكنهم كانوا يتحاملون على أى مواطن ينال منهم مأربا عن طريق قناصل الدول التى تتمتع بنفوذ لديهم ، ولما رأوا أن بعض القناصل يذكرونه أمامهم بالتقدير والثناء أخذوا منه خيفة ، وصاروا ينظرون إليه بشىء من الريبة والقلق ، قادهم

إلى ذلك سعيه المتواصل فى توحيد الكنائس والعمل على رقى أبناء أمته المهضومة الحقوق . (١) وكانت لهذه الاسباب وأسباب أخرى سببا فى أن يقرر أمير البلاد سعيد باشا الى التخلص من البابا الرابع بالطرق المتبعة فى قصور المستبدين وذلك بعد إزدياد مخاوف الطغاه ، عندما وشى إليهم قنصل إنجلترا زورا ، بأن البطريرك يريد الخروج عن طاعة الدولة ، وجعل الكنيسة القبطية تحت حماية القيصرية الروسية .

نهاية البابا كيرلس الرابع : -

فى تلك الأيام التى كثرت فيها الشائعات والدسائس ، إستدعى محافظ القاهرة غبطة البطريرك لمقابلته فورا لأمر هام ، لا يتم إلا بحضوره شخصياً ، إلا أن البطريرك صرف رسول الحاكم وأفهمه أنه لا يمكن حضوره الآن لظروف شخصية ولكن المحافظ أصر على حضور البطريرك وأرسل فى طلبه مراراً ، وإذ لم يجد البابا مفرا من هذه المقابلة الإجبارية تحامل على نفسه وتوجه إلى سراى المحافظ وإن كنا لا نعلم تفاصيل الحديث الذى دار بينها ، ولكن أكده المؤرخون المعاصرون أن البطريرك عندما دس له الأعداء السم فى القهوة فلم يقبل معتذرا بالصوم لأنه سمعهم يتكلمون بالتركية التى كان يعرفها فى هذا الوقت ، ولما نجا البابا عاد إلى مقره أثر هذه المقابلة حزيناً خائر القوى محموماً شاعراً أن النية مبيتة على قتله ، ولازم الفراش بعد وصوله للبطريركية مباشرة ، فلما سمعت الدوائر المتآمرة بمرض البابا أرسلت إليه طبيبا لعادته فأجرى عليه فحوصا طبية ثم كتب له تذكرة بالدواء ولكن لم يؤتى له الدواء . ولكن لكى لا يطول المرض وتكشف الأيام عن خططهم الإجرامية أوعزوا إلى الأنبا كيريل مطران الأرمن بالقاهرة عميل الحاكم وصديق البطريرك ، والخواجة حنا مسّره ، أن يذهبا فى الحال إلى الدار البطريركية ، وأن يأخذا معهما طبيباً آخر فدخل ثلاثتهم إلى مخدع البطريرك المريض وأفهمه المطران المنافق أن يثق فى هذا الطبيب لأنه طبيب الوالى ويعمل بموجب توجيهاته والواقع أنه كان خائناً مأجوراً فأعطى البطريرك جرعة سامة ، فقد وعيه على الفور وسقط شعر رأسه ولحيته على الوسادة ، ثم إنحل جسده ومات . وكان ذلك فى ٣٠ يناير سنة ١٨٦١ م ووضع جثمانه فى المقبرة الجديدة التى أعدّها لنفسه فى كنيسة الشهيد أستفانوس الملاصقة للكنيسة المرقسية الكبرى .

---

(١) ذكرى مصلح عظيم (جرجس فليوثاؤس عوض)

البابا ديمتريوس الثانى البطريرك الـ (١١١) (١٨٦٢ م - ١٨٧٠ م) : -

ترهب بدير أبو مقار بإسم الراهب ميخائيل المقارى وسيم بطريركا بإسم البابا ديمتريوس الثانى فى يونيو سنة ١٨٦٢ م وكان ذلك فى أيام سعيد باشا .

وأهم أعماله قام بتكميل بناء الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية كما إهتم بإدارة المدارس القبطية وترقيتها .

فى أيامه توفى سعيد باشا وجاء بعده إسماعيل باشا الذى فى أيامه نال القبط مالم ينالوه فى أيام غيره حيث أنعم على المدارس القبطية وعلى البطريركية بأوقاف كثيرة .

زيارة السلطان عبد العزيز بك : -

ولما زار السلطان عبد العزيز بك مصر سنة ١٨٦٣ م ، قبّل البابا صدر السلطان بدلا من تقبيل يديه قائلاً " إن قلب الملك فى يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين فلما سمع السلطان ترجمة هذه العبارة إبتسم مسرورا وأنعم بألف فدان من أملاك الحكومة للمدارس القبطية ثم زادها الخديو إسماعيل خمسمائة فدان أخرى فى محافظة الشرقية . (١)

زياة البابا للأقاليم القبلية والقضاء على الشيعة البروتستانتية : -

عندما علم البابا بنشاط الإرساليات الأجنبية فى الصعيد ، طاف فى مركب بخارى أعدها له الخديو إسماعيل ، على مدن وقرى الصعيد حتى إسنا ، ونجح فى إقناع الكثيرين بالرجوع إلى كنيستهم القبطية الأرثوذكسية وهكذا كان التعاون بين الحكومة والكنيسة لنبذ الحركات والبدع الأجنبية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٣ أ)

نياحته : -

تنيح البابا دمتريوس الثانى فى ١٨ يناير سنة ١٨٧٠ م ودفن بجوار البابا كيرلس الرابع فى المقبرة التى بكنيسة الشهيد إستفانوس بالأزبكية .

" ثانيا " أشهر الأساقفة فى هذه الفترة : -

١ - الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا وأخميم
٢ - الأنبا صرابامون أسقف المنوفية الشهير " بأبى طرحة "

---

(١) سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسى المرقسى الحلقة الخامسة (ص ٢٣١) لكامل صالح نخلة .

والأنبا صرابامون له سيرة عطرة تحتاج إلى بحث كبير ولكننا سوف نذكر بعض المواقف الهادفة فى حياته وبإختصار شديد .

+ كان إسمه صليب ويحترف مهنة بيع الزيت فى القاهرة وفى أحد مشاجرات النسوة الشريرات قتل ولد إحداهن فإتهمت صليب تاجر الزيت أنه هو القاتل ، فتجمهر جمهور كثير وساقوه إلى الحاكم وهناك شهدوا عليه أنه هو القاتل ، أما صليب فكان يبرأ نفسه أمام الحاكم ، بقوله " أنا مظلوم وهو يبكى " ولكن أصر الجميع قائلين أنه هو الذى قتله ونحن شاهدون على ذلك ، وفيما هو متحير تذكر قول الكتاب المقدس " فتعظم نفسى فى عينى الرب فينقذنى من كل ضيق (١ صم ٢٦ : ٢٤) " فرفع صليب قلبه إلى الله وتشفع بالسيدة العذراء قائلاً " إذا أنقذنى الرب من هذه الورطة والتهمة الباطلة سوف أكرس حياتى كلها لله " وبكى وصلى بحرقة ثم قال للطفل المقتول بإيمان كبير " يقيمك الرب لتخبرهم عمن قتلك فقام الطفل فى الحال بإذن من الله الرحوم وأخبر عمن قتله وعاد فرقد ثانية فأفرجوا عنه وهم متحيرون مما رأوه وكانوا يضربونه ويقولون عنه ساحر ساحر .

وهكذا عندما رأى صليب كيف أنقذه الله ، وخوفا من المجد الباطل الذى قد يناله بسبب هذه المعجزة العجيبة ، ترك حماره بما عليه تاركاً كل ما يملكه ورحل إلى البرية الشرقية وترهب بدير الأنبا أنطونيوس ثم أختير أسقفاً للمنوفية وإشتهر بأبى طرحة .

عاقبة من لا يستحى برجال الله : -

والله دائما يثار لكرامة أولاده ويذل أعداءنا ومبغضينا ويرد لنا . الكرامة مضاعفة ولا عجب وهو القائل " الذى يرذلكم يرذلنى " (لو ١٠ : ١٦) ويقول أيضاً مبغضوا الصدّيق يعاقبون (مز ٣٤ : ٢١) وقد ذكر له مواقف كثيرة تعلمنا أن الرب سريع لطلبته معطيا إياه سلطانا وقوة فيها مثال ذلك : -

+ ذكر عنه أنه فى إحدى المرات عندما كان فى طريقه إلي البطرخانة قصد ثلاثة من الشبان المستهترين السخرية منه إذ تمدد أحدهم أرضاً كميت ووقف الإثنان يبكيان لدى مروره طالبين منه إحسانا للنفقة على جنازة فقيدهما ، فقال لهما أهذا ميت ؟ قالا له نعم ميت ، ثم كرر هذا السؤال هل أنتما متأكدين أنه ميت ؟ فزاد سخرية منه قائلين " له نعم ميت " فأعطاهما الأنبا صرابامون مبلغا من المال وهو يقول لهما خذا هذا المبلغ وإدفناه به ما دمتا قلتا أنه ميت ثم أنصرف .

فلما أراد إيقاظ رفيقهما إذا به قد فارق الحياة " ميتا " فأخذاه ودفناه نادمين عما بدا منهما تائبين طالبين من الله المغفرة والرحمة .

قصة العبد الأسود : -

+ ذكر عن الأنبا صرابامون أنه فى أثناء مروره فى زياراته السنوية تعرض له عبد أسود " مجرم " وطلب من الأنبا صرابامون إعطاءه ما معه من نقود والا فأنزل عن دابتك وإخلع ملابسك فأجابه القديس إخلى لى الطريق يا بنى مالى ومالك فما كان من العبد إلا أن رفع يده ليهوى بنبوته (عصاه الغليظة) على رأس الأنبا صرابامون فقال له القديس أنت رفعت إيدك على ، طيب خليها مرفوعة فظلت يده مرفوعة كالتمثال ، ثم تركه الأنبا صرابامون ومضى إلى أقرب ضيعة ليتفقد فيها شعبه وبات فيها ، وفى الصباح أخذ دابته وخرج ليصل بها إلى أقرب قرية أخرى ، وفى الطريق وجد العبد " المجرم " مثبتا فى مكانه مربوط اليد وهو يصرخ من شدة الألم ، وقد إلتف حوله إناس كثيرون يتعجبون بما صنعه الله فيه ، ولما رأى الأنبا صرابامون قادماً إستغاث به أن يرحمه فعفا عنه الأنبا صرابامون وندم العبد على ما فعله ، ولم يحترف اللصوصية بعد ذلك وظل يخدم الأنبا صرابامون ويهتم ببغلته التى كان يركبها فى تنقلاته بقية حياته إلى أن توفى .

اليد التى لمستنى تشل : -

+ ذكر عن الأنبا صرابامون أنه فى ذات يوم كان قاصداً زيارة كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويلة ماراً بشارع درب مصطفى وكان طريقاً ضيقاً مزدحماً بالسكان الذين أكثرهم ذو مستوى متواضع ومنخفض ، فتعلقت بملابسه إحدى الباغيات قاصدة إهانته والإستهزاء به ، بعد أن تراهنت وإتفقت مع بعض عشيراتها أن تمثل به فى الطريق ، فما كان منه إلا أن سألها برفق ، أن تدعه وشأنه ، ولكنها لم ترتدع ولم تتركه ، فصرخ فيها قائلاً اليد التى لمستنى تشل ، وللحال شل ذراعها ، فإستغاثت به صارخة من الألم الذى لحق بها ،وتضرعت إليه نادمة أن يرحمها ويشفيها فصلى إلى الله وشفاها بعد أن تعهدت بعدم العودة إلى سخافتها .

موهبة إخراج الأرواح الشريرة : -

+ ذكر عن الأنبا صرابامون أنه عندما ينتهى من صلاة القداس كان يؤتى إليه بالمصابين والذين عليهم أرواح نجسة والمرضى ويضعوهم أمامه وخلفه ، فكان يأخذ بيده قلة ماء ويتلو على كل واحد منهم المزمور الرابع والثلاثين " دين يارب

الذين يظلمونني قاتل الذين يقتلونى " ثم يصرخ فى الروح النجس ويأمره بالخروج من المريض فيخرج فى الحال كما حدث فى المعجزة الآتية : -

شفاء زهرة بنت محمد على باشا : -

+ كان محمد على له إبنة تدعى زهرة وقد إعتراها روح نجس واحتار الأطباء فى علاجها فإستدعى الأنبا صرابامون أبى طرحة الذى توجه إلى القصر فأدخلوه إلى مخدع الأميرة ولما إبتدا فى الصلاة تحرك الشيطان فيها بغيظ شديد وألقى بالأميرة صرعى على الأرض وصرخت بأصوات مزعجة ثم رشم علامة الصليب على الماء ورشه على وجه الأميرة فصرخ الشيطان بصوت عظيم مزعج وخرج منها ونهضت الأميرة معافية سليمة ، ورغب محمد على أن يكافىء الأنبا صرابامون فقدم الوالى له كيسا به أربعة آلاف جنية) فرفض قبولها قائلاً ليس لى أن أربح بمواهب الله " ولكن أسأل دولتكم أن تميلوا نحو أبناء الطائفة القبطية للعمل فى الوظائف الحكومية .

قوة الروح القدس فيه : -

+ لقد كان الأنبا صرابامون ينمو ويتقوى فى الروح والنعمة وكان الروح القدس يعمل فيه بقوة وقد ذكرت عنه فى هذا المجال حوادث كثيرة منها: -

أمان يا بابا : -

+ أصدر عباس باشا الأول والى مصر أمره بإعدام جميع السحرة والمنجمين فوشى الواشون له بأن القديس صرابامون من هؤلاء السحرة بل من أكبرهم ، وأنه هو الذى شفى زهرة بنت محمد على باشا بسحره ، فطلبه الأمير لقتله ولما حضر قابله الأمير بإزدراء فقال له " هل أنت من السحرة والدجالين " فقال له الأنبا صرابامون " أنا رجل مسكين ولا أدرى شيئاً من ذلك " فقال له الأمير " ألم تكن أنت الذى شفيت زهرة هانم ؟ فإمتلأ القديس من القوة الإلهية وصرخ " هذه قوة الله فأرتعب عباس باشا فى الحال وصرخ قائلا أمان بابا ، ثم طيب خاطره وأكرمه وصرفه بكل وقار وسلام .

نياحته ودفنه : -

+ تنيح الأنبا صرابامون فى سنة ١٨٥٣ م ودفن بجوار البابا بطرس الجاولى بالكنيسة المرقسية بالأزبكية .

أشهر قديسى الكنيسة الذين عاصروا تلك الفترة
(١٨٨٢ م - ١٩٢٣ م)

١ - البابا كيرلس الخامس
٢ - الأنبا باسليوس مطران القدس (١٨٥٦ م - ١٨٩٩ م)
٣ - الأنبا إبرآم الأول أسقف الفيوم المتنيح (١٨٨١ م - ١٩١٤ م)
٤ - الإيغومانوس فيلوثاوس إبراهيم
٥ - القمص عبد المسيح المسعودى الكبير (ص ١٠٦ من تاريخ الكنيسة (د إيريس المصرى) (الجزء الخامس)

البابا كيرلس الخامس البطريرك الـ (١١٢) (١٨٧٤ م - ١٩٢٧ م) : -

نشأته : ولد بقرية تزمنت التابعة لبنى سويف سنة ١٨٣١ م .

معاصروه : - عاصر البابا كيرلس الخامس كل من إسماعيل باشا وتوفيق باشا وعباس باشا الثانى والسلطان حسين والملك فؤاد وذلك لأنه قضى مدة طويلة تعتبر أطول مدة قضاها بطريرك فى الكرازة المرقسية وهى حوالى ٥٣ عاما .

رهبنته : - ترهب سنة ١٨٥٤ بدير البراموس بإسم الراهب يوحنا البراموسى وعرف بإسم يوحنا الناسخ .

سيامته بطريركا : - سيم بطريركيا فى أول نوفمبر سنة ١٨٧٤ باسم البابا كيرلس الخامس .

أشهر أعماله : -

١ - أنشأ مدرسة إكليريكية ثم إشترى أرض بمهمشة بنى عليها كلية إكليريكية سنة ١٩١٢ . كما أكمل بناء الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية . كما بنى قصور (مطرانيات) فى كل من كنيسة المعلقة والعدوية ببولاق والمعادى وطره والمعصرة بحلوان وطموه . وفى أيامه شيد ١٣ (ثلاثة عشر كنيسة) بالقاهرة والجيزة والخرطوم.كما أنشأ مدارس للرهبان . وفى أيامه (أيام إسماعيل باشا) تم تكوين المجلس الملى فى ٢ فبراير سنة ١٨٧٤ م . وفى عهده شبت نار الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م وفى آخرها أعلنت الحماية الإنجليزية على مصر وعقدت الهدنة فى سنة ١٩١٨ م وطالب المصريون بإستقلال بلادهم ، وكانت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ بإتحاد المسلمين والأقباط وبعد جهاد دام سنوات تنازلت إنجلترا عن حمايتها فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م ثم أعلن السلطان

فؤاد إستقلال مصر فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ م . وأعلن بنفسه ملكا ووضع دستور للبلاد ، وأنشىء الحكم البرلمانى بزعامة سعد باشا زغلول وكان البابا كيرلس مؤيدا لهذه الحركة .

مكانة الأقباط فى عصره : -

إرتفع شأن الأقباط فى عهده فتنعموا بالحرية الدينية والمساواه فى الوظائف الحكومية وفى التجارة وفى إمتلاك الأطيان ، فظهرت طبقة من كبار الأقباط من سياسيين وأثرياء ، كما إنتشر التعليم الدينى فصار صدى الوعظ يسمع فى أغلب كنائس القطر .

مشكلة البابا كيرلس مع المجلس الملى : -

حدثت خلافات فى الرأى بين البابا كيرلس والمجلس الملى ،وناصر بطرس باشا غالى فكرة إجراء إنتخابات أعضاء المجلس الملى أن لا يعينوا من قبل البطريرك) رغم معارضة البطريرك ،وتم بالقوة إجراء إنتخابات ولم يعترف البابا بهذه النتيجة ولكن الخديو والحكومة أيّدوها وعارضوا البطريرك وتم تغيير فى لائحة المجلس بأن يرفع البابا من رئاسة المجلس وأن يقوم وكيل المجلس بعمل رئيس المجلس ولما فشلت مساعى البابا فى تنفيذ رأيه قبل وساطة بطرس باشا الذى نجح فى إعادة حق البطريرك فى إدارة ديوان البطريركية وأوقاف الأديرة ولكن لما رفض أعضاء المجلس هذا الحل عاد الموقف للتأزم وتم تعيين أسقف صنبو رئيساً للمجلس الملى وفى هذا الوقت طلب لفيف من الكهنة والشعب إلى الحكومة إبعاد البطريرك إلى دير البراموس وإبعاد مطران الإسكندرية إلى دير الأنبا بولا وتم ذلك فى سنة ١٨٩٢ م وظلا خمسة أشهر .

ويذكر التاريخ أن أسقف صنبو عندما عين رئيساً للمجلس الملى ودخل ومعه الإيغومانوس إلى الكنيسة لصلاة القداس الإلهى شاءت الإرادة الإلهية أن يخطىء الأسقف ويقرأ إنجيل خيانة يهوذا الإسخريوطى كما وقعت الصنية من يده فتشاؤم الناس وإعتقدوا أن الله غير راضى عن المجلس وأعماله وتعطلت الشعائر الدينية والتهب الشعور المطالب بعودة البابا ورضخت الحكومة لمطالب الشعب وعاد البطريرك إلى مقر كرسيه معززاً مكرماً ، وبعد عودته بعشرة أيام جاء بطرس باشا لزيارته وبصحبته جميع المحرومين فإعترفوا بالخطأ وطلبوا الصفح فسامحهم البابا وحللهم من حرمهم ، كما صفح عن أسقف صنبو بل رقاه مطرانا وتم الإتفاق إلى إرجاع الإدارة إلى غبطة البطريرك ، على أن يندب أربعة من أعضاء المجلس لمساعدته فى إدارة شئون الطائفة .

البابا كيرلس والمؤتمر القبطى سنة ١٩١١ م : -

عقد المؤتمر القبطى فى أسيوط سنة ١٩١١ م ليطلب من الحكومة مساواة الأقباط بالمسلمين فى كافة الحقوق المدنية والدينية فطلبت الحكومة من البطريرك أن يمنع هذا الإجتماع خشية حدوث حوادث فتنة طائفية فأصدر منشوراً يحرض فيه على إستعمال الحكمة والروية ، فرد عليه الأنبا مكاريوس مطران أسيوط بأنه يتعهد بعدم حدوث أى مكروه وعقد المؤتمر فى ميعاده والقيت ورفعت الإحتجاجات دون أى نتيجة تذكر . وفى عهدة تمت رسامة مطران للخرطوم وبنيت كنيسة كبرى بها وسبع كنائس أخرى . كما إهتم بأديرة الراهبات من الناحية الرهبانية والعمرانية .

نياحتـــــه : تتيح سنة ١٩٢٧ م .

٢ - الأنبا باسيليوس مطران القدس (١٨٥٦ - ١٨٩٩) : -

له سيرة عطرة ذكرت بالتفصيل فى كتاب مشاهير الأساقفة الذين أختيروا من رهبان دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس إعداد الراهب القمص أنطونيوس الأنطونى ويباع بدير الأنبا أنطونيوس .

٣ - الأنبا إبرآم أسقف الفيوم (١٨٨١م - ١٩١٤ م) : -

له سيرة عطرة شرحها القمص ميخائيل سعد فى كتابه عن الأنبا إبرآم ولكننا سوف نذكر بعض المواقف المضيئة فى حياته .

نشأته : - ولد سنة ١٨٢٩ م بأسم بولس غبريال فى قرية دلجا مركز دير مواس محافظة المنيا .

رهبنته : ترهب باسم الراهب بولس غبريال الدلجاوى المحرقى .

سيامته مطران : سامه البابا كيرلس الخامس مطرانا على الفيوم سنة ١٨٨١ م .

أهم الحوادث والفضائل والمعجزات فى عصره نذكر أمثلة منها :

١ - جاء إليه رجل فقير مسلم يطلب إحسانا منه لأن زوجته فى نفاس ولم يكن مع الأنبا إبرآم سوى جنيه واحد وأعطاه له ، ولما علم وكيل المطرانية ذلك (وكان شقيقه بالجسد) أسرع خلف الرجل وأخذ منه الجنيه وأعطاه ريالا ، فرجع الرجل إلى القديس وقص عليه ما حدث ، فعاتبه الأنبا إبرآم وأمره بإعطائه الجنيه ومعه الريال ، فلما تعلل الوكيل بأنه لا يوجد بدار الأسقفية أية أموال إلا هذا الجنية فلامه على عدم إيمانه ، وقال له عندما خرجنا من منزل

أبينا المرحوم غبريال ماذا كنا نملك أليس كل هذا من خير المسيح ولإخوة المسيح ثم صرفه بغضب ، وسرعان ما وصل بالبريد حوالة وبوليصة بخيرات كثيرة فدعا الأنبا إبرآم الوكيل وقال له أنظر فإنحنى الوكيل وقال ، وهو أنا زيك " أنت ربنا أعطاك موهبة العطاء " ، وكان الأنبا إبرآم رجل صلاة ،وبواسطتها جرت على يديه آيات شفاء عديدة حتى ذاع إسمه فى جميع أنحاء القطر المصرى وبلغ بعض مدن أوربا أيضا فكان يقصده المرضى أفواجا على تباين ديانتهم فقد شفى إمرأة مسلمة من أسيوط من مرض الشلل كما رزقت إمرأة بروتستانية بولد بعد أن كانت عاقر بسبب صلواته كما أخرج شياطين من كثيرين (١)

٤ - الايغاماتوس فيلوثاوس إبراهيم : -

ولد بمدينة طنطا سنة ١٨٣٧ م وعين قسيساً لطنطا سنة ١٨٦٣ م وقد برع فى الوعظ فذاعت شهرته فى انحاء مصر ، فإستدعاه البابا ديمتريوس الثانى لمرافقته فى رحلته بالوجه القبلى سنة ١٨٦٧ م فأظهر إقتداراً عظيماً فى الوعظ المرتجل وبراعة فى الدفاع عن العقائد الكنسية القبطية . وقد نبغ فى الوعظ حتى طبقت شهرته الإفاق ، ولم يقتصر نشاطه على طنطا فحسب بل إمتد من القدس الى السودان ، كما كرّمه البطريرك الأنطاكى . وفي سنة ١٨٧٤ م إنتخبه المجلس الملى راعياً للكاتدرائية المرقسية بالقاهرة ورئيساً لمدرسة الرهبان . وقد كان له أعمال عظيمة ومؤلفات كثيرة . وكان ينوب عن غبطة البطريرك " البابا كيرلس الخامس " فى مقابلة الحكام ، وكانوا يحبونه ويكرمونه لفصاحته وحسن إسلوبه وسعة إطلاعه ، وقد حصل على نياشين من الخديوى توفيق والخديوى عباس حلمى الثانى وكان أباطرة الحبشة يكرّمونه إكراماً عظيماً فكتب إليه النجاشى يوحنا سنة ١٨٨٢ م رسالة كلها تبجيل إستهلها بقوله :

إلى الأب المعظم مستقيم الرأى والضمير كنز الحكمة واسع العقل وطويل الروح الراعى والحافظ للأمانة الإسكندرية ، وطلب فيها صلواته ، كما وصله خطاب آخر سنة ١٨٩٩ م من النجاشى فيليك يطلب فيها كتبه لترجمتها إلى الأثيوبية كما يهديه نيشان النجمة .

ومن أروع الخطابات التى وصلت إليه ، رسالة كتبها أليه القديس الأنبا إبرآم أسقف الفيوم ، ورسالة أخرى من القمص القديس عبد المسيح المسعودى .

وقد تنيح بسلام سنة ١٩٠٤ م صلاته تكون معنا آمين .

---

(١) سيرة القديس الأنبا إبرآم (للقمص ميخائيل سعد) .

٥ – القمص عبد المسيح المسعودى الكبير : –

له سيرة عطرة وتوجد فكرة مختصرة عنه فى كتاب (قصة الكنيسة القبطية – للدكتورة ايريس المصرى ص ١٠٩) جـ ٦

(٦) الشهيد منصور ملطى فى طنطا : –

يحكى مثلث الرحمات الأنبا يؤانس أسقف الغربية بأن المسلمون قاموا بإهداء نجفة فاخرة كبيرة للكنيسة ، كما قام المسيحيون بإهداء مسجد السيد البدوى نجفة مماثلة ويضيف نيافته بأن المظاهرات الوطنية سنة ١٩١٩م كانت تخرج من الكنيسة ومنها المظاهرة الكبرى يوم ١٢ مارس سنة ١٩١٩م التى اتجهت الى المسجد الأحمدى عن طريق شارع المديرية حيث أطلق جنود الإحتلال الرصاص على المتظاهرين وإستشهاد ثلاثة عشر شهيدا كان أولهم الشهيد منصور جرجس ملطى . وهذا يدل على وطنية الأقباط فى هذه الفترة



أنبا أبرآم أسقف الغربية

١٨٢٩ - ١٩١٤ م.

بركته الغالى للفقراء ورحمته . فكان انجيلاً معاشاً
له معجزات كثيرة فى حياته وبعد نياحته . صلاته تكون معنا آمين.

موضوع بناء الكنائس والخط الهمايونى والشروط العشرة

نلخص هنا أهم ما أورده الخط الهمايونى من نقاط جوهرية :

١ - اعتماد كافة الحقوق التى نصت عليها قوانين سابقة خاصة بالمسيحيين وأهمها حكم أنفسهم فى سائر الأحوال الشخصية لارتباطها بالعقيدة الدينية .

٢ - تشكيل مجالس ملية مكونة من رجال دين وعلمانيين لإدارة المصالح الملية المختصة بحماية المسيحيين والفصل فى أحكامهم الشخصية .

٣ - طلب بناء الكنائس يقدم من الأب البطريرك للباب العالى وتصدر رخصة ببنائها .

٤ - لا يمنع أحد من إجراء فرائض ديانته ويلقى من جراء ذلك جورا أو أذية ولا يجيز أحد على ترك دينه وتؤخذ التدابير الازمة القوية لأجل تأمين اهل مذهب واحد مهما بلغ عددهم ليجروا مذهبهم بكل حرية .

٥ - المساواة فى الوظائف بين المسيحيين والمسلمين .

٦ - الخدمة العسكرية واجبة على المسيحى كما هى واجبة على المسلم .

٧ - تزال كلية من المحررات الديوانية جميع التعبيرات والألفاظ والتمييزات التى تتضمن الإساءة إلى فئة من الناس بسبب المذهب أو اللسان أو الجنسية ويمنع قانونا استعمال كل نوع تعريف وتوصيف يوجب العار أو يمس الناموس سواء أكان ذلك بين أفراد الناس أو من طرف رجال الإداريين .

ويهمنا فى هذا المجال أن نشير إلى ما جاء بالخط الهمايونى خاصا ببناء الكنائس والقرار الوزارى الذى أورد مايسمى بالشروط العشرة لبناء الكنائس لخطورة أهميتها .

بناء الكنائس والشروط العشرة : -

فى شهر فبراير ١٩٣٤ م أصدر القربى باشا وكيل وزارة الداخلية شروطا عشرة للتصريح ببناء الكنائس يحتم فيها استيفاء البيانات التالية :

الشروط العشرة :

١ - هل الأرض المرغوب بناء الكنيسة عليها هى من أرض الفضاء أو الزراعة ، وهل هى مملوكة للطالب أم لا ، مع بحث الملكية من أنها ثابتة ثبوتا كافيا وترفق أيضا مستندات الملكية .

٢ – ماهى مقادير أبعاد النقطة المراد بناء الكنيسة عليها عن المساجد والأضرحة الموجودة بالناحية ؟

٣ – إذا كانت النقطة المذكورة من أرض الفضاء هل هى وسط أماكن المسلمين أو المسيحيين ؟

٤ – إذا كانت بين مساكن المسلمين فهل لا يوجد مانع من بنائها .

٥ – هل يوجد للطائفة المذكورة كنيسة بهذه البلدة خلاف المطلوب بناؤها ؟

٦ – إن لم يكن بها كنائس فى مقدار المسافة بين البلد وبين اقرب كنيسة لهذه الطائفة بالبلدة المجاورة ؟

٧ – ما هو عدد أفراد الطائفة المذكورة الموجودين بهذه البلدة ؟

٨ – إذا تبين أن المكان المراد بناء كنيسة عليه قريب من جسور النيل والترع والمنافع العامة بمصلحة الرى فتؤخذ رأى تفتيش الرى وكذا إذا كانت قريبة من خطوط السكة الحديد ومبانيها فيؤخذ رأى المصلحة المختصة .

٩ – يعمل محضر رسمى عن هذه التحريات ويبين فيه ما يجاور النقطة المراد انشاء الكنيسة عليها من المحلات السارية عليها لائحة المحلات العمومية والمسافة بين تلك النقطة وكل محل من هذا القبيل ويبعث به إلى الوزارة .

١٠ – يجب على الطالب أن يقدم مع طلبه رسما عمليا بمقاس واحد فى الألف يوقع عليه من الرئيس الدينى العام للطائفة ومن المهندس الذى له خبرة عن الموقع المراد بناء الكنيسة به وعلى الجهة المنوطة بالتحريات أن تتحقق من صحتها وأن تؤشر عليها بذلك وتقدمها مع أوراق التحريات .

والمغالطات فى هذا السياق هى :

١ – أن الخط الهمايونى كان بالفعل إطارا دستوريا ، ولكن للخلافة العثمانية بأسرها . وقد سقطت هذه الخلافة ، وتغير دستور تركيا ذاتيا ، فكيف نصر على اعتماد مبادىء دستورية لدولة لم تعد قائمة ، وبلادنا بدورها لم تعد ولاية فى إمبراطوريتها ؟

٢ – فرمان الخط الهمايونى ليس مقتصرا على بناء الكنائس والمعابد ، بل هو رؤية اكثر شمولاً لوضع من يسميهم البعض بالأقليات فى الدولة والمجتمع ، فلماذا تم اختزال الخط الهمايونى المذكور إلى مجرد شروط عشرة لبناء الكنائس؟

للجواب على السؤال الأول أشرنا إلى مراحل النهضة التى لم تفسح مجالاً لإعادة النظر فى الماضى . أما الجواب على السؤال الثانى فهو أن مراحل الجزر الديموقراطى والاستغلال الاقتصادى البشع والتحلل الاجتماعى هى التى تبقى على الخط الهمايونى وهى التى تختزله فى شروط عشرة لبناء الكنائس ، وكأنها تنقض على أدم ما جاء فى فرمان السلطان عبد المجيد من مساواة فى الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين أمام القانون هذا هو الجوهر ، أما اعتصار الفرمان لاستخلاص ما يناقض هذا الجوهر ؛ فإنه يجعل من الخط الهمايونى قميص عثمان .

ولنلاحظ المؤشرات التالية ..

لقد صدر " قرار " وكيل وزارة الداخلية ؛ بالشروط العشرة ؛ فى ظل حكومة انتقالية عشية ألغيا عبد الفتاح يحيى وهو فى باريس ولم تدم أكثر من أربعة عشر شهرا بين سبتمبر ١٩٣٣ ونوفمبر ١٩٣٤ . لقد جاء عبد الفتاح يحيى خلفا لرئيسه إسماعيل صدقى الذى مرض بين فبراير وأغسطس عام ١٩٣٣ واستقال فى سبتمبر من العام نفسه . وكان قد تولى الوزارة فى ١٩ يونيو عام ١٩٣٠ على أثر الصدام الكبير بين الملك فؤاد وحزب الوفد . وبعد يومين فقط من تولى اسماعيل صدقى رئاسة الحكومة أصدر الملك مرسوما بتأجيل انعقاد البرلمان ، وأمر صدقى باغلاق بوابة المجلس النيابى بالسلاسل . وهى المرة التى أمر فيها ويصا واصف رئيس المجلس بتحطيم السلاسل ، وتدفق النواب ليعقدوا اجتماعهم . ولكن إسماعيل صدقى بادر إلى صياغة دستور جديد سمى بدستور ١٩٣٠ يعتدى فى معظم موارده على حقوق الشعب ويسلبها لمصلحة الملك . وبادر أيضاً إلى تأليف حزب ودعاه باسم حزب الشعب . ولم تستمر هذه " الميزلة " أكثر من ثلاث سنوات مرض إسماعيل صدقى قرب أواخرها ، وأسند الملك مهمة تأليف الوزارة لنائبه فى " الحزب " عبد الفتاح يحيى .

نحن إذن فى مناخ معاد للحريات الديموقراطية ، لا يستند الحكم فيه إلى قاعدة شعبية ، عريضة وصلبة ، وتشرف على الإدارة التنفيذية شخصية باهتة جاءت إلى الحكم بطريق الصدفة من حزب كاريكاتورى . وفى هذا المناخ الاستبدادى من ناحية والسائب من ناحية أخرى ، يأتى " وكيل وزارة " الداخلية فيصفى الخط الهمايونى ، ومن خلال فجوة الاستبداد وغياب الحكم فى آن واحد يصدر " قرارا " ملزما لمصر على تعاقب الأزمان والحكومات والعهود والأنظمة إلى اليوم ومنذ ستة وخمسين عاما ، وكأن اللحظة التى صدر فيها هذا القرار من وكيل وزارة (فبراير ١٩٣٤ م) قد تجمدت . وإنها لحظة صعود النازية فى

الخارج وبعض الاتجاهات الفاشية فى الداخل ، لحظة عنصرية .

ولقد عرفت مصر بعدها لحظات مجيدة عامرة بالمقاومة الباسلة لهذه الاتجاهات . ولكن تلك اللحظة تمكنت من الصمود بالرغم من كل المتغيرات . تغير النظام فى مصر أكثر من مرة من الملكية والاستعمار إلى الجمهورية ، والاستقلال إلى الجمهورية و " الانفتاح " ، ومع ذلك فإن أحداً لم يعاود النظر فى الخط الهمايونى أو الشروط العشرة ، وبالرغم أن هذه الشروط ليست العقبة الوحيدة أمام الوحدة الوطنية ، فهناك منات الشروط الخفية والظاهرة الرسمية وغير الرسمية التى تهيىء مناخا شبه ثابت لنمو التيارات الفاشية العنصرية المتعصبة . ولا تعود " الشروط العشرة " أكثر من مثل على جذور الاحتقان الطائفى . وهو الاحتقان الذى بات يشكل خطراً جدياً فى ارتباطه الوثيق ببقية الأخطار ، فلعله من الضرورى أن تكون هناك ضوابط معمارية واجتماعية وجمالية لبناء المعابد ، ولعل السباق إلى بناء المدارس والمستشفيات لا يقل أهمية ، ولكن " حق المواطنة " يبقى الأكثر تحقيقا للمساواة بين أبناء الشعب الواحد . وإذا ديس هذا الحق لابناء دين معين فإنه يداس على نحو آخر لبقية أصحاب الأديان الأخرى بما فيهم الذين ينتمون إلى دين الأغلبية . حق المواطنة لا يتجزأ سواء كان هذا الحق فى حرية التعبير أو الاعتقاد أو الاجتماع أو التنظيم أو الإضراب أو التظاهر حق الانتماء للوطن ، وأرضه وحياته ومستقبله ، هو حق شامل لمختلف الحقوق ومختلف الطبقات ومختلف الثقافات والأيديولوجيات والأديان . والحقوق العامة التى يشترك فيها جميع أبناء الشعب أكثر كثيرا بما لا يقاس من الحقوق " الطائفية " . وهذه الحقوق الوطنية العامة ، إذا أصيبت بالقهر والاضطهاد ، فإن الأمر ينعكس على أية حقوق فرعية . الاستبداد الداخلى كالإستعمار ، لا يفرقان بين أبناء الشعب على أساس الدين أو المذهب ، ولكن ترك القوانين القمعية تعبث بالعقل الجمعى وبالتراث الوطنى هو جزء لا يتجزأ من أيديولوجية الأنظمة المستبدة التى تستطيع فى لحظات بعينها أن تمد أيديها هنا أو هناك من أرشيف الماضى لتستخرج من ترسانة القهر ما تشاء من تقنين وتبرير .

وهل من قبيل المصادفات أن قوانين إسماعيل صدقى ضد حرية الرأى والاعتقاد والتى سنت فى غياب الديمقراطية لضرب القوى الوطنية واليسارية مازالت سارية المفعول إلى الآن ؟ وإذا قلنا أن قرار الشروط العشرة لبناء الكنيسة هو جزء لا يتجزأ من " قوانين صدقى باشا " هل نبتعد عن الحقيقة ؟ فإذا ما لم نبتعد ، ألا نستخلص من ذلك الدلالة الكبرى ، وهى أن أية مشكلات طائفية هى جزء

لا يتجزأ من الاحتقان الاجتماعى الشامل وأن جذورها هى بعض " الثوابت " المستقرة والمستمرة فى كيان " الدولة غير العلمانية ؟

ومن أعجب الامثلة لعودة سيادة النعرة الدينية ما حدث سنة ١٩٤٠ حينما صدر قرار وزارى يمنع المدرسين الاقباط من تدريس اللغة العربية حتى وإن كانوا متخرجين فى قسم اللغة العربية لكلية الاداب فدفعوا بعدد كبير منهم الى التعطل دون ذنب ما سوى قبطيتهم . بالاضافة الى ذلك ما حدث فى شهر مارس سنة ١٩٥٠ إذ صدر قرار بندب مدير مسلم للمتحف القبطى ، على الرغم أن ذلك يخالف المرسوم بقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣١ الخاص بالحاق المتحف القبطى الى أملاك الدولة (١) .

اخيرا اذا جاز لنا ان نرصد التطور الجديد فى قضية التكامل بين المسلمين والقبط عشية ثورة ٢٣ يوليو أمكن القول بأنه عبر المعارك التى خاضتها القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة فى الاربعينات والخمسينات أو فى الفترة بين ثورتى (١٩١٩ - ١٩٥٢) دخلت عملية التفاعل بين المسلمين والقبط مرحلة أسمتها عدم الاستقرار ولكنها لا تخلوا من المواقف الوطنية المخلصة لمصر من الاقباط المخلصين (٢) .

وعلى سبيل المثال :

١ - فى عام ١٩٣٨ رفض القبط مرة أخرى أن يدخلوا فى دائرة الاقليات التى تطلب الحماية من دولة اجنبية وعبر عن ذلك ممثلا مصر فى عصبة الأمم وهما آن ذاك الوزيران القبطيان مكرم عبيد وواصف بطرس غالى - فعارضا أن يقرن دخول مصر بين أعضاء هذه المنظمة الدولية بتعهد من الحكومة المصرية يكفل حماية الاقليات تعهداً قد تحاسب عليه الحكومة أمام العصبة (٣)

٢ - وفى حرب ١٩٤٨ سقط من القبط شهداء فى فلسطين من جنود الجيش المصرى (٤) .

---

(١) المسيحيون والقومية المصرية " د . زاهر رياض " ص ١٧٧ .

(٢) الاقباط والقومية العربية (ابو سيف يوسف) ص ١٤٦ .

(٣) الاقباط فى الحياة السياسية المصرية (د . سميرة بحر) ص ١٠١ .

(٤) جريدة مصر فى ١٤ / ٢ / ١٩٥٢ .

٣ - وعندما إحتدم الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية فى القنال وطلب من العاملين المصريين أن يمتنعوا عن العمل فى القاعدة البريطانية " هجر آلاف العمال والموظفين الاقباط العمل من القاعدة رغم المرتبات العالية وقبل ذلك شارك شباب القبط فى ثورات الثلاثينات الوطنية كما شاركوا فى الاربعينات فى صفوف الحركة العامة المناهضة للاستعمار كما كانت هذه الفترة لا تخلو من الاعمال التى تؤكد الوحدة الوطنية والقومية وأصالتها بين القبط والمسلمين وعلى سبيل المثال .

أ - نجد لاول مرة يذاع القداس الالهى ليالى الاعياد القبطية وكان ذلك سنة ١٩٥٠ م .

ب - كما ذكر أن د.طه حسين فى جديث له قال أن الهدف المقصود من التبشير الامريكى والانجليزى والفرنسى هو هدم الكنيسة القبطية مع أن هذه الكنيسة جزء هام من تراث الدولة يجب المحافظة عليه .

ويمكن القول أن فساد الادارة السياسية وانتشار الرشوة وكذلك فساد الاحزاب وضياع المصلحة الوطنية فى زحمة المنافع الشخصية هو الذى أدى الى قيام ثورة الجيش سنة ١٩٥٢ م ونجح الجيش فى ثورته بفضل تعضيد الامة وحسن تقبلها للدعوة وليس أدل على هذا الفساد من ظهور حزب الاخوان المسلمين الذين حاولوا إعتماداً على تنظيماتهم السرية القبض على السلطة عن طريق القتل وسفك الدماء والقضاء على الاقباط وظهر هذا الفكر عند محاكمة رئيسهم وأعضاء الحزب . وكان تعضيد الاقباط للثورة قويا حين أعلنت حكومة الثورة أن أول أهدافها المحافظة على الوحدة المقدسة والضرب على أيدى العابثين بها .

وأخيرا يذكر مؤلف كتاب " الصليب والهلال " الاستاذ عبد التواب يوسف من جهة وطنية ومساجد بناها أقباط فيقول " فى طفولتى ارتفع فى الحى الذى اسكنه ببنى سويف " مسجد بناه مسيحى ومازال المسجد يحمل إسمه " جامع عوض عريان " وكنت أحب إسم (عريان) فقد سمعت عن " عريان سعد " الذى حاول أن يقتل رئيس الوزراء المسيحى " يوسف وهبه " كما يذكر أيضا المسجد الذى شيده فى مغاغة المرحوم قلينى باشا فهمى الى جوار الكنيسة التى شيدها أيضا ، اوفى طنطا رأينا مرقس بك يوسف يبنى مسجدا فى بلده نجاح ...

ويمكن تلخيص النهضة الدينية التى بدأت فى المحيط الكنسى فى هذه الفترة كما يأتى :

١ - كان انشاء المدرسة الاكليريكية سنة ١٨٨١ أول البذور التى ألقيت لبدء

نهضة كنيسة واعية وكان رائد هذه النهضة هو المرحوم الاستاذ حبيب جرجس الذى أسس فكرة مدارس الاحد وجمع حوله مجموعة من الشباب القبطى الغيور على الكنيسة وبدأ يعلمهم أول درس فى الخدمة ثم أصبحوا فى فترة وجيزة خداما عظماء أمناء على خدمة الكنيسة الى النفس الاخير وعلى يدهم تأسست خدمة مدارس الاحد فى القاهرة والجيزة وضواحيها ومنها بدأت تنتشر فى الاقاليم ومن هؤلاء الشبان والخدام الامناء الاستاذ نظير جيد الذى هو غبطة البابا المعظم البطريرك القديس والمعلم قداسة الانبا شنودة الثالث (البطريرك الحالى)

٢ – كان لحماية الدولة وحدة عنصرى الامة واستصدار القوانين واللوائح للمساواة بين المواطنين جميعا أقباط ومسلمين ، وأعطت المسيحيين حرية إقامة شعائرهم الدينية وحرية الوعظ .

٣ – دفعت النهضة الدينية الخدام وأراخنة الشعب القبطى للاهتمام بالخدمة الاجتماعية والنشاط الاجتماعى فى المحيط الكنسى فبدأو بانشاء الجمعيات الخيرية التى تكاثرت فى بلاد عديدة واهتمت هذه الجمعيات بالتعليم ، فتأسست مدارس عديدة كما إهتمت بالخدمة الاجتماعية ، ومنها مساعدة الفقراء والمحتاجين وتشغيل العاطلين وبانشاء المشاغل لتعليم الفتيات الحياكة والتفصيل والتطريز وخلافه مثل الخدمة الصحية بانشاء المستوصفات لرعاية وعلاج محدودى الدخل .

٤ – كذلك ظهرت شخصيات ذو ثقافة عالية فى الناحيتين الروحية والعلمية دأبوا على تأليف الكتب الدينية وطبعها ونشرها فكثرت المطبوعات الدينية مما دفع بعض الجمعيات الخيرية الى إنشاء المكتبات الدينية كجمعية المحبة فى جزيرة بدران التى انشأت مكتبة المحبة التى بالفجالة سابقا كما كثر إنشاء المكتبات الدينية التى بالكنائس .



أبرز الشخصيات القبطية الوطنية فى هذه الفترة

١ - القس منسى يوحنا ٢ - الاستاذ / حبيب جرجس

٣ - القمص سرجيوس ٤ - مكرم عبيد

١ - القس منسى يوحنا
ولد سنة ١٨٩٩ وتنيح سنة ١٩٣٠

كان كثير القراءة الى حد بعيد وإستطاع أن يستوعب منات الكتب وهو بعد فى حداثة سنة ، وعلى الرغم من عمره القصير ولكنه كان دسم عامر بالانتاج الذى لم يستطعه الشيوخ ، فكان كارزاً إكليريكيا عظيما وأشهر وعاظ الصعيد فى عصره بمركز " ملوى " ومَن مِن الناس لم يستفيد منه ؟ إن الذى فاته أن يتمتع بعظاته إنتفع ولا شك من كتبه العديدة فله كتب لاهوتية وعقائدية كما كتب عن الكتاب المقدس وفى تاريخ الكنيسة وقد أحبه الجميع حتى الطوائف غير الارثوذكسية وبكوه بكاء حاراً عندما تنيح وأرسل سكرتير السندوس تعزية حارة لشقيقه .

وكان القس منسى يوحنا محبوباً جدا من المسلمين حتى أنهم كانوا يتهافتون على حمل نعشه يوم وفاته وقد إشترك فى الحركة الوطنية وكان خطيب ملوى الفذ .

وأخيراً عرف القس منسى يوحنا يوم نياحته فقال لمن حوله يوم ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ (سأموت الليلة فأرجوا أن تصلوا على فى ملوى وتدفنونى فى هور) ورقد فى تلك الليلة .

٢ - الاستاذ الارشيدياكون / حبيب جرجس
رائد التعليم المسيحى
ولد سنة ١٨٧٦ وتنيح سنة ١٩٥١

- كان اشهر واعظ فى جيله بعد القمص فيلوثيؤس ابراهيم وكان فى وعظه جهورى الصوت قويا واسع المعلومات يؤثر فى سامعيه .

- قام حبيب بانشاء جمعيات خيرية جديدة كما قام بتشجيع الجمعيات القائمة منها وانشأ جمعيات أخرى للوعظ .

- كان حبيب جرجس هو المعلم الاول فى الكنيسة ومر وقت كان هو فيه المعلم الوحيد حتى أخرج للكنيسة جيلا من المعلمين .

وكان عمله فى التعليم شمل الاكليريكية ومنابر الكنائس والجمعيات كما علم بقلمه فى كتبه الجديدة . وتعتبر مدارس الاحد من أهم ميادين حبيب جرجس فى التعليم

- يعتبر حبيب جرجس المؤسس الحقيقى للاكليريكية فى عصرها الحاضر فهو الذى إشترى لها الارض واسس لها المبانى فى مهمشة . وأعد القسم الداخلى لمبيت الطلبة وانشأ القسم الليلى الجامعى سنة ١٩٤٦ م الذى كان قداسة البابا شنودة أول خريجيه .

- أصدر حبيب جرجس مجلة الكرمة كما أصدر اكثر من ثلاثين كتاباً فى شتى العلوم الدينية . وفى الروحيات وفى العقيدة والتاريخ بل أصدر كتبا ايضا فى التراتيل وفى الشعر .

- كان حبيب جرجس أول إستاذ للاهوت فى الكلية الاكليريكية وتولى تدريس زملائه وهو طالب كما اختير عضوا للمجلس الملى العام..

- وقد رشح مطرانا للجيزة سنة ١٩٤٨ م ولم يقبل البابا يوساب رسامته لانه لم يرسم راهبا .

٣ - القمص سرجيوس

- ولد بجرجا سنة ١٨٨٢ ورسم قسا على بلده ملوى باسم القس ملطى سرجيوس ثم عين وكيلا لمطرانية أسيوط فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٧ . وقد تحدثت عنه جريدة " الوطن " بغيرته على دينه وألمه الشديد على مجد إمته الزائل . ومن اعماله كان رجلا ثائرا على كل مالا يرضيه ولكن ثورته إقتصرت فى بداية حياته فى تمسكه الشديد لعقيدته . وقد أصدر مجلة المنارة المرقسية فى سبتمبر سنة ١٩١٢ فى مدينة الخرطوم عندما كان وكيلا لمطرانيتها . وكان هدف المجلة دعوة الاقباط والمسلمين الى التضامن والتآخى وتقويم الاعوجاج الذى تأصل فى الاقباط ككنيسة واضرب على العادات التى أضلت الشعب وأفسدت ماورثناه من الاباء القديسين فغضبت عليه الانجليز وأمروا بعودته الى مصر فى أربع وعشرين ساعة (٢٤ ساعة) وكانت آخر كلماته للمدير الانجليزى هى " اننى سواء كنت فى السودان أو فى مصر - فى بلادى - ولن أكف عن النضال وإثارة الشعب ضدكم الى أن تتحرر بلادى من وجودكم " (١) .

- وقد برز القمص سرجيوس وسط الثائرين فى ثورة سنة ١٩١٩ فكان أشبه بعبد الله النديم ، فقد وهبه الله لسانا فصيحاً يهز أوتار القلوب الى حد جعل سعد

---

(١) مجلة المصور فى ٧ / ٣ / ١٩٦٩ بمناسبة ذكرى مرور ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ .

زغلول يسميه أو أطلق عليه لقب خطيب مصر أو خطيب الثورة الاول . كما ظل يعيش فى الازهر لمدة ثلاثة شهور كاملة يخطب فى الليل والنهار مرتقياً المنبر معلنا أنه مصرى أولا ومصرى ثانياً ومصرى ثالثاً وأن الوطن لا يعرف مسلما ولا قبطيا بل مجاهدين فقط دون تمييز بين عمامة بيضاء وعمامه سوداء وقدم الدليل للمستمعين اليه بوقفته امامهم بعمامته السوداء (١) وقد إعتقله الانجليز من كثرة خطاباته ضد الانجليز وضد الاحتلال وإستمر معتقلا لمدة ٨٠ يوما ثم أفرج عنه . وبعدما خرج من الاعتقال ظل يخطب فى كل مكان فى المساجد والكنائس والاندية والمحافل وفى الشوارع والميادين ، وقد ذكر عنه أنه ذات مرة وقف فى ميدان الاوبرا يخطب فى الجماهير المتزاحمة ، وفى أثناء خطابه تقدم نحوه جندى إنجليزى شاهراً مسدسه فى وجهه ، فهتف الجميع " حاسب يا أبونا - حايموتك " وفى هدوء أجاب ابونا " ومتى كنا نحن المصريين نخاف الموت ؟ دعوه يريق دمائى لتروى أرض وطنى التى إرتوت بدماء آلاف الشهداء . دعوه يقتلنى ليشهد العالم كيف يعتدى الانجليز على رجال الدين ، وأمام ثباته وإستمراره فى الخطابة تراجع الجندى عن قتله (٢) ومن أعظم عباراته التى قالها من على منبر الازهر ما يعبر عن وطنية هذا الرجل وقوله " إذا كان الانجليز متمسكون ببقائهم فى مصر بحجة حماية القبط فأقول ليمت القبط وليحيا المسلمون أحرارا " . ويستمر فى أقواله المأثورة هذه فيقول " بأنه اذا كان إستقلال مصر يحتاج الى التضحية بمليون قبطى فلا بأس من هذه التضحية " . ومن أشهر عباراته المأثورة والمتداولة أيضا قوله هاتفا " فليحيا الهلال مع الصليب " .

وأخيرا تتيح القمص سرجيوس فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ وأبت الجماهير الشعبية التى إشتركت فى تشييع جنازته إلا أن تحمل نعشه على الاعناق ثم أيدت الحكومة اعترافها بجهاده الوطنى بأن اطلقت إسمه على أحد شوارع مصر الجديدة .

٤ - مكرم عبيد

- ولد مكرم عبيد فى سنة ١٨٨٩ م فى قنا - من أشهر العائلات القبطية وأثراها . كما درس القانون فى أكسفورد ثم حصل على ما يعادل الدكتوراه سنة ١٩١٢م ، ولما عاد الى مصر عين سكرتيرا للوقائع المصرية سنة ١٩١٣ م ، وقد أختير

---

(١) جريدة وادى النيل فى ٢٢ ابريل سنة ١٩٢٢ .

(٢) قصة الكنيسة القبطية " الجزء الخامس " د . اريس حبيب المصرى " ص ١٠٥ .

سكرتيرا خاصا لكل مستشار إنجليزى طوال مدة الحرب العالمية الاولى . كما كتب مكرم عبيد رسالة قيّمة باللغة الانجليزية فى معارضة مشروع المستشار الانجليزى " برونيات " شرح فيها مطالب الامة المصرية وحقوقها إزاء الانجليز ،ورفعها المستر (موريس ايديموس) مقترحا لانهاء الثورة وعقد تحالف بين إنجلترا ومصر يحل محل الحماية وقد اعجب سعد زغلول بهذه المذكرة وجعلها إحدى حجج الوفد فى مفاوضاته مع الانجليز بعد ذلك . وكان نتيجة كتابته الرسالة السابقة وتقديمها أن أستغنى عنه الانجليز كسكرتير للمستشار الانجليزى ، فعين إستاذا فى كلية الحقوق وظل بها عامين كاملين . وقد إنضم مكرم عبيد الى حزب الوفد سنة ١٩١٩ وعمل فى مجال الترجمة والدعاية فى الخارج ضد الحكم والاحتلال الانجليزى ، وإتصل بوسائل متعددة مثل الصحف الاجنبية ولجان من الطلبة المصريين بالخارج والالتقاء بالوفود .

زواجه : تزوج مكرم عبيد بعد عودته الى مصر من السيدة عايدة كريمة مرقس حنا والعجيب أنه شابه سعد زغلول فى أن الله لم يرزقه ولدا . ومما يجب تسجيله باعتزاز لسعد زغلول أنه حين تقدم مكرم عبيد ليخطب عايدة رفضته فى بادىء الامر لكونها أرثوذكسية متمسكة بعقيدة الاباء بينما مكرم عبيد بروتستانتى فلما سمع الزعيم الخالد سعد زغلول بهذا الموقف قال لمكرم " ما هذا يا إبنى ؟ لقد نشأنا طوال عمرنا لا نعرف كاهنا غير الذى يرتدى العمامة السوداء فهو إبن مصر الصميم فلماذا تركته وكانت هذه الكلمات كافية طبعا لان يعود مكرم الى إمة الكنيسة القبطية المصرية فيتزوج من السيدة الفضلى عايدة مرقس حنا .

وبعد نفى سعد زغلول ثار مكرم عبيد وقام بإلقاء الخطب والمقالات فندد بالاحتلال مما تسبب فى القبض عليه ونفيه عدة مرات ولذلك ازدان تاريخه بالنفى والسجن معاً . وكان له دعاية نشطة فى انجلترا وفرنسا والمانيا ضد الحكم الانجليزى حتى أن الجريدة الناطقة بحزب الوفد أطلقت عليه لقب (المجاهد الكبير) كما لقّب مكرم عبيد بعدة القاب أخرى منها " إبن سعد البكر " و" الخطيب المفوّه " . وقد إستمر مكرم عبيد – سكرتير عام الوفد وأكثر زعماء الوفد شعبية بعد سعد زغلول والنحاس ووصف بأنه سيف الوفد الذى لا يدخل غمده ولسانه الذى لا يسكت وقلمه الذى لا يكف عن الضرب حتى أن الناس كانوا ينسون أنفسهم وهم يصفقون له إعجابا . ومما يؤثر عنه أنه بعد عودته من المنفى بأيام قلائل وقف يخطب فى شباب شبرا مهاجما السعى الانجليزى فى الوقيعة بين المسلمين والاقباط وإختتم خطابه كما يلى .. بقيت لى كلمة أخيرة عن تلك الدسيسة المنكرة التى يقوم بها المستعمرون للتفريق بين المسلمين والقبط

ويقولون أقباط ومسلمون بل هم مصريون ومصريون وأباء وأمهات وبنون أو قولوا لهم إخوة لانهم بدين مصر يؤمنون أو أشقاء لان أمهم مصر وأباهم سعد زغلول ، أيقال هذه القول عن مصر التى علمت العالم معنى الاتحاد المقدس حتى ان الهنود فى محباسا كانوا يقولون أن مصر استاذة الهند ومثلها الاعلى فى إتحاد طوائفها .

- عين مكرم وزيرا للمواصلات فى وزارة النحاس سنة ١٩٢٨ م . كما كان ابرز أعضاء حزب الوفد والجبهة الوطنية شعبية وحظوة لدى الجماهير عام١٩٣٥

- وعين مكرم عبيد وزيرا للمالية بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ م ومنح لقب الباشوية

- ومن اهم اعماله صدور الكتاب الاسود ١٩٤٢ م .

وهو عبارة عن عريضة مرفوعة الى الملك فاروق فى ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣ م يتضمن قسمين رئيسين :

القسم الاول : يتعرض فيه ويوضح أسباب الخلاف وملابساته بينه وبين الوفد موضحا نتائجه المباشرة فى الساحة عامة .

القسم الثانى : يتناول فيه تصرفات وزارة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ م سواء ما وقع قبل خروج مكرم عبيد من الوزراة أو بعده .

ويتكون هذه القسم من بابين أساسيين :

الباب الاول : خاص بالتصرفات المتعلقة بنزاهة الحكم :

ويشمل الموضوعات الاتية :

١ - استغلال النفوذ للحصول على الثراء عن طريق الشراء والبيع والتأجير والتنظر على الاوقاف .

٢ - التستر على التهم المنسوبة لبعض الأغنياء .

٣ - التلاعب فى رخص التصدير .

٤ - إمتيازات التموين وفساد الادارة فى شئونه .

٥ - الانتفاع الشخصى من أملاك الدولة ضد المصلحة العامة وأحكام القانون .

٦ - تفشى الوساطات وتفشى الرشوة معا فى الصفقات التجارية والوظائف الحكومية وتعيين العمد وفصليم وإدارة البنوك وقبول الطلبة فى المدارس .. الخ

٧ - فضائح المحسوبية والاستثناءات .

٨ - تزييف الحقائق والوقائع الرسمية .

الباب الثانى : خاص بالتصرفات المتعلقة بالحريات العامة والحقوق الدستورية وانساسية وديمقراطية الحكم وينطوى تحت هذا الباب الموضوعات الاتية :

١ - العبث بالحكم النيابى وتقاليده
٢ - خنق حرية الصحافة .
٣ - إهدار حرية الافراد
٤ - العبث بحرية الجمعيات
٥ - العبث بحرية الانتخابات ونزاهتها
٦ - التفريط فى حقوق البلاد السياسية

تقييم الكتاب الاسود :

يذكر جلال الدين الحمامصى فى وصفه فى قيمة الكتاب الاسود بأنه الوثيقة التى هزت أركان الفساد فى مصر ومهدت الطريق لحركة التطهير الشاملة التى أطاحت بالاحزاب السياسية ووضعت الاسس وأرست القواعد لبناء عهد جديد فى مصر . ومن آخر اعماله فقد شارك مكرم عبيد فى الوزارات الثلاثة التى تشكلت برناسة كل من أحمد ماهر والنقراشى فى سنة ١٩٤٦ م . ويعتبر مكرم عبيد صاحب فكرة النقابات العمالية وتكوينها ، ووضع كادر للعمال لاول مرة فى تاريخ الحكم المصرى ، وتوفير التأمين الاجتماعى لهم ، كما وضع نظام التسليف العقارى الوطنى ، كما أنه صاحب نظام الاخذ بنظام الضريبة التصاعدية للدخل .

- وفى سنة ١٩٥٠ م أعلن مكرم عبيد بطلان معاهدة سنة ١٩٣٦ م وبطلان إتفاقية سنة ١٨٩٩ م شكلا وعدم تنفيذها فعلا ، وذلك تطبيقا لبيان هيئة الامم المتحدة الذى يقضى ببطلانهما ، وذلك قبل أن يعلن النحاس الغائها بالفعل فى ٨ اكتوبر سنة ١٩٥١ م وهذا يوضح قدرته وحكمته السياسية وذكاءه .

وأخيرا تولى مكرم عبيد مطلب الغاء الامتيازات الاجنبية وناضل فيها وقال إنه لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة . يعوزنا الوقت الكثير للحديث عن هذا الرجل الوطنى العظيم ولكننا كتبنا نقط مضيئة فى وسط شمس حياته المنيرة التى غربت عن حياتنا سنة ١٩٦١ م .

أشهر قديسوا الكنيسة واراختها فى هذه الفترة
(١٩٢٣ - ١٩٥٢)

١ - البابا يؤانس التاسع عشر البطريرك الـ (١١٣) :

- ولد بقرية دَيرناسا (تابعة لمركز البدارى) بمديرية أسيوط سنة ١٨٥٥ م . وترهب فى دير البراموس ثم رسمه البابا كيرلس الخامس سنة ١٨٧٨ م قمصا ورئيساً لدير البراموس وإستمر ما يقرب من عشرة سنوات يدير الدير بهمة ونشاط وفى سنة ١٨٨٧ م رسم مطرانا للبحيرة باسم الانبا يؤانس واضيفت اليه المنوفية بعد وفاة مطرانها . ثم عين وكيلا للكرازة المرقسية . واهتم بأن يكون لكل كنيسة جديدة أوقافا خاصة للصرف من ريعها عليها كما ضم أطيانا للبطريركية بالاسكندرية كما أهتم بالعلم والتعليم بالاسكندرية فاصبحت المدارس المرقسية الكبرى من اكبر المدارس بالثغر .

تنصيبه بطريركا :

بعد نياحة البابا كيرلس الخامس صار الانبا يؤانس قائم مقام بطريرك وبعد أن اصدر المجمع المقدس قرارا بجواز ترقية المطران الى رتبة البابوية تم تجليس البابا يؤانس التاسع عشر سنة ١٩٢٩ م .

وقد انشأ البابا يؤانس مدرسة للرهبان بحلوان وتشجيعا لطلبتها أرسل النابغين منهم الى مدرسة ريزا ريوس ببلاد اليونان فى بعثة تعليمية وكان من بينهم القمص أقلاديوس الانطونى الذى رسم مطرانا لجرجا وبطريركا فيما بعد بأسم البابا يوساب الثانى .

كما أهتم بأثيوبيا ورسم لها الانبا كيرلس مطرانا كما رسم لها خمسة أساقفة وقد زار البابا أثيوبيا سنة ١٩٣٠ م .

وقام البابا يؤانس أيضا بعمل الميرون المقدس وإهتم بزيارة الاديرة وخصوصا دير البراموس .

الرؤيا المخيفة :

بعد أن جلس البابا يؤانس على كرسى مارمرقس أخذ يساوره شيء من الندم والاسى لقبوله منصب البطريركية إذ كان يرى فى نفسه أنه ليس أهلا لها من جهة وأنه خالف القوانين التى تحرم الاسقف ان ينتقل من كرسى الى آخر من جهة أخرى ، ولكثرة هذه الافكار التى كانت تهاجمه بعنف وقوة نام ذات ليلة فرأى فى حلم جماعة بثياب البادية يهاجمونه بقيادة رجل حبشى فالتفت اليهم

مذعورا وهو يقول للحبشى هل تتحد مع أعدائى محاولا قتلى وأنت من أولادى ؟ واذا بالحبشى يقول له وأنت لماذا تركت مكانك الاول وجئت لتجلس على كرسى مارمرقس الرسول وعندئذ إستيقظ البابا مضطربا وكاد يسقط من سريره ..

وفى عهده وقعت الحرب بين ايطاليا والحبشة فى سنة ١٩٣٥ م وإنتهت باستيلاء ايطاليا على البلاد وإنقطعت صلة الكرسى المرقسى بها ولكن الحرب العالمية الثانية التى نشبت فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ م كان من نتائجها أن أعيد الى الحبشة إستقلالها وشاهد البطريرك بعينيه قبيل نياحته رجوع مطران الحبشة الى كرسيه وعودة كنيسة أثيوبيا الى أحضان إمها كنيسة الاسكندرية .

وتنيح البابا يؤانس فى سنة ١٩٤٢ م .

البابا مكاريوس الثالث البطريرك الـ (١١٤) (١٩٤٤ م - ١٩٤٥ م) :

ولد فى المحلة الكبرى سنة ١٨٧٣ م وترهب بدير الانبا بيشوى بوادى النطرون تحت إسم الراهب عبد المسيح سنة ١٨٨٩ ثم رسم مطرانا لاسيوط سنة ١٨٩٧ م باسم الانبا مكاريوس .

وفى سنة ١٩١١ م دعا الانبا مكاريوس الى عقد مؤتمر قبطى فى أسيوط للاصلاح الكنسى كما قدم للبابا كيرلس الخامس سنة ١٩٢٠ م رسالة عن المطالب الاصلاحية العلية .

وقد تم تنصيبه بطريركا سنة ١٩٤٤ م بعد نياحة البابا يؤانس التاسع عشر .

وفى أيامه حدث إختلاف بين البابا والمجلس الملى اضطر البابا فى هجر العاصمة والاعتكاف بحلوان ثم فى دير الانبا بولا . وقد تدخلت الحكومة وطالبت المجلس الملى بالعمل على عودة البابا فعاد واستمر النزاع حتى تنيح البابا فى اغسطس سنة ١٩٤٥ م .

البابا يوساب الثانى البطريرك الـ (١١٥) (١٩٤٦ م - ١٩٥٦ م) :

ولد فى دير الشهيد فليوثاؤس بالنغاميش من اعمال مركز البلينا سنة ١٨٧٦ م وترهب بدير القديس أنطونيوس سنة ١٨٩٥ م وسافر فى بعثة الى أثينا سنة ١٩٠٣ م حيث درس ثلاث سنوات العلوم اللاهوتية والتاريخ الكنسى وعاد سنة ١٩٠٥ م ثم أختير رئيسا لدير يافا فى فلسطين وفى سنة ١٩١٢ م أختير رئيسا للاديرة القبطية بالقدس وفى سنة ١٩٢٠ م رسم مطرانا لابروشية جرجا وأخميم وقد إنتدبه البابا يؤانس لمصاحبته فى زيارة الحبشة ثم للقيام على رأس وفد للكنيسة القبطية لتتويج الامبراطور هيلا سلاسى .

وقد نصب بطريركا سنة ١٩٤٦ م باسم البابا يوساب الثانى بعد نياحه البابا مكاروس الثالث .

وفى أواخر أيامه إشتد النزاع بينه وبين المجمع المقدس فقام المجمع بتعيين لجنة ثلاثية من الاساقفة للقيام بأعمال البطريرك الذى سافر الى دير المحرق ، وفى دوامة النزاع بين البابا والمجمع المقدس قامت الحكومة بالغاء سلطة المجالس الملية فى قضاء الاحوال الشخصية وأصبحت لاول مرة من إختصاص المحاكم الوطنية .

وقد تتيح بسلام فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ م .



قداسة البابا يوساب الثانى

يستقبل جمال عبد الناصر

صورة تاريخية فى البطريركية القديمة يوم

١٩٥٣/١/٨م .

وكان البابا يجلس على أريكته .

وطنية الأقباط فوق كل الاضطهادات

رغم كل هذه الحوادث المؤسفة ما نريد أن نؤكد أنه لم يحدث فى يوم من الايام أن قبطيا اتهم بالتآمر أو العنف أو بمحاولة قلب نظام الحكم فإن هذا لم يحدث إطلاقا فى تاريخ الاقباط منذ أن عرفهم الناس فى مصر. لان الاقباط ينادون بالسلام ويؤمنون بالمحبة والوئام مع جميع الناس ومن المستحيل أن يحمل أحدا سلاحاً ليستخدمه ضد أخيه المسلم أو ضد مصر أو هل من المنطق أن تحمل أقلية سلاحاً ؟

ومن أعظم الأدلة على وطنية الاقباط كلمة قداسة البابا فى مؤتمر الوحدة الوطنية فى يناير ١٩٧٧م وهذا نصها:

بسم الله الواحد الذى نعبده جميعا، الذى يعبده المسلمون الموحدون بالله والذى يعبده المسيحيون الموحدون بالله.

سيادة الرئيس: أود أن أستهل كلمتى أن أشكركم كثيرا على هذه الدعوة الكريمة ولانكم جمعتمونا معا فى هذا المكان بيت الشعب ولاول مرة فى التاريخ على هذا المستوى الواسع لجميع شيوخ المسلمين وأساقفة الاقباط ولاشك أنها روح طيبة نشكركم عليها .

وأحيى فيها الاخوة المسلمين جميعا وأرجو أن يتكرر هذا اللقاء أود أن أقترح كناحية من تأكيد الوحدة الوطنية أن تكون هناك لجنة دائمة مشتركة بين رؤساء القادة الدينيين فى الاسلام والمسيحية ، وأن تجتمع باستمرار ويناقش مابينها من أمور لان المثل يقول "البعد جفوة "

تحية للرئيس :

وأنا واثق اننا كلما التقينا كلما زدنا ترابطا وزدنا تماسكا وكلما فهمنا بعضنا البعض بأسلوب أوسع كلما كان لهذا الامر تأثيره على أولادنا من المسيحيين والمسلمين وأود يا سيادة الرئيس أن أحيى فيكم انسانا متدينا يحب الله ويسعى لمرضاته وينشر مبدأ العلم والايمان وأحيى فيك أيضا الرجل الذى يؤمن بأخلاقيات القرية فى نقاوتها وبساطتها ، وأحيى أيضا العبارات التى ذكرتموها عن الحروب الصليبية وكيف كان الاقباط ضد الصليبيين فى عدوانهم على اخوانهم المسلمين وفى هذه الظروف أود أن أعلن أننا جميعا نقف الى جوارك نحن نحس الموقف تماما فى أعماقه ونكلمك من عمق احساساتنا ومن عمق قلوبنا ان المشكلة الاقتصادية ياسيادة الرئيس لا تحملها أنت وحدك نحملها نحن جميعا معك ... أنت ورثت وضعا معينا مكبلا بالديون وعملت على قدر ما

تستطيع وينبغى أن نعمل معك ، ومشكلة الامن أيضا لا تحملها وحدك بل نحن نحملها معك . ومشاكل ردود الفعل الناتجة عن الحرية لا تحملها وحدك نحن نحملها أيضا معك .

نحن لا نرضى اطلاقا أن نقف من الحكام موقف المتفرجين نمدح أو نذم وانما نريد باستمرار أن نضع ايدينا فى أيدى الحكام ونسير معهم المسيرة كلها متعاونين فى وقت الضيق وسعداء معا فى وقت الراحة واليسر ونحن فى هذا الاجتماع نود أن نشجب ونستنكر حوادث الشغب والايذاء والتخريب التى حدثت فى النصف الثانى من يناير ونقول أن التخريب والايذاء ليس هو اطلاقا الوسيلة المعبرة عن الرأى .

التعبير عن الرأى دستوريا :

هناك الوسائل الدستورية الكثيرة التى يمكن أن ينتهجها كل انسان للتعبير عن رأيه ، ونحن نشكرك كثيرا لانك ارسيت مبادىء من الحرية سواء الحرية الشخصية أو حرية الصحافة أو حرية ابداء الرأى أو حرية تكوين الاحزاب الى آخره وما كنا نود اطلاقا ونكلمك ونحن فى تأثر شديد ما كنا نود اطلاقا ان الحرية التى أعطيتها للناس تستخدم ضدك أو ضد مصر . اننى **هنا** أتذكر قول الشاعر الذى قال : " أعلمه الرماية كل يوم .. فلما اشتد ساعده رمانى " نحن لا نقبل هذا ، الحرية فى نظرنا هى حرية القلب من الخطيئة **حرية الفكر** من الانحراف . حرية الانسان من الحقد من الانانية من الذاتية من الشر عموما والانسان الذى تحرر داخله يستطيع من الخارج أن يستخدم الحرية حسنا . أما الذين لم يتحرروا بعد من أرواحهم فهؤلاء يمكنك أن تضبطهم بالقانون وبالعقوبة . نود أن نقف جميعا متساندين . نود أن لا يلومك أحد . نحن فى هذه الأونة نقف معك ونود أن نقف مع بعضنا البعض رجال الاسلام ورجال المسيحية فى وحدة وفى تآخ وفى حب وفى تعاون نضرب لباقى الناس المثل السليم أو المثال الطيب لحياة المحبة والتعاون ونحن نشكرك يا سيادة الرئيس لأنك تهتم بالتعليم الدينى .. وفى الواقع ان العالم لا يصلح بالقانون بقدر ما يصلح بسلامة الضمير .. وما أسهل أن يتخلص الانسان من القانون يرتكب خطيئة فى الخفاء .. وما أسهل أن يؤول الانسان القانون تأويلا ردينا لصالحه ما أسهل أن يتهرب الانسان من القانون ونحن نرى فى المحاكم أنه قد يوجد طرفان متنازعان كل منهما يتكلم باسم القانون وكل واحد ضد الاخر.ولكن الضمير اسمى بكثير من القانون .رأينا أن القانون هو الحد الادنى للاخلاقيات أما الضمير فهو الحد الاعلى وأريد أن أقول فى هذا مسألة أخرى أن القانون له حدود ضيقة فالقانون يحكم على الاعمال الظاهرة والتى لها دليل مادى يثبتها أما الضمير فانه يحكم حتى على الفكر وعلى

النية وعلى مشاعر القلب الداخلية والامور التى لا يمكن ان يصل اليها القانون لذلك حسنا أن تهتم يا سيادة الرئيس بالتعليم الدينى.واقترحى فى هذا الامر أن تعليم الدين لا يكون نصوصا أو مجرد أفكار انما تتكلم عن روح الدين أكثر من نصوصه ونتكلم عن الدين كحياة يمتصها الانسان وليس كمعلومات يحشو بها فكرة وقد قال السيد المسيح : الكلام الذى أقوله لكم هو روح وحياة . وقيل فى الاسلام ان الدين هو المعاملة . ونريد أن يحيا الناس الدين وليس فقط يحفظونه . الدين يملأ قلوبهم ويعيش فى حياتهم ويعلمهم الحب ويعلمهم الطاعة ويعلمهم احترام من هم أكبر فهو يعلمهم الفضيلة مطبقة فى الحياة اليومية وليس مجرد أفكار وأسوأ ما يأخذه الناس عن الدين أن يظن البعض أن الدين هو التعصب ويظن أن محبته لدينه تدعوه الى كراهية الاديان الاخرى أو محاربته نريد الانسان المتدين الذى يحب الجميع . لكل انسان فى قلبه مكان ومكانة ولكل انسان فى قلبه منزل ومنزلة . كل انسان يأخذ من محبته ويأخذ من رحمته كما سمعت فضيلة الامام وأيضا يأخذ من مثاليته وكل انسان يعطى صورة مشرفة عن دينه أنه ينشر السلام والحب فى المعاملات اليومية وأشكرك يا سيادة الرئيس لانك تكلمت عن سماحة الاسلام وعن سماحة المسيحية وكان لنبلك أنك تحدثت عن المسيحيين أكثر وأرجو أن تسمح لى أن أتكلم ولو قليلا عن سماحة الاسلام أريد أن أذكر أن الاسلام فى جوهره وفى روحه وفى أساسه يعامل غير المسلمين معاملة طيبة نذكر من هذا الميثاق الذى أعطى لنصارى نجران والميثاق الذى أعطى لقبيلة تغلب والوصية التى قدمها الخليفة الامام عمر بن الخطاب قبل موته ووصية الخليفة أبى بكر الصديق لاسامة بن زيد والميثاق الذى أعطاه خالد بن الوليد لاهل دمشق والميثاق الذى أعطاه عمرو بن العاص لاقباط مصر وأذكر أيضا العبارة الاسلامية الجميلة : " استوصوا بالقبط خيرا ، فان لنا فيهم نسبا ورحما " وأذكر أيضا الحديث الشريف:" من آذى ذميا فليس منا . العهد لهم ولابنائهم عهد ابدى لا ينقض يتولاه ولى الامر ويرعاه " وأذكر ايضا فى سماحة الاسلام ذلك الشرع الجميل الذى يقول:" وان أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يريدون "،وهكذا أعطى الاسلام حرية الدين لغير المسلمين . اذكر أيضا فى سماحة الاسلام حفظه فى عهوده ومواثيقه للمسيحيين فى كنائسهم وصوامعهم ورهبناتهم وأملاكهم وأرواحهم.وكل شىء وأذكر أن عمرو بن العاص حين أتى إلى مصر كان بطريرك مصر البابا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثون كان مختفيا فى أرجاء مصر من اخوته المسيحيين المختلفين عنه فى الايمان ثلاثة عشر عاما لم يجلس على كرسيه فلما أتى عمرو بن العاص أمنه على نفسه وعلى كنائسه والكنائس التى أخذها منه الروم أرجعها اليه عمرو بن العاص بل

ساعده أيضا فى بناء كنيسة فى الاسكندرية . أذكر أن حياة المحبة جمعت بيننا طوال ١٣ قرنا من الزمان ونحن نضرب مثالا للناس فى التعايش السلمى ونذكر أن المسيحيين وقفوا ضد الغزاة حتى فى الوقت الذى أتى فيه هؤلاء الغزاة يقولون اننا نحن الاقليات فرفض المسيحيون حمايتهم كأقليات . أحد بطاريكتنا جاءه سفير أجنبى يطلب منه حماية الاقباط كأقليات ، فقال له البطريرك : هل ملككم هذا الذى يحمينا يموت أم يعيش الى الابد .. فأجابه يموت طبعا . قال له : نحن فى حماية اله لا يموت .. ورفض تدخل الاجانب عن هذا الطريق .

بل نذكر ان الأقباط عقدوا مؤتمرا ورفضوا فيه تمثيل الاقليات . وقالوا نحن مصريون ولا نود أن نأخذ هذا الوضع .

فى عهد الدولة الاخشيدية كان محمد بن فاضل الاخشيد يحتفل مع الاقباط بعيد الغطاس ويجلس فى جزيرة فى النيل وحوله ١٠٠٠ قنديل يحتفل معهم بالعيد . كان الاحتفال بعيد الغطاس احتفالا عاما للمسلمين والمسيحيين فى عهد الدولة الفاطمية .

جامع احمد بن طولون استقدم له أحمد بن طولون سعيد بن كاتب الفرغانى أحد المسيحيين فبنى له الجامع لانه أراد أن يبنى الجامع بغير عمد تحجب الانظار .

الاقباط عاشوا فى ظل الحكام المسلمين الذين يؤمنون بسماحة الاسلام .. عاشوا حياة طيبة .

الخليفة المعتصم كان هناك اخوان مسيحيان واحد سلماوية والثانى اسمه ابراهيم . الأول كان له فى مقام الوزير والثانى كان حامل خاتمه . وكان أمينا على خزائن الدولة . فى الدولة الفاطمية وجد الوزير القبطى الى جوار الخليفة ولم يكن هناك غير وزير واحد .. نسمع عن يعقوب كلس ، وعن عيسى بن نسطورس ، ونسمع عن بعض الوزراء المسيحيين الذين أوتوا سلطة كبيرة .

نعرف أن الاسلام حينما يفهمه المسلمون فهما حقيقا يدركون أعماقه فى السماحة ويحبون اخوتهم المسيحيين ونحن نشيد بهذه السماحة التى عبر عنها التاريخ مرات كثيرة بأمثلة عديدة ونرجوا أيضا أن تتوطد علاقات المحبة بيننا أكثر فأكثر . مازلت أقترح أنا شخصيا لامانع من أن اشترك مع اخوتى شيوخ المسلمين فى وضع كتب دينية مشتركة .

كتب دينية موحدة :

من الممكن أن نضع معا كتبا ضد الالحاد فنحن نؤمن بوجود الله . يمكننا أن نضع كتبا عن صفات الله الحسنى يمكننا أن نضع كتبا عن التوحيد فنحن نؤمن باله واحد وان كنا نقول (باسم الاب والابن والروح القدس) انما نقول بعدها " اله واحد .. آمين " يمكننا - أن نؤلف كتبا معا فى الفضيلة والاخلاقيات يمكننا أن نؤلف كتبا معا فى الوطنية وفى قضايا بلادنا . يمكننا أن نشترك فى هذه الاعمال ويرى عامة الشعب ويرى الطلبة أبناؤنا مسلمين ومسيحيين كيف أن أسماء قادة الدين المسلمين والمسيحيين يشتركون معا فى كتاب واحد .

يمكننا أن ندخل فى وسائل عملية كثيرة نربط بها بين المسيحى والمسلم ونحيا حياة مشتركة . وتقوا ان الحب هو أقوى من القانون . فى المسيحية يقول الكتاب المقدس " الله محبة . من يثبت فى المحبة يثبت فى الله " ، ونحن ننادى برسالة الحب باستمرار ونريد أن نعلم أولادنا فى المدارس الحب . نعلمهم حب الابوين ونعلمهم حب المدرسين . ونعلمهم حب القادة ونعلمهم حب بعضهم لبعض الحب النقى الطاهر الذى يرتفع فيه الانسان عن مستوى القانون .

نريد أن نعلم أولادنا حب بلادهم ..يحبون كل شارع من شوارعهم ..وكل مرفق من مرافقها .. وكل مؤسسة من مؤسساتها . ونريد أن نعلم الناس احترام الغير حتى الذى يخالف فى الرأى . ما أسهل أن يختلف معك انسان فى الرأى ويكلمك بأسلوب هادىء مؤدب فتحترم رأيه المخالف . وما أسهل أن يختلف معك انسان فى الرأى فيقول كلاما شديدا منفرا . نريد أن نعلم الناس الادب الحقيقى .

ونحن نشكر هذه الفرصة يا سيادة الرئيس التى جمعتنا فيها معك ونعاهدك أن نقف الى جانبك فى قوة هى قوة الحق الذى يجمعنا جميعا ولالهنا المجد الدائم الى الابد .

تعقيب للرئيس على كلمتى شيخ الازهر والبابا

بعد أن انتهى كل من فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر .. والبابا شنودة من كلماتهما القى الرئيس السادات الكلمة التالية :

أشكر لفضيلة الامام الاكبر .. وأشكر لقداسة البابا هذه الكلمات الرائعة .. التى أن دلت على شىء فانها تدل على وحدة أمتنا .. وعلى صلابة جبهتنا .. وعلى عمق الايمان .. الذى ندين به جميعا .. الايمان بهذا البلد .. الايمان بكل ما هو حق .. الايمان بكل ما هو خير .. ان ما تقدم به قداسة البابا من اقتراحات كانت تجول فعلا فى خاطرى .. فأما عن اللجنة فاننى أوافق عليها تماما . وسأكلف

رئيس الوزراء لكى تأخذ دورها .. وأما عن الكتب فأننى أتفق معه تمام الاتفاق . أن أسلوبا جديدا لابد أن يكتب به لابنائنا ، وكما طلبت فى كلمتى أن لا يكون أسلوبا تقليديا ، وانما نريد أن نتكلم بلغة العصر ..وأن تكون هناك كتب مشتركة .. هذا شيء رائع .. أدعو الله أن يوفق الجميع .. وأحمد الله سبحانه وتعالى الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . والسلام عليكم ورحمة الله .

+ ولقد كان الاقباط مع المسلمين يداً واحدة فى كل المواقف ونحن لسنا ببعيد فنجد اللواء فؤاد عزيز غالى هو وكثير من الجنود الاقباط اشتركوا فى رفع أول علم على منطقة الجيش الثانى وكان أول من حرر أرضا مصريا فى سيناء كان " اللواء فؤاد عزيز غالى " قائد الفرقة الـ ١٨ وبطلها الذى حرر القنطرة شرق ، حتى خريجى الكلية الاكليريكية اللاهوتية شاركوا فى خدمة سلاح المشاة المصرى وعبروا ضمن الجنود المصريين لتحرير سيناء .

كما كانت كنيسة الابنا انطونيوس بالسويس :

قد ساهمت بالدفاع عن مدينة السويس بعد الثغرة الاسرائيلية ، وكان الجيش المصرى يضم نخبة من الضباط الاقباط العاملين بالاحتياط والجنود بكافة فصائلهم واستشهد منهم عدد غير قليل فى معركة الشرف أو على سبيل المثال لا الحصر استشهد أحد الجنود الاقباط وهو يحاول دفن زميله المسلم بعد استشهاده وهذه واقعة مسجلة فى وثائق المعركة الرسمية وقد حصل كثير من الضباط والجنود الاقباط على شهادات الشكر والتقدير وأنواط الامتياز من المسئولين عن شجاعتهم وبلائهم فى المعركة بشرف وأمانة .

ثم يأتى بعد ذلك موقف ثابت ومشهور ، بالغ الدلالة على وطنية أقباط مصر ، ألا وهو ما استشعرته قيادات الكنيسة بالنسبة لما تنشره مجلة المنظمة التى تسمى نفسها " بالهيئة القبطية الأمريكية " فبالرغم من أن ما تنشره هذه المجلة وما يصدر عموما من تصرفات هذه المنظمة يشكل دفاعا عن أقباط مصر وزودا عن حقوقهم ودفعا لما يقع عليهم من اعتداءات وكشفا لما يحاك ضدهم من مؤامرات .. إلا أن قيادة الكنيسة القبطية فى مصر بما لها من حس وطنى وانتماء صادق لمصر وسائر المصريين رأت أن ذلك الذى يصدر عن هذه الهيئة يسيء الى الوطن .. فكان البيانات الذى وقع عليه رؤساء ٢٦ كنيسة قبطية فى المهجر الأمريكي والذى نشرته الصحف الأمريكية فى أغسطس سنة ١٩٨١ وكان قبله بيان بطريركية الأقباط إستنكارا للهيئة القبطية والذى نشرته جريدة الأهرام الصادرة يوم ٢٦ / ٦ / ١٩٨١ وفى مجال تأكيد وطنية أقباط مصر نرجع الى مؤلف " الكنيسة المصرية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية " للأستاذ / وليم سليمان .

بطاركة الكنيسة واشهر القديسين من الاساقفة والكهنة والرهبان والاراخنة فى هذه الفترة

كانت هذه الفترة غنية بقديسها الذين كانوا كالكواكب الساطعة التى تكشف لنا فى صمت وسكون عن أساليب محاربة العدو وحيله كما تقدم لنا أسلحة المحاربة ووسائل النصرة مشفوعة بالادلة الكثيرة والواضحة التى ترينا مدى فائدتها وعظم مفعوليتها فى قهر الشيطان - فقد كانوا نموذجا يمكن ان يقتدى به الجميع فى البساطة الطيبة المحبة لله للاخوة .

ولم يملاوا الدنيا بكتاباتهم وعظاتهم فقط بل ملاوا المسكونة بسيرة عطرة يتنسمها الابناء فيفرحون ويباركون الرب .

يعوزنى الوقت الكثير للحديث عن هؤلاء القديسين الذين كتب عن كل منهم كتب عديدة ولكنى سوف اذكر امثلة فقط :

اولا : البابا كيرلس السادس البطريرك (الـ ١١٦)
(١٩٥٩ - ١٩٧٠ م)

مولده ورهبنته : ولد سنة ١٩٠٣ م فى دمنهور وكان اسمه عازر يوسف وترهب فى دير البراموس باسم الراهب مينا البراموسى ورسم قسا سنة ١٩٣١ ثم قمصاً

حياته الديرية : تتلمذ على يد القمص عبد المسيح المسعودى فنشأ فى الفضيلة وعشق حياة العبادة والصلاة والخلوة الروحية ، ومال الى حياة الانفراد والعزلة ، وفى سنة ١٩٣٦ م ترك الدير واتجه الى مصر القديمة حيث أستأجر احدى طواحين الهواء بتلال جبال المقطم وأقام فى دورها الثانى منيحا قدم عليه القرابين .

سيامته بطريركا : على أثر اعتماد لائحة انتخاب البطريرك سنة ١٩٥٧ م وبعد القرعة الهيكلية تم سيامته سنة ١٩٥٩ م باسم البابا كيرلس السادس .

ومن أعماله : (١) حاول تدعيم صلة الكنيسة القبطية بالكنيسة الحبشية واستمرار إرتباطهما معا وخضوع الكنيسة الحبشية لسلطان بابا الاسكندرية والكنيسة الام فاستدعى الانبا باسيليوس مطران أثيوبيا ورسم لأثيوبيا بطريركا فى ٢٨ يونية سنة ١٩٥٩ م .

(٢) وفى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٩ م وضع حجر الاساس لدير مارمينا بمريوط .

(٣) وفى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٩ م عقد المجمع المقدس وتم تقديم مذكرتين للمسئولين إحداهما خاصة بالاحوال الشخصية والتوثيق والاخرى خاصة بالاوقاف القبطية .

(٤) وفى ايامه تقرر إدماج دير الانبا صموئيل الى الاديرة القبطية العامرة .

(٥) وفى عهده لاول مرة قام بسيامة أساقفة عامون

فرسم الانبا شنودة اسقفا للمعاهد الدينية والتربية الكنسية والانبا صموئيل اسقفا للخدمات العامة والانبا اغريغوريوس اسقفا للدراسات العليا والبحث العلمى .

(٦) وفى عهده بدأت كنائس قبطية فى المهجر وذلك فى كل من الولايات المتحدة الامريكية وفى كندا وفى استراليا وفى بعض البلاد الاروبية وفى الكويت والعراق وغيرها .

(٧) ومن أعظم المشروعات التى تبناها البابا كيرلس السادس وهو مشروع بناء اكبر كاتدرائية فى مصر وهى كاتدرائية مارمرقس بالانبا رويس بالقاهرة وقد أقيمت الصلوات بها كما تم بناء دار للبطريركية ومبانى ضخمة للكلية الاكليريكية والمعاهد القبطية العليا .

(٨) قد توج كل هذا بموافقة الكنيسة الكاثوليكية على ارجاع جسد القديس مرقس الرسولى الى مقر كرسيه وتم دفن الرفات فى قبر فخم أسفل مذبح الكاتدرائية وأصبح مزارا للجميع ليتبرك من جسد مارمرقس الانجيلى .

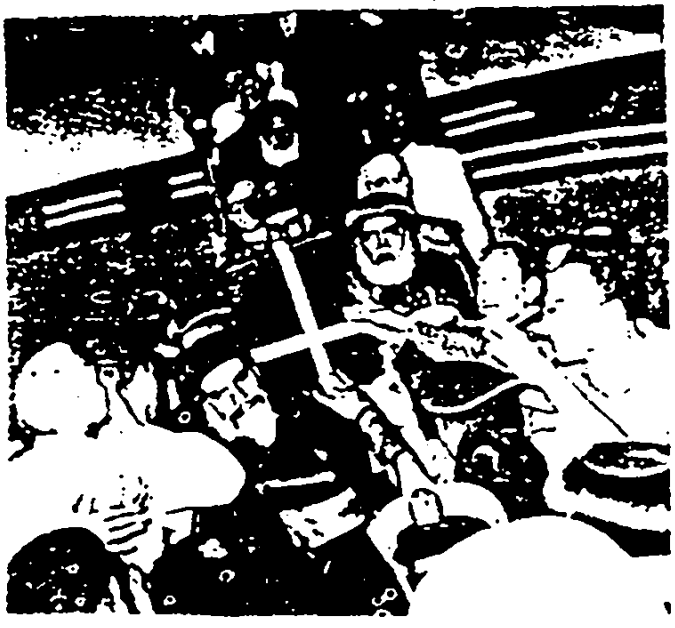
(٩) وعندما تأزمت الاحوال فى مصر على أثر نكسة ١٩٦٧ م حدثت أعجب المعجزات على الاطلاق وهى ظهور السيدة العذراء بالزيتون فى ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ م شاهدها عشرات الألوف .

البابا كيرلس مع الزعيم الخالد جمال عبد الناصر :

رغم القوانين التى أصدرها الرئيس جمال عبد الناصر ورغم ما عاناه الاقباط من مظالم فى التعيينات والوظائف والوزارات الهامشية والاهمال فى الترقيات وما شابه ذلك ولكنها كانت أحسن حالا من عصر السادات نظرا للعلاقة الحسنة المملوءة مودة التى كانت بين الرئيس جمال عبد الناصر والبابا كيرلس والتى كان لها الاثر الكبير فى رفع الروح المعنوية عند الاقباط ومن أعظم الادلة على ذلك المواقف الآتية :

(١) كان أول لقاء بينهما عام ١٩٥٩ م اذ قام قداسة البابا كيرلس السادس بزيارة الرئيس عبد الناصر وتبادلا أحاديثا ودية ويومها قال البابا للرئيس ... أنى بعون الله سأعمل على تعليم أبنائى معرفة الله وحب الوطن ومعنى الاخوة الحقة ليشب أبناء الوطن وحدة قوية لديها الايمان بالله والحب للوطن فأثنى السيد الرئيس على وطنية البابا وحبه لبلاده ودعى كل منهما للآخر بالتوفيق والنجاح .

(٢) ورغم ان العلاقة بين الرئيس عبد الناصر والبابا كيرلس السادس كانت تشوبها بعض التوتر فى البداية ولكن سرعان ما تحسنت هذه العلاقة وتوطدت وخاصة بعد اول زيارة له فى منزله بمنشية البكرى فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٥٩م كما زاره مرة اخرى بعدها عندما كان ابنه عبد الحكيم مريضا ودعا البابا له بالشفاء ... والحمد لله شفى عبد الحكيم نجل عبد الناصر بعدها فأصبحت العلاقة وثيقة بين الرئيس جمال عبد الناصر (١) والبابا كيرلس لدرجة أن الرئيس عبد الناصر يومها قال للبابا كيرلس من الأن لا تأت الى فى القصر الجمهورى .. إنما تأتى الى فى البيت ... البيت بيتك ،



---

(١) كتاب البابا كيرلس وعبد الناصر للكاتب محمود فوزى .

وهذه صورة لدعوة الرئيس جمال عبد الناصر للقاء البابا فى منزله يوم ١٠ مايو سنة ١٩٦٧ م .



ديوان كبير الامناء

قداسة البابا كيرلس السادس

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

اتشرف بالافادة ان السيد رئيس الجمهورية يسره استقبال قداستكم فى الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر يوم الاربعاء ١٠ مايو الحالى بمنزل سيادته بمنشية البكرى .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

كبير الامناء

تحريرا فى ٩ مايو سنة ١٩٦٧

ح /

(٣) عندما توجه البابا كيرلس السادس الى الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٠ مايو سنة ١٩٦٧ م ووضح له الازمة المالية الطاحنة التى تعانى منها البطريركية نتيجة لعجز الميزانية للبطريركية أمر الرئيس أن تتبرع الدولة بمبلغ عشرة آلاف جنية وكان نتيجة ذلك عبرت البطريركية أزمتها المالية وقتئذ ، كما أمر الرئيس بإصدار قرار جمهورى بإنشاء مجلس لإدارة أوقاف البطريركية بعد أن فشل المجلس الملى السابق فى إداء هذا العمل ومما هو جدير بالذكر أن قداسة البابا طلب مرتين السماح بإنتهاء الزيارة حفظاً على وقت الرئيس ولكن الرئيس كان يقول مبتسماً فى ود عميق ميعاد الزيارة لم ينته بعد وظلا يتحدثان فيما يعود بالخير على البلاد وعندما هم البابا بالانصراف قال السيد الرئيس أنى أضم صوتى لأصوات المهنئين بعيد جلوس غبطتكم متمنياً لكم أياماً سعيدة فشكره البابا بإمتنان كبير واضعاً يده على صدر الرئيس فى لطف وهو يقول : انى أضع يدى على يد الله .. لانه مكتوب عندنا " ان يد الله على قلوب الرؤساء " فاغتبط الرئيس وسر بهذا الحديث كثيراً .

وفى مساء ذات اليوم حضر أحد رجال الدولة الرسميين الى قداسة البابا حيث أبلغه شعور الارتياح الذى يشعر به الرئيس لهذه الزيارة وأشار الى أن الرئيس كان يشعر بالآلام فى صدره زالت جميعها عندما وضع البابا يده فوق صدره .

(٤) من ضمن المواقف اللطيفة أنه فى احدى زيارات البابا كيرلس للرئيس عبد الناصر فى منزله أحضر كل من أولاد الرئيس حصالته ووقفوا أمامه ثم قال الرئيس عبد الناصر للبابا " شوف أنا علمت أولادى وفهمتهم إن اللى يتبرع لكنيسة زى اللى يتبرع لجامع والاولاد لما عرفوا إنك بتبنى كاتدرائية صمموا على المساهمة فيها وقالوا حنحوش قرشين ولما ييجى البابا كيرلس هنقدمهم له ... وأرجو لا تكسفهم وخذ منهم تبرعاتهم وكان مع البابا منديل كبير وضعه على حجرة ... ووضع أولاد عبد الناصر تبرعاتهم ثم لفها البابا وشكرهم .

(٥) ذكرت منى إبنة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن العلاقة بين البابا كيرلس والرئيس عبد الناصر علاقة ممتازة وكانت محل التقدير والاحترام والمودة والاعجاب وأضافت قائلة أن عبد الناصر عندما يأتى اليه أى رئيس دولة فى بيته يودعه حتى باب الصالون فقط لكنه لما ييجى البابا كيرلس يودعه عبد الناصر حتى باب السيارة ويفضل واقف الى أن تتحرك السيارة .

(٦) حضر الرئيس عبد الناصر احتفال وضع حجر الاساس لكاتدرائية مارمرقس بالانبا رويس الجديدة سنة ١٩٦٥ م وقرر على الفور أن تساهم الدولة بنصف مليون جنية فى بناء الكاتدرائية نصفها يدفع نقدا ونصفها الآخر يقدم عينا

شركات المقاولات التابعة للقطاع العام والتى يمكن أن يعهد اليها بعملية البناء كما حضر حفل افتتاحها فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٦٨ م .

(٧) أمر الرئيس عبد الناصر بإقصاء أحد المسئولين الكبار من منصبه لما سببه من متاعب كثيرة للبابا كما أمر بفتح كنيسة حدائق حلوان التى ظلت مغلقة ما يقرب من العام وقال عبد الناصر فى ذلك الوقت أن اماكن العبادة لابد أن تنتشر وإن الايمان يجب ان يملأ كل القلوب ويجب أن يعرف الجميع الله .

(٨) عندما ذهب السيد الرئيس جمال عبد الناصر للعلاج من مرض أصاب أورده ساقه فى " تسخالطوبو " بالاتحاد السوفيتى طلب البابا أن يتحدث تليفونيا مع سيادة الرئيس ليطمئن على صحته ... وجرى بينهما حديث ودى للغاية وقال الرئيس فى حديثه للبابا أنه كان يتمنى أن يكون البابا بصحبته لعلاج أوردة ساقه أيضا فشكره البابا بإمتنان داعياً له بالصحة راجيا له الشفاء العاجل مبلغاً اياه دعاءه من اجل عودته للوطن موفور الصحة .

(٩) عند نياحة البابا كيرلس قالت إذاعة " صوت أمريكا " فى يوم وفاته " لقد توفى الصديق الوفى لعبد الناصر " .

البابا كيرلس مع الرئيس السادات

رغم ما أصاب الكنيسة والاقباط فى عصر الرئيس الراحل السادات من مظالم الا انه فى بداية عصره كان قائداً حكيما بدليل أنه عندما توجه البابا كيرلس الى سيادة الرئيس أنور السادات على رأس وفد من الكنيسة القبطية مؤيدين ترشيح سيادته لرئاسة الجمهورية ومعبرين عن ارتياحهم لزعامته .. تحدث اليهم سيادته معبرا عن تقديره للبابا كيرلس ولمشاعره الوطنية ... وقال لقد قرأت تاريخ بلدى واليوم وفى حضور قداسة البابا أقول : لقد آن الاوان لكى تأخذ كنيسة الاسكندرية مكانها كما كان عبر التاريخ .

وعندما تنقل البابا بمرض أقعده فأوفد سيادة الرئيس السيد دكتور محمود فوزى رئيس الوزراء وقتئذ للأطمئنان على صحته وأمر بوضع كل امكانيات وزارة الصحة تحت تصرف الاطباء المعالجين لقداسته كما أمر بوضع طبيبه الخاص تحت تصرفه إذا احتاج الامر ...

وعندما تنيح البابا سنة ١٩٧١ م توجه السيد الرئيس الى البطريركية مقدما العزاء حيث قال " إنى دائما أعتز بقداسة البابا الراحل " .

الأقباط وكنيستهم فى مسار التاريخ المصرى (١)

كانت مصر ، حين جاء إليها مرقس الرسول فى منتصف القرن الأول الميلادى يقدم إلى شعبها الإيمان المسيحى- كانت ولاية رومانية ، مستعمرة .

ومنذ أن اعتنق المصريون المسيحية ، التأم المؤمنون فى جماعة منظمة هى "الكنيسة القبطية" أقدم مؤسسة شعبية فى مصر ، ومازالت مستمرة دون انقطاع ما يقرب من عشرين قرناً ، تؤدى مهمتها وهى كيان مستقل ، له رئاسته وتنظيمه المكتمل والمكتفى بذاته داخل مصر .

كان الإنفصال بين الحكام الأجانب والمحكومين المصريين قاطعاً : عنصرياً ودينياً وحضارياً ولغوياً وطبقياً . واستوعبت الكنيسة القبطية الكيان المصرى كله : الأرض والشعب ، وكانت هى الحاضنة الوحيدة للوجدان المصرى والتطلعات الشعبية ستة قرون متصلة . كانت هذه الفترة هى مرحلة التكوين والتنشئة للشعب المصرى . فى هذا الحضن الرؤوم تربى المصريون ، وتعلموا ومارسوا حياة رفيعة المستوى ، فى مختلف المجالات . وصمدوا فى مواجهة الاضطهادات القاسية ، من الرومان الوثنيين ، ومن البيزنطيين المسيحيين .

وغنى عن البيان أن ستمائه سنة ليست الزمن القصير العابر . إن مجتمعات عديدة ، ودولا كبيرة معاصرة عمرها كله لايكاد يصل إلى نصف هذه القرون الستة.

ومن ثم كان أثر هذه الفترة قوياً غائراً ، يستكن فى أعمق طبقات الوجدان الشعبى ، لقد حمل المصريون ما اكتسبوه فى هذه المرحلة إلى قابل أيامهم وديعة صالحة ، كنزاً ثميناً ، وخميرة طيبة ، ولو تغير الانتماء الدينى .

كانت الكنيسة القبطية فى الوعى الشعبى مرادفاً لمصر، ورجالها هم المعبرون عن صوت مصر.

لذلك يكون من الطبيعى أن تستقر فى الوجدان المصرى بوعى أو فى العمق الدفين ، أمنية : أن تكون مصر - ككنيستها - مستقلة غير تابعة . هكذا عاشت الكنيسة القبطية فى العقل الجمعى المصرى ، رويا مستقبلية للوطن المصرى، فصارت بذلك بذرة للإبداع، دائمة الحيوية داخل الكيان المصرى.

---

(١) راجع كتاب مدرسة حب الوطن للدكتور وليم سليمان تقديم نيافة الحبر الجليل أنبا موسى

نعرض أولا لبعض جوانب الفكر والممارسة فى الكنيسةالقبطية ، ونوضح هنا هذا التعبير المتميز والمتواصل عن الخصوصية المصرية . ثم نبرز الاستمرارية المصرية التى واصلها المجتمع المصرى ، بجميع مكوناته الدينية ، بعد مجئ الإسلام فى منتصف القرن السابع.

-١- تؤمن المسيحية بأن التوحيد عقيدة بديهية أولية وجوهرية . إنها كما يقول د. رأفت عبد الحميد ديانة توحيدية ، فهناك فى الحقيقة إله واحد. وقد أظهر هذا الإله نفسه فى (العهد القديم) يدحض الشرك بكل صورة ، وتواصل ظهور الإله الواحد فى العهد الجديد ، معلنا أنه قبل كل شئ : حب كامل مطلق . يقول يوحنا الرسول : « لنحب بعضنا بعضا لأن من لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة » ..(يوحنا ٤:٧، ٨ ، ١٦) .

وتأتى بعد ذلك رؤية الكون والإنسان وهنا نجد فى التراث القبطى تعبيرات متميزة عن هذه الرؤية :

فالكتاب المقدس يقدم الكون على أنه نتيجة تدخل إرادة عاقلة قادرة ، وقد جاء عملا تتتابع مراحله «يوماً» وبعد «يوم» ويرى الخالق فى إنجاز كل «يوم»، عملا فنياً جميلا ، يضيف جمالا جديداً إلى الجمال الذى تحقق فى اليوم السابق .

وهكذا تكرر فى ختام عمل كل يوم هذه العبارة « ورأى الله ذلك أنه حسن (جميل)» (تكوين ١:٤ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٥) إن سفرالتكوين يقدم لنا فى صفحاته الأولى الكون ، مجالا لتذوق الجمال ، وفى الإنجيل نسمع السيد المسيح يعلم الجموع ، فنجد لديه رؤية للجمال فى الكون تسمو على تقييم الأشياء مادياً، يقول : «تأملوا زنابق الحقل .. أقول لكم ، ولا سليمان (الملك) فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها" (متى ٦:٢٨ ، ٢٩) .

ويقدم أباء الكنيسة القبطية رؤية للكون فيها الجمال والتناسق ، واستخلصوا من ذلك الدليل على وجود الخالق ووحدانيته . يقدم القديس اثناسيوس الرسولى بابا الاسكندرية العشرون الكون كما لو كان قيثارة تخرج منها أروع النغمات، يقول : ".. فكما إذا سمع المرء عن بعد قيثارة مكونة من أوتار متعددة مختلفة ، وأعجب بتوافق نغماتها - أى أن صوتها لا يتكون من نغمات منخفضة ولا من نغمات عالية أو متوسطة فقط - بل تعطى كل الأوتار أصواتها متوازنة معاً .. وكما إذا ضبط

موسيقى قيثارة ، وبذكائه جعل النغمات العالية متوافقة مع المنخفضة ، والنغمات المتوسطة مع بقية النغمات ، وكانت نتيجة هذا ، إعطاء نغمة واحدة .. هكذا أيضاً .. أمسكت حكمة الله الكون كقيثارة ، فجعلت ما فى الهواء متوافقاً مع ما على الأرض ، وما فى السماء متوافقاً مع ما فى الهوا ء. ووحدت الجزء مع الكل ..» (١)

ومن بين التسابيح التى يبدأ بها القداس فى الكنيسة القبطية أناشيد يمكن أن نسميها " التسابيح الكونية " يرتل فيها المصلون ألحاناً عذبة ، يتبدى فيها الإنسان قائداً لفرقة موسيقية كونية مكونة من جميع كائنات الطبيعة ، يوجهها كى تقدم لخالقها التسبيح والتمجيد. (٢)

على أنه فى إطار هذه النظرة الشاملة إلى الجمال فى الكون ، ثمة جمال خاص فى أرض مصر، وعلاقة انتماء حميم لها ، نجدهما فى طقوس الكنيسة القبطية . لقد استوعبت الكنيسة أرض مصر، وألقت عليها بردة دينية مفعمة بالحب والبركة ، وحين أراد سفر التكوين أن يصف أرضاً خصبة ، قال عنها : « كجنة الرب كأرض مصر " (١٣ : ١٠) .

وفى سفر اشعياء ينطق الرب بالبركة لشعبها ، يقول : "مبارك شعبى مصر" (١٩ : ٢٥) .

ولقد ترجم الأقباط هذا كله فى صلواتهم ، فطقوس الكنيسة فى كل قداس تصلى من أجل أرض مصر ، ونيلها ، وزرعها ، وثمارها ، وشعبها ، والحديث إلى الله يمضى شعرا كله أوصاف خلابة ، الأرض فيها عروس تريد أن تفرح بمجئ النيل ، تتزين له أثناد الحرث والإعداد ، كى يأتى ويلبسها تاجاً أخضر رائعاً، تسعد به من أول السنة إلى أن يتحول فى النهاية ثمراً وليداً مباركاً ، تصلى الكنيسة :

"أصعد المياه كمقدارها - كنعمتك

" فرح وجه الأرض

" ليرو حرثها، لتكثر أثمارها

" أعدها للزرع والحصاد

" ودبر حياتنا كما يليق

---

(١) الرسالة إلى الوثنيين « ترجمة حافظ داود » فصول ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٣

(٢) كتاب الابصلمودية المقدسة السنوية القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٤٤ وما بعدها

" بارك اكليل السنة بصلاحك "

ولا تنسى الكنيسة قط المحتاجين :

" من أجل الفقراء ،

" ومن أجل الأرملة ، واليتيم ، والغريب ، والضيف

" ومن أجلنا كلنا - نحن الذين نرجوك ونطلب اسمك القدوس

" لأن عيون الكل ترى فيك الرجاء

" لأنك أنت الذى تعطيهم طعامهم فى حين حسن :

" أصنع معنا حسب صلاحك ،

" يا معطياً طعاماً لكل ذى جسد "

ثم إذ هى تعلم أن الرغبة فى الاكتناز تفصم العلاقات الأخوية بين البشر، تختم صلاتها بأن يكون العمل الصالح هو الهدف الأساسى للإنسان :

" املأ قلوبنا فرحا ونعيما

" لكى يكون لنا الكفاف فى كل شئ

" كل حين -

" فنزداد فى كل عمل صالح "

وفى ثلاث مناسبات تصلى الكنيسة صلاة "اللقان" ، وهى كلمة تعنى إناء يملأ بماء النيل ، تصلى عليه الكنيسة لتحل عليه البركة . إحدى هذه المناسبات تقع فى شهر أبيب (يوليو) مع وصول مياه الفيضان إلى مصر .

وفى هذه الصلاة ، واستمراراً لاعتبار أن أرض مصر هى جنة الرب ، تطلق الكنيسة على النيل اسم أحد أنهار الجنة التى وردت فى سفر التكوين (٢:١٠) فتصلى :

" نهر جيحون أى النيل إملأه من بركتك

" بقاع مصر املأها من الدسم

" وليكثر حرثها وتتبارك ثمارها

" لتفرح كل بلاد مصر

" والأراضى تتهلل بفرح من وجودك

" واحرس هذه المدينة وسكانها .. "

هكذا أسبوعياً فى إثر أسبوع ، بل أكثر من مرة فى الأسبوع الواحد ، فى كل قداس ، ومن عام إلى عام تفيض قلوب الأقباط تضرعاً من أجل بلادهم وشعبها ، وفى أقدس اللحظات يقدمون صلوات مفعمة حباً وإخلاصاً .

هذا نموذج مما يقدمه معهد التدريب الأساسى ، المدرسة الأولية ، التى انتظم فيها المصريون جميعاً ستة قرون كاملة . والمدلول الإنسانى والتربوى واضح : فالكنيسة تعمق حب الوطن فى النفوس ، وتعبر عن هذا الحب فى لحظات الإخلاص والتعبد والضمير النقى الذى يقف أمام الله فاحص القلوب والسرائر . وفى الوقت نفسه تذكر المصلين بالتزامهم نحو مشاكل بلدهم وواجباتهم نحوها .

وتبتدى أهمية هذا التراث الثمين من تلك الحقيقة التاريخية الهامة : كانت مصر مستعمرة ، ولكن لها كنيسة مستقلة . وفى أعماق كل مصرى - فى الوعى أو فى العمق الدفين ، كان ثمة أمنية : أن تكون بلاده مستقلة ككنيسته . ويقرر الدارسون أن الكنيسة المصرية أصبحت لدى المصريين رمزاً للاستقلال القومى ، فى غياب الاستقلال السياسى. (١) وهذا هو الأصل التاريخى لسيادة الوطن وحبه .

وللإنسان فى عقيدة الأقباط مكانة كبيرة ، وهذا هو العنصر الثانى - بعد الأرض - فى المشروع المستقبلى ، الذى تطرحه الكنيسة القبطية على مدى مسار التاريخ المصرى.

فالكتاب المقدس يجعل مجئ الإنسان تتويجاً للخليقة ، إذ ظهر ختاماً لها ، وكمالا للجمال الذى استقر ونما فيها يوماً بعد يوم - يقول سفر التكوين أنه بعد أن خلق الله الإنسان " رأى الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن (جميل) جداً " (١ : ٣١).

لماذا ؟

لأن الله ، كما يقول سفر التكوين ، خلق الإنسان على صورته ومثاله (١:٢٦،٢٧) ، هذه الصلة بين الإنسان والله عميقة الجذور فى الفكر الإنسانى عامة، وتعتمدها المسيحية . وقد اقتبس الرسول بولس بعضاً من الشعر اليونانى فى حديث

---

(١) مصر فى ربع قرن ١٩٥٢ - ١٩٧٧ ، تحرير سعد الدين إبراهيم ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٣٦

له مع أهل أثينا عن "الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه .. وقد أخرج الشعوب جميعا من أصل واحد .. وهو ليس بعيدا عن كل واحد منا .. كما قال بعض شعرائكم : إننا من جنسه .. " (أعمال الرسل ١٧ : ٢٢ - ٣١)

والإنسان فى تراث الكنيسة القبطية " له قيمة عظمى " ، كما يقول القديس مقاريوس الكبير ، يقول : أعلم أيها الإنسان النجيب قيمتك وما أعزك به .. لأن كل من استطاع أن يطلع على قيمة نفسه يستطيع أيضاً أن يطلع على قوة الطبيعة الإلهية وأسرارها، وبذلك يزيد اتضاعاً ..» (١) ولدى القديس انطونيوس أبى الرهبان ثقة عظيمة فى قدرة الإنسان على معرفة الله : يقول « إن من يعرف نفسه يعرف الله .. إذا عرف الإنسان اسمه الحقيقى فقد نظر أيضاً اسم الحق .. الذى عرف ذاته فقد عرف الله .. » (٢) وهذا خط ثابت فى التراث القبطى، يقول اثناسيوس إن البشر إذ عادوا " إلى نفوسهم فى بساطتها .. يستطيعون أن يروا كلمة الآب الذى خلقوا على صورته .. " .(٣)

وتجد المرأة فى التراث القبطى تكريماً حقيقياً .

فطبقاً لما جاء فى سفر التكوين، جاءت المرأة لتكون صديقاً ومعيناً للرجل، نظيراً له. ولكى يؤكد لها مكانتها وصلتها العضوية الكيانية به يقول الكتاب إن الرب الإله «أخذ واحدة من ضلوع الرجل .. وبنى .. الضلع التى أخذها أدم امرزة .. فقال زدم : هذه الأن عظم من عظامى ولحم من لحمى ..» وتصل العلاقة بينهما إلى الوحدة : « يكونان جسداً واحداً .. » (٢:١٨-٢٥).

وفى الاحتفال القبطى بالزواج، نجد التعبير الدينى الفنى عن هذا المفهوم وتسميه الكنيسة «صلاة الإكليل» ، لأن الكنيسة تضع على رأس كل من العروسين إكليلا، وتخلع عليه الأردية البهية، كى يعيشا كملك وملكة فى البيت الجديد، الذى هو الجنة، التى كان الأبوان الأولان، أدم وحواء يعيشان فيها، وفى ألحان تصب الفرحة فى القلب، تصلى من أجلهما :

---

(١) مصر فى ربع قرن ١٩٥٢ - ١٩٧٧ ، تحرير سعد الدين إبراهيم ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٣٦

(٢) عظات القديس أنبا مقاريوس المصرى القاهرة ، ١٦١٧ - ١٩٠١، الرسالة الثالثة والرابعة والخامسة .

(٣) رسائل القديس أنطونيوس ، طبعة بيت التكريس ، ١٩٧٩ الرسالة الثالثة والرابعة والخامسة

" أيها الإله القدوس، ياسيدنا

"بارك هذه الأكاليل .. لتكون لكل من العروسين

" إكليل مجد وكرامة

" إكليل فرح ومسرة

" إكليل تهليل وبهجة

" إكليل حكمة وفهم قلب .. "

وخلال هذا الاحتفال تذكر الكنيسة العروسين بعلاقات الحب الواردة فى صفحات الكتاب المقدس، ومن بينها تلك القصة الموجزة التى نكتشف العلاقة بين يعقوب وراحيل فى كل كلمات قليلة ، اشترط والد الخطيبة أن يكون مهر ابنته خدمة الخطيب له سبع سنوات .

يقول الكتاب : " فخدم يعقوب براحيل سبع سنين وكانت فى عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها .. » (تكوين ٢٩ : ٣٠) .

وثمة مفهوم هام يقدمه سفر أعمال الرسل ، يعتبر بالنسبة للشعوب المستعمرة (بفتح الميم) المحرومة من الحقوق السياسية - مشروعاً مطروحا فى المستقبل . نعنى بذلك مفهوم «المواطنة» مستقلاً عن الانتماء الدينى .

ذلك أنه يتكرر فى هذا السفر تسمك الرسول بولس بصفته كمواطن رومانى، ويطالب بالحقوق التى تترتب على هذه الصفة (١٦ : ٢٢ - ٢٤ و ٣٥ - ٤٠ ، ٢٢:٢٤ - ٢٩) مقدماً بذلك لكل مسيحى نموذجاً صالحاً للتطبيق فى أى زمان ومكان .

وتقدم الكنيسة المصرية نموذجاً خالداً للصمود دفاعاً عن حرية العقيدة ، يصل إلى حد الاستشهاد ، هنا نجد الأصل التاريخى للمبدأ الدستورى الذى يقرر للمواطنين حرية الرأى . وقد دافعت الكنيسة عن هذاالمبدأ حتى خارج مصر. فقد وقفت الفرقة الطيبية الآتية من الصعيد الأعلى بقيادة الضابط المصرى موريس تدافع عن عقيدتها ، واستشهد اعضاؤها على جبال سويسرا . واطلق أسم القائد على العديد من مدن وسط أوربا وشيدت الكنائس والأديرة هناك تخليداً لذكراهم(١) .

---

(١) وليم سليمان قلادة ، الضابط الصعيدى موريس فى أوربا ، الهلال يناير ١٩٨٩

ولقد نشأت الكنيسة القبطية فى مدينة الأسكندرية التى كانت تعتبر عاصمة الثقافة والفلسفة ، وتقوم فيها المؤسسات العلمية والثقافية ذات الشهرة والأهمية العالمية . ولقد واجهت المسيحية فى هذه المدينة منذ يومها الأول تحدياً فكرياً على أعلى مستوى معاصر . ومن هنا كانت ضرورة إنشاء معهد لتعليم الدين الجديد والدفاع عنه . وفى هذه المدرسة كان يتخرج علماء المسيحية الذين ارسوا أسس التعليم فيها وأداروا الحوار مع التيارات الفكرية السائدة - خاصة تلك التى كانت تجئ من مفكرى مدرسة الإسكندرية الفلسفية القديمة . وغالباً ما كان يختار عميد المدرسة اللاهوتية المسيحية أو أحد خريجيها بابا للكنيسة القبطية . وإلى هذه المدرسة يرجع الفضل فى المركز الممتاز الذى احتله باباوات هذه الكنيسة فى العالم المسيحى كله ، إذ كانوا المرجع الأول فى مختلف القضايا اللاهوتية ، وكانوا قادة المناقشات فى المجامع (المؤتمرات) العالمية التى كانت تعقد للفصل فى تلقين أصول الدين لجماهير المؤمنين سواء بانتسابهم إليها ، أو عن طريق خريجيها الذين كانوا يتولون مراكز الرعاية والتعليم فى الكنيسة .

وكان اكلمينضس الإسكندرى واحداً من أبرز أساتذة هذه المدرسة (توفى حوالى ٢١٤ م) ، ودافع عن الفلسفة دفاعاً قوياً مستنيراً يقول : «يرى بعض الناس الاقتصار على الإيمان ، والأنصراف عن الفلسفة والعلم . هؤلاء مثلهم مثل من يأبى تعهد الكرم - ويرى أن يجنى منه عنباً» . ولديه أن الفلسفة كانت ضرورية لليونان كى يمارسوا العدالة ، وهى الآن مفيدة للتقوى ، بل يصل إلى القول بأنه من الراجح أن الله نفسه أعطى اليونان الفلسفة التى كانت لهم بمثابة المؤدب ، مثل ما كانت الشريعة بين اليهود ، فكما كانت التوارة هى «العهد» (أى الميثاق) لليهود ، فإن الفلسفة هى «العهد» الخاص باليونان . ويقرر أن الفلسفة اليونانية تقدم للنفس التطهير المبدئى ، والتدريب اللازم لقبول الإيمان - وعلى اساسها يقيم الحق بناء المعرفة. (١)

هكذا يكون «العقل» وضرورته واحترامه - واحدا من العناصر الهامة التى تضعها كنيسة القبطية فى مشروعها المستقبلى.

والواقع إن ما أعطى لهذه المدرسة من تأثير بالغ ، وهو أن تعليمها لم يكن مجرد دراسة نظرية بحتة ، بل كان تحصيلا للممارسة وتأصيلاً للخبرة العملية .

---

(١) يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية ١٩٤٦ ، ص ٢٦٩ وما بعدها .

وتعطى الرسالة إلى ديوجنيتس - وهى نص من القرن الثانى منسوب إلى أحد معلمى هذه المدرسة - تعبيراً جيداً عن هذا المنهج ، وذلك إذ يقدم الكاتب تفسيراً مبدعاً لما جاء فى سفر التكوين من وجود شجرتين فى الفردوس الأول - شجرة «المعرفة» ، وشجرة "الحياة" . وتربط الرسالة فى هذا التفسيرالمعرفة والحياة برباط وثيق ، تقول : «إن الله غرس فى البدء شجرتى المعرفة والحياة وسط الجنة، ليرينا أن الحياة هى بالمعرفة .. وما من معرفة حقيقية بدون حياة حق . لذلك غرست الشجرتان معا في مكان واحد وسط الجنة . وكل من يعتقد أنه يعرف شيئاً بمعزل عن المعرفة الحق التى تشهد لها الحياة ، فذلك لايعرف شيئاً .. ليكن قلبك وعاء للمعرفة ولتصبح الكلمة فيك شهادة حياة". (١)

ونستطيع أن ندرك الطبيعة المستقبلية للكنسية القبطية حين نفهم عن قرب المضمون الرئيسى للعبادة الجماعية فى القداس - يوم الأحد على الخصوص .

يؤمن المسيحيون أن السيد المسيح سيأتى ظاهراً بمجد عظيم فى نهاية الزمان . ليهزم الشر هزيمة نهائية ولينتصر الخير نصرة حاسمة ، يستبعد القبح وينشرالجمال كى يحيا فى رؤيته وتذوقه المستحقون لهذه الغبطة - ينهى الحروب ويعمم السلام والحب ، يقيم العدل فيكافئ من صنع الخير ويعاقب الظالم المسئ .

ولكنهم أيضاً يومنون بأنه يجئ متوارياً - يحل بينهم كلما التأموا فى إجتماع باسمه ، فهو قد وعد أثناء حياته على الأرض :

« حيثما اجتمع أثنان أو ثلاثة بأسمى ، فهناك أكون فى وسطهم» (متى ١٨:٢٠) .

إذن - فغاية الكنيسة من اجتماعها هو استحضار الآتى - المستقبل . تطعيم الواقع بالمستقبل . غرس الآتى فى الراهن الآتى ، وبذلك يمكن تحريك الحاضر نحو المستقبل . ولذلك فإن الهتاف فى أول الاجتماع وفى نهايته تنشده الجماعة بصوت واحد " مبارك الآتى .. ".

هنا يقين لا يتزعزع بحتمية التقدم والتغيير إلى الأفضل.

هذا المضمون الرئيسى - حضورالسيد متوارياً ، يهيمن على تنظيم الاجتماع ومناخه ، فمن الطبيعى أن يستقبل المؤمنون ربهم فى اجتماعهم بكل ما لديهم من جمال وفرح ، فيصبح هذا الاستقبال حفلا فيه كل صور الإبداع الفنى:

A Diognete , Sources Chretiennes , Paris , 1951 , chap . 1.2

الأدبى والموسيقى والتشكيلى والمعمارى . ومن هنا جاء التراث القبطى الثرى - فى الموسيقى والأيقونات والأدب والعمارة . والصفة الأساسية فى الفن القبطى أنه فن شعبى ، فلأن الكنيسة القبطية لم تكن المؤسسة الدينية لدولة ما ، فمن الطبيعى أن يعبر فنانوها فى كل مجالات إنتاجهم عن الوجدان الشعبى لا عن الطبقات الارستقراطية الحاكمة وأن يوجهوا إنتاجهم إلى الشعب ليتشرب بينه ويعبر عنه.

وفى القداس القبطى لا تكاد تسمع كلمة بدون نلحين ، والألحان القبطية مفعمة حلاوة وبساطة وتنوعاً فلمناسبات الفرح - في حياة المسيح كما فى عيد القيامة أو فى حياة القبطى كما فى يوم عرسه ، ألحان تصب رنة الفرح فى القلب . ولمناسبات الحزن - كما فى أسبوع آلام المسيح أو فى مراسم الجنازة، ألحان تطيب النفس بالعزاء . هذا التنوع فى الألحان بالغ الثراء .. يمثل ثروة فنية قومية ما زالت تنتظر المنصف الموسيقى المبدع الذى يقدمها لصاحبها الأصيل: الشعب المصرى والعالم، فى صياغة موسيقية علمية تعبر عن مضمونها وروعتها وعمقها.

ويقدم الألحان "كورال" متدرب بقيادة " المعلم " - أحد الشخصيات الشعبية التاريخية التى حفظت فى ذاكرتها هذا التراث المصرى يتسلمه ويسلمه ، جيلا بعد جيل . والحنجرة هى أدق آلة موسيقية عرفها الإنسان وهى تستخدم وحدها فى أداء هذه الألحان .

ويجرى هذا كله فى تناغم كونى رائع مع تعاقب الفصول الطبيعية ومواسم الزراعة . فالتقويم الطقسى الذى يحدد أعياد الكنيسة ومواسمها هو نفسه التقويم الزراعى المصرى العريق ..

فى هذا الإجتماع الدورى يجد القبطى متعة وتربية وجدانية رفعية المستوى، إذ يلتئم الجميع يتبادلون السلام: يلقيه عليهم الكاهن فيردون بمثله ، ويتصافحون وينشدون معاً فى صوت واحد ونغم شجى متناسق ويجمعون الصدقات لرعاية المحتاجين .

ومن هنا حرص القبط فى كل العصور على تخصيص مكان يحضرون إليه بانتظام واستمرار - مهما تعرضوا فى سبيل ذلك إلى مخاطر المطاردة والمنع .

وهكذا فحين يجتمع الأقباط داخل هذا البيت فما يكون ذلك لينعزلوا وينسوا معاناة البشر ومشاكل الحياة ، ولكن كى يسموا بممارساتهم اليومية إلى مستوى أكثر نبلا : كفلاحين وعاملين - مواطنين ، وكشركاء فى بركات الله وعطاياه . ويتلقون التعليم المؤسس على المحبة والهادف إلى تحقيق الكمال . ثمة صلوات مخصصة من أجل المرضى والمسافرين والحزانى والعاملين فى كل موقع وطمأنينة

الإقليم ومدنه وقراه وبيوته والمياه والزروع والثمار وحكام البلاد والعائلات والأيتام وكل البشر.

ومن الطبيعي أنه حين يخرج الأقباط من هذا الاجتماع الأسبوعي - أحياناً اليومي ، إلى المجتمع العام فإنهم يجسدون ما اقتنوه فيه سلوكاً اجتماعياً رفيعاً، قوامه الأساسي المحبة والعطاء السخي . إن تأثيرالكنيسة القبطية في المجتمع أساسة العلاقة الإنسانية البحتة التي تنطوي على "الأخلاق الانجيلية" كما سجل ذلك علماء الحملة الفرنسية . (١)

فلقد ذكرنا أن الله في المسيحية محبة ، وإذا كان الإنسان قد جاء على صورته ومثالة ، فإن الإنسان يصبح بدوره - محبة . ولقد أشرنا إلى إن معرفة الله لا تكتمل إلا من خلال سلوك المحبة : « كل من يحب يعرف الله ، ومن لا يحب لم يعرف الله - لأن الله محبة » .

هكذا يمكن القول بأن الذين يساهم في صنع الإنسان والإنسان يصنع العالم- بعقله ووجدانه وإرادته . في إبداع دائم - هو مجاورة للوقع في استحضار للمستقبل .

- ٢ - وحين يحل العام ٦٤٠م يصل عمرو بن العاص وجيش الفتح العربي إلى مصر ، ويبدأ منذئذ شعبها يمارس حياة التعدد الديني - المسيحية والإسلام.

ولقد كانت بداية حياة المجتمع التعددي المتوافق في مصر ذلك اللقاء التاريخي بين عمرو وبنيامين - بابا الكنيسة القبطية الثامن والثلاثين. لقد سجل المؤرخان عبد الرحمن بن عبد الحكم وساويرس ابن المقفع وقائع هذا اللقاء الوليد(٢)

---

(١) يكون القبط جزءا من كيان الأمة في بلد مقهور . إن جماعتهم الصغيرة ، بفضل بعض النظم المستمدة من الأخلاق الأنجيلية ، تعطي مصر صورة الوحدة والتناسق ، وهي نادرة تماماً في هذه الأماكن التي خربها الطغيان والاستبداد .

كما حفظ الكتاب الذى يضم يوميات «اخبار القديسين» ويقرأ اثناء الصلوات فى الكنيسة - حفظ ذكرا طيبا لعمرو . (١)

وقد أفرزت الحياة المشتركة بعد قيام المجتمع التعددى مساحة من القيم والمبادئ المشتركة تقف على أرضها جميع مكونات الأمة . هنا نجد تعايشاً حميما بين المطلقات : الإسلام والمسيحية ، وأدى هذا التعايش ، فى إطار مقومات الكيان المصرى ، إلى وحدة فذه تضم جميع المكونات .

وفى مقدمة المفاهيم والقيم التى تضمها المساحة المشتركة مفهوم الإنسان والجماعة . ولقد أوردنا رؤية المسيحية والكنيسة القبطية إليهما.

وتتضمن مبادئ الإسلام تقديراً خاصاً للإنسان يضعة فى مستوى رفيع .

ويقرر العلماء أن الآيات التى تمجد الإنسان وتعلى مرتبته تتناول الإنسان لذاته لا لاعتقاده ، وقبل أن يصبح مسلما أو نصرانيا ، أو يهوديا أو بوذيا . ويقول الإمام البيضاوى « إن هذه نعم تعم الناس كلهم ، وإن خلق أدم وإكرامه وتفضيله على الملائكة بأن أمرهم بالسجود له - إنعام ذريتة » .

وفى هذا الإطار جاءت الوثيقة الدستورية الأولى فى الإسلام التى وضعها النبى فى المدينة ويعرفها التاريخ بأسم الصحيفة . هنا نجد التصور الإسلامى الأصيل للمجتمع التعددى ، فلقد كان فى المدينة المسلمون المهاجرون والأنصارمن ناحية والقبائل اليهودية من ناحية أخرى .

تبدأ الصحيفة ببيان الحقوق والإلتزامات المتبادلة بين المسلمين وبعضهم البعض فتقول : «إنهم أمة واحدة » وتستخدم الصحيفة المصطلح نفسة لبيان العلاقة بين المسلمين واليهود فتقول «وإن يهود .. أمة مع المؤمنين - لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. » وبعد أن قررت الصحيفة مبدأ وحدة الأمة تورد تفصيل المبدأ ببيان الحقوق والواجبات المتبادلة : التعاون فى الانفاق والنصرة « على من حارب أهل هذا الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ».

كما أنة بالنسبة لمفهوم الجماعة ، ثمة مساحة مشتركة أيضا ، فإن الربط بين الرسالة إلى ديو جنيتس التى تدعو إلى اندماج المسيحيين فى حياة مجتمعهم وبين

---

(١) كتاب الصادق الأمين فى أخبار القديسين بكنائس الكرازة المرقسية
نشرة الأيغومانوس فيلوتاوس المقارى والقس ميخائيل المقارى الطبعة الأولى ، ١٦٢٩ للشهداء ص٢٨٨ .

«الصحيفة» يؤدى إلى قيام المجتمع التعددى على أساس المشاركة فى إطار مبدأ المساوة .

وتتبدى القيمة المستقبلية لهذه النظرة إلى الإنسان إذا أخذنا فى الاعتبار أن أى نظام سياسى دستورى أصيل لابد أن يبنى على مفهوم للإنسان يمكن أن تستخلص منه كرامته وحقوقه وواجباته . وعلى مفهوم للجماعة يضمن لجميع مكوناتها المشاركة فى صنع القرار على أساس مبدأ المساواة .

وهنا تظهر الطبيعة المستقبلية لهذه النصوص المسيحية والإسلامية ، فمن المعروف أنة لم يتح للصحيفة فرصة التطبيق .

ولكن هذا لا يعنى فناء هذه الوثيقة . بل لأنها تنطوى على مشروع مطروح فى المستقبل - رؤيا تسعى الجماعة ، جيلا بعد جيل ، إلى تحقيقها فعليا ، فإنه قد يمض زمن قبل أن تتجسد الرؤيا فى الواقع .

وفى حقيقة الأمر فإنه لو اقتصر على إبراز مضمن هذه النصوص فى ذاتها دون رؤيتها فى مسارها التاريخى مرتبطة بحركة المجتمع وبالآليات والتطورات والنتائج التى تفاعلت معها إلى أن صارت واقعاً محسوساً - لو أن هذه النظرة النصوصية سيادت لكان فيها مسخ للنص وفصم بينة وبين الزمان وقت صدوره وفى مستقبله ، ولتحول إلى قطعة أثرية متحجرة فاقدة الحياة يتباهى بها القوم فى متاحفهم .

وقد يحدث بعد صدور النصوص أن يقوم حكام وتسود نظم تعمل على عكس هذه المبادئ . ولكن يظل المشروع المستقبلى الذى تطرحة هذا النصوص ماثلا ، وتبقى الرؤيا ثابتة . إلى أن يأتى الزمن الطيب المأمول .

ونعود إلى مسار التاريخ المصرى بعد الفتح .

لم يكن ما أعطى عمرو هذه المكانة فى الوجدان الشعبي الاحترام الذى ابداه نحو الكنيسة القبطية وحسب ، بل وأيضاً سياستة الاقتصادية فى مصر . وتعتبر الصفحات التى حفظها لنا كتاب ابن عبد الحكم عن «ذكر استبطاء عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فى الخراج» من أروع صفحات تاريخ الحكم الإسلامى فى مصر . يتبدى فى هذا الصفحات الاعتداد بالكرامة فى أحرج لحظات المسالة بين الوالى وأميرد ، وايضاً الحفاظ على صالح المحكومين فلا يلحق بهم حيف . ولا يغنى لإدراك تميز هذه الصفحات سواء من الناحية الأدبية أو السياسية تقديم ملخص يوجز مضمونها ، بل من المهم قراءتها كاملة . فقد ذكر الخليفة أنه أكثر فى مكاتبة

عمرو فى الذى على أرضه من الخراج ونسب إليه التقصير فى إرساله . فدافع عمرو باعتداد عن نفسة كما دافع عن المصريين كى لا يلحق بهم ظلم قال : " إن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم "وذكر أنة نظر « فكان الرفق بهم خيراً من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنة » .

ثم كان أن عزل عمر ويصل موقفه فى جانب المحكومين إلى ذروتة فى إجابتة على عثمان ، الذى قال له إن مصر قدمت خراجاً بعد عزلة أكثر مما كان عمرو يستخرج منها . واثبت ابن عبد الحكم تلك المواجهة المشهورة :

« قال عثمان لعمرو : يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول ، قال عمرو «أضررتهم بولدها (وفي رواية اخرى) إن لم يمت الفصيل » .

ويتداول الولاة الآتون من المدينة ومن دمشق ومن بغداد حكم مصر . ولم يكن بعضهم فى مثل انحياز عمرو إلي أهل الأرض ، كتب الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) إلى أسامة بن زيد التنوخى متولى خراج مصر : « احلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم » . أى استنزف موارد مصر إلى أقص حد .

ليس غريبا إذن أن يشهد القرن الثانى الهجرى كله وبداية القرن الثالث ثورات فى مصر لا تنقطع ضد الولاة منذ العام ١٠٧هـ فالعام ١٦٧ هـ . ثم يصل المقريزى الذى يورد أحداث هذه الأحداث إلى «الثور الكبيرة فى مصر » الثور العارمة التى شملت مصر كلها ، والتى استمر أكثر من تسعة شهور ونصف شهر ، ويسميها المؤرخون ثورة البشامرة نسبة إلى منطقة البشمور شمال الدلتا التى شهدت اعنف معاركها وتطلبت الأمور حضور الخليفة المأمون بنفسه إلى مصر لإخمادها بقسوة بالغة .

يقول المؤرخ : « فلما كان فى جمادى الأولى سنة عشرة ومائتين انتقض اسفل الأرض بأسره - غرب البلاد وقبطها وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فهيم . فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب إمتدت إلى أن قدم الخليفة أمير المؤمنين إلى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الرافقى وكان على إمارة مصر وأمر بحل لوائه وأخذه بالبياض عقوبة له .

وثمة أمر قد يفاجأ به قارء المقريزى وهو يروى المرحلة الأولى من هذه الثورات - إذ يستفتح روايته بحديث نبوى أورده البخارى عن أبى هريرة يقول المقريزى :

خرج الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنة - قال كيف أنتم إذا لم تجبوا ديناراً ولا درهماً؟ قالوا : وكيف ترى ذلك كائنا يا أبا هوبرة ؟ قال : أى والذى نفس أبى هريرة بيدة عن قول الصادق المصدوق قالوا : عم ذلك ؟ قال تنتهك ذمتة وذمة رسولة فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما فى أيديهم »

واضح أن الحديث مفعهم بالتعاطف مع المحكومين المصريين الذين أصابهم ظلم الولاة . هؤلاء المحكمون ليسوا وحسب من غير المسلمين ، بل إن ثورة جميع مكونات الجماعة - غرب البلاد وقبطها تعنى أن الظلم شمل الجميع معاً حداً جعلهم يقومون بثورة موحدة ضد الظلم الشامل .

ولكن الروح المصرية تنجح فى إمتصاص نتائج الهزيمة وتتجاوزها إلى تحقيق الخطوة الأولى من أحد عناصر مشروعها المستقبلى :

أ- فمن ناحية - في أعقاب الثورة كتب عبد الرحمن بن عبد الحكم وقائع الفتح العربى لمصر . وفية بدأ المؤرخ تقليداً سيظل يتبعة المؤرخون طوال القرون الوسطى وحتى الطهطاوى ، وهو أن يبدأ كتابة التاريخ بفصل فى ذكر بعض فضائل مصر ، يجمع فيه كل ما قيل فى شأن هذا البلد فى القرأن الكريم والحديث وما وصل إليه من أقوال الأنبياء السابقين والصحابة . فمثلا يورد ما قاله الصحابى العظيم عبد الله بن عمرو عن مصر - أرضها وأهلها ، وهو عاش فيها سنوات طويلة حتى مات ودفن بها يقول : « من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا - فلينظر إلى مصر حين تخضر زروعها وتنور ثمارها » وعن النيل يقول إنه « نهر جار مادته من الجنة ، تنحدر فية البركة ..».ثمة استمرارية مع رؤية الكنيسة القبطية لأرض مصر ، والأعتزاز بها ..

وعن أهل الأرض يقول : قبط مصر أكرم (السكان خارج الجزيرة العربية) كلهم وأسمحهم يد وأفضلهم عنصراً ...

وقيمة هذة الأقوال تتبدى بالأكثر حين يظل المورخون ينقلونها جيلا بعد جيل ، لقد اعتز التراث الإسلامى بالأرض المصرية وبشعبها ، وبهذا عبر منذ وقت مبكر عن عناصر هامة من عناصر الكيان المصرى ووطأ المسار لقيام حياة جماعة ذات تعدد دينى يقوم بين مكوناتها إحترام متبادل وتضمهم علاقة حميمة .

يورد ابن عبد الحكيم الروايات المشار إليها فى تعاطف وإعزاز ، ويربط مصر وأهلها بالأنبياء الذين يجلهم الإسلام ، ومما يزيد فى قيمة عملة أنه ففيه ومحدث .

وهو يسبغ على مصر ونيلها بردة إسلامية تجعل محبتها والإنتساب إليها صادرين عن المشاعر الدينية وفيضاً من التدين العميق الذين يعبر عنه هذا العالم سليل أسرة بنى عبد الحكم وهى « من أشهر وأعرق الأسر المصرية التى عاشت بالفسطاط عاصمة مصر الإسلامية خلال القرن الثانى واوائل القرن الثالث الهجرة . ولم تكن شهرتها ترجع إلى وجاهتها وعناها ، ولكنها كانت ترجع بالأخص إلى ما تميزت به من العلم الغزير ومن الورع والتقوى ».

ولقد خصص عمر بن يوسف الكندى كتاباً بذاتة ع فضائل مصر » . صنفة أيام الإخشيديين يقول فيه « إن الله فضل مصر على سائر البلدان ، وشهد له فى كتابه بالكرم وعظيم المنزلة ..»

أما سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى فيقول :

« لما خلق الله أدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها أنهارها وبناءها وخرابها ... فلما رأى مصر - أرضاً سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسواً أنواراً لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة .. دعا أدم عليه السلام مرات وقال : .. لا خنك يا مصر بركة ، ولا زال بك حفظ ، ولا زال منك ملك وعز .. وسال نهرك عسلا . كثر الله زرعك ، ودر ضرعك . وزكى نباتك ، وعظمت بركتك».

يقول الشيخ عبد الله الشرقاوى الذى عاصر الحملة الفرنسية فى كتابه . «تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين » .

«إن مصر بلد معافاة وأهلها عافية وهى أمنة ممن يقصدها بسوء . من أرادها بسوء كبة الله على وجهه . ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة - وكفى بالعسل طعاماً وشراباً » وفى القرن الحادى عشر الهجرى يكتب الفقير إلى عفو ربه الباقى محمدعبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد عبد الغنى بن على الإسحاقى كتابه « لطائف أخبار الدول فى من تصرف فى مصرمن أرباب الدول » يورد فى مقدمته فضائل مصر حسب التقليد المستقر فى كتابه تاريخ مصر الإسلامية . ويختم كتابه برواية حول رحلة أسطورية إلى منابع النيل حتى انتهى المسافر إلي أرض من ذهب هى الجنة ينزل منها ماءالنيل يجرى كانه السبيكة الفضية . ثم يختم كتابه بهذا العبارة عن النيل : لولا دخوله فى البحر المالح وما يخلط به من ، ما أستطاع أحد شربه لشدة حلاوته.

وفى نفس القرن يكتب واحد من اكابر العلماء من أعرق عائلات مصر - محمد بن أبى السرور البكرى الصديقى ، كتباً فى التاريخ المصرى من بينها « الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة .» يورد فيه ثمانية وأربعين سبباً فى تفضيل مصر - ارضاً وأهلا - على غيرها من بلاد الدنيا - ويضع فى السبب الأربعين « قبط مصر » ويقول أنهم من ذرية الأنبياء .

ويستمر لدى رفاعة رافع الطهطاوى التقليد الذى بدأه ابن عبد الحكم . وتمتلئ كتابته بذكر فضائل مصر - منذ تخليص الإبريز (١٨٣٤) وحتى المرشد الأمين (١٨٧٣) ولديه أن مصر هى أم الدنيا - أم أمم الدنيا . ويورد حديث عبد الله بن عمرو عن قبط مصر . ويواصل النظرة إلى حب مصر على أنه عنصر فى التدين، وخرج حديثاً يقول «حب الوطن من الإيمان » ويقول إنه « عدتنا معشر الإسلام ، حب الوطن شعبة من شعب الإيمان » . هذا الإعزاز للأرض هو أحد المقومات الرئيسية للكيان المصرى ، وهو عنصر اساسى فى الخصوصية المصرية وفى المساحة المشتركة التى يقف على ارضها مكونات الأمة . وهو أيضاً عنصر يربط مكوناتها المتعددة بإنتماء موحد يعطى للتعددية فيها صفة التناسق والتوافق والوحدة - نقيضاً لما حدث فى النوع الآخر من التعددية ، يقول أبو الأعلى المودودى أمير "الجماعة الإسلامية" الباكستانية الذى صار- كما يقول د. محمد عمارة « الملهم الأول » لفضائل من الشباب الإسلامى : « لو ثمة عدو للدعوة الإسلام بعد الكفر والشرك ، فهو شيطان الوطن .

ولقد كان العثمانيون يرفضون الإنتساب إلى الإرض التى نشأوا فيها ويحتقرون التركى والأترك .

أما مسلمو مصر وقبطها قد اعتزوا بالإنتساب إليها . لقد أضاف عبد الرحمن بن عبد الحكم أول مؤرخ لمصر الإسلامية إلى إسمه صفة "المصرى" تماماً كما سيصنع بعد ألف سنة كاملة زعيم الحركة الوطنية فى العصر الحديث أحمد عرابى « المصرى » .

على هذا النحو تتواصل « رؤية المصريين إلى بلدهم » وفى الوقت نفسه يظل ذلك كله « رؤيا » مستقبلية ، وأعداداً وإستعداداً لقيام الوطن المستقل ذى السيادة الذى يتحقق فيه كل ما اسيغوه عليه من أوصاف .

ب - ولم تتأخر الخطوة الأولى نحو هذا الهدف. فإتته بعد ثلاثة سنوات من كتاب ابن عبد الحكم ، أى بعد أربعين سنة من إخماد ثورة البشامرة ، قامت أول مصرية مستقلة استقلالا فعليا عام ٢٥٧ هـ وهى الدولة الطولونية.

ولم تعد مصر بعد ذلك قط ولاية تابعة ، ويبدأ الدكتور حسين نصار دراسته الهامة عن «الثورات الشعبية فى مصر الإسلامية » بأنة يعتبر قيام الدولتين الطولونية والإخشيدية ثمرة الثورات التى حدثت فى مصر لمقاومة النفوذ العباسى وأضاف أنه ضاع كثير من الكتب التاريخية التى ألفها المصريون فى تاريخ أحداث وطنهم . أما الكتب العامة أو الموسوعية التى ألفت فى العراق فكان هما الأول الأحداث التى تتعلق بالخلافة حتى أنها لا تذكر كثيرا من أخبار الدولتين الطولونية والإخشيدية . ولدى الدكتور جمال الشيال أن مصر نجحت فى محاولاتها الأستقلالية ، على يد هاتين الدولتين ، وكان وفى عهدهما يشوبه شئ من النقص تمثله تلك الخليفة أو ضرب السكة بأسمه .. ثم توجت هذه المحاولات أخيراً بظهور الخلافة الفاطمية واتخاذ مصر مقرا لحكمها . ففى عهد الدولة الفاطمية استتقلت مصر لأول مرة فى العصر الإسلامى استقلال كاملا لا تشوبه أية شائبة .

ثمة رمز بالغ الأهمية استخدمه الشعب المصرى مرتين تفصل بينهما عدة قرون .

فى مطار القاهرة القديم متحف صغير ، تعرض فية هيئة الآثار بعض القطع الأثرية منذ عنصر ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث - فى كل منها جمال واتقان هما ثمرة إبداع للفنان المصرى على مر العصور .

وشدة ونظرى قطعة برونزية تلمع فى صندوقها الزجاجى : صليب يحوضة هلال . قلت إنها إحدى ثمار ثورتنا الوضنية العظيمة عام ١٩١٩. واقتربت منها ، واذا المفاجأة المكتوبة على لوحة الشرح تقول إنها مقبض لسراج من القرن الثانى عشر - يعنى أن صانعها أبدعها أثناء اشتعل معارك الحروب مع الفرنجة الآ تين عبر البحار ، والتى يسميها البعض بالحروب الصليبية . ووقف المصريون جميعاً - مسلمو البلاد وقبطها بحسب التعبير الذى استخدمة المقريزى وهو يروى أحداث ثورة البشامرة ، وقفوا معاً لدفع العدوان الذى يستغل الدين لتحقيق اطعماعه .

نقرأ فى تاريخ البطريك ميخائيل (١٠٩٢- ١١٠٢م) أنة وصلت عساكر الفرنج من البلاد الأفرنجية إلى الشام فى خلق كثير وملكوا انطاكية وما يليها ، ثم ملكوامدينة القدس الشريف وما يليها فى شهور رمضان سنة اثنين وتسعين وأربع مائة الهلالية ، وصيرنا معشر النصارى القبط لا نصل إلى الحج إليها لأجل ماهو من بغضهم لنا .

إذن فذلك الفنان المصرى الذى أبدع لقاء الصليب والهلال عبر عن خصوصية مصرية تتحدى نقيضها ، بل ولها بعد مستقبلى ذلك أنه بعد قرون عديدة ، وفى

مناسبة متشابهة ، حين كان المصريون جميعا - مسلمو البلاد وقبطها يواجهون الاحتلال البريطانى عام ١٩١٩ . بعثت النفس المصرية فى لحظة إبداع جمعى جماهيرى - أعماق ما تختزنة من قيم حضارية .

وفوجئ العالم كله بعلم ترفعه جماهير المصريين ، أطلق علية المعاصرون : «العلم الجديد » و « علم الثورة » أصبح العالم الوحيد الذى ترفعه كل المظاهرات فى الثورة يرفعه الشيوخ والقساوسة والعمال والفلاحون والسيدات والطلبة والموظفون.. الخ ، وسجل ذلك كل من كتب عن احداث هذه الثورة .

وهكذا نصل إلى حصيلة التاريخ المصرى على مدى عشرين قرناً لقد استخلص المصريون حكم بلادهم لأنفسهم وبجهد مشترك أسهم فيه وتعب وضحى المسلمون والأقباط فدخلوا مجال الحكم والسياسة صحبة . لقد جمعتهم فى مساواة كاملة أيام القهر والحرمان ، فلما بدأ التغيير ضمهم فى مساواة كاملة أيضا موكب زحف للحكومين إلى كراسى الحكم والسيادة وتقرت صفة المواطنة للمصريين جمعا ، وفى لحظة واحدة - نتيجة لحركة مصرية متعددة الجوانب وطنية ودستورية وثقافية وإجتماعية حركة عميقة الجذور فى الكيان الجذور فى الكيان المصرى كما أظهرت ذلك الصفحات السابقة .

وبدأت الحياة الدستورية والسياسية الحديثة والمبدأ الاساسى فيها أن سند المواطنة هو الحركة التى قامت بها الجماعة بكل مكوناتها لأختراق جاجز السلطة ودخول مؤسسات الحكم ، وإذا كان من المسلم بة أن التعددية ركن أساسى فى هذه الحياة ، فإنه وفى حقيقة الأمر ، يمكن القول بأن الصورة الأولى للتعدية فى الواقع المصرى هى التعددية الدينية منذ منتصف القرن السابع الميلادى. كانت هذه التعديد هى المدرسة الأولية - معهد التدريب الأساسى ، الذى تعلم فيه المصريون حتمية وجود الآخر ، واكتشفوا أن هذا الأخر جدير بالأحترام ، ولابد من التعاون معه لإنجار المشروع المشترك .

وقد أظهر مسار التاريخ المصرى الحديث والمعاصر نتيجة هامة . وهى أن النجاح فى ممارسة أنواع أخرى من التعددية - السياسية على وجة الخصوص ، يتوقف على نتيجة ما يجرى فى المدرسة الأولية للتعددية - إيجاباً وسلباً . أى أن حصيلة هذه المدرسة تنتقل إلى المراحل لتالية للتعددية . إن إحترام الآخر الدينى هو الشرك الضرورى لإحترام الآخر السياسى .

من هنا أهمية تعميق تاريخنا الحضارى ، والتعرف عليه من خلال رؤية مصرية تربط مرحلة فى مسار له توجهه المستقبلى .

واحسب أننا بهذا نجد الترياق المصرى الأصيل لعديد من المشاكل الفكرية والدينية والسياسية التى يعانى منها اليوم المجتمع المصرى .



فهـرس مادة التاريخ الكنسى

- مقدمة الكتاب ٥
- مقدمات فى تاريخ الكنيسة ٧
- مصادر التاريخ الكنسى ١٠
- طرق دراسة التاريخ الكنسى ١٢
- أقسام التاريخ الكنسى ١٩
- الكنيسة فى عصر الرسل ٢١
- سمات الكنيسة فى عصر الرسل ٢٣
- اشهر الكنائس الرسولية ٢٨
- الآباء الرسوليين ٣٩
- البدع والهرطقات فى القرن الأول ٤٦
- النصرانية المنهودة والأيبونية السبتيون القدامى ٤٦
- النيقولاوية (شيوعية النساء) ٤٨
- الكيرنثية ٤٩
- السيمونية ٥٠
- الميناندرية ٥٢
- الغنوسية ٥٢
- البدع والهرطقات فى القرن الثانى ٥٤
- الأمونيوسية ٥٤
- الباسيليدسية ٥٥
- الكربوكراتسية ٥٦
- الفالنتسنوسية ٥٧
- الساطرنيوسية ٥٨
- الكردنوسية والمركيونية ٥٨
- التاتيانسية ٥٩

- البردسانية ٦٠
- الأبلسية ٦٠
- المنتانوسية ٦٠
- الرهبنة القبطية ٦١
- مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ٦٣
- العلامة أوريجانوس ٨٠
- المجامع الكنسية ٨٥
- مجمع أورشليم ٨٨
- مجمع نيقية المسكونى ٣٢٥ م ٩٤
- مجمع القسطنطينية المسكونى ٣٨١ م ١٠٥
- مجمع أفسس المسكونى ٤٣١ م ١٠٩
- مجمع أفسس الثانى ٤٤٩ م ١١٦
- مجمع خلقيدونية ٤٥١ م ١١٩
- الشرق بعد مجمع خلقيدونية (٤٥١ م - ٦٤١ م) ١٢٦
- بداية الانشقاق بين الكنيسة القسطنطينية والاسكندرية ١٢٨
- الكنيسة القبطية فى ظل الحكم الإسلامى ٦٤٠ م ١٣١
- الفتح العربى لمصر ١٣٢
- سماحة عمر بن الخطاب وعلاقته بعمرو بن العاص ١٣٤
- موقف الأقباط من العرب الغزاة ١٣٨
- كيف عامل العرب اقباط مصر عند الفتح ١٤٠
- حريق مكتبة الاسكندرية ١٤١
- عودة الانبا بنيامين (البطريرك ٣٨) ١٤٢
- الزى الخاص للأقباط ١٥٣
- الانبا بنيامين الـ ٣٨ (٦٢٣ م - ٦٦٢ م) ١٥٦
- البابا اغاثو البطريرك الـ ٣٩ (٦٦٢ م - ٦٨٩ م) ١٥٧
- البابا خائيل البطريرك الـ ٤٦ (٧٤٤ م - ٧٦٨ م) ١٥٧

- اول محادثات للوحدة المسيحية فى مصر (٧٤٩ م) ١٥٨
- عاقبة من يستهين بمقدسات الرب وصوره ١٥٩
- انبا مويسيس اسقف اوسيم ١٦٠
- المتاعب التى لحاقت الكنيسة فى عصر الدولة العباسية ١٦٢
- مظالم ضد الاكليروس والرهبان والعلمانيين ١٦٣
- ثورة الاقباط فى عصر الدولة العباسية ١٦٤
- البابا ياكوبوس الـ٥٠ (٨١٩ م - ٨٣٠ م) ١٦٧
- البابا يوساب البطريرك الـ ٥٢ (٨٣٠ م - ٨٤٩ م) ١٦٨
- البابا شنودة (سانوتيوس) البطريرك الـ٥٥ (٨٥٩ م - ٨٨٠ م) ١٦٩
- مشاهير الاقباط الاطباء فى العصر العباسى ١٧٠
- الكنيسة القبطية فى عصر الدولة الطولونية (٨٧٠ م - ٩٠٥ م) ١٧٩
- قتل سعيد بن كاتب الفرغانى ١٨٢
- صداقة انبا باخوم اسقف طما مع خمارويه ١٨٤
- سياسة بطريرك الاسكندرية الخلقيدونى وعزله ١٨٥
- حالة الكنيسة بعد قتل خمارويه (٨٩٦ م - ٩٠٥ م) ١٨٦
- اشهر العلماء الاقباط فى عصر الدولة الاخشيدية ١٨٨
- ساويرس بن المقفع ١٨٨
- الاباء البطاركة فى عصر الفاطمى ١٩١
- الانبا ابرام بن زرعة البطريرك الـ ٦٢ (٩٧٥ م - ٩٧٨ م) ١٩١
- نقل الجبل المقطم ١٩٢
- الانبا زخارياس البطريرك الـ ٦٤ (١٠٠٤ م - ١٠٣٢ م) ١٩٤
- الانبا شنودة الثانى البطريرك الـ ٦٥ (١٠٣٢ م - ١٠٤٦ م) ١٩٧
- الانبا خريستوذولوس البطريرك الـ ٦٦ (١٠٤٦ م - ١٠٧٧ م) ١٩٧
- البابا كيرلس الثانى البطريرك الـ ٦٧ (١٠٧٨ م - ١٠٩٢ م) ٢٠١
- العلاقة الطيبة بين البابا كيرلس وبدر الجمالى ٢٠٢
- الانبا غبريال بن تريك البطريرك الـ ٧٠ (١١٣١ م - ١١٤٥ م) ٢٠٥

- مرض الانبا غبريال وظهور الغذراء له (١١٤٤ م) ٢٠٩
- القديس مارجرجس المزاحم ٢١٠
- مصر والصليبيون (١٠٩٦ - ١٠٩٩) ٢١٦
- موقف الاقباط من الحروب الصليبية (١١٠١ - ١١٣٠) ٢١٧
- صلاح الدين والاقباط ٢١٨
- سماحة صلاح الدين نحو الاقباط ٢١٩
- لويس التاسع والملك الصالح ٢٢١
- عصر الدولة الايوبية ٢٢٣
- البابا يؤانس السادس البطريرك الـ ٧٤ (١١٨٩ م - ١٢١٦ م) ٢٢٣
- البابا كيرلس بن لقلق الثالث البطريرك الـ ٧٥ (١٢٣٥ - ١٢٤٣) ٢٢٣
- شفاء الملك الكامل ٢٢٤
- محنة اللغة القبطية ٢٢٥
- الاباء البطاركة فى عصر المماليك البحرية (١٢٥٠ - ١٣٨٢ م) ٢٢٨
- البابا اثناسيوس الثالث الـ ٧٦ (١٢٥٠ م - ١٢٢٨ م) ٢٢٨
- البابا يؤانس السابع البطريرك الـ ٧٨ (١٢٦٢ م - ١٢٦٨ م) ٢٢٩
- البابا يؤانس الثامن البطريرك الـ ٨٠ ٢٣٠
- البابا يؤانس التاسع البطريرك لـ ٨١ ٢٣١
- البابا بنيامين الثانى البطريرك الـ ٨٢ (١٣٢٧ م - ١٢٣٩ م) ٢٣٢
- البابا بطرس الخامس البطريرك الـ ٨٣ (١٣٤٠ م - ١٣٤٨ م) ٢٣٣
- البابا مرقس الرابع البطريرك الـ ٨٤ (١٣٤٨ م - ١٣٦٣ م) ٢٣٣
- الاباء البطاركة فى عصر المماليك الشراكسة ٢٣٥
- البابا متاوس الأول البطريرك الـ ٨٧ (١٣٧٨ م - ١٤٠٨ م) ٢٣٥
- البابا غبريال الخامس البطريرك الـ ٨٨ ٢٣٩
- البابا يؤانس الحادى عشر البطريرك الـ ٨٩ (١٤٣٧ - ١٤٥٢ م) ٢٤٠
- البابا يؤانس الثالث عشر البطريرك الـ ٩٤ (١٤٨٤ م - ١٥٢٤ م) ٢٤٢
- بعض الاحكام العرفية التى دابقت فى دولة الاتراك (العثمانية) ٢٤٣

- الاباء البطاركة فى عصر الدولة العثمانية (١٥١٧ م - ١٧٩٨ م) ٢٤٤
- البابا غبريال السابع البطريرك الـ ٩٥ (١٥٢٥ م - ١٥٦٨ م) ٢٤٤
- البابا يؤانس الرابع عشر البطريرك الـ ٩٦ (١٥٧١ م - ١٥٨٦ م) ٢٤٥
- البابا غبريال الثامن البطريرك الـ ٩٧ (١٥٨٧ م - ١٦٠٣ م) ٢٤٥
- تعديل الاصوام فى سنة ١٦٠٢ م ٢٤٥
- البابا مرقس الخامس البطريرك الـ ٩٨ (١٦٠٣ م - ١٦١٦ م) ٢٤٦
- البابا يؤانس الخامس عشر البطريرك الـ ٩٩ (١٦١٩ - ١٦٢٩) ٢٤٦
- البابا متاؤس الثالث البطريرك الـ ١٠٠ (١٦٣١ م - ١٦٤٦ م) ٢٤٧
- البابا مرقس السادس البطريرك الـ ١٠١ (١٦٤٦ م - ١٦٥٦ م) ٢٤٧
- البابا متاؤس الرابع البيطريرك الـ ١٠٢ ، ١٦٦٠ م - ١٦٧٥ م) ٢٤٨
- البابا يؤانس السادس عشر البطريرك الـ ١٠٣ (١٦٧٦ - ١٧١٨) ٢٥٠
- البابا بطرس السادس البطريرك الـ ١٠٤ (١٧١٨ - ١٧٢٦ م) ٢٥١
- البابا يؤانس السابع عشر البطريرك الـ ١٠٥ (١٧٢٧ - ١٧٤٥ م) ٢٥١
- البابا مرقس السابع البطريرك الـ ١٠٦ (١٧٤٥ - ١٧٦٩ م) ٢٥٢
- البابا يؤانس الثامن عشر البطريرك الـ ١٠٧ (١٧٦٩ - ١٧٩٦ م) ٢٥٢
- المعلم ابراهيم الجوهرى (سلطان القبط) ٢٥٤
- المعلم جرجس الجوهرى ٢٥٧
- الاباء البطاركة فى ايام الحملة الفرنسية واسرة محمد على ٢٦٠
- البابا مرقس الثامن البطريرك الـ ١٠٨ (١٧٩٦ - ١٨٠٩ م) ٢٦٠
- البابا بطرس الجاولى السابع البطريرك الـ ١٠٩ (١٨١٠ - ١٨٥٢) ٢٦١
- وطنية البابا بطرس الجاولى ورفض حماية الاجانب للمسيحين بمصر ٢٦٢
- زيادة نهر النيل بصلوات البابا بطرس الجاولى ٢٦٣
- رفع راية الصليب جهاراً فى جنازة الاقباط بعد حادثة استشهاد القديس سيدهم بشاى فى دمياط ٢٦٤
- البابا كيرلس الرابع الشهير (بابى الإصلاح) الـ ١١٠ (١٨٥٣ - ١٨٦١) ٢٦٤
- اهتمام بانشاء المدارس ٢٦٥

- اول من اهتم بتعليم الفتاة قبل قاسم امين ٢٦٥
- وطنية البابا كيرلس الرابع ٢٦٦
- البابا ديمتريوس البطريرك الـ ١١١ (١٨٦٢ - ١٨٧٠) ٢٧٠
- القديس الانبا صرابامون ابو طرحة ومعجزاته ٢٧١
- البابا كيرلس الخامس الـ ١١٢ (١٨٧٤ - ١٩٢٧ م) ٢٧٤
- البابا كيرلس والمجلس الملى ٢٧٥
- البابا كيرلس والمؤتمر القبطى سنة ١٩١١ م ٢٧٦
- الانبا ابرام اسقف الفيوم (١٨٨١ م - ١٩١٤ م) ٢٨٦
- الايغامانوس فيلوثاوس إبراهيم ٢٧٧
- الشهيد منصور ملطى ووطنية الاقباط ٢٧٨
- بناء الكنائس والخط الهمايونى ٢٧٩
- القس منسى يوحنا (١٨٩٩ - ١٩٣٠ م) ٢٨٦
- الارشيدياكون حبيب جرجس (١٨٧٦ م - ١٩٥١ م) ٢٨٦
- القمص سرجيوس (١٨٨٢ - ١٩٦٤ م) ٢٨٧
- مكرم عبيد (١٨٨٩ - ١٩٦١ م) ٢٨٨
- البابا يؤانس التاسع عشر البطريرك الـ ١١٣ (١٩٢٩ - ١٩٤٢ م) ٢٩٢
- البابا مكاريوس الثالث البطريرك الـ ١١٤ (١٩٤٤ - ١٩٤٥ م) ٢٩٣
- البابا يوساب الثانى البطريرك الـ ١١٥ (١٩٤٦ - ١٩٥٦) ٢٩٣
- وطنية البابا شنودة الثالث ٢٩٥
- كنيسة الانبا انطونيوس بالسويس والدفاع عن الوطن ٣٠٠
- البابا كيرلس السادس البطريرك الـ ١١٦ (١٩٥٩ - ١٩٧٠ م) ٣٠١
- البابا كيرلس مع الزعيم جمال عبد الناصر ٣٠٣
- زيارة البابا كيرلس لجمال عبد الناصر بالمنزل ٣٠٥
- البابا كيرلس مع الرئيس السادات ٣٠٦
- الاقباط وكنيستهم فى مسار التاريخ المصرى ٣٠٧
- الفهرس ٣٢٧

من مطبوعاتنا

موسوعة الخادم القبطى تصلح كبرنامج لأعداد الخدام ومرجع للخدام فى جميع مراحل الخدمة (حضانة – أبتدائى – إعدادي – ثانوى – شباب)

+ الجزء الأول : لاهوت طقسى + الجزء السابع : تاريخ كنسى
+ الجزء الثانى (أ) : لاهوت مقارن [طوائف] + الجزء الثامن (أ) : عهد قديم
+ الجزء الثانى (ب) : لاهوت مقارن [أديان] + الجزء الثامن (ب) : عهد جديد
+ الجزء الثالث : علم نفس تربوى + الجزء التاسع : لاهوت رعوى
+ الجزء الرابع : قانون كنسى + الجزء العاشر : لاهوت روحى
+ الجزء الخامس : لاهوت عقيدى + الجزء الحادى عشر : موضوعات متنوعة
الجزء السادس : موضوعات معاصرة + الجزء الثانى عشر : موضوعات متنوعة

موسوعة القصص القبطية

٣ أجزاء مبوبة حسب الموضوعات (أيمان – صلاة – محبة ...) مرجع ومعين لخدام الكلمة والوعظ

موسوعة الموضوعات الطقسية

+ منهج لـ ١ ، ٢ ، ٣ أبتدائى (ثلاثة أجزاء)
+ + منهج لـ ٤ ، ٥ ، ٦ أبتدائى (ثلاثة أجزاء)

موسوعة المعارف القبطية

+ منهج لحضانة الكنيسة ، وحضانة التربية الكنسية ، وأولى أبتدائى (ثلاثة أجزاء) .

موسوعة اللغة القبطية

+ منهج لحضانة الكنيسة ، وحضانة التربية الكنسية ، وأولى ، وثانية ، وثالثة أبتدائى (ثلاثة أجزاء) .

للاستفسار

القس / باسيليوس نجيب أبو سيف

الثمن ٩ جنيه